



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

**منهج الاستنباط عند الإمام ابن بدران من خلال
تفسيره جواهر الأفكار – دراسة نظرية تطبيقية –
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن
الكريم بقسم الكتاب والسنة**

إعداد الطالبة:

شهد عطوان صالح المالكي

الرقم الجامعي: (٤٣١٨٠٠٨٧)

إشراف

د . عبد الودود بن مقبول حنيف

الأستاذ المشارك في كلية الدعوة وأصول الدين

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قال تعالى :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

ملخص الرسالة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١). وبعد:

فهذا ملخص رسالة ماجستير بعنوان: (منهج الاستنباط عند الإمام ابن بدران من خلال تفسيره جواهر الأفكار - دراسة نظرية تطبيقية -). وهو عبارة عن خطة بحث مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن. وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة وفهارس فنية متنوعة:

أما القسم الأول: فهو الدراسة النظرية، ويشتمل على خمسة فصول:
 الفصل الأول: التعريف بابن بدران وكتابه (جواهر الأفكار).
 الفصل الثاني: مفهوم الاستنباط من القرآن الكريم.
 الفصل الثالث: أقسام الاستنباط عند الإمام ابن بدران.
 الفصل الرابع: طرق الاستنباط من القرآن عند ابن بدران.
 والفصل الخامس: أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن بدران.
 وأما القسم الثاني: فهو الدراسة التطبيقية:

وأقوم فيه بجمع كافة استنباطات الإمام ابن بدران في تفسيره، بحيث أسردها مرتبة حسب ترتيبها في المصحف وترتيب ورودها في الكتاب، ثم أقوم بمناقشة ما يحتاج منها إلى نقاش علمي، وفق المنهجية التي سوف أوضحها لاحقاً.
 وأما الخاتمة: فتشمل على نتائج البحث التي توصلت إليها، والتوصيات التي أقرتها.
 وأما الفهارس الفنية فتحتوي على: فهرس الآيات القرآنية - فهرس الأحاديث النبوية والآثار - فهرس الأعلام المترجم لهم في حاشية البحث - فهرس البلدان والأماكن - فهرس المصادر والمراجع - فهرس الموضوعات.
 هذا.. والله المستعان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الأعراف: آية (٤٣).

Abstract

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (1) .

" And they will say, "Praise to Allah , who has guided us to this; and we would never have been guided if Allah had not guided us. Certainly the messengers of our Lord had come with the truth." And they will be called, "This is Paradise, which you have been made to inherit for what you used to do" . Al- Araf 43

This summary of a Master Thesis entitled: (elicitation approach of Imam Ibn Badran through construed his book Fundamental Ideas (جواهر الأفكار) - applied and theoretical study) .

It is a plan to discuss the science and interpretation of the Quran to get Master degree .

Due to the nature of the search it will be divided into two parts:

he first part: theoretical study and it includes five chapters:

Chapter one: introducing Ibn Badran and his book Fundamental Ideas (جواهر الأفكار)

Chapter two: the concept of the elicitation from the Holy Quran.

Chapter three: elicitation divisions used by Imam Ibn Badran.

Chapter four: elicitation methods of the Quran used by Ibn Badran.

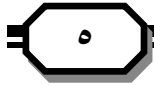
Chapter five: Ibn Badran`s view in the ways of errors in elicitation.

The second part is : Applied study

in this section I will gathered all Imm Ibn Badran`s elicitation in his interpretation of the Quran ,and they will be arranged according to their mention in the Quran first and in his book , then I will discuss the scientific debate according a methodology that will be clarified later.

Then Conclusion: it will contained the results of the research and recommendations, and then the indexes will include the following:

Koranic verses Index – Hadith and antiquities index – pioneers



Translator index – doctrines and tribes index – Countries and places index – sources and references index and topics Index.

These are the most important divisions that seemed to me in this search .

It is Allah (alone) Whose help can be sought .

And our final prayer is that all praise be to Allah, the Lord of all that exists.

شكر وتقدير :

هذا وإني لأشكر الله - جلَّ وعلا- على ما منَّ به عليَّ من مواصلة دراساتي العليا ، والانتسابِ إلى هذا العلم العظيم الشريف ، ومن ثمَّ إكمالِ هذا البحث ، فلك الحمد ربنا كما هديتنا وعلمتنا ، ومن كل خير سألناك ربنا أعطيتنا .

واعترافاً بالفضل لأهله ، والجميل لمسديه ، فإنني أُشيدُ بشكري وعرفاني لهذه الدولة العظيمة متمثلةً في قائدها العظيم الملك سلمان بن عبد العزيز - حفظه الله- ، وهذا الصرح المبارك - جامعة أم القرى- والقائمين عليها ، وأخصُّ بالشكر كليتي: كلية الدعوة وأصول الدين ، وقسمي قسم الكتاب والسنة ، والقائمين عليهما من: رؤساء وأساتذة وُفقوا للنهوض بها ، ومساعدة طلاب العلم والباحثين .

كما أنه من كمال نعمة الله ، وتمام فضله عليَّ إكرامي بالمشرف على الرسالة الشيخ الجليل ، والأستاذ المعطاء ، الدكتور عبد الودود حنيف -حفظه الله- فكان لي مُحَقِّقاً ، ومُدَقِّقاً ، وناصحاً ، فوجدت فيه أمانة عميقة ، وخُلُق حسن ، وجودة إقناع ، وعناية فائقة بكل ما يثري البحث، كما كان لي داعماً معنوياً ومادياً ، فأسأل الله أن يجعله ممن أخلصوا له تعالى في حبه فرضي عنهم واختصهم خُداماً لكتابه .

وأخصُّ بالشكر لمن قرن الله شكره بشكرهما: والديَّ الكريمين علي ما قدماه لي، فقد يسَّر لي الطريق، ومهَّد لي السبيل لأصل إلى هنا، فاللَّهُمَّ اجعل منزلتهما الفردوس الأعلى في الجنة، برفقة الحبيب المصطفى (ﷺ)، والله أرجو أن يحفظهما لي، ويعينني على برهما ما حييتُ، وأيضاً: الشكر موصول لزوجي الفاضل الذي كان لي مشجعاً ومسانداً. وأخيراً: فالشكرُ يطول في هذا المقام ، والثناء يدوم، غير أنني لا أملك إلا أن أسأل العلي في عليائه ، الواسع عطائه ، أن يجزي خيراً كل من أسهم في هذا البحث بدعم ملموس ، أو دعاء مكتوم .

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، إله الأولين والآخرين ، وخالق الخلق أجمعين ، والصلاة والسلام على مَنْ بعثه ربه رحمةً للعالمين ، وَحُجَّةً على العباد إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نَهْجِهِ في إِتِّبَاعِ القرآن الكريم، الذي كانوا به يهتدون ، فارتفعت راياتهم في الآفاق ، وبعد :

فقد تنوّعت جهود العلماء - رحمهم الله - في خدمة القرآن العظيم ، وبيان معانيه ، واستنباط حِكْمِهِ وأحكامه .

كما ظهرت العناية بالدراسات القرآنية في العصر الحاضر - والله الحمد - ظهوراً بارزاً للعَيَان من خلال الكتب والأبحاث والمجلات والمواقع الإلكترونية .

وقد توجّه عدد من الباحثين في المعاهد والجامعات إلى دراسة الاستنباط من حيث تأصيله ، وطُرُقُهُ، ووسائله، ومدى تطبيقه من قِبَل المفسرين في أثناء تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم .

وعِلْمُ الاستنباط لا يقل أهمية عن علم التفسير ؛ فهو ثمرته ؛ فإن الاستنباط يُبْنَى على التفسير الصحيح للآية .

وعِلْمُ الاستنباط من العلوم المُهِمَّة، لذلك فإنه يستدعي علوماً كثيرة لدى المستنبط ليكون استنباطه صحيحاً فهو بحاجة إلى علم اللغة ، والفقه وأصوله ، بل ينبغي عليه أن يكون مُلِمّاً بدقائق مفردات بعض العلوم كدلالات الألفاظ في علم أصول الفقه والمتتبع لكتب التفسير يجد عدداً من العلماء المفسرين قد عُنُوا بعلم الاستنباط في كتبهم عناية واضحة، أذكر منهم على سبيل المثال: ابنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥١٤هـ) - رحمه الله- في كتابه أحكام القرآن ، والرَّازِيّ - رحمه الله- (ت: ٦٠٦هـ) في تفسيره الكبير ، وابن كثير - رحمه الله- (ت: ٧٧٤هـ) في تفسيره ، والطاهر ابن عَاشُور - رحمه الله- (ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره وغيرهم .

ومن عظيم فضل الله تعالى على طالب العلم أن يُيسِّر له من البحث والدراسة ما يعيش به مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ) ، يَنْهَلُ من مَعِينِهِمَا، وتَرْكُو مَعَارِفُهُ

بهما، وَيَشْرُفُ بِخِدْمَتِهِمَا ، اسأل الله تعالى ألا يجرمنا واسع فضله، وبركات كتابه الكريم ، وأن يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالنِيَّةِ الْخَالِصَةِ لَهُ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ .

وقد شَرَّفَنِي اللهُ بِخِدْمَةِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ؛ بِتَقْدِيمِ مَوْضُوعِ مَنْهَجِ الْاسْتِنْبَاطِ عِنْدَ عَالِمِ سَلْفِيٍّ مُعَاَصِرٍ وَمُحَقِّقٍ جَلِيلٍ، هُوَ الشَّيْخُ: عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ بَدْرَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي تَفْسِيرِهِ (جَوَاهِرِ الْأَفْكَارِ وَمَعَادِنِ الْأَسْرَارِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ) .

فبعد التنقيح والدراسة لجملة من الأفكار والعناوين ، والمشاورة والاستخارة ، تَوَجَّهْتُ الرَّغْبَةَ إِلَى تَنَاوُلِ الْاسْتِنْبَاطِ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ عُنِيَّ بِهِ مِنَ الْمَفْسِرِينَ ، فِي دَرَسَةِ نَظَرِيَّةِ تَطْبِيقِيَّةٍ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِهِ ، فَأَعْمَلْتُ الْجَهْدَ بَحْثًا عَنْ مَصْنَفِ تَفْسِيرِي ، أَوْلَى الْاسْتِنْبَاطِ عِنَايَةً رَئِيسَةً ، مَعَ حَرَصِي عَلَى أَنْ أَقْدِمَ - لِهَذَا الْمَصْنَفِ وَصَاحِبِهِ - جَدِيدًا فِي مِيْدَانِ الدَّرَاسَةِ الْبَحْثِيَّةِ ، فَكَانَ الْمَوْضُوعُ الَّذِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ : "مَنْهَجُ الْاسْتِنْبَاطِ عِنْدَ الْإِمَامِ ابْنِ بَدْرَانَ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِهِ جَوَاهِرِ الْأَفْكَارِ - دَرَسَةٌ نَظَرِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ - " .

وتفسيره هذا - وإن لم يكتمل - جمع بين دَفْتَيْهِ مُهِمَّاتِ مَسَائِلِ التَّفْسِيرِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا النَّاسُ - لَا سِيَّمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ - ، وَاشْتَمَلَ عَلَى عَدَدٍ كَافٍ مِنَ الْاسْتِنْبَاطَاتِ ، مِمَّا يُوَفِّرُ مَادَّةَ ثَرِيَّةٍ لِلْبَحْثِ ، وَمُؤَدَّجًا مُهِمًا فِي بَابِ دَرَسَةِ الْاسْتِنْبَاطِ عِنْدَ الْمَفْسِرِينَ .

وَمِنَ اللهِ أَسْأَلُ الْعَوْنَ وَأَسْتَمِدُّ التَّوْفِيقَ، وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ حُسْنَ الْقَصْدِ؛ فَهُوَ الْمَوْلَى الْمُعِينُ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

❖ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتحلى أهمية وأسباب اختيار هذا الموضوع في النقاط التالية :

- ١- أنه يتناول موضوع الاستنباط، وهو جانبٌ مهمٌّ من جوانب علوم القرآن؛ فبه تُعَلَّم علوم القرآن - أي: العلوم المستخرجة من القرآن - ، وبه تُقاس المستخرجات من القرآن، وتُعلَّم صحَّتها من بُطلانها، فهو قانون العلوم المستخرجة من القرآن الكريم .
- ٢- أن هذا الموضوع -على أهميته وضرورته بيانه- لم تُكْتَب فيه رسالة علمية - في حدود علمي- ، فأُحِببت أن أُضِيف بهذا العمل إلى المكتبة القرآنية جديداً ينتفع الناس به.
- ٣- الحث على زيادة التأمل والتدبر لكتاب الله ، وإظهار إعجازه على الوجه الصحيح.
- ٤- إيضاح معالم الاستنباط الصحيح وطُرقه ، وبيان منهج السلف الصالح في الاستنباط.
- ٥- المساهمة في إزالة اللبس بين التفسير والاستنباط من حيث المفهوم والتطبيق .
- ٦- أن دراسة الاستنباط من خلال كتب التفسير والأحكام تُكشِف عن أسباب اختلاف العلماء - رحمهم الله - في تقرير الأحكام الشرعية .
- ٧- أن دراسة الاستنباط تُعَيِّن على فهم النصوص، ومعرفة الدلالات والقرائن، والربط بين الأصول والفروع .
- ٨- أهمية كتاب (جواهر الأفكار) ، واشتماله على عددٍ كبيرٍ من الاستنباطات - على اختلاف العلوم - مما يوفِّر مادة ثرية للبحث ، ومُؤدِّجاً مهمّاً في باب دراسة الاستنباط عند المفسرين .
- ٩- تناول الموضوع جانباً رئيساً في باب التفسير ، يرتبط باستخراج الثمرة العلمية والعملية من النص القرآني الكريم ، بل هو لبُّ هذا الفنِّ ومقصوده ، مما يُؤكِّد أهمية الوقوف مع كتب التفسير التي عُنيَتْ بهذا دراسةً لما حوتُه من الاستنباط القرآني بمفرداته التفصيلية ومنهجه الكلي، وشموله لسائر مجالات الدين .
- ١٠- الحاجة الماسة اليوم إلى ربط حياة المسلمين بكتاب الله تعالى، ودلائل آياته الكريمة -مُعْتَقِداً وفِكْراً وسلوكاً- وهو ما يُشْرِيه، ويدفع أهل التخصص إلى العناية به .
- ١١- نيل الثواب العظيم بسبب محاولة إظهار بعض المعاني التي احتواها القرآن الكريم،

وتأكيد تلبية القرآن للمستجدات والنوازل؛ فالاستنباط من القرآن مرجعٌ أصيلٌ لمعرفة أحكام النوازل والأحداث .

- ١٢- حماية القرآن الكريم من المفاهيم المنحرفة التي يلصقها أهل الضلال بالقرآن الكريم، فبالاستنباط يُعلم أن ربط أي معنى بالقرآن دون أن تكون له به علاقة هو محض افتراء ، والربط إما أن يكون بالدلالات اللفظية أو بالقواعد الاستنباطية .
- ١٣- معرفة جهود العلماء السابقين المبذولة في العناية بالقرآن الكريم .

❖ أهداف دراسة الموضوع :

- أ - التدبر والتأمل في كتاب الله تعالى .
- ب - اكتساب ملكة استخراج الفوائد والاستنباطات من القرآن الكريم .
- ج- تأصيل مسائل علم الاستنباط، وبيان أقسامه، ودلالاته، ودراستها في تفسير (جواهر الأفكار) ، مع إبراز طريقتيه في عرض المعاني المستنبطة .
- د - إظهار شخصية الإمام ابن بدران التي تتضح من استنباطاته المتميزة في تفسيره.
- هـ- الكشف عن استنباطات الإمام عبد القادر بن بدران - رحمه الله- في كتابه (جواهر الأفكار) ، والأقسام والطرق والقواعد التي سار عليها .
- و- تيسير الوصول إلى استنباطات الإمام ابن بدران - رحمه الله - في تفسيره (جواهر الأفكار) ؛ بتصنيفها ، ودراستها ، وترتيبها .
- ي- قراءة كتاب (جواهر الأفكار) لابن بدران - رحمه الله- .

❖ الدراسات السابقة :

بعد بذل الجهد في البحث والسؤال ، ومن خلال أدوات البحث الموضوعي من فهرس المراكز العلمية، والبحث في شبكة المعلومات الحاسوبية، وسؤال مَنْ تيسَّر التواصل معه من الباحثين والمتخصصين ، والتواصل مع قاعدة المعلومات بمركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث لم أفقْ على بحثٍ أو دراسةٍ سابقة في هذا الموضوع، وهو ما شجعتني على خوض غَمَارِهِ ، سائلةً الله تعالى التوفيق والسداد ، علماً أنه سبق تسجيل رسائلٍ علميةٍ وكُتِبَ تتعلق بالاستنباط عند المفسرين ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً: الرسائل والكتب :

أما الرسائل فهي :

- ١- التنبهات التربوية المستنبطة من آيات نداء الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف وتطبيقاتها التربوية، ماجستير، للباحث: عيسى محمد الأنصاري بجامعة أم القرى .
- ٢- الدلالات التربوية المستنبطة من آيات الصبر في القرآن الكريم ، وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة ، رسالة ماجستير، للباحث: نبيل بن أحمد الغامدي ، سُجِّلَتْ ونُوقِشت في قسم التربية الإسلامية و المقارنة بكلية التربية ، بجامعة أم القرى .
- ٣- منهج الاستنباط من القرآن الكريم ، رسالة ماجستير، للباحث فهد بن مبارك الوهبي، نُوقِشت في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود .

وأما الكتب فهي :

- ١- الإكليل في استنباط التنزيل ، للحافظ جلال الدين السُّيُوطِي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق: سيف الدين عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠١هـ.
- ٢- الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية ، لمحمد عبد اللطيف القرظور ، دار الإمام الأوزاعي ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ٣- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر ، للباحث: مُسَاعِد بن سُلَيْمان الطَّيَّار، دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤٢٧هـ .

ثانياً: وأما المصنّف وصاحبه فقد سُجِّلت فيه بحسب ما وقفتُ عليه، ما يلي :

- ١- كتاب (علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره) ، لمحمد بن ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
 - ٢- مدخلٌ إلى دراسة تفسير ابن بدران (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار) ، لعادل بن علي الشدّي ، دار الوطن، ط ١ ، (ولم يذكر فيه شيئاً عن منهجه في الاستنباط) .
 - ٣- منهجُ ابن بدران في تفسيره (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار) ، لعادل بن علي الشدّي، دار الوطن ، ط ١ ، (ولم يذكر فيه شيئاً عن منهجه في الاستنباط) .
- ثالثاً: رسائلٌ ودراساتٌ حول منهج الاستنباط في تفاسير بعض المفسرين، منها:
- ١- الاستنباطُ عند الشيخ محمد أبي زهرة في كتابه (زهرة التفاسير) ، رسالة دكتوراه ، للباحثة: منال القرشيّ (جامعة أم القرى) .
 - ٢- الاستنباطُ عند الإمام ابن عطية الأندلسيّ في تفسيره (المحرر الوجيز) ، رسالة دكتوراه، للباحثة: عواطف بنت أمين البساطي (جامعة أم القرى) .
 - ٣- منهجُ الاستنباط عند أبي السُّعود من خلال تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، رسالة دكتوراه، للباحث: أيمن نبيه غنّام المعريّ، (جامعة أم القرى).
 - ٤- الاستنباطُ عند العلامة الشنقيطيّ من خلال تفسيره (أضواء البيان) جمع ودراسة ، رسالة ماجستير ، للباحث: رائد الكحلان (جامعة أم القرى) .
 - ٥- منهجُ الاستنباط عند القاسميّ من خلال تفسيره (محاسن التأويل) دراسةً نظريّةً تطبيقية ، رسالة دكتوراه، للباحث: محمد صالح إسماعيل بالطيور، (جامعة أم القرى).
 - ٦- الاستنباطُ عند الإمام ابن الفرس الأندلسيّ في كتابه (أحكام القرآن) ، رسالة دكتوراه، للباحث: عبد الله العموديّ (جامعة أم القرى) .
 - ٧- الاستنباطُ عند الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تفسيره - من أوله إلى ما أقرّه الشيخ وهو إلى الآية (١١٠) من سورة النساء - دراسةً نظريّةً تطبيقية ، رسالة ماجستير ، للباحث: صالح محمد سعيد القحطاني ، (جامعة أم القرى) .
 - ٨- الاستنباطُ عند القصباب من خلال تفسيره (نكت القرآن) ، رسالة دكتوراه ،

- للباحث: محمد بن عبد العزيز الصَّعْب ، (جامعة أم القرى) .
- ٩- الاستنباطُ عند البيضاويِّ من خلال تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) دراسةً نظريَّةً تطبيقيةً، رسالة دكتوراه، للباحث: يوسف زيدان السُّلَمِيَّ (جامعة أم القرى).
- ١٠- الاستنباطُ عند أبي المُظَفَّر السَّمْعَانِيَّ في كتابه (تفسير القرآن) ، رسالة ماجستير، للباحث فَهْد القُوَيْفِل ، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .
- ١١- استنباطات ابن جُزَيِّ الكَلْبِيَّ في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) ، رسالة دكتوراه، للباحث يوسف بن عبد العزيز الشُّبَل ، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .
- ١٢- استنباطاتُ الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِي من القرآن الكريم عرض ودراسة ، رسالة دكتوراه ، للباحث: سيف بن منصور الحَارِثِي (جامعة الإمام محمد بن سعود).
- ١٣- الاستنباطُ عند الحَطِيب الشَّرِيْنِي في تفسيره (السراج المُنِير) ، رسالة دكتوراه ، للباحثة: أسماء محمد الناصر (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .
- ١٤- استنباطاتُ الإمام ابن كثير، دكتوراه، لبدرية الحُمُود (جامعة الإمام محمد بن سعود).
- ١٥- الاستنباطُ قواعدُه وتطبيقاتُه عند ابن العَرَبِي المَالِكِيَّ في تفسيره (أحكام القرآن) ، رسالة ماجستير ، للباحثة: إيمان أُسَيْد أَرْكُوْبِي ، (جامعة الملك سعود).
- خامسا: كما يوجد دراسات وكتب في الاستنباط متخصصة في الفقه:**
- ١- الاستنباطُ الفقهي عند أهل الرأي : لعبد الله الدَّرْعَان .
- ٢- قواعدُ الاستنباطِ من ألفاظ الأدلَّة عند الحنابلة وآثارها الفقهية ، رسالة دكتوراه ، للباحث: عبد المحسن بن عبد العزيز الصُّوبِغ ، (جامعة الإمام محمد بن سعود) .
- وبناءً عليه فإنه لم يسبق تسجيل أي رسالة علمية في دراسة المنهج الاستنباطي عند الشيخ عبد القادر بن بَدْران . والله أعلم .

❖ خطة البحث:

وتشمل على مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة وفهارس فنية :

المقدمة: وتشتمل على : (بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، وتوضيح أهداف دراسته ، والدراسات السابقة ، وذكر خطة البحث ومنهجه) .

التمهيد: في عناية السلف بالقرآن الكريم ، مع ذكر بعض من معالم الاستنباط .

القسم الأول: الدراسة النظرية ، وتشمل على خمسة فصول :

الفصل الأول: التعريف بابن بَدْران وكتابه (جواهر الأفكار) ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ترجمة الإمام ابن بَدْران .

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة عليه في الاستنباط .

المبحث الثالث : التعريف بكتاب (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار) لابن بَدْران .

الفصل الثاني: مفهوم الاستنباط من القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاستنباط في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثالث: الفرق بين الاستنباط والتفسير .

الفصل الثالث: أقسام الاستنباط عند الإمام ابن بَدْران ، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أقسامه باعتبار موضوعه.

المبحث الثاني: أقسامه باعتبار صحته وبطلانه.

المبحث الثالث: أقسامه باعتبار ظهور النص المستنبط منه وخفائه.

المبحث الرابع: أقسامه باعتبار الأفراد والتركيب في النص.

الفصل الرابع: طرق الاستنباط من القرآن عند ابن بَدْران ، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الإشارة .

المبحث الثاني: دلالة النص .

المبحث الثالث: دلالة المفهوم .

المبحث الرابع: دلالة الاقتران .

الفصل الخامس: أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن بدران .

القسم الثاني/ الدراسة التطبيقية :

وأقوم في هذا القسم بذكر نماذج من استنباطات الإمام ابن بدران في تفسيره ، ثم أسرُدُها مُرتبةً حسب ترتيبها في المصحف وورودها في الكتاب ، ثم أُنَاقِشُ ما يحتاج منها إلى نقاشٍ علمي ، وَفَقَّ المنهجية التي سوف أوضِّحها لاحقاً .

الخاتمة : وفيها أذكر أهمَّ النتائج والتوصيات .

الفهارس العلمية : وتتضمَّن الآتي :

- ١- فِهْرِسِ الآياتِ القرآنية .
- ٢- فِهْرِسِ الأحاديثِ النبوية والآثار .
- ٣- فِهْرِسِ الأعلامِ المترجم لهم .
- ٤- فِهْرِسِ البُلدانِ والأماكن .
- ٥- فِهْرِسِ المصادرِ والمراجع .
- ٦- فِهْرِسِ الموضوعات .

منهج البحث:

أولاً : المنهج الاستقرائي :

- ١- اعتماد طبعة المكتب الإسلامي لكتاب جواهر الأفكار، وهي الطبعة الأولى عن النسخة المخطوطة الوحيدة ، وقد صدرت عام ١٤٢٠ هـ ، بتحقيق زهير الشاويش .
- ٢- قراءة الكتاب كاملاً ، وتحديد مواضع الاستنباط فيه .
- ٣- سرد الاستنباطات حسب ترتيب المصحف ودراستها وتحليلها .
- ٤- رَمَزْتُ للكاتب المطبوعة بالحرف (ط) ، وللكاتب المخطوطة بالحرف (خ) ، وللكاتب المتوقف فيها بالعلامة (؟) ، وذلك في الكتب التي تَرُدُّ في المتن ، وبعض الكتب التي تَرُدُّ في الهامش؛ وذلك لتمييز الكتب المطبوعة من المخطوطة ؛ خدمةً للباحثين وطلاب العلم ، ويكون هذا عند الوقوف عليها مع بذل الجهد .
- ٥- بدأتُ الفصل أو المبحث أو المطلب بتمهيدٍ مُوجز ، أو توطئة مختصرة ، إذا كان الموضوع يتطلب الإيضاح قبل الدخول فيه .
- ٦- وثَّقت المادة العلمية في البحث كما يلي:
 - عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم، والاعتماد على الرسم العثماني في كتابتها.
 - تخرِج الأحاديث بإحالتها إلى مصادرها ، وبيان حكم العلماء عليها.
 - إحالة الآثار والأقوال المختلفة إلى مصادرها بذكر الجزء - إن وُجد - ورقم الصفحة.
 - توثيق النقل من الكتاب الأصلي ومن بقية المراجع العلمية ، منسوبةً إلى مؤلِّفِهَا .
 - سأترجم للأعلام ممن يرد ذكرهم أثناء البحث، إلا المعروفين من الصحابة ونحوهم، وتكون ترجمة موجزة تتضمن: الاسم الثلاثي واللقب ، وسنة مولده ، وثلاثة من شيوخه ، وثلاثة من تلاميذه ، وثلاثة من مؤلفاته ، وكل ذلك إذا وقفت عليها .
 - شرح الكلمات الغريبة ، والتعريف بالمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف .
 - عزو الأبيات الشعرية إلى قائلِها، وذكر مواطن ورودها في دواوين الشعر وكتب اللغة.
 - التعريف بالأماكن والفرق والطوائف المبهمة التي تحتاج إلى تعريف ، تعريفاً موجزاً .
 - ضبط ما يحتاج إلى ضبطٍ بالشكل ويُشكِلُ فهمه ، وضبط ما يستقيم به الكلام .

- الاعتماد في التوثيق على المصادر الأصلية - ما استطعت إلى ذلك سبيلاً - ، مع عدم إهمال المراجع الحديثة التي استفدت منها كالبحوث والمجلات العلمية .
 - إذا وجدت المعلومة في عددٍ من المراجع اكتفيت بالتوثيق من أهمها، والتزمت ألا أزيد في الهامش الواحد على خمسة مراجع؛ حفاظاً على التوازن بين الهوامش وتجنباً للإطالة
 - عند التوثيق في الهامش إذا كان المصدر مطبوعاً -وهو الغالب- أشرتُ إلى رقم الجزء أولاً ثم رقم الصفحة ، فاصلةً بينهما بخط مائل إن كانت له أجزاء ، وإلا أشرتُ إلى رقم الصفحة مباشرة ، وإن كان المصدر مخطوطاً نبهتُ إلى ذلك بين قوسين ، وذكرت رقم الورقة أو اللوحة ، ثم رمزتُ إلى وجهها الأول بحرف "أ" ، والثاني بحرف "ب" فاصلةً بين الرقم والحرف بخط مائل ، وإذا لم يتيسر لي الحصول على المخطوط أُحيلُ إلى المصدر الذي نقل منه إن كان موجوداً ؛ اعترافاً بالفضل لأهله، مع الإشارة إلى توثيق ذلك المصدر للمعلومة من المخطوط .
 - في الفصل الثالث والرابع دكرتُ الاستنباط تحت كل قسم ، ثم دكرتُ بيان ذلك ، موضحةً في هذا البيان العلاقة بين الاستنباط وقسمه، مؤجلةً ذكر وجه الاستنباط وتحليله إلى موضعه في القسم الثاني من هذا البحث ، وذلك تحاشياً للإطالة .
 - ٧- أما القسم الثاني فهو يختص - بالإضافة إلى ما سبق- بجمع واستقراء شيء من استنباطات الإمام ابن بدران ، ثم تناوؤها وفق المنهجية التالية:
 - قُمتُ بتصنيفها حسب ترتيب المصحف ، مبتدأة بسورة الفاتحة ، ثم سورة البقرة .
 - ثم جعلتُ لكل مفردة آية رقماً متسلسلاً .
 - قُمتُ بالمناقشة العلمية لكل استنباط ، موضحةً فيه نوع الدلالة والتوضيح ووجه الاستنباط وتحليل الاستنباط بذكر الطريق الذي توصل به -رحمه الله- إلى استخراج هذا الاستنباط ، وقد أتطرقُ إلى ما يتعلق به من مسائل علمية مما تظهر الحاجة إليه.
- ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^ط ﴿٣٢﴾

التمهيد:

في عناية السلف بالقرآن الكريم ، مع ذكر بعض من معالم الاستنباط .

القرآن الكريم هو مصدر العزِّ والكرامة للمسلمين ، وهو سر فلاحهم في الدنيا والآخرة ، ولذا فقد أولَّوه اهتمامهم البالغ ، ولم يحظَ أيُّ كتابٍ بمثل ما حظِّي به القرآن الكريم من العناية الفائقة ؛ فقد احتل القرآن الكريم المرتبة الأولى في اهتمام المسلمين ، فعكفوا على حفظه ودراسته ، واستنباط الأحكام منه ، وألَّفوا حوله الكتب والبحوث .

ومع مرور الزمن وتزايُد العلوم وتكاثر البحوث نشأت علومٌ كاملة تتعلق بكتاب الله سبحانه، وتنوعت تبعاً لتنوع الجوانب المتعلقة بالدرس القرآني، من: رسمٍ ، وقراءاتٍ، وأسبابِ نزولٍ، وغريبٍ ، ومعانٍ ، وإعرابٍ، واستنباطٍ للأحكام ، وغير ذلك .

فمباحث القرآن مباحث جليلة عظيمة، لا سيما ما كان منها في علم التفسير؛ فالقرآن الكريم كلام الله تعالى ، وكلما تبين للمسلم وجوه إعجازه وبلاغته ازداد تعظيماً للمتكلم سبحانه، وأيقن أن هذا الكلام من حكيم عظيم ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾^(١)، وهذا يتأتى لمن آتاه الله قوة الاستنباط والفهم ، وهداه لمطالعة كتب الراسخين من أهل العلم في هذا الباب؛ فإن كتاب الله مليء بالدرر والجواهر، بل كله درر ، وكلُّ من أطلعه الله على شيء منها ازداد إيماناً، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾^(٢) ، وأوفر نصيبٍ من هذه الزيادة يكون لمن كان أسدَّ اجتهاداً وأحسن استنباطاً؛ قال ابن قيِّم الجوزية^(٣) (ت: ٥١٧هـ) : "وقد

(١) سورة النمل : آية (٦) .

(٢) سورة التوبة : آية (١٢٤) .

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الشهير بابن قيِّم الجوزية ، ولد سنة (٦٩١هـ) ، ومن شيوخه: قيِّم الجوزية والده ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيرهم ، ومن طلابه: الإمام ابن كثير ، والإمام ابن رجب ، وغيرهم ، ومن مؤلفاته: الصواعق المرسله ، وزاد المعاد ، ومفتاح دار السعادة . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٦ / ٥٦) ، ومعجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (٩ / ١٠٦) ، والبدر الطالع: للشوكاتي (٢ / ١٤٣) .

مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه ، وأخبر أنهم أهل العلم^(١) ، فقال تعالى :
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢) .

فمن أعظم العلوم التي اهتم بها المسلمون واشتغل بها المفسرون خاصةً بعد علم
التفسير "علم الاستنباط من القرآن" ، فأختص أهل الاستنباط بثواب اجتهادهم ، ورفع
درجاتهم ؛ قال القرطبي^(٣) (ت: ٦٧١هـ) : "ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله (ﷺ)
استنباط ما نبه على معانيه ، وأشار إلى أصوله؛ ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد ؛
فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم" ^(٤) .

ولا يكاد يوجد كتاب من كتب التفسير - قديماً وحديثاً - إلا وهو متضمن
لعددٍ من الاستنباطات المتعددة، بل خصصت مؤلفات خاصة بهذا النوع، وأُفردت كتبٌ
للبحث في علم الاستنباط، ومن أشهر ما كُتب في هذا الموضوع: (تفسير جواهر الأفكار
ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار) للعلامة: عبد القادر بن بدران (ت:
١٣٤٦هـ)، وهو ما نحن بصدد دراسة منهجه الاستنباطي ، وغيره كثير من الكتب التي
اعتنت بدراسة هذا الموضوع الشديد الصلة بعلم التفسير^(٥) .

فعلم الاستنباط علمٌ شريف جليل، يفيض على الأمة في كل زمانٍ بجلٍّ ما تحتاجه
من معرفة الحق المطابق لوقائعها، والمستمد من خير بيان وأصدق كلام؛ كتاب الله تعالى.

(١) إغلام الموقعين: لابن قيم الجوزية (١٧٢/١) .

(٢) سورة النساء: آية (٨٣) .

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فُوح القرطبي، من شيوخه: ابن زُواج، وابن الجُمَيْرِي، والحسن البكري، ومن
تلاميذه: ابنه شهاب الدين أحمد، وإسماعيل الخراستاني، ومن مؤلفاته: التذكار في أفضل الأذكار. انظر ترجمته:
الأعلام: للزركلي (٣٢٢/٥)، وطبقات المفسرين: للداوودي (٦٩/٢)، والوافي بالوفيات: للصفدي (٨٧/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٢/١) .

(٥) ومنها أشهر ما كتب في هذا الموضوع: الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية: للطوي، والإكليل في استنباط
التنزيل: للسُّيوطي، واستنباط القرآن: لمحمد بن عبد الوهاب، وغيرها. انظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم:
لفهد الوهبي (٢٠) .

والاستنباطُ قدرٌ زائدٌ على مجرد إدراك المعنى الظاهر؛ ومن ثم عَزَّ وُجُودَهُ، وصَعِبَ إدراكه وتحصيله، ولا يُؤْتَاهُ كُلُّ أَحَدٍ ، بل هو من مواهب الله تعالى وعطاياه التي يُنْعِمُ بها على من شاء من عباده، وقد امتن الله تعالى به على المؤمنين، وعصمهم به من إتباع غير الحق؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (١).

والاجتهاد في نيل العلم المُسْتَنْبَطِ نوعٌ من الجهاد في سبيل الله، قال الرَّخْشَرِيُّ (٢) (ت: ٥٣٨): "فأما الجدال في آيات الله لإيضاح مُلْتَبَسِهَا، وحلُّ مُشْكِلِهَا، ومُقَادِحَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي اسْتِنْبَاطِ مَعَانِيهَا، وَرَدُّ أَهْلِ الزَّيْغِ بِهَا وَعِنَهَا، فَأَعْظَمُ جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٣) ، كما أنه ميدان تنافس العلماء، وميزان تفاضلهم؛ قال البَيْضَاوِيُّ (٤) (ت: ٦٨٥) عند قوله تعالى: ﴿وَأُخْرِمَتْ شَيْهَتُهُ﴾ (٥): "مُحْتَمَلَاتٌ لَا يَتَّضِحُ مَقْصُودُهَا - لِإِجْمَالِ أَوْخَالَفَةِ الظَّاهِرِ - إِلَّا بِالْفَحْصِ وَالنَّظْرِ؛ لِيُظْهَرَ فِيهَا فَضْلُ الْعُلَمَاءِ، وَيَزْدَادَ حِرْصُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي تَدْبِيرِهَا ، وَتَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْمُتَوَقَّفِ عَلَيْهَا اسْتِنْبَاطِ الْمَرَادِ بِهَا ، فَيُنَالُوا بِهَا وَيَاتَعَابُ الْقِرَائِحَ فِي

(١) سورة النساء: آية (٨٣) .

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن عمر الرَّخْشَرِيُّ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان معتزلي المذهب ، أخذ النحو عن أبي مضر منصور ، وصنف التصانيف البديعة: منها: الكشاف ، والمحاجة بالمسائل النحوية ، والمفرد والمركب . انظر ترجمته: الأعلام" للزركلي (٧ / ١٧٨) ، ومعجم الأدباء: لياقوت الحموي (٦ / ٢٦٨٧) ، وفيات الأعيان: لابن خلكان (٥ / ١٦٨) ، طبقات المفسرين: للسيوطي (١٢٠) .

(٣) الكشاف: للرخشري (٤ / ١٥٠) .

(٤) عبد الله بن عمر بن محمد البَيْضَاوِيُّ، كان مولده أوائل القرن السابع الهجري ، من شيوخه: والده عمر بن محمد البَيْضَاوِيُّ ، ومحمد بن محمد الكحتائي، وشرف الدين عمر البوشكاني، ومن تلاميذه: أحمد بن الحسن الجاربردي، وعمر بن إلياس بن يونس المَرَاغِي، ومحمد بن أبي بكر بن محمد المقرئ، ومن مؤلفاته: مِنْهَاجُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ، ونظام التواريخ، وطوالع الأنوار في أصول الدين. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٤ / ١١٠) ، ومعجم المؤلفين: لُغْمَرُ كَحَّالَةَ (٦ / ٩٧) ، وطبقات المفسرين: للدواودي (١ / ٢٤٨) .

(٥) سورة آل عمران: آية (٧) .

استخراج معانيها، والتوفيق بينها وبين المُحَكِّمَاتِ مَعَالِي الدَّرَجَاتِ " (١) .

وقد اجتهد الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) في نيل تلك الفضائل والدرجات، وأصاب كلُّ منهم ما قُسمَ له؛ فمستقلٌّ ومستكثرٌ، وحين توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لم يكن شيءٌ من كتاب الله تعالى خَفِيَ المعنى عنهم، بل كلُّ القرآن الكريم -ألفاظه ومعانيه- معلوم المعنى عندهم، ثم يتفاوتون في الفهم والتحصيل بحسب ما اختصَّ الله كُلاًَّ منهم ، فلما قيل لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : هل عندكم شيءٌ مما ليس في القرآن؟ قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النَّسْمَةَ» (٢) ، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة» (٣) ، ومنه دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس (رضي الله عنهما): "اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل" (٤) ، ولو كان المراد بهذا الدعاء معرفة معاني الألفاظ الظاهرة لَمَا كان لاختصاص ابن عباس (رضي الله عنه) بهذه الدعوة مَرِيَّة؛ فإنه ممَّا يشترك فيه كثيرٌ من الصحابة، وإنما المراد الفهم والاستنباط الذي يفتح الله تعالى به على مَنْ شاء من عباده، وأما عُمر (رضي الله عنه) فحسبُه أنه ممن عُيِّي بقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٥)؛ حيث قال في سبب نزولها: "فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر" (٦) .

(١) أنوار التنزيل : للبيضاوي (٦/٢) .

(٢) فلق الحبة: أي شق الحبة اليابسة بالنبات وأخرج منها ورقاً أخضر . وبرأ النَّسْمَةَ: أي خلق النفس . انظر:

تفسير غريب ما في الصحيحين: للحميدي ابن أبي نصر (٥٥) .

(٣) رواه البخاريُّ في صحيحه: كتاب الديات ، باب العاقلة ، حديث رقم (٦٩٠٣) ، (١١/٩) ، ومُسَلِّمٌ في

صحيحه: كتاب الحج ، باب فضل المدينة ، حديث رقم (١٣٧٠) ، (٩٩٤/٢) .

(٤) رواه أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٣٩٦) ، (٩٥/٣) ، وسنَّده صحيح ، ولكن لم يخرجهُ الشيخان بهذا

اللفظ، وإنما اتفق الشيخان على ما رواه ابن عباس أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل الخلاء فوضعتُ له وضوءاً، قال: مَنْ وضع

هذا؟ فأخبر فقال: "اللهم فقه في الدين" ، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، حديث

رقم (١٤٣) ، (٤١ / ١) . وفي رواية مُسَلِّمٌ : "اللهم فقهه" . صحيح مُسَلِّمٌ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله

تعالى عنهم ، باب من فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: (٢٤٧٧) ، (٤ / ١٩٢٧) .

(٥) النساء: آية (٨٣) .

(٦) رواه مُسَلِّمٌ في صحيحه: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، حديث (١٤٧٩) ، (٢ / ١١٠٥) .

قال ابن تَيْمِيَّةَ^(١) (ت: ٧٢٨) مبيناً تفاوت الصحابة في الفهم والاستنباط: " وهذا عبدُ الله بن عباس حبر الأمة، وتُرْجَمَانُ القرآن، مقدار ما سمعه من النبي (ﷺ) لم يبلغ نحو عشرين حديثاً ، يقول فيها: (سمعتُ) أو (رأيتُ)، وسمع كثيراً من الصحابة، وبُورِكَ له في فهمه واستنباطه، حتى ملأ الدنيا عِلْماً وفقهاً " ^(٢) . وقال ابن حَزْمٍ^(٣) : " وجمعت فتاويه في سبعة أسفارٍ كبار، وهي بحسب ما بلغ جامعُها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي، وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبثت من كل زوجٍ كريم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ^(٤) ، وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره، وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق؛ يؤدِّي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درساً ، فكانت همته مُنْصَرَفَةً إلى الحفظ ، وتبلغ ما حفظه كما سمعه، وهمته ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأتجار منها، واستخراج كنوزها" ^(٥) ، فرضي الله عنهم وأرضاهم .

(١) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تَيْمِيَّةَ، وُلِدَ سنة (٦٦١هـ) ، ومن شيوخه: أبوه عبد الحلیم بن تَيْمِيَّةَ، وزين الدين ابن المنجا، ومجد الدين ابن عساكر، ومن تلاميذه: ابن قَيْمٍ الجَوْزِيَّةَ، ومحمد الدَّهْهِي، وابن كثير، ومن مؤلفاته: الاحتجاج بالقدر، الاستقامة، الإيمان الكبير. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (١/ ١٤٤) ، ومعجم المؤلفين: لعمركم كحالة (١/ ٢٦١) ، والوافي بالوفيات: للصقدي (٧/ ١١) .

(٢) مجموع الفتاوى: لابن تَيْمِيَّةَ (٤/ ٩٤) ، ونقله عنه ابن قَيْمٍ الجَوْزِيَّةَ في كتابه: الوابل الصيب: (٥٩) . وينظر: مفتاح دار السعادة: له أيضاً (٦٠) .

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْمٍ الأندلسي، ولد عام (٣٨٤هـ)، ومن شيوخه: أحمد القرطبي ، والبزار، ومن مؤلفاته: كتاب طوق الحمامة، والإحكام في أصول الأحكام . انظر ترجمته في: مُعْجَم الأَدْبَاءِ : لياقوت الحموي (٤/ ١٦٥٠) ، سير أعلام النبلاء: للدَّهْهِي (١٨/ ١٨٤) ، الأعلام: للزركلي (٤/ ٢٥٤) .

(٤) سورة الجمعة: آية (٤) .

(٥) مجموع الفتاوى: لابن تَيْمِيَّةَ (٤/ ٩٤) .

وكذلك غني العلماء المعاصرون بهذا الموضوع ، حتى وُفق البعض لاستخراج كثير من المعاني الخفية، قال ابن عاشور^(١) (ت: ١٣٩٣هـ): "وإنك لتمرُّ بالآية الواحدة، فتتأملها وتندبرُّها ، فتنهالُ عليك معانٍ كثيرة، يسمحُ بها التركيب، على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثرُ عليك، فلا تكُ من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر، إن كان التركيب سمحاً بذلك"^(٢).

وسمى الله تعالى الاستنباط علماً ، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ وَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٣) . فالاستنباط من أهم أسباب إدراك العلوم ، وله من الأصول والضوابط التي تجمع جزئياته ما يجدر معه بأهل العلم إبرازها بعد جمعها ودراستها .

وأما علم التفسير فقد وصفه ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) بأنه: "تفسير ألفاظٍ واستنباط معانٍ"^(٤) . وقال أيضاً : "موضوع التفسير : ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه"^(٥) . فالاستنباط من العلوم التي تأتي بعد تمام تفسير الآية، ولكن لشدة ارتباط هذا العلم بعلم التفسير نظرياً وتطبيقياً ، ولكثرة ما أُثير في كتب التفسير الحُجق به في بيان علم التفسير وموضوعاته ، فكلاهما بيان للمعنى ، لكن التفسير يكون للمعنى الظاهر ، أما الاستنباط فيختصُّ بالمعنى الخفي ، ومن ثمَّ يتفق علماً الاستنباط و التفسير في أنهما بيان للمعنى ، ثم يفترقان في المعنى المبين في كل منهما ،

(١) محمد الطاهر بن عاشور، ولد سنة (١٤٩٦هـ) ، من شيوخه: أحمد بن بدر الكافي، وأحمد جمال الدين ، ومحمد صالح الشريف، ومن طلابه: محمد الصادق الشطّي، وأبو الحسن بن شعبان، ومحمد الشاذلي النيفر، ومن مؤلفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٦/ ١٧٤) ، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (٢/ ٩٢) ، وإتحاف المطالع: لعبد السلام بن عبد القادر (٢/ ٦٠٤) .

(٢) التحرير والتنوير: (١/ ٩٧) .

(٣) سورة النساء : آية (٨٣) .

(٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٢/١) .

(٥) المصدر السابق .

فللتفسير المعنى الظاهر المباشر اللازم للفظ ، و للاستنباط ما وراءه من المعاني الزائدة ، وكلاهما من أجل علوم القرآن الكريم وألصقها بألفاظه ^(١) .

ويجب إعطاء ألفاظ القرآن حقها بيان ما لها من المعاني ، وحسن الاستنباط وصحته سبيل^٢ إلى ذلك ، قال ابن قَيِّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) : "والمقصود أن الواجب فيما علق عليه الشارع الأحكام من الألفاظ والمعاني ألا يتجاوز بألفاظها ومعانيها، ولا يُقصر بها، ويُعطي اللفظ حقه والمعنى حقه، وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه، وأخبر أنهم أهل العلم"^(٢) . والمعاني المأخوذة بالاستنباط بطبيعتها أكثر وأغنى من معاني الألفاظ المباشرة، بل إن من أحكام الحوادث ما لا يُعرف بالنص وإنما بالاستنباط، وكم من سرٍّ وحُكْمٍ نبهت عليهما الإشارة، ولم تبيِّنهما العبارة ؛ قال السَّهيلي^(٣) (ت: ٥٨١هـ): "ليس كلُّ حكمٍ يؤخذ من اللفظ، بل أكثرها تؤخذ من جهة المعاني والاستنباط من النصوص"^(٤) . وقد أبان عن هذا ابنُ عَاشُور (ت: ١٣٩٣هـ) في حديثه عن المقصد الأول من مقاصد القرآن الكريم ، فقال: "كونه شريعة دائمة ، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين ؛ لتؤخذ منه أحكام الأولين والآخريين"^(٥) .

فالاستنباط من أشد علوم القرآن ارتباطاً بعلم التفسير، ولا يُتوصَّل إليه إلا بعد بناء التفسير وتمامه . وقد قسم ابن قَيِّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) التفسير ثلاثة أقسام ، فقال: "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول : تفسيرٌ على اللفظ ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسيرٌ على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسيرٌ على الإشارة

(١) انظر: معالم الاستنباط في علم التفسير: لنايف الرَّهْرَاني (٢١ - ٢٢) .

(٢) إغلامُ الموقعين: (١ / ١٧٢) .

(٣) هو عبدُ الرحمن بن عبدِ الله بن أحمد السَّهيلي، وُلد سنة (٥٠٨هـ)، من شيوخه: ابنُ العربي ، وابنُ الطَّراوة ، وسليمان بن يحيى ، ومن تلاميذه: مُحي الدين بن العربي، وابن دَحْيَةَ، ومحمد بن رشيد، ومن كتبه: الرَّوضُ الأُنْفُ، وتفسير سورة يوسف - خ ، والتعريف والإغلامُ في ما أُهم في القرآن من الأسماء والأعلام - خ . انظر ترجمته في: التذكرة: للدَّهبي (٩٦/٤)، والبداية والنهاية: لابن كثير (١٢ / ٣٨٩) ، والأعلام: للزَّركلي (٣ / ٣١٣) .

(٤) الفرائض وشرح آيات الوصية: (٧٧) .

(٥) التحرير والتنوير: (٣ / ١٥٨) .

والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثيرٌ من الصوفية وغيرهم^(١). فالقسم الثالث من هذه الأقسام داخلٌ في علم الاستنباط من معاني الآيات، فيعتمد على الاجتهاد والتأمل، وقد قسّمه ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) تقسيماً قريباً من ذلك في حديثه عن طرائق المفسرين في المقدمة الرابعة لتفسيره^(٢)، وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) عن هذا القسم من التفسير: "أما أرباب الإشارات الذين يُثبِتُونَ ما دلّ اللفظ عليه، ويجعلون المعنى المُشارَ إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار، فحالمهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار، وهذا حقٌّ إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً، واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً"^(٣). ويشتدُّ حبور العالم وسروره حين يظفر بشيءٍ من فرائد المعاني المستنبطة؛ مستشعراً نعمة الله تعالى وفضله عليه، ومن ذلك قول الشافعي^(٤) (ت: ٢٠٤): "استنبطتُ البارحة آيتين، فما أشتهي - باستنباطهما - الدنيا وما فيها"^(٥).
و الله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

(١) التبيان في أقسام القرآن: (٧٩).

(٢) التحرير والتنوير: (٤٢/١) حيث قال: "فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث، إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل، وإما استنباط معانٍ من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيهما الاستعمال ولا مقصد القرآن... وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم...".

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٨/٢)، (٣٧٧/٦).

(٤) هو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، ولد سنة (١٥٠هـ)، وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، من شيوخه: سفيان بن عيينة، وسعيد بن سالم القداح، ومن تلاميذه: أحمد بن حنبل، والحارث بن سريج البغدادي، ومن مؤلفاته: أحكام القرآن، وفضائل قريش، وجماع العلم. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٦/٢٦)، طبقات المفسرين: للدأودي (١٠٢/٢).

(٥) أحكام القرآن: (١٨٠/٢).

القسم الأول

القسم الأول الدراسة النظرية

تشتمل على خمسة فصول:

- ❖ الفصل الأول: التعريف بابن بَدْران وكتابه "جواهر الأفكار".
- ❖ الفصل الثاني: مفهوم الاستنباط من القرآن الكريم .
- ❖ الفصل الثالث: أقسام الاستنباط عند الإمام ابن بَدْران .
- ❖ الفصل الرابع: طرق الاستنباط من القرآن عند ابن بَدْران .
- ❖ الفصل الخامس: أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن بَدْران .

الفصل الأول التعريف بابن بَدْران وكتابه "جواهر الأفكار".

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : ترجمة الإمام ابن بَدْران .
- المبحث الثاني: العوامل المؤثرة عليه في الاستنباط .
- المبحث الثالث : التعريف بكتاب "جواهر الأفكار" لابن بَدْران.

المبحث الأول ترجمة الإمام ابن بدران

ويشتمل على :

- ❖ اسمه ونسبه .
- ❖ مولده ونشأته .
- ❖ عقيدته ومذهبه .
- ❖ طلبه للعلم وأشهر شيوخه .
- ❖ أشهر تلاميذه .
- ❖ مؤلفاته .
- ❖ وفاته .

توطئة بين يدي ترجمته :

اهتم عدد قليل من العلماء بجمع سيرة الإمام عبد القادر بن بدران ، وهي تراجم وكتابات قليلة، ولعلّي في هذه الترجمة أُشير إلى ما جمعت من تلك المصادر^(١) التي تكشف لنا عن حال العلامة المتفنّن ، الشيخ عبد القادر بن بدران ، أحد علماء القرن الرابع عشر الهجري ، الذين تركوا آثاراً تدلُّ على فضلهم ؛ فقد كان من العلماء الأجلّاء الذين أخذوا من العلم بحضِّ وافرٍ ، وفضلٍ سافرٍ ، وألّقي الضوء على أبرز معالم شخصيته ، غير مطيلةٍ ولا مختصرةٍ ، بل أتوسط بين الأمرين .

(١) من مصادر ترجمته :

- ١- منتخبات التواريخ لدمشق: لتقيّ الدّين الحِصْنِيّ (٢/ ٧٦٢ . ٧٦٣).
- ٢- أعيان دمشق: لمحمد جميل الشّطّي الحنبليّ (٣٤٥).
- ٣- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: لسركيس (٢/ ٥٤١).
- ٤- الأعلام: لخير الدين الزّركليّ (٤/ ٣٧).
- ٥- مقدّمة منادمة الأطلال: لمحمد بهجت البيطار .
- ٦- أعلام الأدب والفن: لأدّهم الجُنديّ (١/ ٢٢٤ ، وما بعدها) .
- ٧- معجم المؤلّفين: لعمر كخالّة (٥/ ٢٨٣).
- ٨- خاتمة المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لمحمد بن سعيد الحنبليّ .
- ٩- الأعلام الشرقية: لزكي مجاهد (٢/ ١٢٨ . ١٣٠).
- ١٠- معالم وأعلام: لأحمد قُدّامة (١/ ١٢٣).
- ١١- معجم المؤلّفين السُّوريين: لعبد القادر عيّاش (٢٥٧).
- ١٢- تاريخ دُومة: لمعروف زُرّيّق (١٠٣ . ١٠٤).
- ١٣- شعراء من دُومة: له أيضاً (٩٨ ، وما بعدها).
- ١٤- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: لمحمد مُطيع الحافظ (١/ ٣٠٠).
- ١٥- علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي: لمحمد بن ناصر العجمي .
- ١٦- مواضع متفرقة من كتب المُترجم له؛ كنزهة الخاطر العاطر (٢/ ٤٠٨ - ٤٠٩) ، وتسليية اللبيب (١١- ٣٣) ، والعقود الياقوتية (٧- ١٤) وغيرها.

أولاً: اسمه ونسبه :

هو العلامة المُفسِّر، الفقيه الأُصولي، المُحدِّث الأديب، النَّحوي الشاعر، المُتَفَنَّ، عبدُ القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم ابن بَدْران^(١)، السَّعْدِي^(٢)، الحِجَازِيّ الأَصْل^(٣)، الدُّومِيّ^(٤)، ثم الدَّمَشَقِيّ^(٥)، الحَنْبَلِيّ^(٦)، الأَثَرِيّ^(٧) السَّلَفِيّ^(١) (٢) .

(١) هي عائلة حِجَازِيَّة من قبيلة بني سعد، ينتسب أفرادها إلى جدِّهم الكبير (بَدْران السَّعْدِيّ) ، وهي أسرة كبيرة. انظر: تاريخ دُومَة: لمعروف زُرَيْق (١٧٢) .

(٢) صرَّح ابن بَدْران بنسبته إلى بني سعد ، فقال في كتابه منادمة الأطلال (١): "الشهير كآسلافه بابن بَدْران السَّعْدِيّ الدَّمَشَقِيّ". وقال في كتابه تهذيب تاريخ دمشق (٣/١): "المشهور كآسلافه بابن بَدْران المنتمي أصله ونجَّازُهُ لبني سعد حيران الصفا"، وانظر نسب بني سَعْد في: جمهرة أنساب العرب: لابن خَزْم (٢٦٥ ، ٤٨١)، وثمار القلوب: لِلتَّعَالِيّ (٢٨)، وكتاب (بنو سَعْد بن بكر بن هوازن - فروعهم وديارهم -) : راشد الأَحْيَوِيّ .

(٣) ذكر هذه النسبة سَرْكِيْس في معجم المطبوعات (٥٤١/٢) فقال: (من أسرة حِجَازِيَّة مُهلها دُومًا).

(٤) نسبة إلى دُومَة، مؤطِن ولادة المُتَرْجِم له ونشأته . انظر: معجم المؤلفين: لُغْمَر كَحَالَة (٢٨٣/٥). وهي بلدة تقع قُرْب دمشق كما أخبر بذلك الزُّرْكَلِيّ في الأعلام (٣٧/٤)، وتقع بشمال دمشق، وتعتبر من ضواحي دمشق، وقد صارت الآن مدينة ممتدة ، وهي مركز العُوطة. انظر: عُوطَة دِمَشَق (١٠٥) ، وهناك ثلاثة طرق إملائية لكتابة هذا الاسم، وهي: (دُومًا) بألف قائمة، و(دُومَى) بألف لينة صورتها ياء، و(دُومَة) بتاء مربوطة وهذا هو الصحيح؛ فقد ضبطها أبو عُبَيْدِ البَكْرِيّ بالتاء المربوطة والبدال المفتوحة في معجم ما استعجم من أسماء المواضع (٥٦٣ / ٢)، فقال: "دُومَة بفتح الدال والميم، معرفة لا تدخلها الألف واللام، وهي موضع بين الشام والمَوْصِل". ووردت في معجم البلدان: (٤٨٦ / ٢) فضببطها ياقوتُ الحَمَوِيّ بالتاء المربوطة والبدال المضمومة فقال: "دُومَة: بالضم: من قرى عُوطَة دمشق غير دُومَة الجُنْدَل". والأشهر في ضبطها بضم الدال، خاصة أننا وجدنا هذا الضبط في مجلِّ الكتب التاريخية القديمة الموثوقة والمعتمدة علمياً، لم يَشُدُّ عن ذلك مرجع واحد فيما أعلم .

(٥) النسبة إلى دِمَشَق ذكرها عن نفسه في مقدمة كتابه منادمة الأطلال (١) فقال: "الشهير كآسلافه بابن بدران السَّعْدِيّ الدَّمَشَقِيّ". وهي نسبة إلى دِمَشَق موطن هجرة المُتَرْجِم له ووفاته. انظر: الأعلام: لِلزُّرْكَلِيّ (٣٧/٤) .

(٦) نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو المذهب الفقهي للمُتَرْجِم له. انظر: الأعلام: لِلزُّرْكَلِيّ (٣٧/٤).

(٧) النسبة إلى الأَثَرِيّ ذكرها عن نفسه في كتابه العقود الياقوتية (٢٠٤) حيث قال: "الشهير كآسلافه بابن

بَدْران الأَثَرِيّ السَّلَفِيّ"، وهذه نسبة إلى الأثر وهو الحديث ، قال السَّمْعَانِيّ في كتابه الأنساب (١١٤/١):

"هذه النسبة إلى الأثر؛ يعني: الحديث ، وطلبه، وأتباعه". وقال السَّخَاوِيّ في فتح المغيث (٣/١)، عند شرح

ثانياً: مولده ونشأته :

وُلِدَ ابن بَدْران - رحمه الله - في بلدته دُومَة سنة (١٢٨٠هـ) ^(٣) ، ونشأ بها ، وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة هناك على يد الشيخ عدنان بن محمد عدس ^(٤) ^(٥) .
ثم رحل متنقلاً بين البلدان والمناطق لطلب العلم ، حيث يقول - رحمه الله - :
"هذا ولما كان الأمر كما قُرِّر ، وخُلِد في بطون الدفاتر وسُطَّر ، وكانت الرحلة في طلب العلم علامة النبيل ، ودليل الحليم ، لا جرم هجرت الأوطان ، وواصلت دمشق وغيرها من البلدان..." ^(٦) ، فارتحل إلى دمشق ، والتحق بدار الحديث الأشرفيّة ^(٧) ؛ حيث كان

قوله: (الأثري): "نسبة إلى الأثر... وانتسب إلى ذلك جماعة ، وحسّن الانتساب إليه مَن يصنّف في فنونه" ، وابن بَدْران مَن صنّف في الحديث ، وسرّد مصنفاته في الحديث عند الكلام عن مؤلفاته في هذا المبحث .
(١) والنسبة إلى السلفي ذكرها عن نفسه في كتابه العقود الباقوتية (٢٠٤) حيث قال: "الشهير كأسلافه بابن بَدْران الأثري السلفي" وهي نسبة إلى السلف الصالح ، ينسب إليه كل من اقتفى أثرهم ، قال السمعاني: (السلفي - بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء - هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم) . الأنساب (١٦٨ / ٧) .
(٢) ينظر اسمه في ترجمته في كتابه تسليّة اللبيب: (١١) ، والأعلام: للزركلي (٣٧/٤) ، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (٢٨٣/٥) ، وكتاب ترجمة علامة الشام عبد القادر بن بَدْران الدمشقي: للعجمي (٧) .
(٣) لم ترد سنة ولادته في أمّهات كتب التراجم التي ترجمت له ، ولكن وردت عند من ترجم له في غير أمّهات كتب التراجم على اختلاف في سنة ولادته ، وذكر الأستاذ أدّهم الجُندي في أعلام الأدب والفن (١/ ٢٢٤) أن ولادته كانت سنة (١٨٤٨م) ، أي : نحو سنة (١٢٦٤هـ) ، وذكر الأستاذ زهير الشاويش عند ترجمته لابن بَدْران في تفسيره جواهر الأفكار (١٥) أنه وُلِد سنة: (١٢٦٥هـ) . وذكر العجمي في كتابه (علامة الشام عبد القادر بن بَدْران) (٨) أنه ولد سنة: (١٢٨٠هـ) ، ثم قال في هامش هذه الصفحة : "ذكر ابن بَدْران في تسليّة اللبيب (٢٧/ب) أن والده أخبره بسنة ولادته هذه ، والعمدة على ما ذكره ابن بَدْران عن نفسه" ، وبه أقول .
(٤) لم أقف على ترجمة له .

(٥) شعراء من دُومًا: لمعروف زُرَيْق (٩٨) .

(٦) تسليّة اللبيب: لابن بَدْران (٤٥) .

(٧) هي أول دار للحديث النبوي الشريف ، بناها الملك موسى الأشرّف ابن الملك العادل الأيوبي ، فأفتتحتها الملك الأشرّف ليلة النصف من شعبان ، سنة (٦٣٠هـ) ، وأوقفها للشافعية ، وشرط في وقفيتها أن يكون شيخها محدث الشام أبا عمرو بن الصّلاح ، واشترط أن يكون شيخها من بعده أعلم الناس بالحديث بدمشق . انظر: دار الحديث الأشرفيّة بدمشق دراسة تاريخية توثيقية: للحسني ، ومنادمة الأطلال (٢٤) . وتقع دار الحديث الأشرفيّة

يُقيم مُحَدِّث الشام محمد بدر الدين الحَسَنِي (١) (ت: ١٣٥٤هـ) ، فاتصل ابن بدران به ، وأخذ عنه ، ومدحه ، وأثنى عليه (٢) .

وقد مكث - رحمه الله - في طلبه للعلم بدمشق قُرَابَةَ ستِّ سنوات ، حصَّل خلالها - بجِدِّه واجتهاده - ما لم يُحصِّلُه غيره في السنوات الطَّوَال ، وكان ذلك من آثار المنهجية العلمية (٣) التي لَقَّنَه إياها شيخُه العلامة محمد بن عثمان الخطيب (٤) (ت: ١٣٠٨هـ) ، حيث يقول - رحمه الله - : " ولما أخذت نصيحتَه مَأْخَذَ القبول ، لم أحتج في القراءة على الأساتذة العلوم والفنون إلى أكثر من ستِّ سنين... " (٥) .

لكنه لم يقتصر على ما أخذ ، وإنما أَكَبَّ على المطالعة بنفسه ، حتى برع في كثير من العلوم، يقول فيه محمد بن سعيد العُمَاني (٦) : " ثم بعد تلك المدة - أي: المقدرة

=

في مدينة دمشق، منطقة العَصْرُونِيَّة جوار الباب الشرقي لقلعة صلاح الدين .

(١) أشار إليه في تسليية اللبيب (٥)، وهو مُحَدِّث مشهور ، يعتزُّ به أهل دمشق، فيقولون عنه: "المحدِّث الأكبر"، وهو محمد بدر الدين بن يوسف الحَسَنِي المَعْرِيّ ، ولد بدمشق عام (١٢٦٦هـ) ، ومن شيوخه: الجمال يوسف الدمشقي ، وسليم أفندي المسوتي ، أما تلاميذه: عبد القادر القَصَّاب ، وظاهر الأتاسي ، ومحمد المبارك ، ومن مؤلفاته : الأنوار الجلييلة ، وشرح على صحيح البخاري ، وقد أفرده بالترجمة تلميذه صالح الفرفور في ترجمة بعنوان: "المحدِّث الأكبر وإمام العصر" . انظر ترجمته: الأعلام: للزَّركَلِيّ (٧/ ٨٢) .

(٢) تسليية اللبيب: لابن بَدْران (١٤) .

(٣) وهذه المنهجية أخبر عنها رحمه الله في كتابه المدخل (٤٨٨) نقلاً عن شيخه هذا ، فيقول: "وكان - رحمه الله - يقول لنا: لا ينبغي لمن يقرأ كتاباً أن يتصوَّرَ أنه يريد قراءته مرَّةً ثانية؛ لأن هذا التصوُّر يمنع عن فهم جميع الكتب، بل يتصوَّرَ أنه لا يعود إليه مرَّةً ثانية أبداً ، وكان يقول: كل كتابٍ يشتمل على مسائلٍ ما دونه وزيادة ، فحقَّق مسائل ما دونه لتوفر جدِّك على فهم الزيادة" .

(٤) هو الشيخ محمد بن عثمان بن عباس الحنبلي الشهير بخطيب دُومَة ، ولد سنة (١٢٣٧هـ)، ومن شيوخه: حسن الشَّطِّي ، وسعيد الحلبي وعمر أفندي الغزي وغيرهم ، و كان قليل العناية بالتأليف ، فلم يؤلِّف سوى مجلد ضمَّنه أسماء السور، و منسكاً اختصره من منسك جدِّه. انظر ترجمته: مختصر طبقات الحنابلة: للشَّطِّي (١٦٩) . وقد ذكر ابن بَدْران شيخه هذا في كتابه المدخل (٤٨٨) .

(٥) المدخل: لابن بَدْران (٤٨٨) .

(٦) لم أقف على ترجمة له .

بِسِتِّ سنواتٍ - عكف على المطالعة لنفسه حتى برع في الكتاب والسنة ، والأصْلَيْنِ والمذهب ، ومعرفة الخلاف ، وسائر العلوم العقلية ، والأدبية والرياضية ... " (١) .

ثم عاد - رحمه الله - إلى دُومَة ، وبدأ يُلقِي دروساً منتظمة في جامعها الكبير ، إلى أن حصلت له فتنة ومحنة عظيمة ، حيث سعى به حُسَّادُه عند قرينه الشاعر صالح بن أحمد طه الدُّومِيّ (٢) (ت: ١٣٢٤هـ) ، وكان آنذاك رئيس بلدية دُومَة ، فاستصدر أمراً بإبعاده عن دُومَة وإخراجه منها ، وتم لشانئيه ما يريدون ، فأُخْرِجَ منها نحو سنة (١٣١٨هـ) (٣) ، فهاجر إلى دمشق ، وعانى فيها من العُربة والبُعد ، والعُزلة والفَقْر ، لكن مِمَّا حَقَّفَ ذلك عنه ما لَقِيَهِ من التاجر محمود البارودي (٤) (ت: ١٣٢١هـ) من ترحيبٍ وحسن ضيافة ، نزل عنده مدة سنتين ونصف ، قام خلالها بمساعدة ابنه فخري (٥) (ت: ١٣٨٦هـ) في بعض العلوم والفنون ، ثم استقر به الأمر في مدرسةٍ

(١) انظر: ترجمة ابن بَدْران في نهاية المدخل: لابن بدران (٤٨٨) .

(٢) هو صالح بن أحمد بن محمد طه الدُّومَانِي ، شاعر ، ولد عام (١٢٧٤ هـ) ، وتولى رئاسة بلدية دُومَة بسورية، أسَّهَمَ في تجديد جامعها الكبير . ومن مؤلفاته: روض البيان ومنتزه الإنسان ، ومنظومة الدراري ، وغيرهما. انظر ترجمته: معجم المؤلفين: لَعُمَر كَحَّالَة (٣٢٠ / ٤) ، ومعجم أعلام شعراء المدح النبوي : محمد درنيقة (١٧٦) .

(٣) قال العَجَمِي في كتابة عَلَّامة الشام: (٨): "وَصَرَحَ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ مَوَارِدَ الْأَفْهَامِ حَيْثُ يَقُولُ: (وَلَقَدْ كُنْتُ ابْتَدَأْتُ هَذَا الشَّرْحَ فِي عَامِ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ ، فَوَصَلْتُ فِيهِ إِلَى بَابِ التَّشْهَدِ فِي الصَّلَاةِ ، ثُمَّ تَلَاعَبْتُ فِي الزَّمَانِ ، وَهَجَرْتُ الْأَوْطَانَ وَالْحِلَانَ ، إِلَى أَنْ أُنْحَتَ رِكَابِي بِدِمَشْقٍ...". ولم أستطع الاطلاع على كتابه هذا لكونه مخطوطاً في مكتبة شامل الشَّاهِين الخاصة . كما أن هجرته كانت نتيجة سوء تعامل بعض سكانها ومشايخهم التقليديين معه، وسيأتي في ترجمته هذه بعض المواقف التي كانت سبباً لهجره دومة .

(٤) هو محمود سامي باشا بن حسن البارودي ، ولد سنة (١٢٥٤هـ) ، ويعتبر رائد الشعر العربي الحديث ، الذي جَدَّدَ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ شِكْلاً وَمُضْمُوناً ، وَلَقَّبَ بِاسْمِ فَارِسِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ ، وَبَعْدَ سَفَرَاتِهِ وَعَوْدَتِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ تَرَكَ الْعَمَلَ السِّيَاسِيَّ ، وَفَتَحَ بَيْتَهُ لِلْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَلَمْ تَطُلْ الْحَيَاةُ بِالْبَارُودِيِّ . انظر ترجمته: البارودي حياته وشعره: لِنُقُوسَةَ زَكْرِيَا ، ومحمود سامي البارودي شاعر النهضة: لِلْحَدِيدِيِّ ، والبارودي رائد الشعر الحديث: لأحمد شوقي .

(٥) هو فخري بن محمود البارودي ، من رجال السياسة ، بدأ حياته العملية ضابطاً في الجيش النظامي العثماني، ثم تدرج بعد ذلك في رُتَبِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَلَهُ دِيْوَانٌ بَعْوَانُ: "تاريخ يتكلم" ، وديوان: "قلب يتكلم" ، وله مؤلفات في

لعبدالله باشا العظم^(١)، وبقي فيها قرابة نصف قرن^(٢)، كما أنه زار من بلدان المغرب: الجزائر، وتونس^(٣)، ومن أوروبا: إيطاليا، وفرنسا^(٤).

مجالات مختلفة منها: فصل الخطاب بين السفور والحجاب، مذكرة الشرطي، كارثة فلسطين، وغيرها. انظر ترجمته في: مذكرات البارودي (٣٤)، وعلامة الشام (٦١).

(١) يقول تقي الدين الحصري عنها: "ومكث ما يقرب من نصف قرن في مدرسة عبد الله باشا العظم، من معاهد العلم الشهيرة...". انظر: منتخبات التواريخ لدمشق: لتقي الدين الحصري (٢/ ٨٦٢)، وعلامة الشام: للعجمي (٣٨). ويُعد جامع ومدرسة عبد الله باشا العظم أحد أهم ملامح العصر العثماني في مدينة دمشق، وبدأ بنائها عام (١١٩٣هـ) عبد الله باشا، واشتهرت باسمه فيما بعد، وتم بناء الجامع والمدرسة وفق الطراز المعماري الإسلامي والشرقي، ولا يزال المسجد في حالة معمارية جيدة، وتقام فيه الصلوات الخمس.

(٢) تسليمة اللبيب: لابن بدران (١٥).

(٣) المصدر السابق (٣٣).

(٤) المصدر السابق (٣٢).

ثالثاً: عقيدته ومذهبه :

أما عقيدته :

فقد صرح ابن بَدْران - رحمه الله - بتمسُّكه بعقيدته السَلَفِيَّة، وتركه للفلسفة^(١) التي كان عليها، فيقول في هذا الصدد : "فلما هَمَّتْ في تلك البيداء ... ناداني مُنادٍ الهدى الحقيقي: هَلُمَّ إلى الشرف والكمال ، ودَعْ نَجاة ابن سينا الموهومة إلى النجاة الحقيقية ، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كان عليه السلف الكرام ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ...، وجعلتُ عقيدتي كتاب الله ، أَكِلُ علم صفاته إليه ، بلا تجسيمٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ" ^(٢) .

فهذا النقلُ لكلام ابن بَدْران - رحمه الله - يبيِّن لنا معتقده السليم ، ويخبر صراحةً بما كان عليه من قبل، ويُقرِّر عقيدته السلفية، وسيرُهُ على النهج السوي والطريق الأثريّ. ودمشقُ آنذاك وأكثر المدن السورية كانت على جمود المتصوفة^(٣) ، والبعد عن مرونة العلماء المجتهدين في أيام الدولة العثمانية، لذلك لاقى ابن بَدْران إعراضاً من العامة ومن الدولة، لكونه على عقيدة أهل السنة والجماعة، والتي كانوا يُحذِّرون منها هناك، فيقول الشيخ محمد العَجْمي^(٤) متحدثاً عن هذا: "وحدثني الأديب الكبير علي

(١) هي دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً، وكانت تشمل العلوم جميعاً ، واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة . المعجم الوسيط (٧٠٠) .

(٢) المدخل (٤٢-٤٣) .

(٣) التصوف حركة دينية، انتشرت في القرن ٣ هـ ، تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، وهي فرقةٌ -بعد غلوها- أصبحت بجانبها لمنهج أهل السنة والجماعة، أخذت اسمها العام من لبس الصوف؛ ذلك لأنهم يعتقدون أن لبس الصوف مما يقرب إلى الله تعالى . انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٢٤٩) .

(٤) لم أفق له على ترجمة ، فهو ممن يتحفظ عن ذكر شيء من ترجمته؛ تواضعاً منه -حفظه الله- ، وقد بلغ ما صنفه وحققه وألفه وأخرجه زهاء السبعين من الكتب والرسائل والمجلدات ، منها: تحقيق أخصر المختصرات لابن بَلْبَانَ ، والقواعد الفقهية (المنظومة وشرحها) للسَّعْدِي ، وكتاب نور الاقتباس لابن رجب ، كما أن للشيخ عناية خاصة بعلماء الشام وما ألفوه من كتب، وقد تبدَّت هذه العناية في عشرات من الكتب التي أخرجها لهم أو عنهم أو فيهم، وكان آخرها كتاب جمال الدين القاسمي - إمام الشام في عصره، ونابعة علمائها، وحنة مجتهديها- ، ولا يزال الشيخ يتمتع بشبابه - حفظه الله- ويقوم الشيخ العَجْمي بمنطقة الجهراء بالكويت .

الطَّنْطَاوِي^(١) (ت: ١٤٢٠هـ) حينما سألته عن العلامة ابن بَدْران فقال: "كانت الوهابية تُعدُّ تهمَةً خطيرةً مخيفةً ، وكانوا يحدروننا من الاجتماع بهم، فوقفتُ مرَّةً في حلقة ابن بَدْران ، العالم الحنبليِّ المعروف ، وكان هناك طلابٌ يَمْرُون في الأسواق ، فأروني في حلقة ابن بَدْران، وقدّموا فيّ تقريراً إلى المشايخ ، فضُربتُ فَلَقَةً^(٢) في رجلي " ^(٣) .

وقال عنه تَقِيّ الدِّين الحِصْنِيّ^(٤) (ت: ١٣٥٨هـ): "كان سلفيَّ العقيدة، يجب التّكشف، ويميل بطبعه إلى الانفراد عن الناس ، والبعد عن الأمراء ، وله اختصاصٌ في علم الآثار والكتب القديمة ، ومعرفة أسماء الرجال ، ومؤلفاتهم من صدر الإسلام إلى اليوم " ^(٥) .

هكذا كان ابنُ بَدْران - رحمه الله - في عقيدته، ولذا فإنه يُكثِرُ من الثناء على أئمة السلف الصالح، وينقل عنهم في كتبه، كالإمام ابن تَيْمِيَّة (ت: ٧٢٨هـ)، والإمام ابن القَيْم (ت: ٧٥١هـ) وغيرهما، و يُظهِرُ تَعَلُّقَهُ بهم - رحمهم الله - فيقول: "كان ابن تَيْمِيَّة على مِنْهَاج ما كان عليه الصحابة والتابعون بإحسان، ويناهض حصون العادات السيئة والبدع فيدكُّها، ولا يخشى في الله لومة لائم ، فهبَّ قومٌ قَصُرُوا عن مَدَاهُ، فعاندوه حسداً وبغياً...، ولاشك أنه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ، فعليه رحمة الله تعالى " ^(٦) .

(١) هو علي بن مصطفى الطَّنْطَاوِي، ولد في مدينة دمشق سنة (١٣٢٦هـ)، ويعُدُّ أحدَ رموز الدعوة الإسلامية الكبيرة في العالم العربي ، بدأ بالتعليم وهو ما يزال طالباً في الثانوية في إحدى مدارس الشام، وترك الطَّنْطَاوِي عدّة مؤلفات منها: ذكريات علي الطَّنْطَاوِي ، وأخبار عمر ، وبغداد ، وحكايات من التاريخ وغيرها. انظر ترجمته في: معجم الأدباء الإسلاميين (٢ / ٨٠٠) ، وذكريات علي الطَّنْطَاوِي: لعلي الطَّنْطَاوِي .

(٢) الفَلَقَةُ - بفتح الفاء واللام والقاف - : الخشبة وعود يتصل به حبلان ، تمسك بهما القدمان للجلد . المعجم الوسيط (٢ / ٧٠١) .

(٣) علامة الشام: للعجمي (٢٢) .

(٤) هو محمد أديب بن محمد بن عبد القادر، تقيّ الدين الحِصْنِيّ الحُسَيْنِيّ: فاضلٌ، من أهل دمشق، وليّ نقابة أشرافها مدة. وعُني بتاريخها ، جمع كتاباً سماه: منتخبات التواريخ لدمشق - ط ، في ثلاثة أجزاء . انظر ترجمته في: الأعلام: للزَّكَلِيّ (٦ / ٢٨) ، ومعجم المؤلفين: لعمر كَحَّالَة (٩ / ٣٦) .

(٥) منتخبات التواريخ لدمشق: لتقيّ الدين الحِصْنِيّ (٢ / ٧٦٢-٧٦٣) .

(٦) الفتاوى القازانية (٢٠٧) .

و أما مذهبه:

فقد كان على المذهب الحنبلي^(١) ، وأول ما ابتدأ به دراسة الفقه الحنبلي ؛ ولأجل ذلك توجَّهت عنايته لخدمة هذا المذهب، والتأليف فيه، والذِّبُّ عنه ، وكان من أشهر كتبه في خدمة المذهب كتابه: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل^(٢) .

وقد أشار - رحمه الله - إلى أنه درَّس المذاهب المتبوعة وغير المتبوعة، فهداه ذلك إلى اختيار المذهب الحنبلي، قال: "ثم إني زَجَجْتُ نفسي في بحار الأصول والفروع والبحث عن الأدلة؛ حتى لا أكون منقاداً لكل قائد، ولا مقلداً تقليد أعمى لمن يقوده؛ فإن هذه حالة لا يرضى بها الصبيان فضلاً عمَّن أوتي شيئاً من العقل، ثم سبرت المذاهب المتبوعة الآن، وكثيراً من غير المتبوعة، فوجدت كلاً منهم - قدس الله أسرارهم، وجعل في عليين منازلهم - قد اجتهد في طلب الحق، ولم يألُ جهداً في طلبه، ولا قصر في اجتهاده، بل قام بما عُهد إليه حق القيام، ونصح الأمة، واجتنب كلَّ ما يَشِين، غير أن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل كان أوسعهم معرفة بحديث رسول الله (ﷺ) ، كما يعلم ذلك من اطَّلَع على مسنده المشهور، وأكثرهم تبعاً لمذاهب الصحابة والتابعين، فلذلك كان مذهبه مؤيداً بالأدلة السمعية، حتى كأنه ظهر في القرن الأول؛ لشدة اتِّباعِهِ للقرآن والسنة"^(٣) .

ومن هنا يتبين أن اختيار ابن بدران للمذهب الحنبلي كان بسبب رغبته في الاجتهاد ، وبحثه عن الدليل ، ونفوره من التقليد الأعمى ، وقد صرَّح بذلك فقال :

(١) ابنُ بَدْران حنبلي المذهب، وإن كان واسع الثقافة، غير مُقتَصِرٍ على ما في مذهب أحمد، كما يتبين ذلك من آرائه وترجيحاته في كتب الفقه. و"المذهب الحنبلي" مذهب فقهي إسلامي من مذاهب أهل السنة الأربعة، ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل ، ويتبنَّى آراء الإمام أحمد بن حنبل الفقهية والعقائدية، وتبلور مذهباً في أواخر القرن الثالث الهجري . ينظر: نيل المآرب: لابن أبي تَغْلِب (١٠/١) .

(٢) ومنها أيضاً: تعليقٌ على مختصر الإفادات ، وحاشيةٌ على أخصر المختصرات، وعلى مُنتهى الإيرادات، وعلى الرُّوض المُربِّع، ونُزهة الخاطر العاطر. وكتب في الفرائض كتابين هما: كفاية المُرتقي، والبدرانية شرح المنظومة الفارضية ، وتولَّى الإجابة عن الأسئلة والفتاوى ، فخرجت تلك الإجابات في مؤلفاتٍ مستقلة؛ كروض الأرواح، ودرة الغواص، والعُقود اليافوتية، والفريدة اللؤلؤية، وتَشْيِيفُ الأسماع ، والأجوبة عن الأسئلة البيروتية ، وغيرها .

(٣) المدخل: (٤).

"لا يذهب بك الوهم مما قدمنا إلى أن الذين اختاروا مذهب أحمد وقدموه على غيره من الأئمة - وهم من كبار أصحابه - أنهم اختاروا تقليده على تقليد غيره في الفروع، فإن مثل هؤلاء يأبى ذلك مسلكتهم في كتبهم ومصنفاتهم، بل المراد باختيار مذهب إنما هو السلوك في طريق الاجتهاد مسلكتهم دون مسئلك غيره...، وأما التقليد في الفروع فإنه يترفع عنه كل من له ذكاءً وفطنةً وقدرةً على تأليف الدليل ومعرفته، وما التقليد إلا للضعفاء الجامدين الذين لا يفرقون بين الغث والسمين" (١).

وأخبر - رحمه الله - عن نفسه أنه كان شافعيًا ثم حنبلًا، فقال: "كنت في أول عمري ملازمًا لمذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - سالكا فيه سبيل التقليد، ثم من الله عليّ، فحببت إليّ الاطلاع على كتب التفسير والحديث وشروحها، وأمهات كتب المذاهب الأربعة، وعلى مصنفات شيخ الإسلام وتلميذه الحافظ ابن القيم، وعلى كتب الحنابلة، فما هو إلا أن فتح الله بصيرتي وهداني، من غير تحزبٍ لمذهبٍ دون مذهب، فرأيت أن مذهب الحنابلة أشدّ تمسكًا بمنطوق الكتاب العزيز والسنة المطهرة ومفهومها، فكنت حنبليةً من ذلك الوقت" (٢).

وقال محبُّ الدين الخطيب (٣) (ت: ١٣٨٩هـ) - حين ذكر وفاته في مجلة الفتح (٤) - : "هو من أفاضل العلماء.. تلقى العلم عن المشايخ مدة خمس سنوات، ثم انصرف إلى تعليم نفسه بنفسه، فكان من أهل الصبر على التوسّع في اكتساب المعارف، من العلوم الشرعية والأدبية والعقلية، وهو حنبلي المذهب".

وقال عنه خيرُ الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ): "فقيهٌ أصوليٌّ حنبليٌّ... " (٥).

(١) المدخل: (٤٠).

(٢) علامة الشام: للعجمي (٢٤).

(٣) هو محبُّ الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح الخطيب، وُلِدَ في حيِّ القَيْمَرِيَّةِ بدمشق سنة (١٣٠٣هـ)، ومن مؤلفاته: توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري، وتاريخ مدينة الزهراء، والأزهر ماضيه وحاضره، وغيرها. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٢٨٢/٥)، وكتاب محبِّ الدين الخطيب: لممدوح فخري.

(٤) العدد (٦٧).

(٥) الأعلام: للزركلي (٣٧/٤).

رابعاً: طلبه للعلم وأشهر شيوخه :

آثر ابنُ بدران العزوبية في حياته ليتفرغ لطلب العلم والتدريس^(١) ، وكان أديباً شاعراً، ونحويّاً محققاً، وعالمّاً، وفقهياً أصولياً، ومفتياً ، حتى قال عنه عبد الرزاق البيطار^(٢) (ت: ١٣٣٥هـ) : "الأديبُ الكامل والأريبُ العامل"^(٣) .

وقال عنه الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ): "فقيهٌ أصولي، حنبليّ عارفٌ بالأدب والتاريخ ... كان حسنَ المحاضرة، كارهاً للمظاهر، قانعاً بالكفاف"^(٤) .

وقال عنه الشيخ ابن دُحيّان^(٥) (ت: ١٣٤٩هـ) : "العلامة المحقّق الشيخ عبد القادر بنُ أحمد بن بدران ، خاتمة المحقّقين في الشام"^(٦) .

وكما كان عالماً متبحراً في كثير من العلوم العقلية والأدبية، والرياضية والدينية، والعلوم العصرية، وغيرها، حتى قال عنه أذهم الجُندي (١٣٩٧هـ)^(٧) : "وكان شيخاً

(١) يقول - رحمه الله- في خاتمة نُزهة الخاطر (٢/ ٤٠٩) : "... فإنه لا مال لي ولا بنون إلا معونته سبحانه وتعالى، ورزقه الذي تفضّل به علي كفافاً..." . وقال الأستاذ أذهم آل جُندي: "لقد آثر العزوبية في حياته ليتفرغ لطلب العلم والتدريس.." . أعلام الأدب والفن (١/ ٢٢٥) .

(٢) عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني، سلفي العقيدة ، حضر دروس والده الشيخ حسن البيطار، ثم لازم دروس الشيخ محمد الطنطاوي والأمير عبد القادر الجزائري ، ومن كتبه: جلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر - ط، و الرحلة . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٣/ ٣٥١) ، ومعجم المؤلفين: لعمركا (٥/ ٢١٧) .

(٣) علامة الشام: للعجمي (٥٧) .

(٤) الأعلام (٤/ ٣٧) .

(٥) هو الشيخ عبد الله بن خلف بن دُحيّان الحزبي، وُلد في الكويت سنة (١٢٩٢ هـ)، وقرأ على الشيخ صالح بن حمد المبيض، والشيخ عبد الله الحُمود، والشيخ محمد العوّجان. ومن تلاميذه: يُوسُف القناعي ، وعبد العزيز بن أحمد الرشيد، ويوسف بن حمود. انظر ترجمته: علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدُحيّان: للعجمي .

(٦) علامة الكويت الشيخ عبد الله الدُحيّان: للعجمي (٨٤) .

(٧) هو أذهم بن محمد بن سليمان الجُندي، مؤرّخ وباحثٌ سوري، وُلد بجمص ، وتعلّم فيها ، وتخرّج في دار المعلمين بدمشق ، وقام برحلات إلى دول أوروبية وأمريكية، ودخل سلك الوظيفة الحكومي ، وفي وزارة الداخلية تقلّد مناصب عدّة ، ومن مؤلفاته: أعلام الأدب والفن. انظر ترجمته: ذيل الأعلام: أحمد العلّاونة (١/ ٣٧) .

جليلاً زاهداً في حطام الدنيا، متقشفاً في ملبسه ومسكنه ، وفرغ من سائر العلوم العقلية والأدبية والرياضية، وتبحر في الفقه والنحو، فكان - رحمه الله - علماً من الأعلام" (١) .
 وقال عنه تقيّ الدين الحِصْنِيّ (ت: ١٣٥٨هـ): "متضلعٌ من العلوم العصرية والفنون الكثيرة، اشتهر بالشعر والتاريخ، كان سلفيَّ العقيدة، يُحِبُّ التقشف، ويميل طبعه إلى الانفراد عن الناس، والبعد عن الأمرء... له اختصاصٌ في علم الآثار، والكتب القديمة، ومعرفة أسماء الرجال ومؤلفاتهم، من صدر الإسلام إلى اليوم" (٢) .
 وكان - رحمه الله - مقتنياً طريقة أئمة السلف - رحمهم الله تعالى - في التعليم والإرشاد والدعوة ، والكتابة والتأليف للكتب، والزهد في الدنيا، والتقوى والعفة والصالح؛ فقد قال عنه الشيخ محمد بهجة البيطار (٣) (ت: ١٣٩٦هـ) : "وكان له ولشيخنا القاسمي (٤) (ت: ١٣٣٢هـ) أملٌ كبير وسعي عظيم في تجديد النهضة الدينية في هذه الديار، فقد أشبها - رحمهما الله - أئمة السلف: تعليماً للخوادم، وإرشاداً للعوام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدنيا الزائلة" (٥) .

وقال عنه محمد العُماني: "الشيخ المحقق المفسر المحدث، الأصولي الكبير، الفقيه المتبحر النحوي المتفنن... كان - رحمه الله - شيخاً جليلاً ، مقتنياً طريقة السلف الصالح، مُدافعاً عنها ، صابراً على أذى الأعداء فيها ، تاركاً للتعصّب" (٦) .

(١) أعلام الأدب والفن (١/٢٢٤).

(٢) منتخبات التواريخ لدمشق: لتقيّ الدين الحِصْنِيّ (٢/٧٦٢) ، و علامة الشام: للعجمي (٣٢) .

(٣) هو محمد بهجة البيطار، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. ولد سنة (١٣١١هـ) ، له مؤلفات منها: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، ورسالة في الرد على من طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورسالة في الرد على الكوثري. انظر ترجمته: المستدرک على معجم المؤلفين (٦١٤)، وتاريخ علماء دمشق (٢/٩١٨).

(٤) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، ولد سنة ١٢٨٣هـ ، من شيوخه: سليم العطار ، وبكري العطار ، ومحمد الخان ، ومن مؤلفاته: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم - ط ، وديوان خطب - ط ، والفتوى في الاسلام - ط ، محاسن التأويل - ط . انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (٢/١٣٥) ، ومعجم الأدباء: لعمركم كحالة (٣/١٥٧) ، منتخبات التواريخ لدمشق: لتقيّ الدين الحِصْنِيّ (٢/٧١٦-٧١٧) .

(٥) علامة الشام: للعجمي (٣٣) .

(٦) السابق (٣٤) .

فهذه الأقوال تُنبئُ عن شخصية علمية عظيمة، قضت حياتها بين العلم والتعلم .
 كما ذكر - رحمه الله- أنه طلب العلم على يد شيوخه لمدة لا تزيد عن خمس سنين، ثم إنه عكف على المطالعة لنفسه ، والقراءة في بطون الكتب، حتى أصبح عالماً موسوعياً ، فقال -رحمه الله-: " وإني بحمد الله تعالى لم أقرأ على الشيخ إلا مدة لا تزيد عن خمس سنين ، مع الإشراف على فنون المعقول ، ومنها الهيئة ، وفنّ المواقيت، وغير ذلك ، ولا أذكر ذلك تبجحاً وافتخاراً ، وإنما أذكره شكراً لله على ما أنعم وفتح علي به، فله الحمد حمداً يدوم على الدوام... " (١).

وقال عنه الشيخ مُحِبُّ الدين الحَظِيب (ت: ١٣٨٩هـ): " وهو من أفاضل العلماء، تلقى العلم عن المشايخ خمس سنوات ، ثم انصرف إلى تعليم نفسه بنفسه ، فكان من أهل الصبر على التوسُّع في اكتساب المعارف من العلوم الشرعيَّة، والأدبية، والقولية" (٢). ويقول محمد العُماني عنه: "ثم بعد تلك المدة -أي السنوات الخمس- عكف على المطالعة لنفسه حتى برع في الكتاب والسنة ، والأصلين والمذهب ، ومعرفة الخلاف ، وسائر العلوم العقلية ، والأدبية والرياضية ... " (٣).

وقد اجتهدتُ في جمع شيوخه من مروياته عنهم ، أو إشارته إلى استفادته منهم ، أو ممَّن ذكَّرتهم من ترجم لابن بدران في كتب التراجم والسير ، وهم:

- ١ - جده الشيخ مصطفى بن عبد الرحيم بن بدران^(٤)، وهو جده لأبيه^(٥) .
- ٢ - الشيخ محمد بن عثمان الحنبلي (ت: ١٣٠٨هـ) ، المشهور بخطيب دومة .

(١) نُزهة الخاطر العاطر (٢/ ٤٠٩) . وقد أشار إلى الطريقة التي كان يستعملها في قراءة المتون وشرحها في كتابه المدخل (٤٨٩ - ٤٩٠) .

(٢) مجلة الفتح ، العدد (٦٧) ، من مقالة يَرْتِي فيها محبُّ الدين الخطيب العلامة ابن بدران، وانظر : علامة الشام: للعجمي (٣٣) .

(٣) علامة الشام: للعجمي (١٦) .

(٤) وهو الشيخ مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن بدران ، ولم أف له على ترجمة، وهو غير جدِّه من أمه الشيخ أحمد بن مصطفى الشهير بابن النَّعْسان، الذي أشار إليه ابن بدران في كتابه "البدرانية: ٦ " .

(٥) انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة: لسركيس (٢/ ٥٤١) .

- ٣- الشيخ سليم بن ياسين العطار الشافعي (ت: ١٣٠٧هـ) (١) .
- ٤- الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي الأزهري (ت: ١٣٠٦هـ) (٢) .
- ٥- الشيخ علاء الدين بن محمد أمين عابدين الحنفي الصوفي (ت: ١٣٠٦هـ) (٣) .
- ٦- الشيخ أحمد بن حسن الشطي (٤) مفتي الحنابلة (ت: ١٣٠٦هـ) (٥) .
- ٧- الشيخ محمد بن ياسين العطار (١٣٠٧هـ) (٦) .
- ٨- الشيخ عمر بن طه العطار الشافعي الصوفي (١٣٠٨هـ) (٧) .

(١) هو الشيخ المسند سليم بن ياسين بن الشيخ حامد العطار، من مدرسي الحديث والتفسير في دمشق، كان بعد جدّه المرحوم الشيخ حامد العطار يقرأ البخاري يوم الخميس، له إجازات كثيرة لعلماء عصره، وله منهم إجازات، كما ذكر ابن بدران شيخه العطار في كتابه تسليمة اللبيب (٥٠) . وانظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٦/١٤٧)، وحلية البشر: لعبد الرزاق البيطار (٦٨٠) .

(٢) هو الشيخ محمد بن مصطفى بن يوسف بن علي الطنطاوي، فلكي مصري، من الشافعية، ولد سنة (١٢٤١هـ)، وصنّف كتاباً مختصرة، منها: ديباجة لطيفة لبيان كيفية العمل بالجدولين - خ، ومقدمة في بيان العمل بالجدول - خ، وتعاليق وحواش على أكثر الكتب التي درسها . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٧/١٠١)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (١٢/٣٧)، وحلية البشر: لعبد الرزاق البيطار (٣/١٢٨٤-١٢٨٨) .

(٣) هو علاء الدين بن محمد أمين بن عمر عابدين الخلوي، فقيه أصولي، من مؤلفاته: حاشيته الشهيرة رد المحتار على الدر المختار - ط، وثبته: المشهور الفائق، ومنحة الخالق على البحر الرائق . انظر ترجمته: حلية البشر: لعبد الرزاق البيطار (١٢٣٠)، الأعلام: للزركلي (٦/٤٢)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (٩/٧٧) .

(٤) هو الشيخ محمد بن حسن بن عمر الشطي، ولد بدمشق سنة (١٢٤٨هـ)، ومن شيوخه: الشيخ عبد الله الحلبي، ومحمد أكرم الأفغاني، وغيرهم، ومن مؤلفاته: رسالة الفتح المبين، وصحائف الراض، وبسط الراحة لتناول المساحة . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٢/٢٠٩)، وحلية البشر: لعبد الرزاق البيطار (١٦٢٣) .

(٥) ذكر ابن دحيان أن الشيخ أحمد الشطي شيخ لابن بدران، وقد أشار عليه بتأليف حاشية الرؤس المربع . انظر كتاب علامة الكويت (٨٤) .

(٦) لم أجد له ترجمة، وقد ذكر آل طالب في ترجمته لابن بدران ص: (١٢) أنه شقيق شيخ ابن بدران السابق الشيخ سليم العطار، وقد أخذ عن أخيه الشيخ سليم .

(٧) هو الشيخ عمر بن طه بن أحمد العطار الشافعي، عالم مشارك في النحو، والمنطق والتصوف، وغيرها، وله كتب منها: شرح فصوص الحكم، وشرح الإيساغوجي، وشرح الإظهار . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٥/٤٨)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (٧/٢٨٧)، وحلية البشر: لعبد الرزاق البيطار (١١٢٩)، وقد ذكره ابن بدران في كتابه: تسليمة اللبيب (٥٧) .

- ٩- الشيخ محمد بن بدر الدين الحسنيّ الدمشقيّ ثمّ المغربيّ (ت: ١٣٥٤هـ) ^(١) .
- ١٠- شيخ الأزهر محمد بن محمد الأنباي (ت: ١٣١٣هـ) ^(٢) .
- ١١- الشيخُ عدنان بن محمد عدّس ^(٣) .

(١) هو الشيخ محمد بدر الدين بن يوسف الحسنيّ المغربيّ المراكشيّ، أخذ عنه طاهر الأناسي ، وأمين سويد ، وتوفيق الأيوبي ، ومن مؤلفاته: رسالة في سنده لصحيح البخاري ، وحاشية على عقائد النسفي ، وشرح مغني اللبيب . وقد أفرده بالترجمة غير واحدٍ من طلابه ، منهم صالح القرظور في ترجمة مطبوعة بعنوان: المحدث الأكبر وإمام العصر، وقد أشار ابن بدران إلى شيخه هذا في تسليية اللبيب (٥٦). انظر ترجمته: معجم المؤلفين: لعمر كحالة (١٢ / ١٣٩)، وحلية البشر: للبيطار (٣٧٥) .

(٢) هو الشيخ محمد بن محمد بن حسين الشافعي ، ولد عام (١٢٤٠هـ) بالقاهرة ، وليّ مشيخة الأزهر مرتين، وله رسائل وحواشٍ كثيرة ، ومن تلاميذه: حسونة النواوي ، وعبد الرحمن القطب النواوي ، والسيد عليّ البيلوي . انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٧ / ٧٥) ، وعلاّمة الشام (١٤) .

(٣) تلقى عنه مبادئ القراءة والكتابة بجامع المسيد في بلدته دومة . انظر: علاّمة الشام عبد القادر بن بدران، (٨)، ولم أفق على سنة وفاته ، ولا على ترجمة له .

خامساً: أشهر تلاميذه :

لم يكن لابن بدران - رحمه الله - عددٌ كبير من طلاب العلم، لقلة إقبال الطلبة على حَلَقَاتِهِ العِلْمِيَّة؛ وذلك لانصراف ابن بَدْران إلى تدريس مذهب الإمام أحمد بن حنبل في بيئة يندَر فيها وجود الحنابلة ، وانتشرت فيها البدع والخرافات التي كانت تُعَارِضُ أصول عقيدة السلف الصالح ، وانتشر التعصب للمذاهب الفقهية التي كانت سائدة وقتها في الشام، وأبرزها مذهب الشافعية والأحناف ، ولذلك فقد اشتكى ابن بَدْران من قلة المُعْتَمِنِينَ بمذهب الإمام أحمد بن حَنْبَلٍ فقال: "... مع أنه تمضي عليَّ الشهور، بل الأعوام ولا أرى أحداً يسألني عن مسألةٍ في مذهب الإمام أحمد؛ لانقراض أهله في بلادنا" (١).

ويقول في موضع آخر: "ثم خرجت من دُومَة إلى دِمَشْق، وهنالك لم أجد أحداً يطلب العلم من الحنابلة، بل يندُر وجود حَنْبَلِيٍّ بها" (٢) ، بل إن بعض المشايخ في وقته كانوا يُجَدِّرون الطلبة من التَّلَمُّد على يديه ، ويُعْتُونه بالوَهَابِي (٣).

(١) المدخل: لابن بدران (٤٢٣) .

(٢) المصدر السابق (٤٤١) .

(٣) الوَهَابِيَّة: مصطلح أُطْلِقَ على حركةٍ إصلاحيةٍ إسلاميةٍ سياسيةٍ قامت في بَجْد في أواخر القرن (١٢هـ)، وسُمِّيَتْ "بالوَهَابِيَّة" نسبةً إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب، وقد عَرَفَهَا حسين علي في قاموس المذاهب والأديان (٢٢٣) بأنّها: "دعوةٌ تعتبر امتداداً لمذهب السلفيِّين، تُنسب إلى محمد بن عبد الوهاب". وقيل: إثمًا خطأً لغوي، فكان أولى أن تُسَمَّى "المحمدية" ، نسبةً للرسول (ﷺ) ، قال محمد الفقي في كتابه: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح(٤): "الوهابية نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر، وهي نسبة على غير القياس العربي، فلقد كان الصحيح أن يُقال: "المحمدية" ؛ إذ أنّ صاحب هذه الدعوة والقائم بها محمد لا عبد الوهاب، على أننا نتجاوز عن هذا الخطأ العربي ، ونماشِي العامة ؛ لننظر كيف ولماذا أُطلق هذا اللقب على هذه الدعوة؟". وانظر: غاية الأمان في الرد على التَّبْهَانِي: لمحمود الألويسي (١ / ٨٤)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: لمحمود الإِسْتَنْبُولِي (١٣)، وتصحيح خطأ تاريخيٍّ حول الوهابية: محمد الشُّوَيْعِر (١٨).

كما أنّ هناك عاملٌ آخر أسهم في قلة تلاميذه، وهو انصرافه إلى التأليف، وميله إلى عدم مخالطة الناس؛ فقد أفنى حياته في طلب العلم ونشره، لكنّ كلّ هذا كان عامل قلة لا عدم؛ فقد خلف ابنُ بَدْران تلامذةً أصبحوا أعلاماً خالدين، كما أخبر بذلك أذهم الجُندي في كتابه أعلام الأدب والفن^(١)، ومن أبرز مَنْ وقفت عليه من طلابه:

- ١- العلامة الأديب الشاعر محمد سليم الجُندي (ت: ١٣٧٥هـ)^(٢).
- ٢- الشاعر الأديب محمد بن محمود البرم (ت: ١٣٧٥هـ)^(٣).
- ٣- فخري بن محمود البارودي (ت: ١٣٨٦هـ).
- ٤- منيف بن راشد اليوسُف^(٤).
- ٥- العلامة الشيخ محمد صالح العقّاد الشّافعي (ت: ١٣٩٠هـ)^(٥).
- ٦- الشيخ عبد الحكيم بن دامنلاً محمد الصادق العُثماني القارّاني^(٦).

(١) (١/٢٢٥).

(٢) هو محمد سليم بن محمد تقي الدين، ابن مفتي المعرّة محمد سليم الجُندي العبّاسي، شاعرٌ، عالمٌ بالأدب، له اشتغالٌ بالتاريخ، من أعضاء الجمع العلمي بدمشق، وُلِدَ ونشأ في معرّة النُعمان، وصنّف الجامع في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره- ط، وديوان شعره - خ، وتاريخ المعرّة - ط. انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (٦/١٤٨) وتاريخ معرّة النُعمان: لسليم الجُندي بتحقيق عُمر كحّالة (١-٢٧).

(٣) محمد بن محمود بن محمد بن سليم البرم، دِمَشقيّ المولد والوفاء، عراقي الأصل، كان عضواً في الجمع العلمي العربي في دمشق، من مؤلفاته: محمد البرم أصلي ومولدي ومُنشئي، وأربع مقالاتٍ نقدية: "معنى النقد- كلماتٌ في شعراء دمشق -عروجُ أبي العلاء- من وحي المرأة"، ومقدمةٌ لكتاب طوق الحمامة. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٧/٩١)، ومعجم المؤلفين: لُعمر كحّالة (١٢/٦).

(٤) لم أقف على ترجمة له. وقد قال العلامة ابن بَدْران مثنياً عليه: "لم يترك المطالعة، ولم يملّ من تحصيل فنون، فقد قرأ عليّ العروض والنحو والصرف وفنون البلاغة، محباً للأدب والأدباء، وجمع الكتب النفيسة". انظر: الكواكب الدرّية: لابن بَدْران (١٠٧).

(٥) كان يقال عنه "الشّافعيّ الصغير"، توفي سنة (١٣٩٠هـ)، وأخذ عن العلامة ابن بَدْران النحو. انظر ترجمته: علماء دمشق في القرن الرابع عشر (٢/٨٩٤).

(٦) وهو الذي سأل الشيخ عبد القادر مجموعةً من الأسئلة، فألّف له الأجوبة القازانية. انظر: علامة الشام (٦٢)، ولم أجد سنة وفاته ولا ترجمة له.

- ٧- عبد الحلیم بن علی بن سَمَايَةَ المَعْرَبِيّ الجَزَائِرِيّ (ت: ١٣٥١ هـ) ^(١) .
- ٨- العَلَامَةُ المُوَرِّخُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ ذَهْمَانُ (ت: ١٤٠٨ هـ) ^(٢) .
- ٩- خَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلِيُّ (ت: ١٣٩٦ هـ) ^(٣) المُوَرِّخُ المَشْهُورُ صَاحِبُ كِتَابِ "الأَعْلَامُ" ^(٤) .

(١) عبد الحلیم بن علی بن عبد الرحمن بن حُسين خُوجَة: من أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأُسْتَاذ الإمام محمد عبده الإصلاحی والدَّاعِيَنِ اليه ، ولد سنة (١٢٨٣ هـ) ، وله عدَّةُ مؤلِّفاتٍ ، منها: رسالة اهتزاز الأطوَادِ ، و الرُّبَى من مسألة تحليل الرِّبَا ، ورسالةٌ في التصوف بعنوان: الكنز المدفون والسُّرُّ المكنون. انظر ترجمته: معجم أعلام الجزائر: لعادل نُويْهِيْض (١٧٨) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن خالد ذَهْمَانُ، محقق مؤرِّخ، سلفيُّ المعتقد، أصدر مجلة المصباح فكانت منبراً لآراء دعاة العلم والإصلاح، ومن مؤلفاته: في رحاب دمشق، ودراساتٌ في الثقافة الإسلامية، وولاية دمشق في عهد المماليك، وهو من أخصَّ تلاميذ ابن بَدْران ، فقد ترك فيه أبلغ الأثر ، وزرع فيه محبة العلم والإصلاح . انظر ترجمته: ، ذيل الأعلام: لأحمد العالونة (١ / ١٦٤) ، وتكملة معجم المؤلفين: لمحمد خير بن رمضان (٤٤٦ - ٤٤٧) .

(٣) هو خير الدِّين بن محمود بن محمد علي بن فارس الزَّرْكَلِيُّ الدَّمَشْقِيّ، ولد في بيروت لأبوين دمشقيين ليلة التَّاسِعِ من ذي الحِجَّةِ سنة ١٣٠٩ هـ، من شيوخه: جمال الدِّين القاسمي ، طاهر بن صالح الجزائري ، ومحمد كامل القَصَّاب ، ومن مؤلفاته: ديوان الزركلي ، وكتاب ما رأيت وما سمعت ، وعامان في عمَّان (الجزء الأول) ، توفي يوم الخميس الثَّالِثِ من ذي الحِجَّةِ سنة ١٣٩٦ هـ . انظر ترجمته في كتابه الأعلام : (٨ / ٢٦٧) .

(٤) انظر: شعراء من دُومًا (١٠٠) ، وعلامة الشام: للعجمي (٦٢) .

سادساً: مؤلفاته:

ترك العلامة ابنُ بَدْرانِ نتاجاً علمياً واسعاً ومؤلفات في موضوعاتٍ شتى، دلَّت على عظيم قدره ، وسعة اطلاعه، وتنوع علومه ومعارفه، ولأجل هذه المؤلفات ذاع صيته وانتشر في الآفاق اسمه، وأصبح علماً من أعلام التجديد والإصلاح في القرن المنصرم . ولم يُكْمَل - رحمه الله - بعض هذه المؤلفات؛ لإصابته بداء الفالج^(١) الذي أثار على يده اليمنى مما جعله يستعين باليسرى بدلاً منها .

قال الأستاذ أذْهَم الجُنْدِيّ: "ألف - رحمه الله - المؤلفات التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع، غير أنّ بعضها لم يكْمَل؛ لإصابته بداء الفالج في آخر عمره، وقد تخدّرت يُمنَاهُ من الكتابة"^(٢) .

وقال محمد بن سعيد: "وألف المؤلفات النافعة التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع، غير أن بعضها لم يكْمَل، ووجهه فيما يظهر ما أصيب به من داء الفالج في آخر عُمره حتى خدّرت يُمنَاهُ عن الكتابة، واستعان عليها باليسرى"^(٣) . وقد أحصاها أحد الباحثين^(٤) فبلغت ستة وأربعين مؤلفاً. تفصيلها على النحو التالي^(٥):

(١) هو المعروف الآن بالشلل النصفي ، قال في وصفه الرِّيْدِيّ: "الفالج: مرضٌ من الأمراض يتكوّن من استرخاء أحد شِقَيِ البَدَنِ طولاً؛ هذا نصُّ الرِّجْحَشْرِيّ في الأساس ، وزاد في شرح نظم الفصيح: فيحطل إحساسه وحركته، وربما كان في عضو، وفي اللسان: هو ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشِقِّه، ومثله قول الخليل في كتاب العين ، وقد يعرض ذلك لأحد شِقَيِ البَدَنِ، ومجدت بعتة لانصباب خلط بلعْمي، فأول ما يُورث أنه تنسد منه مسالك الروح، وهو حاصل كلام الأطباء" . تاج العروس (٦ / ١٥٩).

(٢) أعلام الأدب والفن (١ / ٢٢٤) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) وهو الأستاذ محمد بن ناصر العجمي في كتابه: علامة الشام عبد القادر بن بَدْران (٤٦)، وقد بذل جهداً مشكوراً في تتبّعها أعتى من بعده من الباحثين عن كثير من الجهد والعناء في ذلك .

(٥) أوردها هنا مرتبةً حسب موضوعها ، وقد رمزت للمطبوع ب:(ط) ، وللمخطوط ب:(خ) وللمفقود ب:(؟) .

■ مؤلفاته في القرآن وعلومه:

جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار^(١) (ط).

الكشف عن حال قصة هاروت وماروت^(٢) (خ).

■ مؤلفاته في الحديث وعلومه :

شرح الأربعين حديثاً المنذرية^(٣) (خ).

شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد^(٤) (؟).

شرح حديث أم هاني في صلاة الضحى^(٥) (خ).

شرح سنن النسائي^(٦) (خ).

شرح شهاب الأخبار للفضاعي^(٧) (ط).

مقدمة في علوم الحديث (ط).

موارد الأفهام على سلسبيل عمدة الأحكام^(٨) (خ).

الصحيح من حديث المعراج^(٩) (خ).

(١) ذكره في كتابه المدخل (٤٤٧) ولم يكمله، وسيأتي مزيد تفصيلٍ للتعريف بهذا الكتاب في موضعه .

(٢) مخطوط لدى الشيخ زهير الشاويش، انظر: جواهر الأفكار (٢١) ، وعلامة الشام: للعجمي (٥٥) .

(٣) ذكره ابن بدران في آخر كتابه كفاية المرتقي (٥٢)، ومنه نسخة بخط مُصنّفه في مكتبة الشيخ زهير الشاويش.

(٤) ذكره في كتابه المدخل (٤٧١) ، حيث قال: "وقد طلب مني أحد أفاضل النجديين شرحها فابتدأت بها ، وأنا أسأل الله تعالى أن يمُنَّ بإتمامه وطبعه" .

(٥) مخطوط لدى الشيخ زهير الشاويش ، انظر: جواهر الأفكار (٢١) ، وعلامة الشام: للعجمي (٥٤).

(٦) ذكره في المدخل (٤٤٧) ، وكفاية المرتقي (٥٢) .

(٧) طُبِعَ في وزارة الأوقاف والشؤون بالكويت عام (١٤٢٨هـ) ، بتحقيق نور الدين طالب- ط١- تحت اسم: (شرح كتاب الشهاب في الحكم والمواعظ والآداب) ، وله نسخة بخط مؤلفه (١٣٢٥هـ) في المكتبة التيمورية برقم (٥٣١) .

(٨) ذكره الزركلي في الأعلام (٣٧/٤) . وقال عنه ابن بدران في المدخل (٤٧٠): "ثم شرحته في مجلدين، وسميته "موارد الأفهام على سلسبيل عمدة الأحكام" سائلاً منه تعالى أن ينفع مَنْ يُطالعه بمنه وكرمه" ، وهو مخطوط

توجد قطعة منه لدى الأستاذ زهير الشاويش. انظر: علامة الشام: للعجمي (٥٩)، وجواهر الأفكار (٢٠) .

(٩) مخطوط لدى الشيخ زهير الشاويش، انظر: جواهر الأفكار (٢١) وعلامة الشام: للعجمي (٥٥) .

■ مؤلفاته في الفقه وأصوله:

- تَشْنِيفُ الْأَسْمَاعِ فِي بَيَانِ تَحْرِيرِ الْمُدِّ وَالصَّاعِ (خ) ^(١) .
- تَعْلِيقٌ عَلَى مَخْتَصَرِ الْإِفَادَاتِ لِلْبَلْبَانِيِّ ^(٢) (خ) .
- حَاشِيَةٌ عَلَى أَخْصَرِ الْمُخْتَصَرَاتِ لِلْبَلْبَانِيِّ (ط) ^(٣) .
- حَاشِيَةٌ عَلَى رِسَالَةِ ذِمِّ الْمُؤَسَّسِينَ لِابْنِ قُدَامَةَ ^(٤) (؟) .
- حَاشِيَةٌ عَلَى مَنْتَهَى الْإِرَادَاتِ لِلْبُهُوتِيِّ ^(٥) (خ) .
- حَاشِيَةٌ عَلَى الرُّوضِ الْمَرْعِ شَرْحِ الْمَسْتَقْنَعِ، لِلْبُهُوتِيِّ ^(٦) (خ) .
- نَهْهُ الخَاطِرِ الْعَاطِرِ شَرْحِ رَوْضَةِ النَّاطِرِ لِابْنِ قُدَامَةَ (ط) ^(٧) .
- الْمَدْخَلُ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ط) ^(٨) .

■ مؤلفاته في الفرائض:

- الْبَدْرَانِيَّةُ شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ الْفَارِضِيَّةِ (ط) ^(٩) .
- كِفَايَةُ الْمَرْتَقِيِّ إِلَى مَعْرِفَةِ فَرَائِضِ الْحَرْقِيِّ (ط) ^(١٠) .

-
- (١) مخطوط يوجد لدى الشيخ الأستاذ زهير الشاويش، ذكر ذلك الشيخ البيطار في تقديمه لمنادية الأطلال .
- (٢) أشار إليه في المدخل (٤٤٥) حيث يقول: "ولقد كنت قرأت هذا الكتاب على شيخنا العلامة الشيخ محمد بن عثمان المشهور بخطيب دومة، وعلقتُ على هوامشه تعليقاتٍ انتخبْتُهَا أيامَ بدايتي في الطلب" .
- (٣) وقد طُبِعَتْ مع أَخْصَرِ الْمُخْتَصَرَاتِ لِابْنِ بَلْبَانَ فِي دَارِ الْبَشَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ - بِيْرُوتِ .
- (٤) ذَكَرَهَا فِي الْمَدْخَلِ (٤٥٩) ، وَاَنْظُرْ: مَقْدَمَةُ جَوَاهِرِ الْأَفْكَارِ (٢٠) .
- (٥) ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ الْمَدْخَلِ (٤٤١) ، وَفِي الْعُقُودِ الْيَاقُوتِيَّةِ (١٦٢) ، وَجَوَاهِرِ الْأَفْكَارِ (٢٠) ، وَوَصَلَ فِيهِ إِلَى بَابِ السَّلْمِ .
- (٦) ذَكَرَ الشَّيْخُ الدُّخْيَانُ أَنَّ ابْنَ بَدْرَانَ أَلْفَهُ بِإِشَارَةٍ مِنْ شَيْخِهِ أَحْمَدَ الشَّطِّيِّ . انْظُرْ: عِلْمَةُ الْكُوَيْتِ (١٤) ، وَاَنْظُرْ: عِلْمَةُ الشَّامِ: لِلْعَجْمِيِّ (٥١) حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّهُ يَقَعُ فِي [١١١] وَرَقَةً بِحِطِّ مَصْنَفِهِ، وَأَنَّهُ انْتَهَى مِنْهُ سَنَةَ (١٣٠٤هـ) .
- (٧) مَطْبُوعٌ فِي الْمَطْبَعَةِ السَّلْفِيَّةِ بِمِصْرَ سَنَةَ (١٣٤٢هـ) ، بِأَمْرِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ سَعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .
- (٨) لَعَلَّ أَحْوَدَ طَبْعَاتِهِ هِيَ الَّتِي حَقَّقَهَا التَّرْكِيُّ، وَنَشَرَتْهَا مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الرَّزْكَانِيُّ فِي الْأَعْلَامِ (٣٧ / ٤) .
- (٩) وَهُوَ شَرْحٌ لِمَنْظُومَةِ الْفَرَائِضِ لِلْعِلْمَةِ شَمْسِ الدِّينِ الْفَارِضِيِّ (ت: ٩٨١هـ) ، وَقَدْ طُبِعَ فِي مَطْبَعَةِ الْمَكْتَبَةِ السَّلْفِيَّةِ بِدِمَشْقَ لِصَاحِبِهَا الشَّيْخِ مُحَمَّدِ دَهْمَانَ ، وَذَلِكَ عَلَى نَفْقَةِ مُحَمَّدِ الْقُرْعَاوِيِّ فِي عَامِ (١٣٤٢هـ) .
- (١٠) وَهُوَ شَرْحٌ لِنَظْمِ الصَّرْصَرِيِّ الْبَغْدَادِيِّ فِي الْفَرَائِضِ الَّتِي فِي مَخْتَصَرِ الْحَرْقِيِّ ، طُبِعَ فِي دِمَشْقَ سَنَةَ (١٣٤٢هـ) .

■ الفتاوى:

- الأجوبة عن الأسئلة البيروتية^(١) (ط).
 دُرَّةُ الْعَوَاصِ فِي حَكْمِ الزَّكَاةِ بِالرِّصَاصِ^(٢) (ط).
 روضة الأرواح^(٣) (ط).
 العقود الياقوتية في جَيِّدِ الْأَسْئَلَةِ الْكُوَيْتِيَّةِ^(٤) (ط).
 الفريدة اللؤلؤية في العقود الياقوتية^(٥) (ط).
 العقود الدرزية في الأجوبة القازانية^(٦) (ط).
 المواهب الربانية، فتاوى ابن بدران الدمشقي^(٧) (ط).

■ مؤلفاته في العقيدة:

- تعليق على لُمَعَةِ الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قُدَّامَةَ^(٨) (ط).
 رسالة تَهَكُّمِيَّةٍ عَلَى الصُّوفِيَّةِ^(٩) (خ).
 شرح نونية ابن القيم^(١٠) (ط).

■ مؤلفاته في التاريخ والتراجم:

- (١) وهي أجوبة عن أسئلة أرسلها إليه الشيخ عبد الحفيظ اللاذقي من بيروت ، وتقع في سبع ورفات ، وهي مُلَحَّقَةٌ بِالْأَجْوِبَةِ الْقَازَانِيَّةِ ، فِي مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ زُهَيْرِ الشَّوَيْشِ فِي بَيْرُوتِ . انظر: علامة الشام (٤٩) .
 (٢) وقد حَقَّقَهَا الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الْعَجْمِيِّ؛ وَطُبِعَتْ سَنَةَ (١٧٤١هـ).
 (٣) وقد طُبِعَ بِتَحْقِيقِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الْعَجْمِيِّ مَعَ رِسَالَةِ دُرَّةِ الْغَوَاصِ سَنَةَ (١٧٤١هـ).
 (٤) طبعته جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية بالكويت بتحقيق الدكتور عبد الستار أبو غُدَّة سنة (١٤٠٤هـ).
 (٥) طبعته جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية بالكويت بتحقيق الدكتور عبد الستار أبو غُدَّة سنة (١٤٠٤هـ).
 (٦) ذكره في كتابه العقود الياقوتية (٧٥)، وقد سَمَّاهُ بِأَكْثَرِ مِنْ اسْمٍ ، كَالْمَوَاهِبِ الرَّبَانِيَّةِ فِي الْأَجْوِبَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْقَازَانِيَّةِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَجْوِبَةِ لِمَجْمُوعَةِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ . انظر: جواهر الأفكار (٢١)، وعلامة الشام: للعجمي (٥٥).
 (٧) حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ صَبَاحُ مَنْصُورٍ ، الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ بِبَيْرُوتِ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى (١٢٥٥هـ) .
 (٨) طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ عِمْسَى بْنِ زُمَيْحِ الْعَقِيلِيِّ ، وَذَلِكَ بِمَطْبَعَةِ التَّرْقِي بِدِمَشْقِ سَنَةَ (١٣٣٨هـ) .
 (٩) ذَكَرَهَا الْعَلَامَةُ الرَّزْكَلِيُّ فِي الْأَعْلَامِ (٤ / ٣٨) وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهَا مَخْطُوطَةٌ ، وَقَالَ: "إِنَّ ابْنَ بَدْرَانَ شَرَحَ بِهَا أَيْبَاتًا مِنْ هَزْلِ ابْنِ سُودُونَ الْبَشْبَغَاوِيِّ، فَحَوَّلَهَا ابْنُ بَدْرَانَ إِلَى أَعْرَاضِ صُوفِيَّةٍ تَهَكُّمِيَّةٍ عَلَى لِسَانِ الْقَوْمِ" .
 (١٠) أَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْمَدْحَلِ (٦١) ، وَذَكَرَهُ الْعَجْمِيُّ فِي كِتَابِهِ: عَلَامَةُ الشَّامِ (٥٥) .

- تاريخ دُومَة منذ فجر الدولة العباسية حتى القرن الرابع عشر الهجري^(١) (؟).
- تهذيب تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري^(٢) (؟).
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عسّاكر^(٣) (ط).
- ذَيْلٌ عَلَى طبقات الحنابلة لابن رجب^(٤) (؟).
- الرحلة المَعْرِيبِيَّة^(٥) (؟).
- الرَّوْضُ البَسَامُ فِي تَرَاجِمِ الْمُفْتِينِ بِدِمَشْقِ الشَّامِ^(٦) (؟).
- الكواكب الدرّيّة في تاريخ عبد الرحمن اليُوسُفِ صدر سورية^(٧) (ط).
- منادمة الأطلال ومسامرة الحَيَالِ^(٨) (ط).
- مُنْتَخَبُ النِّفَائِسِ فِي تَهْذِيبِ الدَّارِسِ^(٩) (خ).
- **مُؤَلَّفَاتُهُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ:**
- آداب المطالعة^(١٠) (؟).

- (١) ذكره معروف زُرَيْقُ فِي كتابه شعراء من دُومَة (١٠٣) وانظر: علامة الشام: للعجمي (٤٩).
- (٢) انظر: مجلة الآثار: لعيسى مَعْلُوف (٥٣١/٤)، وعلامة الشام: للعجمي (٥٠).
- (٣) ذكره الزُّرْكَلِيُّ فِي الأعلام (٣٧/٤)، وطُبِعَ مِنْهُ خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ فِي حَيَاةِ الْمُؤَلِّفِ، وَذَلِكَ عَلَى نَفَقَةِ مَطْبَعَةِ رَوْضَةِ الشَّامِ لِصَاحِبِهَا خَالِدِ قَازِصِلِيِّ سَنَةِ (١٣٣٠هـ)، وَالْكِتَابُ يَقَعُ فِي ١٣ مَجْلَدًا. انظر: علامة الشام: للعجمي (٥٠).
- (٤) ذكره فِي كِتَابِهِ الْمُدْخَلِ (٤٧٨)، وَالزُّرْكَلِيُّ فِي الأعلام (٣٧/٤) وانظر: جواهر الأفكار (٢١).
- (٥) أَشَارَ إِلَيْهِ فِي تَسْلِيَةِ اللَّيْبِ (٢٨) وانظر: علامة الشام: للعجمي (٥٣).
- (٦) لَخَصَهُ مِنْ كِتَابِ: عَرَفُ البَشَامِ لِلْمُرَادِيِّ. انظر: علامة الشام: للعجمي (٥٣).
- (٧) ذكره الزُّرْكَلِيُّ فِي الأعلام (٣٧/٤)، وَطُبِعَتْ بِمَطْبَعَةِ الْفِيحَاءِ بِدِمَشْقِ (١٣٣٩هـ) انظر: علامة الشام (٥٣).
- (٨) ذكره الزُّرْكَلِيُّ فِي الأعلام (٣٧/٤)، وَطُبِعَ فِي الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ بِتَقْدِيمِ مُحَمَّدِ بَهْجَةِ الْبَيْطَارِ، وَإِشْرَافِ الشَّيْخِ زُهَيْرِ الشَّوَيْشِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى بِدِمَشْقِ (١٣٧٩هـ)، وَالطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ بِبَيْرُوتِ (١٤٠٥هـ). انظر: علامة الشام (٥٦).
- (٩) انظر: شعراء من دُومَة: لمعروف زُرَيْقُ (١٠٣)، وعلامة الشام: للعجمي (٥٦).
- (١٠) وَهُوَ تَلْخِصٌ لِكِتَابِ الْفَرَايِدِ السَّنِيَّةِ فِي الْفَوَائِدِ النَّحْوِيَّةِ لِلشَّيْخِ أَحْمَدِ الْمَنِينِيِّ الدَّمَشْقِيِّ وَزِيَادَةَ عَلَيْهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ بَدْرَانَ فِي كِتَابِهِ الْمُدْخَلِ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٤٨٧)، حَيْثُ قَالَ: "ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهَجْرَةِ أَلْفَ الْفَاضِلِ الْمَحْدَثِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ الْمَنِينِيِّ الدَّمَشْقِيِّ كِتَابًا لَطِيفًا سَمَّاهُ: الْفَرَايِدِ السَّنِيَّةِ فِي الْفَوَائِدِ النَّحْوِيَّةِ، وَأَشَارَ فِيهِ إِلَى طَرَفٍ مِنْ آدَابِ الْمَطَالَعَةِ، وَلَقَدْ لَخَّصْتُ ذَلِكَ الطَّرْفَ فِي رِسَالَةٍ، وَزِدْتُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ اسْتَفَدْتُهَا بِالتَّجْرِبَةِ...".

- إيضاح المعالم من شرح العلامة ابن الناظم^(١) (خ).
- ديوان تسلية اللبيب عن ذكرى حبيب^(٢) (ط).
- رسالة في علم البديع^(٣) (خ).
- المنهل الصافي في شرح الكافي في العروض والقوافي^(٤) (خ).
- مؤلفاته في الوعظ والخطابة:
- ديوان الحُطَبِ المنبرية^(٥) (؟).
- سبيل الرّشاد إلى حقيقة الوعظ والإرشاد^(٦) (؟).
- مؤلفاته في علم الفلك:
- رسالة في الرُّنَعِ المُجِيبِ^(٧) (؟).
- رسالة في الرُّنَعِ المُقَنَّطَرِ^(٨) (؟).

(١) وهو شرحُ علي ألفية ابن مالك في النحو ، يقع في ثلاثة أجزاء ، وقد أشار إليه في المدخل (٤٨٧) ، وتسلية اللبيب (٤٦) ، وذكره الزُّركَلِيُّ في الأعلام (٣٧ / ٤) .

(٢) انظر: علامة الشام: للعجمي (٥٢)، وانظر: جواهر الأفكار (٢١) حيث ذكره باسم تسلية الكئيب.

(٣) مخطوطٌ لدى الشيخ زهير الشاويش انظر: جواهر الأفكار (٢١)، وعلامة الشام: للعجمي (٢٥٣) .

(٤) انظر: علامة الشام: للعجمي (٥٧) .

(٥) ذكره الزُّركَلِيُّ في الأعلام (٣٧ / ٤) .

(٦) وقد أشار إليه الزُّركَلِيُّ في الأعلام (٣٧ / ٤) ، والعجمي في علامة الشام (٢٥٢) .

(٧) ذكرها البيطار في تقديمه لمنادمة الأطلال .

(٨) ذكرها البيطار في تقديمه لمنادمة الأطلال . وانظر: مقدمة جواهر الأفكار (٢١) .

سابعاً: وفاته:

توفي العلامة عبد القادر بن بدران - رحمه الله - في شهر ربيع الثاني من سنة (١٣٤٦هـ) في مستشفى الغُرَباء^(١) بدمشق ، ودُفِن في مقبرة الباب الصغير بدمشق^(٢) - رحمه الله وغفر له .

وقد تأسَّف بعض الفضلاء على حاله ، فقال: "وإنه لِيُؤَلِّمُكَ كَثِيراً أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْفَاضِلَ الرَّاحِلَ قَدْ تُوِّبِي فِي مَدْرَسَةٍ مِنْ مَدَارِسِ الْأَوْقَافِ فِي غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَإِنَّ الْأَلَمَ لِيَزِدَادُ فِي نَفْسِكَ إِذْ تَعْلَمُ أَنَّ جَنَازَةَ هَذَا الْعَالِمِ الشَّيْخِ ابْنِ بَدْرَانَ لَمْ يَمْشِ وَرَاءَهَا أَدِيبٌ أَوْ عَالِمٌ ، وَلَمْ يُحَسَّ بِهَا أَحَدٌ عَلَى الْأَرْجَحِ"^(٣) .

رحم الله ابنَ بدران ، وجزاه عن العلم وطلابه خير الجزاء .

(١) هو المستشفى المعروف اليوم بالمستشفى الوطني ، تم بناؤه عام (١٣١٧هـ) ، واختصَّ بمعالجة الفقراء والغُرَباء ، فسُمِّيَ بمسْتَشْفَى الْغُرَبَاءِ ، ثُمَّ الْمَسْتَشْفَى الْوَطَنِي . انظر: خطط الشام: محمَّد كُرْد عَلِي (١٥٩/٦ - ١٦١) .
 (٢) انظر: أعلام الأدب والفن (١/٢٢٥) ، وعلامة الشام (٦٥) .
 (٣) انظر: منتخبات التواريخ لدمشق: لتقيِّ الدِّين الحِصِّي (٢/٧٦٣) .

المبحث الثاني العوامل المؤثرة عليه في الاستنباط

وفيه مطالب :

- المطلب الأول : عقيدته وتأثيرها عليه في الاستنباط .
- المطلب الثاني: مذهبه الفقهي والأصولي ، وتأثيره عليه في الاستنباط .
- المطلب الثالث : عصره وتنزيله الآيات على الواقع .
- المطلب الرابع : اللغة العربية وعلومها وتأثيرها عليه في الاستنباط .

العوامل المؤثرة عليه في الاستنباط :

أولاً : عقيدته وتأثيرها عليه في الاستنباط :

حَقَلَ هذا القسم الذي وصل إلينا من تفسير ابن بَدْران - والذي لم يتعدَّ تفسير الآية التاسعة والثمانين بعد المائة من سورة البقرة - بجملة لا بأس بها من الاستنباطات العَقَدِيَّة التي تُبَيِّنُ سلامة معتقدِ ابن بَدْران - في الجملة - .

وقد مرَّ بنا أثناء الحديث عن عقيدة ابن بدران ما ذكره من تمسُّكِه بعقيدته السلفية بعد أن خاض لُجَّة بحار الفلسفة والكلام، وازتمى بادئ الأمر في أحضان معارف اليونان، ولكنه أدرك زيف تلك العلوم، وضلال تلك الفهوم، ثم إنه عاد بعد ذلك إلى المَعِينِ الصافي والمَنْهَلِ العذب - أعني: كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ)، وما كان عليه خير القرون من مُعْتَقَد - ، فظهر هذا التوجُّه الجديد في استنباطاته، لكن لم تنزل بعض تلك الآثار الفلسفية والكلامية موجودةً عند ابن بَدْران، وسأوردُها في موضعها^(١)، مقتصرَةً هنا على أهمِّ النواحي العَقَدِيَّة التي تعرَّض لها - رحمه الله - في تفسيره، وسيكون إيضاحي لهذه النواحي من خلال الاستنباط- إن شاء الله- على وجه التنبيه والإعلام والاستدلال، مع الاختصار في كل ذلك ما أمكن .

وأما تفصيل القول في تلك النواحي العَقَدِيَّة وغيرها - ومعتقد الشيخ فيها وتقريره لها- فسيأتي مزيد إيضاحٍ لها في الفصول القادمة .

فلنحظُ من عِنَايَتِهِ ببيان أقسام التوحيد - من خلال تفسيره هذا - ما يمكن أن نتعرفَ عليه من خلال دراستنا لأهم قضايا العقيدة التي وردت في تفسير ابن بَدْران، وذلك من خلال النقاط التالية:

(١) سأوردُها في الفصل الخامس من هذا القسم ص: (١٨٤) تحت عنوان: (أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن بدران) .

١ - كلامه في توحيد الألوهية :

مثال (١): قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(١). قال ابن بدران: "دليل على أن من كانت هذه صفاته ، لم يكن أحداً أحقُّ منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله"^(٢) .

وهنا نلاحظ تأثير عقيدته على استنباطه هذا ، فبيّن فيه عبادة الحمد والثناء، وأنه تعالى أحقُّ بهذه العبودية ؛ لآتصاف ذاته بصفاتٍ يستحق بها أن يكون رباً معبوداً، وهذا من قبيل توحيد الألوهية .

مثال (٢) : قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) . قال ابن بدران: "وذلك لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالثناء وغاية الخضوع ، والاستعانة في المهمّات ، فخوّب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل: "إياك" - يا من هذه صفاته - نخصّك بالعبادة والاستعانة ، لا نعبد غيرك ، ولا نستعينه ؛ ليكون الخطاب أدلّ على أنّ العبادة له ، لذلك التميّز الذي لا تحقُّ العبادة إلا به ، فهذه نكتة أرباب المعاني ، وأشار إليه في الكشاف"^(٤) .

فهذا استنباط عقدي أوضح فيه ابن بدران أحقيته سبحانه بالعبادة والاستعانة ، والثناء والخضوع ، والألوهية ، وهي عبادات لا تُصرّف إلا لله - جلّ وعلا- ، مما يدلُّ على عقيدته الصافية ، وصرّفه كلّ عبادة له سبحانه .

(١) سورة الفاتحة: آية (٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨) .

(٣) سورة الفاتحة: آية (٥) .

(٤) جواهر الأفكار (٣٨) .

٢ - كلامه في توحيد الربوبية:

مثال (١) : قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) . قال ابن بدران: "رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، مشيراً به إلى ابتداء الخلق ، تنبيهاً على الاستدلال بالمصنوع على الصانع، و بالبداة على الإعادة"^(٢) .

فلما أثبت له الحمد لاستحقاقه لجميع المحامد، أشار إلى أنه يستحقه أيضاً من جهة كونه رباً مالكاً ، فاستنبط هنا استنباطاً يمكن أن يُطْلَقَ عليه استنباطاً في جانب الربوبية ، فاستدلّ عليهم بالخالق وبالنشأة إذ اعترفوا بالخلق الأول ، وهذا الذي يجب على كل إنسان التصديق به والإيمان به، فيتّضح ظهور عامل العقيدة وتأثيرها على استنباطاته .

مثال (٢): قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) . قال ابن بدران: "الآية تقتضي أن المخاطبين كانوا عالمين بأن هذه الأشياء المذكورة لم توجد لذاتها ، وأنها موجودة بإيجاد موحد لها ، وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٤) " (٥) .

استنبط ابن بدران من هذه الآية استنباطاً يظهر فيه عامل العقيدة الصافية المُقَرَّة بوحداية الله - جل وعلا- ، حيث استنبط من الآية كون المخاطبين عالمين بربوبية الله ، وأنه سبحانه هو من أوجد هذه الأمور ، حيث تنوعت دلائل وجود الله - جلّ وعلا- ابتداء من ضمير الإنسان وفطرته ، إلى كل ذرّة من ذرات الكون ، فالكل شاهد ومُقر بأن لهذا الكون رباً ومدبراً وإلهاً وخالقاً .

(١) سورة الفاتحة: آية (٢)

(٢) جواهر الأفكار (٣٥) .

(٣) سورة البقرة آية (٢٢) .

(٤) سورة لقمان آية (٢٥) . والزمر آية (٣٨) .

(٥) جواهر الأفكار (٩٥) .

٣- كلامه في الأسماء والصفات:

مثال (١): قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .
قال ابن بدران: "ودلّ قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ على أنّ العمل لا بُدَّ من الإخلاص فيه ؛ فإن الله علِيمٌ بفعل العبد ، إنّ أخلص العمل له أثابه عليه ، وإلا وَكَلَهُ لمن عمِل له من الأَغْيَارِ" ^(٢) .

هنا استنبط ابن بدران - رحمه الله - من اسم الله (العليم) وجوب الإخلاص فيما يعمله العبد ، فالعليم يعلم الخفايا ويشييه عليها ، وهو اسمٌ يفيد المدح والثناء، مراداً به العَلْمِيَّة، دالاً على كمال الوصْفِيَّة ، وهذا من قبيل الاستنباط العَقْدِيّ في جانب توحيد الأسماء والصفات .

مثال (٢): وقال أيضاً في هذه الآية: "إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) يدلُّ على أنّ طاعة العبد مقبولة عند الله تعالى ، وواقعة موقع القبول في أقصى الدَّرَجَاتِ" ^(٤) .

وهنا استنبط من اسم الله الشاكر ما يدلُّ على قبوله - جلّ وعلا- لطاعة العبد له .
وبهذا تظهر عقيدة ابن بدران السلفية فيما سبق من استنباطاته وتأثيرها الواضح عليه في استنباطاته .

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٤) جواهر الأفكار (٤١٠) .

ثانياً : مذهبه الفقهي والأصولي وتأثيره عليه في الاستنباط:

اشتهر الشيخ ابن بَدْران باهتمامه بالفقه وأصوله ، ودراسته ، وتدريبه له ، وله في ذلك مصنفات كثيرة^(١) ، وقد أشار - رحمه الله - إلى أنه درس المذاهب المتبوعة وغير المتبوعة ، فهدها ذلك إلى اختيار المذهب الحنبلي، قال - رحمه الله- : "ثم سبَرْتُ المذاهب المتبوعة الآن وكثيراً من غير المتبوعة، فوجدت كلاً منهم - قدس الله أسرارهم، وجعل في عليين منازلهم- قد اجتهد في طلب الحق، ولم يألُ جهداً في طلبه، ولا قَصَرَ في اجتهاده، بل قام بما عهد إليه حق القيام، ونصح الأمة، واجتنب كلَّ ما يَشِين، غيرَ أنَّ الإمام أحمد ابن حنبل كان أوسعهم معرفةً بحديث رسول الله (ﷺ) ، كما يعلم ذلك من أطلع على مسنده المشهور، وأكثرهم تبعاً لمذاهب الصحابة والتابعين، فلذلك كان مذهبه مؤيداً بالأدلة السَّمعية ، حتى كأنه ظهر في القرن الأول؛ لشدة اتِّباعِهِ للقرآن و السنة"^(٢) .

فنحن إذن أمام فقيهٍ مجتهد ، وليس فقط مجرد ناقل ، ويظهر ذلك الاجتهاد أثناء تناول ابن بَدْران لمسائل الاستنباط الفقهية في تفسيره ، أذكر منها على سبيل المثال:

مثال (١): قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ

الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٣). قال ابن بَدْران: "ويدل قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ أن ابتداء الإمساك يكون من التبين ، فمن شك فيه وفعل شيء من المفطرات ، ثم أنكشف له أن الفجر كان طالعاً وصامه ، أنه لا قضاء عليه ، لأنه غياه تبيين الفجر للصائم لا بالطلوع"^(٤) .

فهو هنا وافق مذهبه الفقهي الحنبلي الذي يقول بأنه لا قضاء على من فعل شيء من المفطرات شاكاً في طلوع الفجر ، ولم يتبين .

(١) ومنها: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحاشية على أخصر المختصرات ، ونزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر. وانظر مؤلفاته في الفقه وأصوله في هذا البحث .

(٢) المدخل: لابن بَدْران (٤) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

(٤) جواهر الأفكار (٥٢٠) .

قال ابن قدامة^(١) : " وإن أكل شاكا في طلوع الفجر، ولم يتبين الأمر، فليس عليه قضاء، وله الأكل حتى يتيقن طلوع الفجر. نص عليه أحمد . وهذا قول ابن عباس، وعطاء، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي. وروي معنى ذلك عن أبي بكر الصديق، وابن عمر - رضي الله عنهم - . وقال مالك: يجب القضاء؛ لأن الأصل بقاء الصوم في ذمته، فلا يسقط بالشك، ولأنه أكل شاكا في النهار والليل، فلزمه القضاء، كما لو أكل شاكا في غروب الشمس " .

مثال (٢): قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾^(٢) . قال ابن بدران: " والآية لا تدل إلا على النهي عن المباشرة ، وهي من باب المُفَاعَلَة ، فيكون النهي عن الجَمَاع ، وعمّا هو سبيل له ، وأما المباشرة التي لا تلذُّدُ بها فالظاهر أنها غير داخلية في هذه الآية " ^(٣) .

وهنا يظهر الحكم الفقهي الذي استنبطه -رحمه الله- من هذه الآية ، وهو يُوافق في ذلك المذهب الحنبلي ، قال ابن قدامة: " فأما المباشرة دون الفرج، فإن كانت لغير شهوة، فلا بأس بها ، مثل أن تغسل رأسه ، أو تغليه ، أو تناوله شيئاً ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يديني رأسه إلى عائشة وهو معتكف فترجله . وإن كانت عن شهوة ، فهي محرمة"^(٤) . وقال ابن حجر في الفتح^(٥): "واختلفوا في غير الجَمَاع ففي المباشرة أقوال ثالثها: إن أنزل بطل وإلا فلا" .

(١) المغني (٣/ ١٤٧) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

(٣) جواهر الأفكار (٥٢٢) .

(٤) المغني (٣/ ١٩٨) .

(٥) فتح الباري (٤/ ٢٧٢) .

وقال أبو حَيَّان^(١) (ت: ٧٤٥هـ): "وقال الجمهور: يقع هنا على الجماع وما يتلذذ به، وانعقد الإجماع على أن هذا النهي نهي تحريم، وأن الاعتكاف يبطل بالجماع. وأما دواعي النكاح: كالنظرة واللمس والثُبلة بشهوة فيفسد به الاعتكاف عند مالك، وقال أبو حَنِيفَةَ: إن فعل فأنزل فسد، وقال المزني عن الشافعي: إن فعل فسد، وقال الشافعي، أيضاً: لا يفسد من الوطء إلا بما مثله من الأجنبية يوجب"^(٢).

كما أنه لم يُرد أن يكون تفسيره محلاً لذكر خلافات الفقهاء، بل إنه يذكر ما فيها من استنباطات فقهية، دون ذكر الخلافات أو الأقوال، وقد صرح بذلك في قوله: "وقد ذكر كثير من المفسرين هنا أحكام استقبال القبلة، وخلاف الأئمة في ذلك، وإيراد الأدلة ونقضها، مما محله كتب الفروع والخلاف، وإننا لا نتعرض في كتابنا لهذا، ولكننا نذكر الأحكام المستنبطة من الآيات خاصة..."^(٣).

وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر خلافات الفقهاء وأقوالهم في بعض مسائل الفقه، مما يدل على معرفته بمذاهب الفقهاء وأدلتهم التي يستدلون بها^(٤).

كما شنَّ ابن بدران حملاتٍ شديدةً على التقليد وأهله في مواضع كثيرة من تفسيره، وظهر ذلك واضحاً في استنباطاته، ومن أمثلة كلام ابن بدران في ذم التقليد:

مثال (١): قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ

هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٥) قال ابن بدران: "إنَّ الاكتفاء بالظنِّ في أصول الدين غير جائز، وإنَّ التقليد لا يُعدُّ علماً؛ لأنه أخذ قول الغير بلا دليل، ومثل

(١) محمد بن يوسف بن علي بن حَيَّان، الإمام أثير الدين الأندلسي العزناطي، وُلِدَ بإحدى مُدن حاضرة عَزْنَاطَة، سنة (٥٤٦هـ)، من تصانيفه: البحرُ المحيط، والوهَّاجُ في اختصار المنهاج، والتحرير لأحكام سيبويه. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (١٥٢/٧)، والبلغة: للفيروز آبادي (٢٥٠)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (١٣٠/١٢).

(٢) البحر المحيط: لأبو حَيَّان (٢/٢٢٠).

(٣) جواهر الأفكار (٣٨٤).

(٤) انظر: جواهر الأفكار: (١٧٥ - ١٧٩ - ٢٥٣ - ٢٩٤ - ٣٨٢ - ٤٠٨ - ٤٤٦).

(٥) سورة البقرة: آية (٧٩).

هذا لا يليق أن يكون متصفاً بالعلم أصلاً ؛ لأنَّ هذه طريقة العوام ، وإنَّ المُضِلَّ وإنَّ كان مذموماً ، فالمغترُّ بإضلال المُضِلِّ أيضاً مذموماً ؛ لأنه تعالى ذمَّهم وإنَّ كانوا بهذه الصفة" (١) .

مثال (٢): قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ^ص

وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ (٢) . قال ابن بَدْران: "وفي الآية زجرٌ عظيم لمن جعل التقليد مذهبه ، وسار مع قول مُقلِّده كَيْفَمَا كان ، ثم إنَّ أتاه الحق وظهر له الدليل أعرض عنه جانباً ، ورأغ عنه ، وأخذ يُؤوِّله حسبما يريد ، ويختار له هواه، ويسلك مسالك أولئك المعاندين الذين قلدوا أحبارهم ورهبانهم فيما ابتدعوه لهم من الدين ، ورَبَّبُوهُم من المفتريات" (٣) .

كما أشار ابنُ بَدْران إلى بعض المسائل الأصولية في تفسيره ، مما يدلُّ على عنايته بهذا الفن ، ومن الأمثلة على ذلك :

مثال (١): ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٤) . قال ابن بَدْران: "ومن المعلوم في فن الأصول أنَّ الحكم إذا ترتَّب على وصفٍ أشعر بعليَّة ذلك الوصف ، فالآية دالة على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين ، وهذا يقتضي العموم" (٥) .
فقد ثبت في أصول الفقه أنَّ ترتيب الحكم على الوصف المناسب يدلُّ على أنه هو العلة المقتضية له (٦) ، فدلَّ الأمر بالإحسان وتعظيم الوالدين لكونهما والدين ، وهذه هي العلة التي أخبر ابن بَدْران أنه من أجلها فرض الإحسان للوالدين ، مستدل بالقاعدة الأصولية السابقة .

(١) جواهر الأفكار (٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٤١) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٦٥) .

(٤) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٥) جواهر الأفكار (٢٤٣) .

(٦) الإجماع في شرح المنهاج: للسبكي (٣/٤٥) .

مثال (٢): قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١). قال ابن بدران: "والحق أن التكليف بالمتنع لذاته وإن جاز عقلاً - من حيث إن الأحكام لا تستدعي غرضاً غير الامتثال - لكنه غير واقع ، للاستقراء، والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه ، كإخباره سبحانه وتعالى عما يفعل هو أو العبد باختياره"^(٢).

فالقاعدة الأصولية تقول: "التكليف بالمتنع لذاته جائز عقلاً غير واقع"^(٣) ، فلما كان الإنذار وعدمه سواء، لأن الله - جلّ وعلا - كتب عليهم الحُسْران والكفر لعلمه بإصرارهم وكفرهم كان هذا من قبيل التكليف بالمتنع لذاته الجائز عقلاً غير الواقع ، فهو ممتنع لتعلق العلم بعدم وقوعه ، فامتنع إيمان أكثرهم لعلمه تعالى بعدم وقوعه ، وبهذا يظهر استنباط ابن بدران الأصولي من خلال هذه القاعدة الأصولية .

(١) سورة البقرة: آية (٦).

(٢) جواهر الأفكار (٦٤).

(٣) قال الشَّاطِئِي فِي الْمُوَافَقَاتِ: (١٠٧/٢) : " ثَبَتَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ شَرْطَ التَّكْلِيفِ أَوْ سَبَبَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْمَكْلُوفِ بِهِ، فَمَا لَا قُدْرَةَ لِلْمَكْلُوفِ عَلَيْهِ لَا يَصِحُّ التَّكْلِيفُ بِهِ شَرْعاً، وَإِنْ جَازَ عَقْلاً ". وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ: "تَكْلِيفٌ مَا لَا يَطَاقُ جَائِزٌ عَقْلاً، وَلَا يَحْرُمُ ذَلِكَ شَيْئاً مِنْ عَقَائِدِ الشَّرْعِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَمَارَةً عَلَى تَعْذِيبِ الْمَكْلُوفِ وَقَطْعاً بِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى هَذَا: تَكْلِيفِ الْمَصُورِ أَنَّ يَعْقِدَ شَعِيرَةً " تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ: (٤٣٠/٣).

ثالثاً : عصره وتنزيله الآيات على الواقع:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم منهجاً للعباد، يحكمون به حياتهم ، ويضبطون به تصرفاتهم ، ويحتكمون إليه في معاملاتهم ، ويطبّقونه واقعاً عملياً في جميع شؤونهم، وقد أهتم أهل العلم قديماً وحديثاً بتدبر القرآن الكريم وتأمل آياته واستخراج لطائفه ، واستنباط العلاقة بين الواقع وهداياته، وكان من الأئمة الأعلام الكرام، الذين عاشوا حياتهم بالقرآن ومع القرآن فقهاً وفهماً، وتدبراً وعلماً، وتطبيقاً وعملاً؛ الإمام: ابن بَدْران -رحمه الله - . ولهذا الأمر أهمية بالغة فهو يزيد من توضيح معاني الآيات ، ويقربها للفهم ، كما أنه ينمي علاقة المسلم بالقرآن وربطه بجميع أحواله ، ويعيد صبغ حياة الناس بالقرآن ، مما يؤكد للجميع شمول القرآن الكريم لجميع أحداث الحياة .

ولم يتكلف الإمام ابن بَدْران -رحمه الله- في ذلك أو يحمل النصوص الشرعية مالا

تحتمله ، ومن خلال الأمثلة التالية يتضح المقال :

مثال (١): وصفه لنظرية دَارْوِين^(١) (ت: ١٨٨٢م) في النُشوء والارتقاء^(٢) ، وتنزيل الآيات على بطلانها ، فقال عند قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ لُمَيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾^(٣) : "وكأنك بالقرآن يعجب من حيرتهم وخبّطهم في دياجير الظلام ، ويناديهم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الذي هو الخالق للمادة ، والمُفِيض عليها القدرة التي تدعوها ، والخصائص التي تكتشفونها...، فهذا من بعض ما ترمي إليه هذه الآية الكريمة، وتنادي بإبطال القول

(١) هو تشارلز رُوْبِرْت دَارْوِين ، ولد سنة ١٨٠٩م في شُروسبُوري بإنجلترا (بريطانيا) ، من أبٍ طبيب ، ودُرِس الطبُّ في جامعة ادنبرة مدة سنتين ، ثم تركها دون إكمالها ، ومن مؤلفاته: سياحة عالم طبيعي بسفينة بيجل ، وأصل الأنواع ، وكتاب ظهور الإنسان . انظر ترجمته: دَارْوِين ونظرية التطور: شمس الدين آق بُلُوت (١١- ١٢) .
(٢) مُجْمَل النظرية تقوم على أنّ الوجود قام بدون خالقٍ ، وأنّ الإنسان قد تطوّر من القرد ، وأنّ هناك تسلسلاً في الأجناس البشرية . انظر كتابيّ داروين في أصل هذه النظرية: كتاب أصل الأنواع ، وكتاب ظهور الإنسان .
(٣) سورة البقرة: آية (٢٨) .

بالصُدْفَةِ، والقول بأنَّ البشر كان حيواناً ثم ترقى بالتدريج؛ كما ذهب إليه أستاذكم دَارْوِين... " (١) .

فتعرّض لهذه النظرية مبيناً أساسها، منتقداً أصحابها، ومبيناً خطأها، و ناصحاً المخدوعين بها من أبناء عصره، فاستدلَّ بهذه الآية على بطلان وخطأ ما قاله دَارْوِين .

مثال (٢): كلامه عن تأثير الروابط الاقتصادية على الأمم، وتنزيل الآيات عليها، حيث قال عند قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣): "واعلم أنَّ مَنْ يُلاحظ حالة الحياة الاجتماعية العمومية اليوم، ويحصل له إلمامٌ باشتباك المصالح التجارية ببعضها، ويعلم مقدار تأثير الروابط الاقتصادية بين الأمم في وجود الائتلاف والاتحاد بينها يعلم تبعاً لذلك أنَّ ذلك التقرب سيكسر من شره التعصبات الدينية الذميمة، ويمحو من بينهم تلك الأحقاد الاعتقادية الموروثة، ولا يمكن للإنسان أن يتخيّل نقطةً جامعةً يرضى بها كلٌّ على السواء، إلا بتصديق كلِّ أمة بأنبياء جاراتها وكتابها المنزل عليها، فما أبداع الإشارة بقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ " (٣) .

فيصف في عصره أموراً، ويُنزِل الآيات على واقعه الذي عاصره وعاشه، وكأنه يصف للقارئ حال عصره ومعاصريه - رحمه الله -، فبهذا يتضح تأثيره - رحمه الله - بعصره في استنباطاته .

(١) جواهر الأفكار: (١٤٦) وما قبلها.

(٢) سورة البقرة: آية (١٣٦).

(٣) جواهر الأفكار: (٣٦٠).

رابعاً : اللغة العربية وعلومها وتأثيرها عليه في الاستنباط:

كان لِلُّغَةِ وعلومها الحضور الواضح ، والظهور البارز في استنباطات ابن بَدْران وتفسيره؛ حيث تناول بعض القضايا اللغوية في البلاغة و في النحو والإعراب ، وقد ذكر - رحمه الله - أهميتها في تفسير كتاب الله تعالى ، وفي الرجوع إليها عند الحاجة؛ حيث قال: "ومن المحقق أن القرآن نزل بلغة العرب، وإليها يُرجع في تفسيره" (١) .

وقال أيضاً: "وحيث جرى الخلاف في معنى كلمة من الكتاب العزيز كان المرجع في تفسيرها إما إلى لغة العرب، وإما إلى الحقيقة الشرعية، ولا يُلتفت إلى ما اصطَلَح عليه بعد نزول الكتاب العزيز" (٢) .

ويمكن معرفة مدى عناية ابن بَدْران بالعربية واعتداده بها في استنباطاته من خلال الأمثلة التالية :

مثال (١): قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ^ص

وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ (٣) . قال ابن بَدْران : "وتكرير هذه الآية يدل -والله أعلم- على أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن لم يكن التكرار عبثاً" (٤) .

فهذه الآية مما تكررت مرتين بين آيات متقاربة (٥) ، و التكرار هنا لم يكن عبثاً ، حيث إنَّ له أغراضاً ولطائف ، فالقصة المتكررة تَرُدُّ في كل موضعٍ بأسلوبٍ يتميز ويختلف عن الآخر، وتُصاغ في قالبٍ غير القالب، ولا يَمَلُّ الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معانٍ جديدة لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى ، فهذا التكرار وجهة من وجوه البلاغة القرآنية ، والاستنباط استنباط بلاغي .

(١) جواهر الأفكار (١٥١) .

(٢) المصدر السابق (٤٩٣) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٤١) .

(٤) جواهر الأفكار: (٣٦٦) .

(٥) حيث ذكرت في الآية (١٣٤) من هذه السورة .

مثال (٢): قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١). قال ابنُ بَدْران: "و التمثيلُ في هذه الآية أدلُّ على فرط الحيرة وشدة الأمر و فظاعته من التمثيل الأول ؛ جرياً على قوانينِ البلاغة في التدرُّج - في نحو هذا - من الأَهْوَنِ إلى الأَعْظَمِ" (٢).

فالتدرُّج من الأدنى إلى الأعلى فنُّ من فنون البلاغة القرآنية ، فيتبين من هذا كون الاستنباط هنا استنباط بلاغي .
فلاحظ اهتمامه - رحمه الله - وعنايته باللغة العربية ، وإدخالها في تفسيره ، واعتماده عليها في بعض ما يستنبطه من فوائد وفرائد .

(١) سورة البقرة: آية (١٩ - ٢٠) .

(٢) جواهر الأفكار (٨٧) .

المبحث الثالث
تعريف موجز بكتاب (جواهر الأفكار) لابن
بدران

وفيه مطالب :

- المطلب الأول : نسبة كتاب (جواهر الأفكار) للإمام ابن بدران .
- المطلب الثاني : نُسخُ كتاب (جواهر الأفكار) .
- المطلب الثالث : منهج الإمام ابن بدران في كتابه (جواهر الأفكار) .
- المطلب الرابع : مصادره في كتابه (جواهر الأفكار) .

توطئة بين يدي الكتاب:

تفسير (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار) ، هو الاسم الذي صدر به كتاب الإمام عبد القادر بن بدران الدمشقي ، وواضح معنى هذه التسمية، وأنها تشير إلى غاية ابن بدران من تأليفه هذا التفسير ، فغاياته التركيز على اللطائف والمعاني الخفية والحكم والاستنباطات التي يعوص فيها المُفسِّر؛ ليستخرجها من كلام الله تعالى، فيُعمِل فكره ليستخرج الجواهر والدرر الكامنة في القرآن الكريم ، والتي تحتاج إلى كدِّ الذهن ، وإعمال الفكر ، وهذا ما تميَّز به تفسير ابن بدران ؛ فقد حوى كثيراً من الدرر والاستنباطات في الآية الواحدة ، وهو بهذا لم يُلزم نفسه تفسير كل لفظة أو جملة ، بل يكتفي باستنباط اللطائف والحكم إن وجدت .

وقيل: إنه أراد تسمية كتابه ب: (معارج العرفان إلى فهم آيات الفرقان) ، يقول عادل الشدي : "وقد كان ابن بدران ينوي تسمية تفسيره ب: (معارج العرفان إلى فهم آيات الفرقان)، وقد مضى على ذلك في نهاية الجزء الأول من تفسيره؛ حيث كتب بخطه: "وقد خطر لي أن أُسمِّي الكتاب كُله: (معارج العرفان إلى فهم آيات الفرقان) ، لكنه عاد فكشط على هذا الاسم الذي اختاره بنفسه، وكتب مكانه الاسم الذي استقر عليه وهو: (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار) ، وهو الاسم الذي صدر به كتابه في طرته" (١) .

وقد نص من ترجموا له على أن تفسيره لم يكمل ، يقول محمد البيطار (ت: ١٣٩٦هـ): "فمنها كتاب: جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في التفسير، لم يكمل" (٢) .

(١) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران: عادل الشدي (٤١) .

(٢) مقدمة كتاب منادمة الأطلال، ويقول العجوي في كتابه علامة الشام (٥٠) عن تفسير ابن بدران: "لم يكمل" . ويقول زهير الشاويش عند تحقيقه لجواهر الأفكار (١٦): "وله في التفسير: كتابنا هذا: (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار) ، والذي وصل إلينا منه هذا المطبوع، ويشمل الفاتحة وسورة البقرة حتى الآية: (١٨٩)" .

أولاً: نسبةُ كتاب جواهر الأفكار للإمام ابن بدران :

- إنَّ مما يُوَكِّدُ نسبة الكتاب إلى الإمام عبد القادر بن بدران ما يلي :
- أنه جاء مَنْسُوباً إليه في جميع نسخ الكتاب المطبوعة والمخطوطة .
 - صرَّحَ ابنُ بَدْران - رحمه الله - بنسبته إليه في نهاية الجزء الأول من سورة البقرة ، فقال: "يقول الفقيرُ عبدُ القادرِ بن أحمد بن مصطفى بَدْران: إلى هنا انتهى بنا المجال على سبيل الاختصار ، في تفسير الجزء الأول من كتاب الله تعالى ، مع العجز والتقصير ...، حتى وقع الفراغ منه يوم الجمعة الحادي عشر من شهر شوال سنة خمسٍ وثلاثين وثلاث مائةٍ بعد الألف ...، وقد خطر لي أن أُسمِّي الكتاب (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار) ، أسأله تعالى الإعانة على إتمامه بفضله وكرمه" (١) .
 - استفاضهُ ذكره في كتب التراجم ، فلا يكاد يخلو كتابٌ ترجم له من ذكره (٢) .

(١) جواهر الأفكار (٣٦٦) .

(٢) ورد ذكره في: منتخبات التواريخ لدمشق: لتقيِّ الدِّين الحِصْنِيِّ (٢/ ٧٦٢ - ٧٦٣) ، وأعلام الأدب والفن: لأدْهَم الجُنْدِي (١/ ٢٢٤) ، وما بعدها) ، وأعيان دمشق: للشَّطِّي (٣٤٥) ، ومعجم المؤلفين: لعمْر كَحَّالَة (٥/ ٢٨٤) ، والأعلام الشرقية: لزكي مُجَاهِد (٢/ ٣٣٤) ، وغيرها من كتب التراجم .

ثانياً: نسخ كتاب (جواهر الأفكار).

طُبِعَ تفسير ابن بدران في عام (١٤٢٠ هـ) ، بعناية الأستاذ: زُهَيْر الشَّاويش^(١) (ت: ١٤٣٤ هـ) على نسخةٍ خطيةٍ واحدة، وهي اليوم في حَوْزَةِ أبناء زهير ، وصدر التفسير عن المكتب الإسلامي في بيروت ، في مجلد متوسّط الحجم ، وعدد صفحاته (٥٥٢) صفحة ، صدره المحقّق بمقدِّمةٍ مختصرة ، ثم ترجمة لابن بدران، وقد حَرَصَ المحقّق كثيراً على عدم إثقال الحواشي، والاكتفاء بضبط النص قدر الطاقة، ولو حُقِّقَ الكتاب تحقيماً علمياً مستوفياً للشروط الأكاديمية المعروفة لكان له عظيم الأثر وكبير الفائدة .

أما مخطوط هذا الكتاب فقد قال عنه عادل الشّدي: "كان يكتب الآيات بحبرٍ أحمر مُميّزاً لها عن بقية التفسير، ومعدّلُ الأسطر في كل صفحةٍ ثمانية عشر سطرًا ، يقل أو يزيد في بعض الصفحات ، ومعدّلُ الكلمات في السطر الواحد ثلاث عشرة كلمةً تقريباً ، بخط دقيق جميل ، لكنه تعيّر كثيراً واضطرب في آخر المخطوط؛ بسبب إصابة المؤلف بالشلل في شقّه الأيمن ، واضطراره للكتابة باليد اليسرى التي لم يعتد الكتابة بها"^(٢) .

وتفسيره هذا لم يكتمل، حيث بلغ الموجود منه إلى الآية رقم (١٨٩) من سورة البقرة، كما أنّه طبع دون مقدمة ، وقد نص على وجودها المؤلف نفسه^(٣) .

(١) محمد زُهَيْر الشَّاويش من مواليد دمشق (١٣٤٤هـ)، صاحب ومؤسس المكتب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق، كان له قصب السبق والريادة في نشر التراث العلمي وتحقيقه، أفنى حياته في طلب العلم ومجالسة العلماء . انظر ترجمته: زُهَيْر الشَّاويش ترجمة ذاتية موجزة: كُتِبَ صدر عن المكتب الإسلامي .

(٢) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران: (٤٢) . ولم أستطع الوصول إلى هذا المخطوط ولا الاطلاع عليه؛ لكون الخزانة الشَّاويشيّة من الخزائن الشخصية التي لا يمكن لأحد الوصول إليها .

(٣) أشار ابن بدران عند تفسيره لأول آية في سورة البقرة إلى وجود هذه المقدّمة في سياق قوله: (... لأنّ ابن عباس لم يفسّر القرآن في صحيفة، وإنما نقله عنه جماعة ممن كانوا ملازمين له، منهم الثقات؛ كمجاهدٍ وأضرابه ، ومنهم غير الثقات؛ كما أوضحناه في المقدّمة) انظر: جواهر الأفكار (٤٨) .

ثالثاً: وصف إجمالي لمنهج الإمام ابن بدران في كتابه (جواهر الأفكار) .

على الرغم من أن ما طبع من تفسير ابن بدران لا يتجاوز الآية رقم (١٨٩) من سورة البقرة ، إلا أنه يُعْطِي صورةً واضحةً عن منهجه في التفسير ، ويصف لنا شيئاً من ملامح المنهجية العلمية التي يتبناها الإمام ابن بدران في تفسيره ، وسأشير إلى شيء من ملامح منهجه في نقاط - مُوجِزةً غير مُطِيلَةٍ فيها- ^(١) ، وذلك على النحو التالي :

١ - جَمَعَ تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

ففي التفسير بالمأثور نرى أنه يفسر القرآن بالقرآن، ولكن يقلُّ ذلك مقارنةً بغيره من المفسرين الذين يكثر في تفاسيرهم تفسير القرآن بالقرآن كالطبري^(٢) (ت: ٣١٠ هـ) ، وابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)^(٣) ، لكنه أشار إلى أهمية ذلك بقوله: "من المعلوم أنَّ القرآن يفسَّرُ بعضه بعضاً"^(٤) ، كما اعتمد هذا المنهج في كثيرٍ من الآيات التي فسَّرَها^(٥) .

(١) وقد أخذت بعضها من كتاب (مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران) وكتاب (منهج ابن بدران في تفسيره) تأليف: عادل الشَّدي ، وهي بحوثٌ علميةٌ محكَّمة في أجزاءٍ صغيرة الحجم ، مُضيفَةً عليها شيئاً مما وقفت عليه من خلال تتبعي لمنهج ابن بدران في تفسيره .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، من شيوخه: محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، وإسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن بشار، ومن تلاميذه: أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبد الله الشَّافعي، ومن مصنفاته: (أخبار الرسل والملوك- ط)، و(جامع البيان في تفسير القرآن- ط). انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (٦/٦٩٦)، تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (٢/١٥٩)، طبقات المفسرين: للدَّوودي (٢/١١٠).

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير، وُلِد سنة (٧٠١ هـ)، ومن شيوخه: أخوه الأكبر عبد الوهَّاب، وعيسى المَطَّعم، وأحمد بن الشيخة، ومن أشهر تلاميذه: النَّووي، وشهاب الدين بن حَجِّي، وابن الجَزَّري، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، والتَّكْوِيل. انظر: الأعلام: للزركلي (١/٣٢٠)، معجم المؤلفين: لعمركم كحالة (٢/٢٨٤).

(٤) جواهر الأفكار (٣١٠) .

(٥) عند قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]. قال ابن بدران: "وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]" . جواهر الأفكار (٣٣٢). وانظر أيضاً بعض الأمثلة لذلك في كتاب: منهج ابن بدران في تفسيره: عادل الشَّدي (٢٢ - ٢٨) .

كما أنه يفسّر القرآن بالسنة، ويستشهدُ بها في كثيرٍ من الآيات ^(١) ، بل إنَّ هذا المنهج مما تميّز به ابنُ بَدْران في تفسيره ، وأكثر منه ، كما أشار إليه بقوله: "وحيث اختلفت الأقوال فالمرجع إلى ما صحَّ سنده من كلام رسول الله (ﷺ)" ^(٢) ، كما أنه يذكر من الأحاديث ما صحَّ منها، ويقلُّ استشهاده بالضعيف ، ويذكر مصدر الحديث ورواياته في كثير من المواضع ^(٣) ، مع عنايته بتعدد الروايات، واختلاف الألفاظ ، وعنايته بالجرح والتعديل، والحكم على الأحاديث ^(٤) ، مما يدلُّ على رُسوخ قدمه في السنة وعلومها .

كما أنه يُفسّر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، ويشترطُ صحة السند إليهم ^(٥) ، كما أنه جمع ورجَّح بينها في بعض المواضع ، مع ردّه بعض الروايات المكذوبة على الصحابة .

أما التفسير بالرأي عند ابن بَدْران - رحمه الله - فقد أُتخذَ من سعة علومه باللغة، وإلمامه بأصول الشريعة ، وفهمه لروح الدعوة الإسلامية ، فأُتخذَ من ذلك وسيلةً للتححيص والتخريج، واستنباط آراء ، وشروح لقضايا وردت في القرآن الكريم .

فلاحظ قوة ظهور شخصيته العلمية، وكثرة آرائه في تفسيره، ولعلَّ السبب في ظهور شخصيته العلمية فيه؛ كونه من أواخر مؤلفاته، حيث لم يتصدَّ لتأليفه إلا بعد أن رسخت قدمه في مجال علوم الشريعة التي صنّف في علومها المختلفة، كالفقه، والحديث، ومجال

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. فأكد ابن بَدْران هذا المعنى بقوله: "كما أشار إليه الحديث القُدسيُّ الصحيح: «كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به". جواهر الأفكار (٥٠٠). والحديث رواه البُخاري في صحيحه (٢٦/٣)، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، حديث رقم (١٩٠٤). ومسلمٌ في صحيحه (٨٠٦/٢)، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم (١١٥١). وانظر أمثلة أخرى في كتاب: منهج ابن بَدْران في تفسيره: عادل الشَّدّي (٤٤ - ٥٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٤٢). وقال أيضًا في بعض المواضع: "وحيث صحَّ هذا التفسير عن النبي (ﷺ) فلا يُعدَّل عنه إلى غيره" جواهر الأفكار (٣٧٢) .

(٣) انظر الصفحات التالية من تفسير جواهر الأفكار (٣٨، ٥٩، ١٢٢، ١٢٣، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٥، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٩، وغير ذلك) .

(٤) منهج ابن بَدْران في تفسيره: عادل الشَّدّي (٤٩ - ٥٥) .

(٥) المصدر السابق (٧٧ - ٨٧) .

علوم العربية وغيرها، وشخصية ابن بدران العلمية ظهرت في تفسيره بشكل لا تكاد تُحطُّهُ عين الباحث المتخصص، بل حتى القارئ العابر، لاسيما من خلال استنباطاته وترجيحاته في المسائل، واعتداده بقوله في بعض المواضع، ومناقشاته المستفيضة لبعض العلماء، وبعضهم من فحول المفسرين كابن جرير الطبري (ت: ٣١١هـ)، والرَّحْشَرِي (ت: ٥٣٨هـ)، والرَّازِي (ت: ٦٠٦هـ) ^(١)، بل وردَّ أقوالهم ونقدها في بعض المواضع.

٢- كثرة الاستنباطات واللطائف في تفسيره:

لم يُجَلِّ ابنُ بدران تفسيره من لطائف تفسيرية واستنباطاتٍ شخصية، تتضح له من خلال ظاهر سياق الآية ^(٢)؛ كما أنه انفرد ببعض اللطائف التفسيرية والاستنباطات التي كان يُقْتَنِصُها من أعماق سياق الآيات ويضمونها تفسيره، بما يدلُّ على تبخُّره في التفسير. ويركز على اللطائف والحكم التي يغوصُ فيها؛ ليستخرجها من كلام الله، فيُعمِلُ فكره ليستخرج الجواهر والدرر الكامنة في القرآن، وهذا ما يدلُّ عليه تسمية تفسيره: (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار).

وأصلُ تفسيره كان درساً يلقيه على طلابه في المسجد؛ حيث يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿صُمُّكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ^(٣): "وقد سبق لي أثناء الكلام على تفسير هذه الآية في الدرس أن قلت: إنَّ السمع والبصر ينقسمان إلى قسمين..."^(٤)، ولعل ذلك ما يفسِّر استرساله على سجيته في بعض المواضع وتوسُّعه في الاستنباطات واللطائف ^(٥).

(١) محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرّازي، ولد سنة (٥٤٤هـ) في الري، من شيوخه: والده ضياء الدين عمر، وأبي الحسين الباهلي، وعلي بن إسماعيل الأشعري، ومن تلامذته: أبي مُحَمَّد البَغَوِي، من مؤلفاته: (مفاتيح الغيب)، و(معالم أصول الدين). انظر ترجمته: الأعلام: (٣١٣/٦)، وفيات الأعيان: لابن خلكان (٤/٢٥٠).

(٢) وقد تتبَّعتُ استنباطاته فوجدتها تزيد على (١٢٧) من الاستنباطات، وسيأتي بيان ذلك في محله.

(٣) سورة البقرة: آية (١٨).

(٤) جواهر الأفكار (٨٤).

(٥) عند تفسير قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]. أورد ابنُ بدران استنباطين متتاليين: أولهما قوله: "ولمَّا ذمَّ الله تعالى من لا يعلم عِلْمَ أنَّ المعارف كسبية لاضروية". والثاني قوله: "ويؤخِّدُ من أحكام هذه الآية أنَّ الاكتفاء بالظنِّ في أصول الدين غير جائز". انظر: جواهر الأفكار (٢٣٧).

٣- كثرة العلوم التي استخدمها في تفسيره :

تميّز تفسير ابن بَدْران بتنوّع المصادر ؛ حيث اشتملت على كتب التفسير وعلوم القرآن ، والسنة النبوية وعلومها ، والعقيدة ، والفقه وأصوله ، واللغة العربية وعلومها ، يقول عادل الشَّدّي: "زادت مصادر ابن بَدْران في هذا الجزء الذي وصلنا من تفسيره عن مائةٍ وثلاثةٍ وثلاثين مصدراً، صرّح بأسمائها وأسماء مؤلفيها ، ونقل عن بعضها مراتٍ عديدة ، وإذا أضفنا أسماء بعض المؤلفين الذين نقل عنهم دون أن يُصرّح بأسماء كتبهم فإن العدد يزيد عن مائةٍ وسبعين مصدراً" (١) ، وهذا يدلُّ على كثرة مصادرهِ ، على الرغم من قلّة ما وصلنا منه، وسيأتي مزيد تفصيلٍ عن هذه المصادر في المباحث الآتية .

٤- استخدام أسلوب الأسئلة الافتراضية (٢) :

نلاحظ في تفسير ابن بَدْران كثرة استخدامه الأسئلة الافتراضية، التي تقوم على افتراض سؤالٍ ثم الردّ عليه(٣)، بل إنه كان يستحسن هذا الأسلوب، ويعتبر أن القرآن قد أرشد إليه، واستخدمه أسلوباً للمحاورة، ففي قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِا﴾ (٤). قال ابن بَدْران: "وعلى هذا المنوال جرى علماء الجدل في مناظرة الحُصم، حيث يقولون له: فإن قلت كذا، أو: إن الذي تعارضه بكذا سيقول كذا، فجوابه: كيّت وكيّت، وهي نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية" (٥).

(١) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بَدْران: عادل الشَّدّي (٨٩) . وانظر: جواهر الأفكار (٨٤) .

(٢) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بَدْران: لعادل الشَّدّي (٥٧) .

(٣) كما في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦]. قال ابن بَدْران: "إن قال

قائل: كيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى وقد كانوا منافقين لم يتقدّم نفاقهم إيماناً؟ ، فيقال فيهم: باعوا هداهم الذي كانوا عليه...، أجيب بما روي عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالوا: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى...". جواهر الأفكار (٨٠). وانظر أيضاً: (٤٨) و(١٠٧) و(١٣١) و(١٣٩) و(١٨٨) و(١٩٦) .

(٤) سورة البقرة: آية (١٤٢) .

(٥) جواهر الأفكار (٣٧٠).

٥- توسُّطه في نقل العلوم الكونية التي كانت في عصره ، من غير غُلُوٍّ في

حشو المعلومات العلميَّة وشبه العلمية :

فتفسيره يَحْوِي بعضاً من التفسير العلمي للقرآن^(١) ، فَيُعْتَبَرُ ابنُ بَدْران من المؤيِّدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم؛ وذلك لكثرة المواضع التي ربط فيها آيات الله القرآنية بآياته الكونية وعلوم الطبيعة والهيئة ، وطبقات الأرض، وغير ذلك ، وبما أنَّ التفسير العلمي هو: "التفسير الذي يُحْكَمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويبتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"^(٢) ، فإنه لم يَرِ بأساً بهذا الربط ، بل رأى أنه من جملة التفكُّر في خلق السماوات والأرض ، فقال في بيان موقفه من الإعجاز العلمي: "حيث إنَّ الصانع جلَّ وعلا هو المُوْجِد لجميع الكائنات ، فالبحت عن أشكالها وأوضاعها مع الإقرار بوجود صانعها لا يضرُّنا، بل هو من جملة التفكُّر في خلق السماوات والأرض ، والاستدلال على قدرته الباهرة بآثاره الظاهرة ... " ^(٣) .

ولكن ابن بَدْران لم يتكلف في هذا ، فلم يُخْضِعْ كلَّ آيةٍ للتفسير العلمي ، بل كان يختار الآيات التي يمكن استجلاء معانيها في ضوء التفسير العلمي .

كما يَتَضَحُّ من تفسيرات ابن بَدْران العلمية أنه لا يجزم بشيء من تلك التفاسير والتأويلات المتعلقة بعلوم الكون والفلك ؛ لعلمه أن المكتشفات العلمية تتجدد . ولم يسلم ابن بَدْران لعلماء الهيئة كثيراً من مخترعاتهم ونظرياتهم ، وخاصةً ما كان منها مُعَارِضاً لنظم القرآن ، فردَّ عليهم ردَّ الخبير بعلوم الكون ، العارف بالمكتشفات الحديثة ، فسخر معرفته بالعلوم الكونية في الردِّ على مطاعن الطَّاعنين ، وكيد الأعداء^(٤) .

(١) انظر: جواهر الأفكار (٨٩ - ٩٠) ، (٩٨ - ١٠١) ، (١٠١ - ١٠٣) ، (١١٩) ، (١٥٧) ، (٢١٩) .

(٢) التفسير والمفسرون: للدَّهَبِيِّ (٢/ ٣٤٩) .

(٣) جواهر الأفكار (٩٧ ، ٩٨) .

(٤) جواهر الأفكار (١٠٥) عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] ، وفي

(١٥١ - ١٥٢) عند ردِّه على علماء الهيئة من الفلاسفة في قولهم إن الأفلاك هي السماوات السبع، وفي

(١٤٤ - ١٤٦) عندما ردَّ على المادِّيِّين القائلين بقدم المادة وأنها لا تفتنى .

٦- الاختصار والبسط في تفسير ابن بدران^(١) :

لم يُطَّلِ ابن بدران - رحمه الله - تفسيره ، فسلك سبيل الاختصار فيه ، فقال عند نهاية تفسيره للجزء الأول من القرآن: "إلى هنا انتهى بنا المجال على سبيل الاختصار في تفسير الجزء الأول من كتاب الله تعالى"^(٢) ، بل إنه أحياناً يُورِدُ الأقوال والتفسيرات خاليةً من الأدلة أو التعليقات؛ خوفاً من الإطالة والحشو .

كما أشار إلى عدم رغبته في الإطالة، وذلك عند مناقشة قضية عصمة الأنبياء ، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾^(٣) ، فقال: "وهنا مجالٌ طويلٌ قد أطل علماء التوحيد وغيرهم البحث فيه، وهو الكلام على عصمة الأنبياء ، ولنذكر خلاصته، لأن الكتب مشحونة بما يُغنينا عن الإطالة"^(٤) ، ولما ذكر الأحاديث الصحيحة في تفسير قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾^(٥) ، حرص على عدم الإطالة، فقال: "وفي الباب أحاديث في دواوين المحدثين ليس هنا محلُّ استقصائها"^(٦) .

ومع حرصه على الاختصار في تفسيره، إلا أنه أطل النفس في بعض المسائل واستطرد في بعض المواضع إلى حدٍّ ملحوظٍ، فمن ذلك: تفسيره لقوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٧) ، توسّع، فوضع عنواناً هو: "الرعدُ والبرقُ والصواعق" ، فأطل النفس على غير عادته، فاستغرق تفسيره لها الصفحات من (٨٦) إلى (٩٣)^(٨) .

(١) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران: لعادل الشُّدِّي (٤٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٦٦) .

(٣) سورة البقرة: آية (٣٦) .

(٤) جواهر الأفكار (١٧٨) .

(٥) سورة البقرة: آية (٨٤) .

(٦) جواهر الأفكار (٢٤٩) .

(٧) سورة البقرة: آية (٩) .

(٨) انظر: تفسيره لقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢] ، فاستغرق تفسيره لها من صفحة

٧- أنه تفسيراً فقهي يركّز على آيات الأحكام :

يعد ابنُ بَدْران فقيهاً مجتهداً له آراؤه واستنباطاته وترجيحاته الخاصة ، فتارةً يذكر القول الراجح سواء أوافق مذهبه الحنبلي أم لم يوافقه ، فهو يدور مع الدليل أينما دار^(١) ، وتارة يذكر المسألة الفقهية ، محلاً لها ، ومناقشاً جَوَانِبِهَا ، فهو فقيهٌ له إطلاعه الواسع على المذاهب ، فأمثلاً تفسيره بالأحكام والاستنباطات الفقهية والأصولية ، الخالية من التقليد والاتباع لمذهبٍ دون مذهب .

٨- كثرةُ نُقُولِهِ من كتب التفسير السابقة:

من مميزات تفسير ابنِ بَدْران أنه يذكر اسم العالم الذي ينقل عنه، ويذكر كذلك اسم كتابه ، فظهر عند تتبع هذه المصادر كثرةُ نُقُولِهِ من كتب التفسير السابقة ، لا سيّما تفسير الكشّاف للزّحّشري (ت: ٥٣٨) ، وأحياناً لا يذكر مصدراً بعينه ، فينقل عمّن يسميهم الحكماء ، أو يقول: قال كثيرٌ من المفسرين، ولا يذكر أحداً منهم .

غير أنّ ما ينقله من نصوص من كتب التفسير لم يكن مطابقاً لما فيها، ولعلّه اختصر ما نقله ، أو أنه كان ينقل عن نسخٍ مخطوطة ، أو طبعاٍ قديمة غير مُتَقَنّة ؛ قال زُهَيْر الشّاويش (ت: ١٤٣٤هـ): "وقد رجعنا إلى المواطن التي نقل عنها من المطبوع من تلك التفسير ، ووجدنا بعض الخلاف في شيءٍ كثيرٍ منها ، ولعل سببه أنه اختصر ما نقله ، أو أنه كان ينقل عن نسخٍ مخطوطةٍ ، أو ذات طبعاٍ غير مُتَقَنّة" ^(٢) .

=

(٩٥) إلى (١١٠). وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، من صفحة (١٥٩) إلى (١٦٦) .

(١) من الأمثلة على آراؤه وترجيحاته أنظر: جواهر الأفكار (٣٢٥) ، (٤٥٧، ٤٥٨) ، (٥١٨، ٥١٩) ، وهذه الأمثلة تبيّن اعتماد ابن بدران على الأدلة الصحيحة في ترجيح الأقوال ، وعدم تقييده بتقليدٍ مذهبٍ دون آخر، وهذا يدلُّ على صدقه في الدعوة إلى الاجتهاد ، وتبُّع الأدلة ، ونبذ التقليد الأعمى .

(٢) جواهر الأفكار (١٠) .

٩- المنهجية وحسن التصور لما سيأتي في تفسيره^(١):

لم يكن ابنُ بَدْران يكتب تفسيره دون منهجية وتصوُّر لما يقول، بل كان يكتب وفق منهجٍ محدَّد، فالقارئ لتفسير ابنِ بَدْران يلحظ حسن التصوُّر والتنظيم، فقد يُجِيلُ لمواضع في تفسيره سبقت أوستأتي، أو يُشير إلى بعض المصادر للرجوع إليها، وذلك لتفادي التكرار والاختصار وعدم الإطالة والحشو، مما يؤكِّد على منهجيته وحسن تصوُّره لما يكتب. ومما يدلُّ على ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾^(٢)، قال ابنُ بَدْران: "وفي الآية بحثٌ طويلٌ، ومقامٌ طالما ردَّدته أفهام الفحول، فأصبحت العقول به حيرى، وسيرد عليك أثناء الكتاب حججه ودلائله في مواضعها - إن شاء الله تعالى -، ولكننا نكتب هنا حاصله..."^(٣).

ومما يدلُّ على هذه المنهجية عند ابنِ بَدْران الإحالة إلى كتابٍ آخرٍ له خشية الإطالة، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤): "وقد تكلمنا على تفسير هذه الآية بأطول من هذا في كتابنا الموسوم ب: "الأجوبة عن المسائل القازانية"، مما إيراؤه هنا يجعل الكلام مطولاً، فليراجعهُ مَنْ أَحَبَّ"^(٥).

(١) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران: لعادل الشُّدي (٥٣).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٧).

(٣) جواهر الأفكار (١٣٣).

(٤) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٥) جواهر الأفكار (٣٠٧).

١٠ - ربطُ التفسير بقضايا واقعِهِ ومُجتمَعِهِ^(١):

عُني ابنُ بَدْران بالتعرُّض لقضايا مجتمعه وواقعه المعاصر في تفسيره ، فكان مُصلحاً لمجتمعه ، ومنبهاً على بعض المنكرات ؛ وذلك حرصاً منه على الرُّقي بمجتمعه ، وإصلاح واقع عصره ودعوة الناس إلى الطريق المستقيم، وفي ذلك يقول تلميذه محمدٌ بهجة البيطار (ت: ١٣٩٦هـ) عنه: "وكان له ولشيخنا القاسمي أملٌ كبير، وسعيٌ عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية في هذه الديار؛ فقد أشبها -رحمهما الله - أئمة السلف؛ تعليماً للخوادم، وإرشاداً للعوام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدنيا الفانية"^(٢) .

ومن الأمثلة التي تدلُّ على ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣) ، قال ابن بدران - رحمه الله -: "ويشمل الذمُّ أيضاً لكلِّ قاطعٍ قطع ما أمر الله بوضله...، ولكلِّ مَنْ سعى بالتفريق بين اثنين، أو بين جماعةٍ بغيبة أو نيمية...، ولكلِّ مَنْ احتال على أكل أموال الناس بالباطل...، ولكلِّ مَنْ سعى في قطع طريق خير؛ لأنه لا فرق بين مَنْ يقطع السابِلة على المارّة، وبين مَنْ يُعزقلُ المساعي في الأعمال الخيرية، ولكلِّ مَنْ اختلس المدارس والمساجد وأوقافها؛ لأنَّ المدارس ونحوها سببٌ لإيصال العلم إلى المتعلمين، وقد أمر الله بتلك الوصلة، فالساعي في اختلاسها قاطعٌ لما أمر الله به أن يُوصَلَ"^(٤) .

ففي هذه الآية نلاحظُ أنه ربط التفسير بواقع مجتمعه ، فأدخل تحت هذه الآية عدداً من الأمور التي كانت منتشرةً في زمانه ، نداءً منه لترك هذه الأمور.

(١) مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران: لعادل الشّدي (٦١) .

(٢) مقدمة جواهر الأفكار (١٧).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٧).

(٤) جواهر الأفكار (١٣٨). انظر أيضاً: تعرُّضه لبعض القضايا في عصره في تفسيره جواهر الأفكار (٣٢٠)،

و(١٤٦)، و(١٤٨، ١٤٩) و(١٩٥) و(٣٥٦) .

١١- بروز عقيدة ابن بَدْران الصافية في تفسيره ، يشوبها شيءٌ من المصطلحات المخالفة:

فتفسير ابن بَدْران حوى عدداً لا بأس به من قضايا العقيدة التي تبيّن سلامة وصفاء معتقد ابن بَدْران، ونصرته لمذهب السلف، وأتباعه له، وقد أشار عادل الشّدي في كتابه (منهج ابن بدران في تفسيره) إلى بعض هذه القضايا العقدية بما فيه الكفاية^(١). وعلى الرغم من بروز هذه العقيدة السلفية لابن بَدْران في تفسيره، وصفاء معتقده، إلا أنه مازال للفلسفة وعلم الكلام أثرهما في نفسه وتفكيره وتفسيره ، ولم يزل يُعاني من آثار الفلسفة وعلم الكلام في تفسيره ، وإن كنا لا نُشكك في توجّهه إلى مذهب السلف . ومن مظاهر تأثر ابن بَدْران بالمتكلمين والفلاسفة تلفّظه - أحياناً - بعباراتٍ غير مضبوطةٍ شرعاً، وهي مما لا يليق بالباري تعالى ، ومنها قوله: "وقال بعضهم: إن للوحي بالتوراة ثلاثة طرق: أولها: تبليغ الأنبياء لأفكار الله، بصفة نُؤابٍ عنه نيابةً مطلقة"^(٢) ، فقولهُ: «أفكارُ الله» لا يُشعر بتعظيم الخالق سبحانه وتعالى ؛ لأن التفكير صفة المخلوقين .

ومن ذلك أيضاً إطلاقه وصفَ الصانع على الله تعالى ، وهو لفظٌ جرى على ألسنة المتكلمين ، ولم يكن علماء السلف يصفون الله تعالى به ، يقول ابن بَدْران: "فأقول: حيث إنَّ الصانع جلّ وعلا هو المُوجدُ لجميع الكائنات..."^(٣) .

(١) انظر بعض هذه الأمثلة في كتاب: منهج ابن بدران في تفسيره: لعادل الشّدي (١٣١-١٣٧) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٦) .

(٣) المرجع السابق (٩٧) . وانظر للاستزادة : منهج ابن بَدْران في تفسيره: لعادل الشّدي (١٤٠- وما بعدها).

رابعاً: مصادره في تفسيره جواهر الأفكار .

لمحة عن مصادر ابن بدران في تفسيره:

من مميزات تفسير ابن بدران أنه يذكر اسم العالم الذي ينقل عنه، واسم كتابه ، كما أنه يكثر من ذكر المصادر في مواضع الآيات التي تضمنت قضايا تباينت فيها أقوال المفسرين ، واختلفت آراؤهم .

كما أن ابن بدران لا يُخفي ميله إلى بعض المصادر؛ كالكشاف للزحشري (ت: ٥٣٨هـ) ، ولكنه وقع في مزالقه وأخطائه - رحمهما الله - . وتميز تفسير ابن بدران أيضاً بتنوع المصادر ؛ حيث اشتملت على كتب التفسير وعلوم القرآن، والسنة النبوية وعلومها، والعقيدة، والفقه وأصوله، واللغة العربية وعلومها، وقد زادت مصادره على مائة وثلاثين مصدراً^(١) ، وليس القصد هاهنا حصر كل ما اعتمد عليه من المصادر ، بل المراد الإشارة إلى ما عوّل عليه من المصادر التي استقى منها معارفه وعلومه من خلال ما وقفت عليه ، وقد وُفق عادل الشدّي لحصر هذه المصادر ، وبالتالي خدّم من سيأتي بعده من الباحثين ممن سيتتبع هذه المصادر ، وسأذكرها مرتبةً كما قسمها - وفقه الله - فيما يلي:

١ - مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن:

يلحظ من قرأ تفسير ابن بدران أنه يكثر من النقل عن ثلاثة تفاسير هي: جامع البيان للطبري (ت: ٣١٠هـ) ؛ حيث نقل عنه في ستة وستين موضعاً ، والكشاف للزحشري (ت: ٥٣٨هـ) حيث نقل عنه في ستة وثلاثين موضعاً ، ومفاتيح الغيب للرازي (ت: ٦٠٦هـ) حيث نقل عنه في أربعة وأربعين موضعاً .
وفيما يلي سأعرض لبقية مواردِه على سبيل الإشارة .

(١) منهج ابن بدران في تفسيره جواهر الأفكار: لعادل الشدّي (١٤) .

م	الكتاب الذي نقل عنه	عدد المواضع	محلها في تفسير ابن بدران
٤	مفتاح الباب المُقفل: للحَرَلِيِّ (ت: ٦٣٨هـ) .	١٨ موضعًا	٢١٤، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٩٩، ٤١٠، ٤١٧، ٤١٨، ٤٤٣، ٤٦١، ٤٧١، ٤٨٠، ٤٩٢
٥	تفسير البحر المحيط: لأبي حَيَّان (ت: ٧٤٥هـ) .	١٥ موضعًا	٢٧٤، ٢٨٣، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٥٣، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٨٣، ٤٤٩، ٤٤٥، ٤٦٠، ٤٩٣
٦	نظم الدرر في تناسب الآيات والسُور: للِبَقَاعِيِّ (ت: ٨٨٥هـ) .	٨ مواضع	٧١، ١٨٧، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٧٣، ٢٨٠، ٣٤٣، ٤٥٣
٧	تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله (ﷺ) والصحابة والتابعين: لابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) .	٦ مواضع	١٦٨، ٢٧١، ٢٧٠، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٨١
٨	المُحَرَّرُ الوَجِيز في تفسير الكتاب العزیز: لابن عَطِيَّة (ت: ٥٤٦هـ) .	٥ مواضع	٢٦٧، ٣٠٧، ٣٢٠، ٤٤٤، ٤٥٩
٩	جامع التفاسير: للرَّاعِب الأصفهانيّ (ت: ٤٠٠هـ) .	٤ مواضع	٢٩٧، ٣٣٩، ٣٣٦، ٥٢١
١٠	تفسير جامع التأويل لمحكم التنزيل:	٤ مواضع	١٧٥، ٣٠٨، ٤٨٠

٥١٥		لابن بحر المُعْتَرِي (ت: ٣٢٢هـ)	
٣٥٢ ، ٢٨٦ ، ٢٦٧	٣ مواضع	التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل: للمَهْدَوِيِّ (ت: ٤٤٠هـ).	١١
٣٣ ، ٣٢٣ ، ١٠٦	٣ مواضع	الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور: للسُّيُوطِي (ت: ٩١١هـ) .	١٢
٤٣ ، ١٠٦ ، ٣٣	٣ مواضع	أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي (ت: ٧٩١هـ) .	١٣
٤٦ ، ٣٨٨ ، ٢٨٦	٣ مواضع	معاني القرآن وإعرابه: للزَّجَّاج (ت: ٣١١هـ) .	١٤
٥٠١ ، ١٢٨ ، ٢٨٦	٣ مواضع	معاني القرآن: للفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ) .	١٥
٢٠ ، ١٨٧ ، ٩٤	٣ مواضع	معاني القرآن: للكسائي (ت: ١٨٩هـ) .	١٦
٥٢٣ ، ٥٢١	موضعان	تفسير السراج المنير: للخطيب الشَّريفي (ت: ٩٧٧هـ) .	١٧
٤٠٦ ، ٣٢٩	موضعان	تفسير ابن مَرْدُويَّة (ت: ٤١٠هـ) .	١٨
٥٠٩ ، ٣٢٢	موضعان	لطائف الإشارات: لأبي القاسم القُشَيْرِي (ت: ٤٦٥هـ) .	١٩
٣٥٤ ، ٢٦٠	موضعان	المُنْتَخَب: لأبي بكر الرَّازِي (ت: ٦٠٦هـ) .	٢٠
٣٥٧ ، ٣٥٠	موضعان	التيسير: لعبد العزيز الدِّيريني الشهير بالدِّميري (ت: ٦٩٤هـ) .	٢١
١٧٦ ، ١٧٥	موضعان	تفسير مُنْذِر البُلُوطِي (ت: ٣٥٥هـ) .	٢٢
٤٦٠ ، ٣٢٢	موضعان	تفسير عَرَائِب القرآن ورغائب	٢٣

		الفرقان: للنيسابوري (ت: ٧٢٨هـ) .	
٢٨٣، ٢٦٠	موضعان	النَّهْرُ المادَّ مختصر البحر المحيط: لأبي حيّان (ت: ٧٤٥هـ) .	٢٤
٢٨٨، ٢٠٥	موضعان	معاني القرآن: للأخفش (ت: بعد سنة ٢٠٧هـ) .	٢٥
٣٢٧، ٢٢٥	موضعان	الحجّة: لأبي عليّ الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ) .	٢٦
٤٦٨، ٣٥٦	موضعان	تفسير القرآن: لابن المنذر (ت: موضعان ٣١٨هـ) .	٢٧
١٧٥	موضع	النُّكْت والعيون: لأبي الحسن الماورديّ موضع (ت: ٤٥٠هـ) .	٢٨
٥١٣	موضع	أسباب النزول: للواحيديّ (ت: ٤٦٨هـ) .	٢٩
٤٧٤	موضع	معالم التنزيل: للبعويّ (ت: ٥١٦هـ) موضع	٣٠
١٥٠	موضع	تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) .	٣١
١٠٦	موضع	تفسير الخازن المسمّى لباب التّأويل: للخازن (ت: ٧٢٥هـ) .	٣٢
١٠٦	موضع	عناية القاضي: للشّهاب الحفّاجيّ (ت: ١٠٦٩هـ) .	٣٣
١١٨	موضع	حاشية أوائل الكشاف: للشّريف الجزّجانيّ (ت: ٨١٦هـ) .	٣٤
٣١٩	موضع	أحكام القرآن: لأبي بكر الرّازي (ت: موضع ٦٠٦هـ) .	٣٥

٣٥٣	موضع	تفسير الكفيل: للقاضي الكِنْدِيّ (ت: ٧٤١هـ) .	٣٦
٣٩٨	موضع	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للأوسِيّ (ت: ١٢٧٠هـ) .	٣٧
٣٩٨	موضع	تفسير سورة الفاتحة: للفنَّارِيّ (ت: ٨٣٤هـ) .	٣٨
٣٦٢	موضع	مفردات ألفاظ القرآن: للرَّاغِبِ الأصْفَهَانِيّ (ت: في حدود ٤٠٠هـ) .	٣٩
٤٦٨	موضع	معاني القرآن: لأبي عُبيدَةَ معمر بن المثنى (ت: هـ) .	٤٠
٤٩٨	موضع	تفسير النَّسَائِيّ (ت: ٣٠٣هـ) .	٤١
٥١٦	موضع	تفسير السَّمَرَقَنْدِيّ المسمَّى بحر العلوم (ت: ٣٧٥هـ) .	٤٢
٥٢٤	موضع	الانتصاف: لأحمد الإسكَنْدَرِيّ .	٤٣
٣٤٤	موضع	بصائر دَوِي التَّمْيِيز: للفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) .	٤٤

٢- : مصادره من كتب السنة وعلومها:

وَوَظَّفَ ابْنُ بَدْرَانَ السَّنَةَ وعلومها في خدمة تفسيره، فالسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وتفسير القرآن بالسنة من جملة التفسير بالمأثور الذي حَرَّصَ عليه، ولذلك ظهرت عنايته بكتب السنة وعلومها بشكلٍ ملحوظ .

ومن خلال النظر في مصادر السنة وعلومها في تفسير ابن بَدْرَانَ أمكن التوصل إلى أنه يقف عند ما وَرَدَ في السنة من تفسيرٍ لكلام الله تعالى إذا صحَّ النقل عن رسول الله (ﷺ) ^(١) ، كما أن لابن بَدْرَانَ إسناداً متصلاً بالبُخَارِيِّ (ت: ٢٥٦هـ) ، ومسلم (ت: ٢٦١هـ) ، والترمذي (ت: ٢٧٩هـ) ^(٢) ، ولم يذكر في كتابه شيئاً من الأحاديث الضعيفة إلا فيما نَدَرَ ^(٣) ، وكان يتكلم أحياناً عن رجال الأحاديث، خاصةً في الأحاديث التي المحكوم بضعفها ، فكان يذكر كلام أهل العلم فيهم ^(٤) .

وكان من مصادره في هذا الجزء الذي وصل إلينا من تفسيره:

م	الكتاب الذي نقل عنه	رقم الصفحة في تفسير ابن بدران
١	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه: للبُخَارِيِّ	٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٦ ، ٤٨٢ ،

(١) وفي ذلك يقول ابن بَدْرَانَ: "وحيث صحَّ هذا التفسير عن النبي (ﷺ) ، فلا يُعَدُّلُ إلى غيره" . جواهر الأفكار (٣٧٢).

(٢) وقد أشار إلى ذلك في كتابه بقوله: "وقد قرَنَ الله تعالى عقوق الوالدين بالشُّرك فيما رَوَيْنَاهُ من طريق البُخَارِيِّ ، ومسلم ، والترمذي ، عن أبي بَكْرَةَ ، أنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : «أَلَا أُنبئُكُمْ بأَكْبَرِ الكِبَائِرِ؟ - ثلاثاً-»" . جواهر الأفكار (٢٤٤) . والحديث أخرجه البُخَارِيُّ في صحيحه (٣/ ١٧٢) ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، حديث رقم (٢٦٥٤) . ومسلم في صحيحه (١/ ٩١) ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، حديث رقم (٨٧) . والترمذي في سننه (٣/ ٣٧٦) ، أبواب البر والصلة ، باب ماجاء في عقوق الوالدين ، حديث (١٩٠١) .

(٣) انظر (٢٦٨).

(٤) انظر: جواهر الأفكار (١٢٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤).

٥٠١	(ت: ٢٥٦هـ) .	
٢٤٩ ، ٢٤٤ ، ٣٨٠ ، ٥٠١	المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ): (ت: ٢٦١هـ) .	٢
٢٤٩ ، ٢٤٤ ، ٦٥ ، ٣٧٣ ، ٣٤٢ ، ٣٢٤ ، ٤١٢ ، ٤٠٦ ، ٣٨٠ ، ٤٩٧ ، ٤٨٢	الجامع المختصر من السنن عن رسول الله (ﷺ) ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل: للترمذي (ت: ٢٧٩هـ) .	٣
٤٥٦ ، ٣٨٠ ، ٣٢٥ ، ٤٩٤ ، ٤٦٠	السنن: لأبي داود (ت: ٢٧٥هـ) .	٤
٣٧٣ ، ٣٤٢ ، ٢٤٩ ، ٥٠١	المجتبى من السنن: للنسائي (ت: ٣٠٣هـ) .	٥
٣٨٠ ، ٣٢٥ ، ٥٩ ، ٤١٢	السنن: لابن ماجه (ت: ٢٧٥هـ) .	٦
٣٤٢ ، ٣٢٥ ، ٢٧١ ، ٤٩٤ ، ٤٦٠ ، ٣٧٢	مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ت: ٢٤١هـ) .	٧
١٢٣	سنن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ) .	٨
٤٩٤ ، ٤٥٦ ، ٣٢٥	سنن الدارقطني (ت: ٣٠٦هـ) .	٩
٣٧٢	سنن سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ) .	١٠
٤٠٦ ، ٣٢٩ ، ٣٢٥ ، ٤١٢	المستدرک علی الصحیحین: للحاکم التیسابوری (ت: ٤٠٥هـ) .	١١
٤١٢	مسند أبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ) .	١٢
٣٢٥ ، ٢٧١	مسند أبي داود الطيالسي (ت: ٢٠٤هـ) .	١٣
٣٣٥ ، ٣٢٤ ، ٢٧١	المنتخب من مسند عبد بن حميد (ت:)	١٤

٤١٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٣ ٤٦٨ ، ٤١٥	٢٤٩هـ) .	
٣٨١ ، ٣٢٩ ، ٣٢٤ ٤٦١	السنن الكبرى: للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) .	١٥
٤١٢ ، ٣٢٤ ، ٢٧١	المعجم الكبير: للطبراني (ت: ٣٦٠هـ) .	١٦
٣٨٠ ، ٢٧٣	مسند إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ) .	١٧
٤٨٩ ، ٤٦٠	المصنّف: لعبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ)	١٨
٣٨١	المصنّف: لابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) .	١٩
٢٧١	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشرعية: للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) .	٢٠
٢٧١	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ) .	٢١
٤٥٦ ، ١٢٤	العِلل: للنسائي (ت: ٣٠٣هـ) .	٢٢
٤٨٣ ، ١٢٤	العِلل: لأبي حاتم البستي (ت: ٣٥٤هـ) .	٢٣
٤٥٦	العِلل: للترمذي (ت: ٢٧٩هـ) .	٢٤
٤٥٦	البحرُ الرّخّار المعروف بمُسندِ البزار (ت: ٢٩٢هـ) .	٢٥
٣٨٠ ، ٢٢٦	فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) .	٢٦
١٢٤	الكامل في الضعفاء: لابن عدي (ت: ٣٦٥هـ) .	٢٧
٣٧٣	الكنى: للحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)	٢٨
٤٠٦	المعجم الأوسط: للطبراني (ت: ٣٦٠هـ) .	٢٩
٤٠٦	المصاحف: لابن أبي داود (ت: ٣١٦هـ) .	٣٠

٤٨٤	مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجة: للْبُوصَيْرِي (ت: ٨٤٠هـ) .	٣١
٤٥٦	الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : لِلْمُنْذِرِي (ت: ٦٥٦هـ) .	٣٢
٥١٠	الأدب المفرد: لِلْبُخَارِيِّ (ت: ٢٥٦هـ) .	٣٣
٥٢٠ ، ٤٩٨ ، ١٢٤	التاريخ الكبير: لِلْبُخَارِيِّ (ت: ٢٥٦هـ) .	٣٤
٤٩٩	شرح صحيح مُسْلِمِ الْمَسْمِيِّ الْمُفْهِمُ شرح صحيح مُسْلِمِ: لِلْقُرْطُبِيِّ (ت: هـ) .	٣٥
٤٩٧	عُمْدَةُ الْقَارِي شرح صحيح الْبُخَارِيِّ: لبدر الدين الْعَيْنِي (ت: ٨٥٥هـ) .	٣٦
٤٩٣ ، ٢٢٦	زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن الْقَيْمِ (ت: ٧٥١هـ) .	٣٧
٤٥٦	الثَّقَاتُ: لابن حَبَّان (ت: ٣٥٤هـ) .	٣٨
٣٧٣	الأفراد: لِلدَّارِقُطِيِّ (ت: ٣٠٦هـ) .	٣٩
٣٨١	الناسخ والمنسوخ: لأبي دَاوُد (ت: ٢٧٥هـ)	٤٠
٤٠٩	تنقيح تحقيق أحاديث التَّعْلِيْق: لشمس الدين بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤هـ) .	٤١
١٨٠ ، ١٦٩	تاريخ دمشق: لابن عَسَاكِر (ت: ٥٧١هـ) .	٤٢
٢٧٠	الرَّوْضُ الْأَنْفُ فِي شرح السيرة النبوية: لابن هِشَام: لِلشُّهَيْلِيِّ (ت: ٥٨١هـ) .	٤٣
٢٤٥ ، ٢٠٢	مُقَدِّمَةُ ابن خَلْدُون (ت: ٨٠٨هـ) .	٤٤
٤٧٤	السيرة النبوية: لابن هِشَام (ت: ٢١٣هـ) .	٤٥

٣- مصادره من كتب العقيدة:

لم يُخفِل الجزء المطبوع من تفسير ابن بَدْران بذكر عددٍ وافٍ من مسائل العقيدة ؛ ربما لأنَّ البحث في تفسير هاتين السورتين - الفاتحة ، والبقرة - لم يُلجِئُهُ إلى خَوْضِ غمار الكثير من مسائل العقائد ، غير أن الذي يمكن الإشارة إليه في ذلك أن كتب العقيدة التي ذُكرت في هذا الجزء - على قلتها - يعلَب عليها التوجُّه الأشعري .

ولكن ينبغي القول بأن ابن بدران لم يستدل بهذه المصادر في بحث مسائل الخلاف بين عقيدة أهل السنة والأشاعرة ، وإنما كان استدلاله بها في مواضع الاتفاق بينهما .

فمن موارد ابن بدران من كتب العقيدة ما يلي:

م	الكتاب الذي نَقَلَ عنه	رقم الصفحة في تفسير ابن بدران
١	المواقف في علم الكلام: لعَضُد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت: ٧٥٦هـ) .	٢٩٣ ، ١٠٠
٢	حاشية على شرح المواقف: لعبد الحكيم السَيَّالْكُوتِي (ت: ١٠٦٧هـ) .	٢٩٣
٣	شُعَب الإيمان: للحلّيمي (ت: ٣٤٠٠) .	٥٠٩
٤	الملل والنحل: للشَّهْرِسْتَانِي (ت: ٥٤٨هـ) .	٢١٦
٥	الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حَزْم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) .	٢٣٤
٦	كتاب الإيمان: لابن تَيْمِيَّة (ت: ٧٢٨هـ) .	٤٤٢ ، ١٦١
٧	الأسماء والصفات: للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) .	٥٠٩ ، ٣٧٣
٨	بذل المجهود في إقناع اليهود: للحكيم السَّمَوَّال بن يَهُودَا (ت: ٥٧٠هـ) .	٢٣١ ، ١٩٠
٩	البعث والنشور: للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) .	٣٧٢

رابعاً: مصادره من كتب الفقه وأصوله:

تخصَّصَ ابنُ بَدْرانٍ في الفقه وأصوله، وله فيهما مصنفاً كثيرة، وهو يميل إلى الاجتهاد وترك التقليد، بل إنه يُحَرِّمُ التقليد، ويحملُ كثيراً على المقلِّدين، ومن خلال تتبُّعِ مسائل الفقه المنثورة في تفسيره، ظهر اهتمامه بكتب الحنابلة المشهورة، إضافةً إلى بعض كتب المالكية، وكتب الفقه المقارن والعام، وبعض كتب الأصول.

وابنُ بَدْرانٍ لا يعرف التعصُّب المذهبي؛ ولذلك فقد كان يُرَجِّحُ القول الذي صحَّ عنده ولو كان مخالفاً لمذهبه^(١)، ويميل إلى تفصيل القول في مسائل الفقه، فيذكر الخلاف في المسألة، ويذكر أدلة كلِّ فريق، ثم يذكر القول الراجح، وقد لا يخلو هذا الترجيح من بحثٍ أصولي مفيد^(٢).

أما موارد ابن بدران في هذا الجزء من تفسيره فهي كالتالي:

أولاً: من كتب الحنابلة:

٥٢٠، ٤٠٨	١- الفروع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: لابن مُفْلِحِ الحَنْبَلِيِّ (ت: ٧٦٣هـ).
٥٩	٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية: لابن مُفْلِحِ الحَنْبَلِيِّ (ت: ٧٦٣هـ).
٤٨٤	٣- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب أحمد: لابن قدامة المقدسي (ت: ٥٤١هـ).

(١) مثال ذلك قوله: (واستدلَّ مالكٌ من قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، على أنَّ المصلي ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده، خلافاً للثوري والشافعي والحسن بن حيي: في أنه يُسْتَحَبُّ أن ينظر القائم إلى موضع سجوده، وفي الركوع إلى موضع قدميه، وفي السجود إلى موضع أنفه، وفي القعود إلى موضع حجره) انتهى. ثم قال: (قلت: والنظر إلى موضع سجوده هو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد، خلافاً لمالك كما علمته سابقاً، وما ذكره مالكٌ حسنٌ ظاهرٌ من الآية). جواهر الأفكار: (٣٨٣).

(٢) انظر: جواهر الأفكار: (٤٠٨-٤١٠).

	(٦٢٠هـ)
٤٠٨	٤- التعليق الكبير: لأبي يعلى الفراء .
٥٢٣	٥- المُفْنَع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشَّيبَانِي: لابن قُدَامَةَ المَقْدِسِي (ت: ٦٢٠هـ) .
٥٢٠	٦- مُنْتَقَى الأخبار في أحاديث الأحكام: مجد الدين عبد السلام بن تَيْمِيَّة (ت: ٦٥٢هـ) .

ثانيًا: ومن كتب المالكية:

٣٨٢، ٢٥٥	٧- الموطأ: للإمام مالك (ت: ١٧٩هـ) .
٣٨٢	٨- الاستذكار: لابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣هـ) .
٢٥٥	٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣هـ) .

ثالثًا: ومن كتب الشافعية:

٤٦٠	١٠- روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي .
-----	---

رابعًا: ومن كتب الفقه المقارن والعام:

٤٥٨، ٤١٣	١١- المُحَلَّى: لابن حَزْم الظَّاهِرِي (ت: ٤٥٦هـ)
٤٤٦	١٢- الإجماع: لابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣هـ) .
٤٦٠	١٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار: للشَّوْكَانِي (ت: ١٢٥٠هـ)

خامسًا: ومن كتب الأصول:

٤٨٤، ٢٩٤	١٤- الإحكام في أصول الأحكام للآمديّ ت ٦٣١هـ
٤٨٤	١٥- مُخْتَصِر الرُّوْضَةِ: للطُّوفِي (ت: ٧١٦هـ) .

خامساً: مصادره من كتب اللغة وعلومها:

اعتنى ابنُ بَدْرانٍ باللغة وعلومها ، غير أنَّ الناظر في موارده من كتب اللغة لا يجد ذلك الاهتمام الذي أولاه كُتُبُ التفسير والحديث، فهو كثيراً ما يُهمل ذكر المصدر ويكتفي بذكر صاحبه، وكذلك فإنه يتناول كثيراً من المسائل والقضايا اللغوية ، دون الاستشهاد بكلام أحدٍ من اللُّغَوِيِّين، ساعده على ذلك ثقافته اللغوية الواسعة، واعتداده الكبير بنفسه ، على أنَّ ذلك لا يمنع من رجوعه إلى المصادر اللُّغوية في بعض المواضع .

أما مجمل ما أورده ابن بدران من كتب اللغة فهي كالتالي:

١	الكتاب لعَمْرٍو بن عثمان المعروف بسَيِّوَيْه (ت: ٥٠، ١٢٨، ٤٤ هـ) . (١٨٠هـ) .
٢	تهذيب اللغة: للأزْهَرِي (ت: ٣٧٠هـ) . ٣٤٤
٣	العين: للخليل الفَرَاهِيدِي (ت: ١٧٥هـ) . ٣٥٩
٤	الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجَوْهَرِي (ت: ٣٩٣هـ) . ٣٤٤
٥	النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (ت: ١٧٧، ٥٢٠ هـ) . (٦٠٦هـ) .
٦	القاموس المحيط: للفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) . ٢٣٧ ، ٢٨٥ ، ٤٩٣ ، ٤٧٢
٧	تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي (ت: ٣٩٩ هـ) . (١٢٠٥هـ) .
٨	المَطَوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم: لسعد الدين (ت: ٧٩٢هـ) . ٥٢٧
٩	المُخْتَصَر: لسعد الدين التُّفْتَّازِي (ت: ٧٩٢هـ) . ٥٢٧

٥٠١	البديع: لابن خَالَوَيْه .	١٠
٤٩٣	العُباب الزَّاحِر: لِلصَّعَّانِي (ت: ٦٥٠هـ) .	١١
٣٥٤	شرح المغني: لمحمد بن بدر الدِّين الدَّمَامِينِي (ت: ٨٢٧هـ) .	١٢
٣٥٤	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك (ت: ٦٧٢هـ) .	١٣
٣٥٤	مُغْنِي اللَّيْب: لابن هشام (ت: ٧٦١هـ) .	١٤
٢٦٠	إيضاح المعالم بشرح ألفية ابن مالك: لابن بَدْران (ت: ١٣٤٦هـ) .	١٥
٤٩٣	جمهرة اللغة: لابن دُرَيْد (ت: ٣٢١هـ) .	١٦
٥٠	المقتضب: لأبي العباس المُبَرِّد (ت: ٢٨٥هـ) .	١٧
١٣٤	إصلاح المنطق: لابن السَّكِّيت (ت: ٢٤٤هـ) .	١٨

وبقي من مصادره ما يلي:

٢٨٥	معجم البلدان: لياقوت الحَمَوِي (ت: ٦٢٦هـ) .	١
١٥٢	التحفة الشَّهِيَّة: للشَّيرَازِي (ت: ٧١٠هـ) .	٢
١٨٥	رشفُ النصائح الإيمانية: للسَّهْرُورِي	٣
٢٩٢	حيِّ بنِ يَفْظَانَ: لابن طُقَيْل (ت: ٥٨١هـ) .	٤
٢٩٤	غاية الحكيم : لمسلمة بن أحمد المَحْرِيْبِي الأَنْدَلُسِي	٥
٤٢٢ ، ٢٩٤	الشَّفا: لابن سِينَا (ت: ٤٢٨هـ) .	٦
٨٥	مفتاح دار السَّعادة: لابن القَيْم (ت: ٧٥١هـ) .	٧
١٧٥	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لابن القَيْم .	٨

الفصل الثاني

الفصل الثاني مفهوم الاستنباط من القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

- ❖ المبحث الأول: تعريف الاستنباط في اللغة والاصطلاح .
- ❖ المبحث الثاني: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح .
- ❖ المبحث الثالث: الفرق بين الاستنباط والتفسير .

المبحث الأول: تعريف الاستنباط في اللغة والاصطلاح .

أولاً: الاستنباط في اللغة :

تدور مادة "نَبَطَ" على أصلٍ واحد ، وهو استخراج شيءٍ^(١) ، وإنْبَاطُ الماء ، واستنباطُهُ: إخراجُه، واستخْرَاجُهُ^(٢)، وعليه فالاستنباط هو: استفعالٌ من أَنْبَطْتُ كذا^(٣)، ومعناه: الاستخراج^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٥) ، أي: يستخرِجُونَهُ^(٦) .

والنون والباء والطاء في لغة العرب كلمةٌ تدلُّ على استخراج الشيء والانتهاء إليه^(٧)، واستنبط الفقيه ، أي: استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه^(٨) ، قال الرَّجَّاحُ^(٩) (ت: ٣١١): "معنى يَسْتَنْبِطُونَهُ في اللغة: يَسْتَخْرِجُونَهُ"^(١٠) .

وقال الطَّبْرِي (ت: ٣١٠): "وكلُّ مَنْ أخرج شيئاً كان مُسْتَنْبِطاً عن إِبصار العيون ،

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس مادة نَبَطَ (٥ / ٣٨١) .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد: للهَمْدَانِي (١ / ٧٦٩) .

(٣) المفردات في غريب القرآن: للرَّاعِبِ الأَصْفَهَانِي (٧٨٨) .

(٤) لسان العرب: لابن مَنْظُور (٧ / ٤١٠) ، والصَّحَّاح: للحَوْهَرِي (٣ / ١١٦٢) ، وتهذيب الصَّحَّاح: للرُّجَّاحِي

(٥) (٢ / ٤٦٥) ، والفريد في إعراب القرآن المجيد: للهَمْدَانِي (١ / ٧٦٨) ، وشمس العلوم: للحَمِيرِي (١٠ / ٦٤٧٥) .

(٦) النساء: الآية (٨٣) .

(٧) مجاز القرآن: لأبي عُبَيْدَةَ (١ / ١٣٤) ، وغريب القرآن وتفسيره: للرَّيْدِي (١٢٢) ، وتفسير غريب القرآن:

لابن قُتَيْبَةَ (١٣٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه: للرَّجَّاح (٢ / ٨٣) ، ومعاني القرآن: للرَّجَّاح (٢ / ١٤١) ،

والمفردات في غريب القرآن: للأَصْفَهَانِي (٧٨٨) ، ومعالم التنزيل: للرَّبَّعِي (١ / ٦٦٧) ، وعمدة الحُفَّاط: للرَّسْمِي

الحَلْبِي (٤ / ١٣٨) ، وتفسير القرآن: للعُرِّي بن عبد السلام (١ / ٣٣٨) .

(٧) العين: للتحليل القرآني (٧ / ٤٣٩) ، ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٥ / ٣٨١) .

(٨) تهذيب اللغة: للأزْهَرِي (١٣ / ٢٥٠) ، والتفسير الكبير: للرَّازِي (١٠ / ١٥٣) ، ولُباب التَّأْوِيل: للخازن:

(١ / ٤٠٣) ، واللُّبَّاب في علوم الكتاب: لابن عادل الدَّمَشْقِي (٦ / ٥٢٢) .

(٩) إبراهيم بن محمد بن السَّرِّي الرَّجَّاح، ولد سنة (٥٢٤١هـ)، من شيوخه: المُبَرِّدُ وثعلب، ومن تلاميذه: أبو علي

القَارِسِي، والنَّحَّاس ، ومن مؤلفاته: معاني القرآن ، والاشتقاق، والعروض. انظر ترجمته في: وَفِيَّات الأعيان: لابن

خَلِّكَان (٤٩) ، وسَيْرُ أَعْلَام النُّبَلَاء: للدَّهْمِي (١١ / ٢٢٢) ، ومعجم المؤلفين: لعمُر كَحَّالَةَ (١ / ٣٣) .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه: للرَّجَّاح (٢ / ٨٣) .

أو عن معارف القلوب فهو مُسْتَنْبِطٌ له ، يقال: اسْتَنْبَطْتُ الرِّكِيَّةَ ^(١) : إذا اسْتَخْرَجْتُ ماءَهَا، والنَّبْطُ: الماءُ المستنبط من الأرض ^(٢) ، وأصله من النَّبَط: وهو الماء الذي يخرج من قَعْرِ البئر أول ما تُخْفَرُ ، ويطلق كذلك على ما يُتَحَلَّبُ من الجبل ، كأنه عَرَقٌ يخرج من أَعْرَاضِ الصُّخُورِ ^(٣) ، يقال: (قد أَنْبَطَ فلانٌ في عَضْرَاءٍ) أي اسْتَنْبَطَ الماء من طِينٍ حر ^(٤) ، ويقال: (نَبَطْتُ البئر) إذا أخرجت منها النَّبَطَ ^(٥) ، وإنْبَاطُ الماء ، واسْتَنْبَاطُه: إخراجُه ، واستخراجه ^(٦) ، ويقال: (نَبَطَ العلم) أي: أظْهَرَه، ونَشَرَه في الناس، و(أَنْبَطَ الشيء) أي: أظْهَرَه ^(٧) ، و(استنبطت منه علماً أو خبراً أو مالاً) إذا استخرجته منه ^(٨) .

ويظهر من التعاريف السابقة أنَّ لفظ الاستنباط في اللغة هو: الاستخراج والإظهار بعد خفاء . ويدل على ذلك قول المُتَنَجِّبِ الهَمْدَانِيِّ ^(٩) (ت: ٦٤٣هـ) : "يُقَالُ لِكُلِّ مَا اسْتُخْرِجَ حَتَّى تَقَعَ عَلَيْهِ رُؤْيَا الْعَيُونِ، أَوْ مَعْرِفَةَ الْقُلُوبِ؛ قَدْ اسْتَنْبَطَ" ^(١٠) . وقول الرِّبِيدِيِّ ^(١١) (ت: ٣٧٩هـ) : " وَكُلُّ مَا أَظْهَرَ بَعْدَ خَفَاءٍ فَقَدْ أَنْبَطَ وَاسْتَنْبَطَ، وَفِي الْبَصَائِرِ: وَكُلُّ شَيْءٍ أَظْهَرْتَهُ بَعْدَ خَفَائِهِ، فَقَدْ أَنْبَطْتَهُ وَاسْتَنْبَطْتَهُ" ^(١٢) .

(١) "الرِّكِيَّةُ" هي: البِئْرُ. انظر: القاموس المحيط: للفيروز آبادي (١٢٩٠) .

(٢) جامع البيان (٢٥٥/٧) .

(٣) تهذيب اللغة: للأزهري (٢٤٩ / ١٣) .

(٤) معاني القرآن و إعرابه: للزجاج (٨٣ / ٢) .

(٥) معاني القرآن الكريم: للنحاس (١٤١ / ٢) .

(٦) الفريد في إعراب القرآن المجيد: للهمداني (٧٦٩ / ١) .

(٧) تاج العروس: للربيدي (١٣٤ / ٢٠) ، معجم متن اللغة: لأحمد رضا (٣٨٦ / ٥) .

(٨) جمهرة اللغة: لابن دُرَيْدٍ (٣٦٢ / ١) ، تاج العروس: للربيدي (١٣٢ / ٢٠) .

(٩) هو المُتَنَجِّبُ بن يَعْقُوبَ الهَمْدَانِيُّ، وَرَوَى عَنْ: ابن طبرزد، والكِنْدِيِّ، وتلا عليه: الصَّائِنُ الوَاسِطِيُّ ، والنَّظَامُ التَّبْرِيذِيُّ ، من آثاره: شرح المفصل للزُّخْرِي ، والدُّرَّةُ الفريدة، والفريد في إِعْرَابِ القرآن المجيد. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: للدَّهَبِيِّ (٤٠٥/١٦) ، والأعلام: للزُّكَلِيِّ (٢٩٠/٧) ، ومعجم المؤلفين: لعُمر كَحَّالَةَ (٧ / ١٣) .

(١٠) الفريد في إعراب القرآن المجيد: للهمداني (٧٦٨ / ١) .

(١١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحُسَيْنِيُّ الرِّبِيدِيُّ، من مؤلفاته: تاج العروس، و إتحاف السادة المتقين، وأسانيد الكتب الستة. انظر ترجمته في: حلية البشر: للبيطار (٣١٤ / ٤) ، والأعلام: للزُّكَلِيِّ (٧٠ / ٧) .

(١٢) تاج العروس: للربيدي (١٣٣ / ٢٠) .

ثانياً: الاستنباط في الاصطلاح:

- عرّفه غير واحدٍ من العلماء ، واختلفت عباراتهم ، وسأذكر هنا طرفاً منها:
- ١- قال أبو بكر الجصاص^(١) (ت: ٣٧٠هـ) هو: "نظير الاستدلال والاستعلام"^(٢).
 - ٢- وقال الماوردي^(٣) (ت: ٤٥٠هـ) هو: "مختص باستخراج المعاني من النصوص"^(٤).
 - ٣- وقال الزّحّشري (ت: ٥٣٨هـ): "ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير"^(٥) فيما يعضّل ويهمهم"^(٦).
 - ٤- وقال النّوّوي^(٧) (ت: ٦٧٦هـ): "قال العلماء: الاستنباط استخراج ما خفي المراد به من اللفظ"^(٨).

-
- (١) هو أحمد بن علي الرّازي، أبو بكر الجصاص، ولد في الرّي سنة (٣٠٥هـ)، من شيوخه: أبو الحسن الكرخي، وأبو سهل الرّجاج، وأبو حاتم الرّازي، وألف كتاب: أحكام القرآن، وأصول الفقه - خ . انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: للدّهبي (١٦ / ٣٤٠)، والأعلام: للزّركلي (١ / ١٧١)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (٢ / ٧) .
 - (٢) أحكام القرآن (٣ / ١٨٣) .
 - (٣) هو عليّ بن محمد بن حبيب الماوردي، ولد عام (٣٦٤هـ)، من شيوخه: الحسن الجبلي، ومحمد الأزدي، ومن مؤلفاته: سياسة أعلام النبوة، والنكت والعيون، والحاوي الكبير . انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: للدّهبي (١٣ / ٣١١)، ومعجم الأدباء: لياقوت الحموي (٥ / ١٩٥٥)، وطبقات المفسرين: للأدنة وي (١ / ١١٩) .
 - (٤) أدب القاضي (١ / ٥٣٥) . ويقصد بالمعاني: العلل، كما ذكر ما يدل عليه في: (١ / ٥٣٦) منه .
 - (٥) قال الجرجاني في التعريفات (٥٤) : "التدبير: استعمال الرأي بفعل شاق، وقيل: النظر في العواقب بمعرفة الخير، وقيل: التدبير إجراء الأمور على علم العواقب، وهي لله تعالى حقيقة وللعبد مجازاً" .
 - (٦) الكشّاف (١ / ٥٤١)، وهذا التعريف ذكره غير واحدٍ من العلماء منهم: النّسفي في مدارك التنزيل (١ / ٣٧٩)، وعلاء الدين البخاري في كشف الأسرار (١ / ٦٥) .
 - (٧) يحيى بن شرف بن مرّي النّوّوي، ولد سنة (٦٣١هـ) في قرية نوى، من شيوخه: إسحاق بن أحمد المغربي، وعبدالرحمن الفزاري، ومن تلاميذه: علاء الدين العطّار، وشمس الدين بن جعّوان . ومن مؤلفاته: شرح مسلم، ورياض الصالحين، أنظر في: الأعلام: للزّركلي (٨ / ١٤٩)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (١٣ / ٢٠٢) .
 - (٨) تهذيب الأسماء واللغات (٤ / ١٥٨)، ويلاحظ أن هذا التعريف يكتسب قوة؛ حيث نسبة النّوّوي - رحمه الله - إلى العلماء، فكأنه تعريفٌ لمجموعةٍ من العلماء، وليس تعريفاً خاصاً بالنّوّوي، ولعله التعريف الأقرب إلى علم الاستنباط - والله أعلم - .

- ٥- وقال ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ): "الاستنباط: إخراج الشيء المُعَيَّب من شيءٍ آخر كان فيه" (١) .
- ٦- وقال ابن القيم (ت: ٧٥١) : "استخراج الأمر الذي من شأنه أن يَحْفَى على غير المُسْتَنْبِط" (٢) .
- ٧- وقال السَّمْعَانِي (٣) (ت: ٤٨٩هـ) : "الاستنباط: هو استخراج العلم" (٤) .
- ٨- وقال السَّرْحَسِي (٥) (ت: ٤٨٣) : "والاستنباط ليس إلا استخراج المعنى من المنصوص بالرأي" (٦) .
- ٩- وقال الجُرْجَانِي (٧) (ت: ٨١٦هـ): "استخراج المعاني من النصوص ، بفرط الذَّهْن ، وقوة القرينة" (٨) .

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٤٨) ، ورسائل ابن حزم الأندلسي (٤/ ٤١١) .

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٧٢) .

(٣) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار التَّمِيمِي، ولد سنة (٤٢٦هـ) ، وسمع أبا غانم الكَرَاعِي، وأبا بكر التُّرَايِي، وروى عنه: أولاده، وعمر السَّرْحَسِي، ومحمد السَّنْجِي، ومن مؤلفاته: كتاب الانتصار، والبرهان. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: للذَّهَبِي (١٤/ ١٥٥)، والأعلام: للزُّرْكَلِي (٧/ ٣٠٣)، ومعجم المؤلفين: لَعْمَر كَحَالَة (١٣/ ٢٠) .

(٤) تفسير القرآن: للسَّمْعَانِي (١/ ٤٥٣) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سَهْل السَّرْحَسِي ، ولد بِيخَازَا سنة (٤٦٥هـ) ، تفقَّه على: أبي محمد عبد العزيز الحَلَوَانِي . ومن تلاميذه: أبو بكر محمد الحَصِيرِي ، وأبو عَمْرُو عثمان البِيكَنْدِي ، وأبو حفص عُمَر بن حبيب ، ومن كتبه: المَبْسُوط ، شرح السير الكبير ، شرح مختصر الطَّحَاوِيَة . انظر ترجمته: معجم المؤلفين: لَعْمَر كَحَالَة (٨/ ٢٦٧) ، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: لأبي محمد عبد القادر الفُرَشِي (٢/ ٢٨) .

(٦) أصول السَّرْحَسِي (٢/ ١٢٨) ، ومثله مانقله الزُّرْكَشِي عن بعض أصحابه قال: "الاستنباط مختصٌ بإخراج المعاني من ألفاظ النصوص" . البحر المحيط: (٧/ ٣٠) .

(٧) أبو الحسن عليُّ بن محمد بن علي الجُرْجَانِي الحُسَيْنِي، ولد سنة (٧٤٠هـ) بمدينة تَأْكُو، ومن تلاميذه: الرياضي الشهير قاضي زادة الرُّومِي، وفتح الله الشَّرَوَانِي، وفخر الدين العَجْمِي، له نحو خمسين مصنفاً في علوم مختلفة ، منها: التعريفات - ط ، وشرح مواقف الإيجي - ط ، ومقاليد العلوم - ط . انظر ترجمته في: الضوء اللامع: لشمس الدين السخاوي (٥/ ٣٢٨)، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (٧/ ٢١٦)، والأعلام: للزُّرْكَلِي (٥/ ٧) .

(٨) التعريفات (٢٢) .

١٠- وقال الشَّوْكَانِيُّ^(١) (ت: ١٢٥٥): "الاستنباط هو استخراج الدليل على المدلول بالنظر فيما يفيد من العموم أو الخصوص، أو الإطلاق أو التقييد، أو الإجمال أو التبيين، في نفس النصوص، أو نحو ذلك، مما يكون طريقاً إلى استخراج الدليل منه"^(٢).

١١- وقال مُسَاعِدُ الطَّيَّارِ في تعريف الاستنباط من القرآن: "رَبَطَ كَلَامٍ لَهُ مَعْنَى بِمَدْلُولِ الْآيَةِ، بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّبْطِ، كَأَن يَكُونُ بِدَلَالَةِ إِشَارَةٍ، أَوْ دَلَالَةِ مَفْهُومٍ، أَوْ غَيْرِهَا"^(٣).
ويظهر لي - والله أعلم - أنه يمكن الخروج بتعريفٍ يجمع ما اتفقت عليه التعاريف السابقة، وهو أن نقول: الاستنباط هو: "استخراج المعنى المُعَيَّبِ الذي لا يُعْتَرَى عليه كلُّ أحد، من النصوص، بأيِّ نوعٍ من أنواع الربط، بحيث يظهر المراد من النص".

ونستنتج مما سبق من تعريف الاستنباط ما يلي:

١- أن الاستنباط يُطلق على كلِّ ما اسْتُخْرِجَ وأُظْهِرَ بعد خفاء، فلا يكون ظاهراً ولا واضحاً لغير مُسْتَنْبِطِهِ، كما أخبر بذلك ابن القَيِّم في قوله: "الاستنباط: استخراج الأمر الذي من شأنه أن يُخْفَى على غير مُسْتَنْبِطِهِ"^(٤).

٢- وفي العدول عن لفظ الاستخراج إلى لفظ الاستنباط إشارةً إلى الكلفة في استخراج المعنى، قال علاء الدين البُخَارِيُّ (ت: ٧٣٠هـ)^(٥): "فكان في العدول عن لفظ الاستخراج إلى لفظ الاستنباط، إشارةً إلى الكلفة في استخراج المعنى من النصوص

(١) محمد بن علي بن محمد الشَّوْكَانِيُّ، ولد سنة (١١٧٣هـ)، في بلدة هجرة شَوَّكَانَ، من شيوخه: والده علي الشَّوْكَانِيُّ، وحسن بن عبد الله الهبل، ومن مؤلفاته: نيل الأوطار في الحديث، وفتح القدير، والبدر الطالع. انظر ترجمته: الأعلام: للزَّكَلِيِّ (٦/٢٩٨)، معجم المؤلفين: لعمركا (١١/٥٣)، البدر الطالع: له (٢/٢١٥).

(٢) إرشاد الفحول: للشَّوْكَانِيِّ (٢/٩٨).

(٣) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر (١٦٠ - ١٦١).

(٤) إعلام الموقعين: لابن قَيِّم الجُوزِيَّة (١/١٧٢).

(٥) عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البُخَارِيُّ، فقيه أصولي حنفي. تفقه على عمه محمد المايبرغي، من مؤلفاته: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، وشرح المنتخب الحسامي. انظر ترجمته: الأعلام: (٤/١٣).

التي بها عَظُمَتْ أقدار العلماء، وارتفعت درجاتهم، فإنه لولا المَشَقَّةُ ساد الناس كُلُّهم" (١).

٣- لفظة الاستنباط قد تطلق على المحسوسات، كقوله: "النَّبْط: وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تُحْفَرُ، ويطلق كذلك على ما يُتَحَلَّبُ من الجبل، كأنه عَرَقٌ يخرج من أعْرَاضِ الصخور" (٢)، أو على المعاني كقول ابن دُرَيْدٍ (٣) (ت: ٣٢١هـ): "واستنبطتُ هذا الأمرَ، إذا فَكَّرْتُ فيه فأظْهَرْتُهُ" (٤).

٤- أن الاستنباط من القرآن لا بُدَّ أن يكون من نصِّ قرآني، ولا يعتبر استخراجُه من التفسير استنباطاً. قال المَآوِزِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): "والاستنباط: مختصٌّ باستخراج المعاني من النصوص" (٥).

٥- لا بُدَّ أن يكون الحكم المستنبط مخالفاً للحكم في النص الظاهر. قال ابن خَزْمٍ (ت: ٤٥٦هـ): "استخراج الحكم من لفظٍ هو خلافٌ لذلك الحكم" (٦).

٦- أن يُوجد ما يربط بين النص والاستنباط بأيِّ نوعٍ من أنواع الربط، وقد أورد ذلك مساعد الطَّيَّار في تعريفه للاستنباط فقال: "ربط كلامٍ له معنى بمدلول الآية، بأيِّ نوعٍ من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارة، أو دلالة مفهوم، أو غيرها" (٧).

(١) كشف الأسرار عن أصول البَزْدَوِيِّ: لعلاء الدين البُخَارِيِّ (٢٠/١).

(٢) تهذيب اللغة: للأزْهَرِيِّ (٢٤٩ / ١٣).

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ، ولد في البصرة سنة (٢٢٣هـ)، وقرأ على علمائها منهم عَمُّهُ الحسين بن دُرَيْدٍ، ومن مصنفاته: الجمهرة في علم اللغة، والأمالي، والأشربة. انظر ترجمته في: معجم الأدباء: لياقوت الحَمَوِيِّ (١٢٨/١٨)، وتاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (٢ / ١٩٥)، والبداية والنهاية: لابن كثير (١١ / ١٧٦).

(٤) جمهرة اللغة: لابن دُرَيْدٍ (١ / ٣٦٢)، وانظر المعجم الوسيط (٢ / ٨٩٧).

(٥) أدب القاضي (١ / ٥٣٥).

(٦) الإحكام في أصول الأحكام (٦ / ٢١).

(٧) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر (١٦٠ - ١٦١).

المبحث الثاني: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح .

أولاً: التفسير في اللغة:

تدور مادة " فَسَّرَ " في لغة العرب على معنى البيان والكشف والوضوح^(١) ، فالتفسير: تفعيل من الفَسْر وهو: البيان^(٢)، أو الإبانة وكشف المُعْطَى^(٣)، فالفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه^(٤)، يقال: فَسَّرْتُ الشيءَ أَفْسِرُهُ - بالكسر - فَسْرًا، ويقال: فَسَّرَ الشيءَ يَفْسِرُهُ وَيُفْسِرُهُ وَفَسَّرَهُ^(٥)، والتشديد أعمُّ في الاستعمال^(٦)، وبه جاء القرآن، كما قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾^(٧). أي: بياناً وتفصيلاً^(٨). قال ابن منظور^(٩) (ت: ٧١١هـ): "فَسَّرَ" الفَسْرُ: البيان، وَفَسَّرَ الشيءَ يَفْسِرُهُ بالكسر وَيُفْسِرُهُ بالضم فَسْرًا وَفَسَّرَهُ: أبانه، وقوله: ﴿تَقْسِيرًا﴾^(١٠)، الفَسْرُ: كَشَفُ الْمُعْطَى، وَالتَّفْسِيرُ: كَشَفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمَشْكِلِ، وَاسْتَفْسَرْتَهُ كَذَا أَي سَأَلْتَهُ أَنْ يُفَسِّرَهُ لِي" ^(١١).

- (١) مقاييس اللغة: لابن فارس (٤ / ٥٠٤) .
- (٢) مقاييس اللغة: لابن فارس (٤ / ٥٠٤) ، وشمس العلوم: للحميري (٨ / ٥١٨٩) ، ولسان العرب: لابن منظور (٥ / ٥٥٥) ، والصحاح: للحوهري (٢ / ٧٨١) ، وتاج العروس: للزبيدي (١٣ / ٣٢٣) .
- (٣) تهذيب اللغة: للأزهري (١٢ / ٢٨٣) ، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي (٤٥٦) .
- (٤) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٤ / ٥٠٤) .
- (٥) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (٤ / ٥٠٤) ، والصحاح: للحوهري: (٢ / ٧٨١) ، وتاج العروس: للزبيدي (١٣ / ٣٢٣) ، ولسان العرب: لابن منظور (٥ / ٥٥) .
- (٦) تاج العروس: للزبيدي (١٣ / ٣٢٣) .
- (٧) سورة الفرقان: آية (٣٣) .
- (٨) جامع البيان: لابن جرير (١٩ / ٢٦٧) ، وتفسير القرآن: لابن كثير (٦ / ١٠٩) ، ومعالم التنزيل: للبعوي (٣ / ٤٤٥) .
- (٩) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، ولد سنة (٦٣٠هـ)، سمع من ابن المقيبر، ومُرْتَضَى بن حاتم، وعبد الرحيم بن الطفيل، ومن مؤلفاته: مختار الأغاني في الأخبار والتَّهَانِي، ولسان العرب، ومختصر تاريخ دمشق. انظر ترجمته: الدرر الكامنة: لابن حجر (٦ / ١٥) ، ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة (١٢ / ٤٦) .
- (١٠) سورة الفرقان: آية (٣٢) .
- (١١) لسان العرب: لابن منظور (٥ / ٥٥) .

ويقال: استُفسرته كذا، أي سألته أن يُفسر لي^(١)، قال ابن الأعرابي^(٢) (ت: ٢٣١هـ): (الفسر: كشف ما عُطِّي، وقال الليث: الفسر: التفسير، وهو بيان وتفصيل الكتاب)^(٣)، وقيل مأخوذ من قولهم: فسرت الحديث أفسرته إذا بينته، وفسرته تفسيراً كذلك^(٤)، ومنه الفسر والتفسير وهي: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه^(٥)، وكلُّ شيء يُعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسيرته^(٦).

ومما يلاحظ أنَّ اشتقاق كلمة (فسر) تدلُّ على البيان، والإيضاح، والإظهار، والكشف، فتفسير الكلام: بيانه، وإيضاحه، وإظهاره، والكشف عن المراد منه^(٧).

وقد اشتهرت لفظة التفسير مقرونةً بالقرآن الكريم، حتى أصبحت هذه اللفظة إذا أطلقت أريد بها العلم الموضح لمعاني القرآن، والتفسير للمبالغة، وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: "تفسير الرؤيا وتأويلها".

فيظهر من التعاريف السابقة أنَّ لفظ التفسير في اللغة هو: "البيان، والإيضاح، والإظهار، والكشف".

(١) الصَّحاح: للجوهري (٢ / ٧٨١). وانظر: تاج العروس: للزبيدي (١٣ / ٣٢٤).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي، إمامٌ في اللغة والنحو، والنسب والتاريخ، كثير السماع والرواية، سمع من الأعراب الذين كانوا ينزلون بظاهر الكوفة، وهم بنو أسد، وبنو عقيل، واستكثر منهم، وجالس الكسائي، وروى عنه: ابن السكيت وثلعب، وله: كتاب التوادر، والأنواء، وتاريخ القبائل. انظر ترجمته: وقفيات الأعيان: لابن خلكان (٤ / ٣٠٦)، ومُعجم الأُدباء: لياقوت الحموي (٦ / ٢٥٣٠)، البلغة: للفيروز آبادي (٢٦٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (١٢ / ٢٨٢). وانظر: كتاب العين: للخليل (٧ / ٢٤٧).

(٤) جمهرة اللغة: لابن دُرَيْد (٢ / ٧١٨).

(٥) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٤ / ٥٠٤)، والصَّحاح: للجوهري (٢ / ٧٨١).

(٦) كتاب العين: للخليل (٧ / ٢٤٨)، وانظر: تهذيب اللغة: للأزهري (١٢ / ٢٨٣)، وتاج العروس: للزبيدي (١٣ / ٣٢٤)، وانظر أساس البلاغة: للزنجشيري (٢ / ٢٢).

(٧) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: للعبيد (١٦).

ثانياً: التفسير في الاصطلاح:

تعددت أقوال العلماء في تعريف التفسير اصطلاحاً بين مختصرٍ في تعريفه، وبين متوسّع في التعريف حتى أدخلَ ضوابطه ، ومُهَمَّة المفسّر كذلك ، واختلفت عباراتهم في الدلالة على هذا العلم، ومن أشهر التعاريف ما يلي:

- ١- قال ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ^(١) (ت: ٥٧٤١هـ): "معنى التفسير: شرح القرآن ، وبيان معناه ، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو بجَوَاه" (٢) .
- ٢- وقال أبو حَيَّان (ت: ٥٧٤٥هـ): "التفسير: علمٌ يُبْحَثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تُحْمَلُ عليها حال التركيب ، وتتمّت ذلك" (٣) .
- ٣- وقال الزَّرْكَشِيُّ^(٤) (ت: ٧٩٤هـ): "علمٌ يُعْرَفُ به فَهْمُ كتاب الله المنزّل على نبيه محمد (ﷺ)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكْمِهِ" (٥) ، وقال في موضع آخر: "هو علم نزول الآية وسورتها، وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مَكِّيَّها ومدَنِيَّها، ومُحْكَمِها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومُطْلَقِها ومُقَيَّدِها، ومجْمَلِها ومفسَّرِها ، وزاد فيه قوم: عُلْمُ حَالَهَا وحرامها ، ووَعْدِها ووَعِيدِها، وأمرها ونَهْيِها، وعِبَرِها وأمثالها" (٦) .

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ، ولد سنة (٦٩٣هـ)، قرأ على أبي جعفر بن الزبير، وابن سَمْعُون، وابن العماد، ومن تلاميذه: ابن الخطيب، وأبو الحسن النَّبْهَانِي، وابن الحَشَّاب ، ومن مؤلفاته: التسهيل لعلوم التنزيل، والمختصر البارع . انظر ترجمته: الأعلام: للزَّرْكَشِيِّ (٥/ ٣٢٥)، الدرر الكامنة: لابن حجر (٥ / ٨٨) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٥) .

(٣) البحر المحيط (١ / ٢٦) .

(٤) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بَهَّادُر بن عبد الله الزَّرْكَشِيُّ، ولد سنة (٧٤٥هـ)، وأخذ عن الشَّيْخَيْن: جمال الدين الإسْنَوِيِّ، والبُلْقَيْنِيِّ، ومن مؤلفاته: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ولقطة العجّالان. انظر ترجمته: الأعلام: للزَّرْكَشِيِّ (٦/ ٦٠)، والدرر الكامنة (٥/ ١٣٣)، وطبقات الشافعية: لابن قاضي (٣/ ١٦٧) .

(٥) البُرْهَان في علوم القرآن: للزَّرْكَشِيِّ (١ / ١٣) .

(٦) المصدر السابق (٢ / ١٤٨) .

- ٤- وقال ابن عَرَفَةَ المَالِكِي^(١) (ت: ٨٠٣هـ): "هو العلم بمدلول القرآن ، وخاصة كيفية دلالاته، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"^(٢) .
- ٥- وقال الكافِي^(٣) (ت: ٨٧٩هـ) : "وأما التفسير في العُرْف^(٤) فهو: كشفُ معاني القرآن، وبيان المراد"^(٥) .
- ٦- وعَرَفَهُ الجُرْجَانِيّ (ت : ٨١٦ هـ): "توضيح معنى الآية ، وشأنها ، وقصّتها ، والسبب الذي نزلت فيه ، بلفظٍ يدلُّ عليه دلالةً ظاهرة"^(٦) .
- ٧- وقال الإمام السُّيُوطِيّ^(٧) (ت: ٩١١هـ): "التفسير: علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، ومُحْكَمِها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعمّمها، ومطلقها ومُقيّدِها، ومُجْمَلِها ومُفَسَّرِها، وحلالها وحرامها، ووَعْدِها ووَعِيدِها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"^(٨)

(١) محمد بن محمد بن عَرَفَةَ الوُرُوعِيّ التُّوسِيّ، تفقّه على الإمام محمد بن عبد السلام، ومحمد الرِّبِيدِيّ، وأبي عبد الله الأئيليّ، ونُظرائهم. ومن التلاميذ: البَسِيلِيّ، وابن خَلْفَةَ الآبِيّ، ومحمد الرِّمْلِيّ التُّوسِيّ ، وغيرهم. ومن مؤلفاته: المبسوط، والشامل في أصول الدين، والحدود . انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (٤٣/٧)، وطبقات المفسرين: للدَّوَوْدِيّ (٢/ ٢٣٦) ، ومُعْجَم المُولَفِين: لِعُمَر كَحَّالَةَ (١١/ ٢٨٥) .

(٢) تفسير ابن عرفة (١ / ٥٩) .

(٣) محمد بن سليمان بن سعد الرُّومِيّ، ولد سنة (٧٨٨هـ) ، كان إماماً في المعقولات، والكلام ، وأصول الفقه، والعربية ، وغيرها ، والكافيّ نسبة للكافية لابن الحاجب؛ لأنه كان يُكْتَبَرُ من قراءتها، من مؤلفاته: التيسير في قواعد التفسير ، وحلُّ الإشكال ، ومنازل الأرواح . انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (٦ / ١٥٠) ، ومعجم المؤلفين: لِعُمَر كَحَّالَةَ (١٠ / ٥١) ، وطبقات المفسرين: للأدنه ويّ (٣٤٣) .

(٤) يظهر أن الكافيّ يُعَبَّرُ بقوله (العُرْف) ويريد به (الاصطلاح)، وقد تكرر استخدامه هذا في تعريفات: التأويل، والقرآن، وغيرها، انظر كتابه: التيسير في قواعد التفسير (٢١ ، ٣٤ ، ٣٥) .

(٥) التيسير في قواعد التفسير (٢١) .

(٦) التعريفات: للحرجاني (٦٣) .

(٧) هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحَضْرِيّ الأَسْطُوْطِيّ ولد سنة (٨٤٩هـ) ، اشتغل بالعلوم وكان عَلماً، ومن مصنفاته: الإتيقان في علوم القرآن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وتَرْجُمَان القرآن. انظر ترجمته في: طبقات المفسرين: للأدنه ويّ (٣٦٥) ، وجمال الدين السُّيُوطِيّ: لطاهر حَمُودَةَ (٩١) .

(٨) الإتيقان في علوم القرآن: للسُّيُوطِيّ (٤٣٥) .

- ٨- وقال الزُّرْقَانِيُّ^(١) (ت: ١٣٦٧هـ): "عَلِمُ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْ حَيْثُ دَلَالَتِهِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ ، بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ"^(٢) .
- ٩- وقال محمد الطَّاهِرُ ابْنُ عَاشُور (ت: ١٣٩٣هـ): "اسْمٌ لِلْعِلْمِ الْبَاحِثِ عَنِ بَيَانِ مَعَانِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ ، وَمَا يَسْتَفَادُ مِنْهَا ، بِاخْتِصَارٍ أَوْ تَوْسُّعٍ"^(٣) .
- ١٠- وقال مَنَّاعُ الْقَطَّانِ (ت: ١٤٢٠هـ): "بَيَانُ كَلَامِ اللَّهِ الْمُنزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ (ﷺ)"^(٤) .
- ١١- وقال محمد بن عُثَيْمِينَ (ت: ١٤٢٠هـ): "بَيَانُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ"^(٥) .
- ١٢- وقال مُسَاعِدُ الطَّيَّارِ: "التفسير: بيان القرآن الكريم"^(٦) .
- ويظهر لي - والله أعلم - أنه يمكن الخروج بتعريفٍ يجمع ما اتفقت عليه التعريفات السابقة ، ويكون تعريفاً جامعاً شاملاً لعلم التفسير ، وهو أن نقول: التفسير هو: "علمٌ يبحث عن بيان وتوضيح معاني القرآن الكريم، وكشف المراد من النصِّ القرآني ، على قدر طاقة البشر" .

(١) محمد عبد العظيم الزُّرْقَانِيُّ ، ولد في بلدة زُرْقَانَ ، حفظ القرآن الكريم ، وتلقَّى تعليماً دينياً، ثم التحق بالأزهر، وتخرج في كلية أصول الدين ، له كتابان مطبوعان: مناهل العرفان في علوم القرآن، وبحثٌ في الدعوة والإرشاد. انظر ترجمته في: الأعلام: للزُّرْكَلِيِّ (٦/ ٢١٠) .

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٣) (٢/ ١٣٣) .

(٣) التحرير والتنوير (١/ ١١) .

(٤) نقلته عن التفسير اللُّغَوِي: لِمُسَاعِدِ الطَّيَّارِ (٢٤). ونقله هو عن مذكرة علوم القرآن التي كتبها مَنَّاعُ الْقَطَّانِ لطلاب الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه ، في كلية أصول الدين بالرياض عام (١٤١٩ . ١٤١٠هـ) ، ولم يذكر مَنَّاعُ الْقَطَّانِ هذا التعريف في كتابه المشهور مباحث في علوم القرآن .

(٥) أصولٌ في التفسير (٢٣) .

(٦) التفسير اللُّغَوِي: لِمُسَاعِدِ الطَّيَّارِ (٣٢) .

المبحث الثالث: الفرق بين الاستنباط والتفسير .

صلة الاستنباط بالتفسير صلة قوية، بل إنَّ بعض العلماء قال بأنَّ التفسير شامل للاستنباط، فوصف ابن عَاشُور(ت: ١٣٩٣هـ) التفسير بأنه "تفسير أَلْفَاظٍ، واستنباط مَعَانٍ"^(١)، وقال أيضاً: "موضوع التفسير: أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ، من حيث البحث عن معانيه، وما يُسْتَنْبَطُ منه"^(٢)، لكن بينهما مغايرة قد تخفى بسبب وجود الاستنباطات في كتب المفسرين، وبسبب قرب بعض الاستنباطات من الدَّهْنِ، فيحسبها الناظر لها من التفسير، والحقيقة أنها مما يأتي بعد التفسير، ولعلِّي أُجْمَلُ القول في الفرق بينهما في النقاط التالية:

- ١- الفرق بينهما في التعريف اللغوي: فالتفسير معناه: (البيان والكشف والإيضاح) ، وأما الاستنباط فهو: (الاستخراج بعد خفاء) .
- ٢- الفرق بينهما في التعريف الاصطلاحي: فقد اختلف تَعْرِيفُهُمَا عند العلماء كما سبق، فالاختلاف واضح بين التعريفين، مما يدلُّ على الفرق بين الاصطلاحين، وأنَّ كلاً منهما مصطلحٌ يدلُّ على ما لا يدلُّ عليه الآخر.
- ٣- أنَّ التفسير فيه جانبان: جانب العقل والاجتهاد ، وجانب النقل والرواية ، أما الاستنباط فالأصل أنه صادر عن العقل والاجتهاد .
- ٤- يشترط في الاستنباط الخفاء فيما يستنبط ، بحيث لا يوجد ما يدلُّ ظاهراً على ارتباط هذا المعنى بالآية قبل استنباطه، بخلاف التفسير؛ فلا يشترط فيه ذلك، فالتفسير مختصٌّ بمعرفة المعاني، والاستنباط مختصٌّ باستخراج ما وراء المعاني من الفوائد^(٣) .
- ٥- أنَّ مصطلح الاستنباط غير داخلٍ في حدِّ التفسير، بل يأتي بعده، وهذا يعني أنه لا يلزم أن يكون الاستنباط مَلَكَةً لِلْمُفَسِّرِ، لكن يلزم للمستنبط صحة التفسير، لكي لا

(١) التحرير والتنوير: لابن عَاشُور (١٢/١) .

(٢) المرجع السابق: الموضوع نفسه .

(٣) منهج الاستنباط من القرآن الكريم: لَفَهْدِ الْوَهْبِيِّ (٥٩) .

يستنبط من تفسيرٍ فيه خطأ^(١) .

٦- مرجع التفسير هو اللغة وكلام السلف ، ومرجع الاستنباط هو التدبر والتأمل في الآيات ، والتدبر يأتي بعد الفهم للآية^(٢) .

٧- التفسير خاصٌ بالقرآن الكريم، بينما الاستنباط عامٌ لا يختص بعلم .

٨- الاستنباط يحتاج إلى جَهْد وقوة ذهن ، بخلاف التفسير ، الذي هو بيان المعنى، فقد يحتاج لذلك ، كالبحث عن المعنى وتوضيحه حالة عدم وضوحه، وكاختيار أحد الأقوال المذكورة في الآية ، وقد لا يحتاج، ولذا فإن الاستنباط يختلف باختلاف المُسْتَنْبِط وقوة الذهن ، وأما التفسير فمردُّه إلى معرفة اللغة وبيان المعاني، يقول الحافظ ابن القَيِّم (ت: ٧٥٢هـ) : "والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكماً ، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ، دون سياقه، ودون إيمائه وإشارته وتنبهه ، وأخصُّ من هذا وألطف ضمُّه إلى نصِّ آخر متعلِّق به، فيفهم من اقتترانه به قدرًا زائداً على ذلك اللفظ بمفرده ، وهذا بابٌ عجيب من فهم القرآن لا يتنبَّه له إلا النادر من أهل العلم"^(٣) .

٩- الاستنباط مستمرٌّ لا ينقطع ، أما التفسير للألفاظ فقد استقرَّ وعلم ، قال الشيخ الأمين الشنقيطي^(٤) (ت: ١٣٩٣هـ) : "فكلُّ آيةٍ من كتاب الله قد عُلِّمَ ما جاء فيها من النبي (ﷺ) ، ثم من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين"^(٥) .

(١) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل: لمُسَاعِد الطَّيَّار (١٧٧) .

(٢) انظر: المرجع السابق (١٨٧) .

(٣) إعلام المُؤَفِّعِينَ (١/ ٢٦٧) .

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، مفسر وأصولي وفقه سلفي، من علماء شنقيط (موريتانيا) ، ولد بها عام (١٣٢٥هـ)، من تلاميذه: ابن عثيمين، ومن مؤلفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، ومنع جواز المجاز، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات . انظر ترجمته: الأعلام: (١/ ٢٠٩) .

(٥) أضواء البيان (٧/ ٢٦٤) .

الفصل الثالث أقسام الاستنباط عند الإمام ابن بدران

وفيه أربعة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: أقسامه باعتبار موضوعه.
- ❖ المبحث الثاني: أقسامه باعتبار صحته وبطلانه.
- ❖ المبحث الثالث: أقسامه باعتبار ظهور النص المُسْتَنْبَطِ منه وخفائه.
- ❖ المبحث الرابع: أقسامه باعتبار الإفراد والتركيب في النصّ.

المبحث الأول أقسامه باعتبار موضوعه

ويشتمل على أربعة مطالب :

- ❖ المطلب الأول: الاستنباطات العَقَدِيَّة .
- ❖ المطلب الثاني: الاستنباطات اللُّغَوِيَّة والنَّحْوِيَّة .
- ❖ المطلب الثالث: الاستنباطات الفِقهِيَّة والأُصُولِيَّة .
- ❖ المطلب الرابع: الاستنباطات الإِجْتِمَاعِيَّة والعِمْرَانِيَّة .

المطلب الأول: الاستنباطات العقديّة .

مَعْلُومٌ بِالْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْأَعْمَالَ وَالْأَقْوَالَ إِنَّمَا تَصِحُّ وَتُقْبَلُ إِذَا صَدَرَتْ عَنْ عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، فَإِنْ كَانَتْ الْعَقِيدَةُ غَيْرَ صَحِيحَةٍ بَطَلَ مَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مِنْ أَعْمَالٍ وَأَقْوَالٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، فَالْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدِّينُ، وَتَصِحُّ مَعَهُ الْأَعْمَالُ .

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - وَمَعَهُ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ - مَصْدَرُ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، فِيهِ الْعَنَاءُ وَالْكَفَايَةُ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ سَبَبُ الْمَهْدَايَةِ إِلَى أَقْوَامٍ طَرِيقَ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ وَالتَّشْرِيعِ. يَقُولُ الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ الْمُبَارَكُ^(٣) (ت: ١٤٠٢هـ): "الْقُرْآنُ يَخَاطِبُ الْإِنْسَانَ وَيُثِيرُهُ عَنْ طَرِيقِ مَنَافِعِهِ وَمَصَالِحِهِ، وَحَاجَاتِهِ وَمَلَذَاتِهِ، وَعَنْ طَرِيقِ قَضَايَاهُ وَمَشْكَالَاتِهِ؛ لِيَحْرِّكَ تَطَلُّعَهُ وَقَلْقَهُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِحَيَاتِهِ الْحَاضِرَةِ وَمَصِيرِهِ الْبَعِيدِ، وَيَجْعَلُهُ بِذَلِكَ مَتَهَيِّئًا لِلتَّفَكِيرِ فِي اللَّهِ، وَمُسْتَعِدًّا لِقَبُولِ نَتَائِجِ الْمَنْطِقِ السَّلِيمِ مَعَ مَنَفَعَتِهِ"^(٤) .

وَلَمْ يَقْتَصِرْ دَوْرُ الْقُرْآنِ عَلَى بَيَانِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْعَقْدِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْوَاضِحَةِ، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ مَسَائِلَ خَفِيَّةَ غُيِّ بِهَا الْعُلَمَاءُ، وَاسْتَخْرَجُوهَا فِي اسْتِنْبَاطَاتٍ وَفَوَائِدٍ تَدُلُّ عَلَى مَسَائِلِ عَقْدِيَّةٍ، وَسَوْفَ أَعْرُضُ أَمْثَلَةَ عَلَى هَذِهِ الْاسْتِنْبَاطَاتِ الْعَقْدِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ بَدْرَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي تَفْسِيرِهِ، وَكَانَ لَهَا حَيِّزًا لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ اسْتِنْبَاطَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ .

الأمثلة التطبيقية للاستنباطات العقديّة:

(١) سورة المائدة: الآية (٥) .

(٢) سورة الزمر: الآية (٦٥) .

(٣) هو محمد بن عبد القادر بن محمد المبارك الحُسَيْنِي، وُلِدَ فِي دِمَشْقِ سَنَةِ (١٣٣١هـ)، مِنْ شَيْوَحِهِ: مُحَمَّدُ بَدْرُ الدِّينِ الْحُسَيْنِي، وَسَلِيمُ الْجُنْدِي، وَوَالِدُهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَادِرِ، وَمِنْ مَوْلاَتِهِ: عَمْبِقِيَّةُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَاجْتِمَاعُ الْإِسْلَامِي الْمَعَاوِرِ، وَالْإِسْلَامُ وَالْفِكْرُ الْعِلْمِي . انظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مُحَمَّدُ الْمُبَارَكُ الْعَالِمُ وَالْمُفَكِّرُ وَالِدَّاعِيَةُ: حُسَيْنِي أَدْهَمُ جَرَارُ .

(٤) العقيدة في القرآن الكريم: محمد المبارك (ص ٨١) .

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) . قال ابنُ بَدْران: "رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، مُشِيرًا به إلى ابتداء الخلق ، تنبيهًا على الاستدلال بالمصنوع على الصَّانِع ، و بالبَدَاءَةِ على الإِعَادَةِ " ^(٢) .

فهنا ذكر ابن بَدْران - رحمه الله - سِلْسِلَةً تُحْوِي أُمُورًا عَقْدِيَّةً متصلة ومترابطة فيما بينها، وهي سِلْسِلَةٌ تبدأ من الخَلْقِ وحتى الإِعَادَةِ بعد الموت، وهي مأخوذة من قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث إن إطلاق الرُّبُوبِيَّةِ في هذه الآية، وتُشْمَلُ هذه الرُّبُوبِيَّةِ للعالمين جميعاً ، يُنبئُ عن وجود خَلْقٍ خُلِقُوا لهذه الغاية الشريفة ، وهي عبادة الله -جلَّ وعلا- ، وهؤلاء الخَلْقُ هم أعظم دليلٍ على وجود خالق لهم ، وعلى الإِعَادَةِ بعد الموت، فالذي أوجد الخلق أول مرةٍ من عدم ، قادرٌ على الإِعَادَةِ بعد الموت ، فهذه السلسلة المتواصلة من قبيل توحيد الربوبية الذي هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة ، وبهذا يتضح كون هذا الاستنباط عَقْدِيًّا يحوي أموراً عقديَّة، من خَلْقٍ وخالقٍ وأُمُورٍ غيبيَّة تكون بعد الموت.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْران: "وللعدول عن الغيبة إلى الخطاب نُكْتَةٌ تَدِقُّ عن فَهْمِ أرباب المعاني ، وهي: أنه أتى بالكاف إشارةً إلى مَقَامِ الإِحْسَانِ الذي أشار إليه النبي (ﷺ) بقوله - لما سئل عن الإحسان - : "أن تَعْبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنه يراك" رواه البُخَارِيُّ^(٤)"^(٥) .

الآية استنبط منها ابن بَدْران - رحمه الله - مَقَامَ الإِحْسَانِ ، فبعد أن عَرَسَتْ صفات الله - الوارد ذكرها في سورة الفاتحة - تعظيمه سبحانه وحضوره في القلب ، مَهَّدَتْ له

(١) سورة الفاتحة: آية (٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٥).

(٣) سورة الفاتحة: آية (٥) .

(٤) صحيح البُخَارِيِّ (١ / ١٩)، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم: (٥٠) . وصحيح مسلم (١ / ٣٦)، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ، حديث رقم: (٨) .

(٥) جواهر الأفكار (٣٨) .

الانتقال من الغيبة إلى الخطاب المباشر بالكاف ، الذي يجعل القارئ لها يَرْتَقِي إلى مَقَام الإحسان ، فيعْبُد الله كأنه يراه ؛ نتيجة خوفه وتعظيمه لصفات الله عند الخطاب بأسلوب الغيبة ، فزاده هذا الانتقال تعظيماً وتوقيراً لله بصفاته العَلِيَّة، ومن ثمَّ الارتقاء بهذا التعظيم إلى مَقَام الإحسان ، الذي يكون فيه العابد لله مُرَاقِباً لأعماله وكأنه يراه سبحانه ، فهذا هو الإحسان وهو من مسائل العقيدة المُهِمَّة ومن أعلى المراتب .

المثال الثالث : قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ

هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾^(١). قال ابنُ بَدْران: "لما وصفهم بالإيمان جُمْلَةً ، أشار إلى بعض تفصيله على وجهٍ يدخل فيه أهل الكتاب دخولاً أولياً"^(٢) .

الآية استنبط منها -رحمه الله- تخصيص بعض من الإيمان بالغيب السابق ذكره، فلما وصف الله المؤمنين بالإيمان جُمْلَةً في قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(٣) ، فيشمل كلَّ الأمور الغيبية من: الجنة والنار، والبَعْث، وكلِّ ما هو بعد الموت، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وغير ذلك، وبهذا يتَّضح أن الإيمان هنا اسْتُعْمِلَ عاماً ومُجْمَلٌ، ثم وصفهم ببعض تفصيله في هذه الآية، من الإيمان بما أُنزِلَ على محمد (ﷺ) وما أُنزِلَ من قبله من الكتب، فهنا خصَّصَ وفَصَّلَ، وأفرد الإيمان بالكتب جميعاً، دون غيره من الأمور التي ذُكِرَتْ سالفاً من الأمور الغيبية، والإيمان عامَّةً يعتبر باباً من أبواب ومسائل علم العقيدة.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾^(٤). قال ابنُ بَدْران: "ثم اعلم أنَّ الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقةً بوجوب توحيدهِ تعالى ، ومُحْتَمِّ عبادته على كافَّة الناس مُرْشِدَةٌ لهم بطريق الإشارة ، إلى أنَّ مطالعة آيات الكون ، المنصوبة في الأنفس والآفاق ، مما يقضي بذلك

(١) سورة البقرة: آية (٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٥) .

(٣) سورة البقرة: آية (٣) .

(٤) سورة البقرة: آية (٢١) .

قضاء مُتَقَنَّأً ، وقد بَيَّن فيها أولاً من تلك الآيات ما يتعلَّق بأنفسهم من: خلقهم ، وخلق أسلافهم ، لما أنه أقوى شَهَادَةً وأظهر دَلَالَةً^(١) .

الآية استنبط منها ابن بدران - رحمه الله - أن فيها التأكيد على توحيد الله وربوبيته ، ويخاطب فيها خطاب حضور الخلق عامة ، بالتأمل في آيات الله الظاهرة الدالة على ربوبيته - سبحانه - التي لا يمكن إنكارها ، وبدأ من آيات الربوبية بذكر الخلق لأنه في ذواتهم ، وبدأ بالأنفُس؛ لتكون أقرب دليل للذات ، وشهادة ظاهرة واضحة لكل إنسان ، ومن ثم بذكر آية خلق أسلافهم السابقين ، فيكون هذا التفكر دليلاً ظاهراً على وحدانيته وعبوديته - جلَّ وعلا- ، وعلى تفرد الله وحده بالربوبية ، وتوحيد الربوبية أحد أنواع التوحيد الثلاثة .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٢). قال ابن

بدران: "الآية تقتضي أن المخاطبين كانوا عَالِمِينَ بأن هذه الأشياء المذكورة لم تُوجد لذاتها، وأنها موجودة بإيجاد مُوجِدٍ لها ، وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٣) (٤) .

ما ذكر في الآية من أمور يقتضي وجود مُوجِدٍ وخالقٍ لها ، وهو الله - جلَّ وعلا-، وهذه من القضايا التي لا يختلف فيها مسلمٌ ولا كافرٌ ، فالجميع مُوقِن وعالم بأنها لم تُوجد لذاتها ، وأن ثمَّ خالقاً لها هو الله - سبحانه - ، إذ ما من شيء إلا وهو أثرٌ من آثار قدرته سبحانه ، فالاستدلال على ربوبية الله بالتفكر في هذا الكون بأجمعه، واستنطاق الفطرة بما تُعرِّفه وتُقرُّ به من حاجة الخلق إلى خالق ، وافتقار البرية إلى باري .

(١) جواهر الأفكار (٩٤).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٣) سورة لقمان: آية (٢٥) . والزمر: آية (٣٨) .

(٤) جواهر الأفكار (٩٥).

المطلب الثاني: الاستنباطات اللغوية والنحوية .

من أجل العلوم قدراً، وأرفعها مكانةً، وأعظمها نفعاً ، وأعلاها مقاماً ، وأمضأها أثراً علومَ الشرعِ المُعَظَّم ، وما ارتبط بها من مَعَارِفَ مُعِينَةٍ على فهمِ مرادِ الله - تعالى - في كتابه ومرادِ نبيِّه (ﷺ) في سُنَّتِهِ ، ومن هذه المَعَارِفِ علومُ اللُّغَةِ؛ فيها تُعَرَّفُ دلالات الألفاظ، ومرامي الجُمَلِ والعبارات، والوقوف على معانيها ومبانيها ، ولهذا عُني الفقهاء عنايةً كبيرةً باللُّغَةِ وعلومها؛ إدراكاً منهم لأهميَّتها في إعانتهم على القيام برسالتهم السَّامِيَةِ .

ومن هؤلاء الفقهاء الإمام ابنُ بَدْران - رحمه الله - ، فقد ذكر أهميتها في تفسير كتاب الله ، والرجوع إليها عند الحاجة ، حيث قال: " ومن المحقق أنَّ القرآن نزل بلغة العرب، وإليها يُرْجَعُ في تفسيره" (١) .

وقال أيضاً: " وحيث جرى الخلاف في معنى كلمةٍ من الكتاب العزيز كان المرجع في تفسيرها إما إلى لغة العرب، وإما إلى الحقيقة الشرعية، ولا يُتَّفَقُ إلى ما اصْطُلِحَ عليه بعد نزول الكتاب العزيز" (٢) .

وطريق الاستنباط في جميع ما سيُذْكَرُ هنا من الأمثلة هو استعمال القرآن ، فمتى صحَّ الاستعمال في القرآن فهو دليلٌ على صحته لغةً ، فالقرآن يُسْتَدَلُّ به في اللغة ولا يستدلُّ عليه ، ويمكن معرفة مدى عناية ابنِ بَدْران بالعربية واعتداده بها في استنباطاته من خلال الأمثلة التالية :

(١) جواهر الأفكار (١٥١) .

(٢) المرجع السابق (٤٩٣) .

الأمثلة التطبيقية للاستنباطات اللغوية والنحوية :

المثال الأول: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾^(١). قال ابن بدران: "والتمثيل في هذه الآية أدل على فزط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته من التمثيل الأول ، جزياً على قوانين البلاغة في التدرج في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ"^(٢).

هنا يوضح ابن بدران أن المثالين المذكورين فيهما من الشدة والظلمة ما يُصوِّر نفوس المنافقين المضطربة المظلمة ، ولكن الثاني دائماً يكون فيه الزيادة في الغلظة والاضطراب والهول ، ففيه تهويلات أقوى ، وأوصاف أغلظ من سابقها ، وإلا لما كان لوزوده حاجة؛ لكون الأول يكفي، فزاد من هول الموقف الأول، وزاد في وصف نفوس المنافقين ، فأضاف إلى الظلمة والعتمّة الأصوات المرعبة للقلوب كالبرق والرعد ، التي تجعل السامع لها لا يحتملها، فيسارع لوضع أصابعه ، كما أشعرهم بإحاطة الله بهم، وكونه خبيراً بهم، عليمًا بحالهم ، لا تخفى عليه خافية ، فيحاسبهم بها ، مما يوضح التدرج البلاغي من الأهون البسيط إلى الأغلظ الشديد .

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) . قال ابن بدران: "وتكرير هذه الآية يدل - والله أعلم - على أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن ، لم يكن التكرار عبثاً"^(٤).

(١) سورة البقرة: آية (١٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٨٧).

(٣) سورة البقرة: آية (١٤١) .

(٤) جواهر الأفكار (٣٦٦) .

هنا يبين ابن بدران - رحمه الله - ظاهرة من الظواهر البلاغية التي لا يفطن إليها إلا كل من له بصيرة بفنون القول، فالآية هنا تكرر مرتين بين آياتٍ متقاربة^(١)، و التكرار هنا لم يكن عبثاً، حيث إنَّ له أغراضاً ولطائف، فالمعنى يختلف في كلا الآيتين باختلاف السياق الذي جيء بالآية فيه، فالقصة في القرآن تتكرر في أكثر من موضع، وفي كلِّ موطنٍ يعرض جانباً منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يُراد من موطن العبارة والاستشهاد، ولهذا فإنَّ من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صورٍ مختلفة، والقصة المتكررة تردُّ في كلِّ موضعٍ بأسلوبٍ يختلف عن الآخر، وتُصاغ في قالبٍ غير القالب، ولا يملُّ الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى، فهذا التكرار وجهٌ من وجوه البلاغة القرآنية .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢). قال ابن بدران:

"﴿يُنْفِقُونَ﴾^(٣) هنا، قد لا يلاحظ به زمان مُعيَّن، من حالٍ أو استقبال، فيدلُّ إذ ذاك على الاستمرار"^(٤).

هنا فنُّ رفيعٌ من فنون البلاغة، ذلك أنَّ من خصائص الفعل المضارع أنه إذا لم تكن هناك قرينة في السياق مخصَّصة له بزمن الاستقبال أو زمن الحال فإنه يكون صالحاً للدلالة عليهما معاً، ويفيد الدوام والاستمرار^(٤)، ومنه هذه الآية، ففيها: أن المؤمنين ينفقون في سبيل الله بصورة مُطرَّدة ومستمرة في مرضاته سبحانه، مما يجب عليهم من الزكاة، ومما يتطوَّعون به من الصدقات وغيرها، لا تنقطع نفقتهم أبداً، ولا يملُّ المتنفق من بذلها وإخراجها، لأنه راغبٌ فيما عند الله من جنةٍ عرضها السماوات والأرض .

(١) تكرر قبلها آيات؛ حيث ذكرت في الآية (١٣٤) من هذه السورة .

(٢) سورة البقرة: آية (٣) .

(٣) جواهر الأفكار (٥٥) .

(٤) انظر: اللغة: لجوزيف (١/١٠٧) .

المطلب الثالث: الاستنباطات الفقهية والأصولية .

علم الفقه وأصوله من العلوم المهمة جداً ، فهو علمٌ جليل القدر، بالغ الأهمية، عظيم النفع، متعددُ الفوائد ، وحصوله ليس بالأمر الهين ، بل يحتاج إلى جهدٍ وصبرٍ ومعاناة، مع توفيق الله للعبد أولاً وأخيراً ، "فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (١) .

وقد بذل العلماء في هذا العلم جهوداً موفقة ، فقد فرغوا الفروع من الأدلة، وافترضوا المسائل، وأودعوها الكتب، وحاولوا أن يستنبطوا لكل مسألة يتصورون وقوعها، حتى حققوا آثاراً تبعث على الفرح والارتياح ، ولا شك في أهمية القواعد الأصولية والمسائل الفقهية في مجال الاستنباط ، ولهذا أدرك أهل العلم - على اختلاف مذاهبهم الفقهية - هذه الأهمية وقَرَرُوهَا ، وأكثر بعضهم من ذكرها في تفاسيرهم ، وممن اعتنى بهذا الفقيه المجتهد ابنُ بَدْران - رحمه الله - فأورد الكثير من الاستنباطات الفقهية والأصولية في تفسيره ، مما يدلُّ على إمامته في الفقه وأصوله - رحمه الله - ، وسأوردُ شيئاً من استنباطاته الفقهية و الأصولية في هذا الجزء الذي وصل إلينا من تفسيره ، فمن الأمثلة على ذلك :

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (١ / ٢٥) . صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، (٢ / ٧١٨) .

الأمثلة التطبيقية للاستنباطات الفقهية:

المثال الأول: قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (١). قال ابنُ بَدْران: "وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ أخذ المال على الباطل وإن كان بالتراضي فإنه مُحَرَّمٌ، لأنَّ الذي كانوا يُعْطُونَهُ من المال كان على محبةٍ ورضاً ، ومع ذلك فقد نَبَّه تعالى على تحريمه" (٢).

ففي هذه الآية استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - حُكْم من أحكام البيوع وهو حكم أخذ المال على الباطل وإن كان بالتراضي بين الطرفين ، وذلك بناء على الوعيد في الآية لمن كسب المال من وراء بيع التوراة المحرفة بأيدي اليهود ، فهذه من المعاملات التي تكون بالتراضي بين الطرفين ، لكن فقدت صحةً مقاصد العُقْد ، فيكون الكسب هنا مُحَرَّمًا ، فَحُرْمَةُ المال تكمن في كل ما يُكْسَبُ بطريقٍ غير مشروع، ويدخل تحته هذا الحكم ، ويشتد التحريم إن كان الغرض من هذا البيع إبطال حقٍّ ، أو إحقاق باطلٍ ، أو ظلمًا لأحدٍ ، كما هو القصد عند اليهود .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣). قال ابنُ بَدْران: "إنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ ، يدلُّ على أنَّ السعي ليس عبادةً تامةً في نفسه ، وإنما يصير عبادةً إذا صار بعضاً من أبعاض الحج ، ولهذا السِّرِّ بَيَّنَّ الله الموضوع الذي يصير فيه السعي عبادةً" (٤).

ففي هذه الآية استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - حكم فقهي وهو بيان الموضوع الذي يكون فيه السعي عباده ، يدل على ذلك افتتاح الآية بالحج - ومعه العمرة - ،

(١) سورة البقرة: آية (٧٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٩) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٤) جواهر الأفكار (٤١٠) .

فَعِلْمٌ أَنْ مَا بَعْدَهُ تَابِعٌ لَهُ ، وَمِنْ أَحْكَامِهِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِهِ ، فَالتَّابِعُ لَا يُفْرَدُ بِالْحُكْمِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُجْعَلُ تَبَعًا ، فَدَلَّ بَيَانُ حُكْمِ السَّعْيِ بَعْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَحْكَامِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَا يُشْرَعُ فِيهَا السَّعْيُ مُفْرَدًا ، بَلْ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مُقْتَرَنًا بِكَوْنِهِ حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ ، وَهَذَا مِنْ قِبَلِ الْجُزْءِ ، أَوْ كَالْجُزْءِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَلَا يَثْبُتُ السَّعْيُ - الَّذِي هُوَ الْفَرْعُ - كَعِبَادَةِ تَامَةٍ مُفْرَدًا عَنِ الْحَجِّ وَالْعِمْرَةِ اللَّذَيْنِ هُمَا الْأَصْلُ ، فَهَذَا مُتَمَتِّعٌ لَتَعَلُّقِ الْفَرْعِ بِالْأَصْلِ ، وَكَوْنِهِ جُزْءًا مِنْهُ ، فَيَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْحُكْمِ كَوْنَهُ اسْتِنْبَاطًا فِقْهِيًّا ، وَهُوَ مُدْرَجٌ فِي أَبْوَابِ الْحَجِّ مِنْ كِتَابِ الْفِقْهِ .

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي

الْقَتْلِ﴾^(١). قال ابنُ بَدْرَانَ: "إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ يدلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرَضٌ عَلَيْنَا ، وَإِقَامَةٌ ذَلِكَ الْفَرَضِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْإِمَامِ ، أَوْ مَنْ يَجْرِي بِجَرَاهُ ؛ لِأَنَّهُ مَتَى حَصَلَتْ شَرَايِطُ وَجُوبِ الْقَوْدِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَتْرَكَ الْقَوْدَ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا إِذَا أَرَادَ وِلْيُ الدَّمِ الْعَفْوُ"^(٢) .

هنا استنبط ابن بَدْرَانَ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِ الْجَنَائِيَّاتِ وَهُوَ إِقَامَةُ الْقِصَاصِ ، فَإِنَّهُ فَرِيضَةٌ

لَازِمَةٌ ، وَحَتْمٌ وَاجِبٌ لَا يُدَّ مِنْهُ ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كُتِبَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ، فَإِنَّهَا مُشْعِرَةٌ بِالْوُجُوبِ ، فَلَمَّا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَفَرَضَهُ عَلَى الْأُمَّةِ كَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْإِمَامِ أَوْ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ إِقَامَةُ الْحُدِّ إِذَا وَجِبَ الْقَوْدُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ حَاكِمٍ ذِي بَصِيرَةٍ يَقُومُ بِهِ ، إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ أَحَدٍ دُونَ السُّلْطَانِ ، وَلِهَذَا جَعَلَ اللَّهُ السُّلْطَانَ لِيَكْفِ أَيْدِيَ النَّاسِ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَصِيَانَةَ لِدِمَاءِ النَّاسِ .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ

اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْرَانَ: "وَالْآيَةُ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ ،

(١) سورة البقرة: آية (١٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٧٤ - ٤٧٥) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

وهي من باب المُفَاعَلَة ، فيكون النهي عن الجَمَاع ، وعمّا هو سبيلٌ له ، وأما المباشرة التي لا تَلْدُذُ بها فالظاهر أنها غير داخلية في هذه الآية^(١) .

استنبط ابن بدران - رحمه الله - من الآية حُكْم من أحكام الاعتكاف في المساجد وهو النهي عن الجَمَاع وما هو سبيل له حال الاعتكاف في المسجد ، وأما المباشرة التي لا تَلْدُذُ بها ، وما لا يكون سبيلاً للجَمَاع فليس داخلاً في النهي؛ لكونه أقل منه رُتْبَةً وأدنى منه درجة .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ

وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾^(٢) ، قال ابن بدران: "وقوله: ﴿وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ﴾ أراد الخنزير بجميع أجزائه، لكنه خصّ اللحم لأنه المقصود بالأكل"^(٣) .

فاللحم وإن كان مخصوصاً بالذكر في الآية فإن المراد الخنزير بكل أجزائه ومشتقاته لحماً، وعظماً، وشحمًا، وعصبًا، ودهنًا، ودمًا، وجلدًا، وغضروفًا، وغير ذلك ، وإنما نص القرآن على اللحم فقط؛ لأنه أغلب ما يؤكل، وتأكيداً لحكم تحريمه وحظرًا لسائر أجزائه ، وهذا الحكم هو ما استنبطه ابن بدران - رحمه الله - من الآية الكريمة ، وهو استنباط فقهي وحُكْم من أحكام الأَطْعَمَة .

(١) جواهر الأفكار (٥٢٢) .

(٢) سورة البقرة آية (١٧٣) .

(٣) جواهر الأفكار (٤٥٨) .

الأمثلة التطبيقية للاستنباطات الأصولية:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ

هُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ﴾ (٧٨) (١). قال ابنُ بَدْران: "يُؤَخِّدُ من أحكام هذه الآية: أن الاكتفاء بالظنِّ في أصول الدين غير جائز" (٢).

فهذا الاستنباط من ابن بَدْران - رحمه الله - مأخوذٌ من القاعدة الأصولية التي تقول: "أصول الفقه في الدين قطعياً لا ظنية" (٣)، حيث ذكر سبحانه أهل الكتاب في معرض الذمِّ، ووصفهم بصفات الجهل والظنِّ في الدين، فعُلِمَ أن الظنَّ وعدم اليقين في أصول الدين غير جائز؛ لأن الأصول في الدين لا تُبَنَّى على أساسٍ ظني، وعلى هذا فإن الآية واضحة الدلالة في النهي عن اتِّباع الظن، هكذا يقرر ابن بَدْران.

المثال الثاني: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٤). قال ابنُ بَدْران: "ومن المعلوم في فنِّ

الأصول أن الحكم إذا ترتَّب على وصفٍ أشعَرَ بعليَّة ذلك الوصف، فالآية دالة على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين، وهذا يقتضي العموم" (٥).

وهذا الاستنباط مأخوذٌ من القاعدة الأصولية التي تقول: "الحكم المُتَرَتَّب على الوصفِ مُشعِرٌ بعليَّة ذلك الوصف" (٦)؛ فإنه تعالى رتَّب استحقاق البرِّ بهما على كونهما والدين؛ فإنَّ الأصل عدم وجودِ علةٍ أخرى غير كونهما والدين، فانتفاء الحكم عمَّا عدا تلك الصفة من لوازم ثبوته لها، فالدَّالُّ على ثبوت الحكم للصفة المخصوصة بالذكر مطابقةً يدلُّ على نفيه عمَّا عداها التزاماً (٧)، فهذا هو معنى ما ذكره ابن بَدْران.

(١) سورة البقرة: آية (٧٨).

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٧-٢٣٨).

(٣) الموافقات: للشَّاطِبي (١٩).

(٤) سورة البقرة: آية (٨٣).

(٥) جواهر الأفكار (٢٤٣).

(٦) الإتهاج في شرح المنهاج: للسُّبُكي (٣/٤٥).

(٧) المرجع السابق (١/٣٧٥).

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ﴾^(١). قال ابن بدران: "قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عُدُولاً ، يشير إلى أنّ إجماع الفاسقين والمبتدعين لا يُعدُّ إجماعاً ، ولا يعتبر في الإجماع إلا العدل العارف بما جاء به الرسول (ﷺ)"^(٢).

هذا الاستنباط مبني على استدلال الأصوليين بهذه الآية على أنّ إجماع علماء الأمة - أي المجتهدين - حُجَّةٌ شرعية فيما أجمعوا عليه^(٣) ، فالله - جلَّ وعلا- أخبر عن عدالة الأمة ، وإذا ثبتت عدالة علماءها وجب كون قولهم حُجَّةً ، فلو كان ما اتفقوا عليه باطلاً لانتكمت عدالتهم ، فخرج من ذلك إجماع الفاسقين والمبتدعين .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

قال ابن بدران: "فيه ردُّ على القائلين بأنَّ النسخ يلزم منه البداء ، وهو ظهور الشيء بعد أن كان خفياً ، لأن البداء يُنافي كمال العلم ؛ لأنه يستلزم الجهل المحض ، وهو مستحيل" على الله تعالى ، فالبداء مستحيل على من له ملك السماوات والأرض"^(٥).

هذا الاستنباط مأخوذٌ مما في علم الأصول: بأنَّ النسخ لا يلزم منه خلاف الحكمة ، كما لا يلزم منه البداء المحال في حقه^(٦) ، فاليهود من أكثر الأمم إعراضاً عن الحق، لكي يذفَعُوا عن أنفسهم صفة الإعراض علَّلوا موقفهم من شريعة الإسلام بأنَّ ما جاء به محمد (ﷺ) من الشريعة الربانية ينسخ شريعة التوراة ، والنسخ على الله محال ؛ لأنه بداء ، فالقائل به متهمٌ لله بالجهل ؛ لأنَّ حكمه الأول مصلحة ، فإذا نسخه وقضى بخلافه ،

(١) سورة البقرة: آية (١٤٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٧٤) .

(٣) انظر: الفُصُولُ فِي الْأُصُولِ: لِلْحَصَّاصِ (٣/ ٢٥٧) ، الْمُعْتَمَدُ: لِأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ (٢/ ٤) ، وَالْفَقِيهِ وَالْمُتَّفَقِ: لِلْحَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (١/ ٤٢٧) ، وَأُصُولُ السَّرْحَسِيِّ (١/ ٢٩٧) .

(٤) سورة البقرة: آية (١٠٧) .

(٥) جواهر الأفكار (٣٠٦) .

(٦) انظر: كشف الأسرار: لعلاء الدين البخاري (٣/ ١٧٢) .

دل على أنه قد بدأ وظهر له فساد الحكم الأول ، وهذا اتهامٌ لله بالجهل ، وهو ممتنع ، فردَّ الله عليهم في هذه الآية بأنَّ كلَّ شيءٍ في الوجود هو ملكٌ لله ، وهو يتصرَّفُ بقدرته فيما يملك ، فينسخ ما شاء ، فمن هذا استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - هذه القاعدة الأصولية .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) (١) ، قال ابن بَدْران: "ثم إن ها هنا بحثًا يؤخذ من هذه الآية على مسلك أصحابنا المؤمنين بالله وبرسوله وبكتابه المنزل، وهو أن بعض الفقهاء استدلَّ بهذه الآية على أن الأصل في الأشياء الإباحة، فلا يمنع شيء إلا بدليل" (٢) .

فيرى ابن بَدْران - رحمه الله - أن الأصل في الأشياء الإباحة، والحظر لا يثبت إلا بدليل، فما كان الله سبحانه ليخلق ويسخر هذه الأشياء للإنسان ويمُنُّ عليه بها، ثم يحرمها منها بتحريمها عليه، وإنما حرم أموراً منها لحكمة منه تعالى ، ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الإسلام ، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً واضحاً ؛ ذلك أن النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً، وما لم يجيء نص بحله أو حرمة، فهو باق على أصل الإباحة، وفي دائرة العفو الإلهي . ومن هنا استنبط ابن بَدْران هذه القاعدة الأصولية المنتشرة في كتب الفقه (٣) .

(١) سورة البقرة آية (٢٩) .

(٢) جواهر الأفكار (١٤٩) .

(٣) انظر: المنثور في القواعد الفقهية: للزركشي (١/ ١٧٦) ، الأشباه والنظائر: للسُّبُوطِي (٦٠) ، الأشباه

والنظائر: لابن نجيم (٥٦) .

رابعاً: الاستنباطات الاجتماعية والعمرانية .

ميدان علم الاجتماع والعمران من أهم الميادين، فأثره كبير في إرساء ثقافة اجتماعية إنسانية قادرة على النهوض بالمجتمع البشري ، وتنشئه الأجيال الذين هم قاعدة بناء المجتمعات والدول ، فالفرد الواحد غير قادر على تحصيل حاجته وما يغذي استمرارية حياته، ومن هنا كان لابد له من التعاون مع أبناء جنسه للحصول على قوت يومه ونمو فكره والذي بهما يقوى لكي يتعرف ويتطلع على كل ما هو جديد ويدور في فلكه .

وعلم العمران أول من تكلم عنه ابن خلدون^(١) (ت: ٨٠٨هـ) في مقدمته الذائعة الصيت^(٢) حيث قال: "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، عزيز الفائدة، أعثر عليه البحث ، وأدى إليه الغوص ... ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليفة ...".

والإسلام يدعوا إلى تأسيس أمة ومجتمع إسلامي له مبادئه التي تغذي العقل بالحقائق والمعارف، والنفس بالتربية والأخلاق، فنحن أمة نبيّ بُعثت بمكارم الأخلاق ، والقرآن الكريم هو أداة التأسيس الأولى حين يتلقاه الإنسان بقلب حاضر ، وعقل مُتَدَبِّر ، فيتعلّم منه التوجيهات التي أودعها الله فيه، وقد حظي القرآن باهتمام وعناية العلماء والمفكرين المسلمين، ونال نصيباً طيباً من جهودهم العظيمة ، التي تمثلت في مجموعة الاستنباطات الاجتماعية والعمرانية ، والإمام ابن بدران من العلماء الذين أولوا علم العمران عناية بارزة من خلال الاستنباطات الاجتماعية والعمرانية المتناثرة في تفسيره ، لاسيما وإن ابن بدران متألم من عصره ، كثير التشنّج من واقع الناس وسلوكياتهم .

وسأضرب أمثلة لبعض تلك الاستنباطات الاجتماعية والعمرانية عند ابن بدران

- رحمه الله - :

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من شيوخه: عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن ابراهيم الاربلي ، و من أشهر كتبه : (العبر وديوان المبتدئ والخبر) و (مقدمة ابن خلدون) انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٣/ ٣٣٠) ، معجم المؤلفين: لعمر كحالة (٥/ ١٨٨) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ١٢٨) .

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).
قال ابنُ بَدْران: "إننا إذا أهملنا استعمال ما خُلِقَ لنا ، وتركنا أمرَ الرِّزَاعَةِ مُهْمَلًا ، ولم نَمِلْ إلى استخراج المعادن من مَكَامِنِهَا لنَنفَعِ عِبَادَ اللَّهِ تعالى ، ولم نَنظُرْ في خصائص الأشياء للارتفاع بها ، وأَعْرَضْنَا عن هذه النِّعم ، ونَأْيْنَا عنها جانباً كان ذلك إِعْرَاضاً منا عَمَّا خُلِقَ لأجلنا من النِّعم ، فَيُوشِكُ أن تُسَلَبَ منا ، وتُعْطَى إلى غيرنا مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بها ، ففي الآية دليلٌ وبيانٌ واستبصارٌ" (٢) .

ففي هذه الآية دلالة على أن الله خلق جميع ما في الأرض من أجزائها المكوّنة لها من أجلنا، ومادام الله قد سَخَّرَهَا لنا فَيُفِيهِمْ من ذلك حَثُّ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً وَجَمِيعِ الْبَشَرِ عَامَةً على النظر في نواميس الكون وقوانينه ، ودراستها ؛ حتى يَسْتَفِيدُوا منها في عِمَارَةِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّا إِن لم نُعْمَرْ هذه الأرض وَنَنْتَفِعَ بِثَرَوَاتِهَا التي سَخَّرَهَا اللَّهُ لنا ، كان هذا منا إِعْرَاضاً وَتَجَاهُلاً ، والتسخير يُوجِبُ الارتفاعَ وعمارة الأرض ، ومهمة الإنسان البحث والتنقيب في هذا الكون المُسَخَّرَ له ، من أجل اكتشاف سُنَنِ اللَّهِ ؛ لتسخيرها في خدمة الإنسان وتقدمه ، فَإِنَّا إِذَا لم نَأْخُذْ بهذا المبدأ انتقل هذا إلى غيرنا من الأمم فارتقوا وتقدموا وبقينا متخلفين .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ (٣).
قال ابنُ بَدْران: "لا يخفى ما في هذا من القواعد التي يحتاج إليها العُمران ؛ وذلك لأنَّ القِرابَةَ مظنة الإتحاد والألفة والرعاية والنُّصرة ، فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان ذلك

(١) سورة البقرة: آية (٢٩) .

(٢) جواهر الأفكار (١٤٩) .

(٣) سورة البقرة: آية (٨٣) .

أشَقَّ على القلب ، وأبْلَغَ في الإيْحَاشِ والضَّرِّرِ ، وكلما كان أقوى كان دفعه أَوْجَبَ ،
فلهذا وَجِبَتْ رعايَة حقوق الأَقاربِ" (١) .

استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - من هذه الآية سُنَّة اجتماعية تتعلق ببقاء المجتمع
وعمرانه ، فالاجتماع مطلوبٌ للشارع في بقاء نظام النوع الذي لا يتحصَّل إلا ببقاء
أشخاصه ، وما يتطلبه هذا البقاء من الألفة والاتحاد ، والرعاية فيما بينهم ، فالقربان
مُوجِبَةٌ للمودة والألفة ، واستمرار الحياة ، فحقُّ ذِي القربى كالتَّابع لِحَقِّ الوالدين من
حيث الإحسان؛ لأنَّ الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين ،
والاتصال بذِي القربى في المرتبة الثانية من الاتِّصال بالوالدين ، مما يدلُّ على أهمية صلة
الأرحام ودور هذه الصلة في بناء المجتمع وتآلفه .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿مَّا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا

الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ (٢) . قال ابن بَدْران: "والآية تُشير - من
الوجهة العُمرانية- إلى أنه يجب على المؤمنين أن يعتمدوا على الله ، ثم على أنفسهم في
أسباب معاشهم ، فيسابقون أهل الكتاب والمشركين إلى العلوم النافعة لهم ، وإلى فنون
الصنائع التي يُظهِرُهَا اللهُ على أيدي من يشاء ، أنا فأنا ، حتى يبرزوا عليهم ، فلا
يحتاجون إلى أعدائهم ؛ لأنهم إذا تكاسلوا احتاجوا إليهم ، فاختلطوا بهم ، فأفسدوا
عليهم أمر معاشهم" (٣) .

يؤكد ابن بَدْران - رحمه الله - في استنباطه هذا ما يؤخذ من الآية وهو وجوب
الرُّقي بالمجتمع المسلم في كلِّ المجالات ، وخاصةً مجالات الصناعة ، فأصول الصناعات
من فروض الكفايات، التي تُقصدُ إلى إنشَاء أمة قوية عزيزة ، مكتمية بذاتها، قادرة على

(١) جواهر الأفكار (٢٤٤) .

(٢) سورة البقرة آية (١٠٥) .

(٣) جواهر الأفكار ص: (٢٩٩) .

التَّصَدِّي لِأَعْدَائِهَا، وهذا يوجب عليها بالتضامن أن تتفوق في كل العلوم الطَّبيعيَّة والصناعات التكنولوجية المتطوِّرة التي تحتاج إليها الأمم في عصرنا لتنمو وتتقدَّم ، والأمة إذا لم تقم بهذا الأمر قام به غيرهم من الأمم الكافرة من اليهود والنصارى وغيرهم ، فتسلطوا على المسلمين ، فكشَفَ الحق سبحانه للمؤمنين العداوة التي يُكِنُّهَا لهم أهل الكتاب من اليهود، فبيَّن لهم أن اليهود والمشركين يكرهون الخير لهم ، بالإضافة إلى ما تُكِنُّهُ صدورهم من المكر والعداء لهم ، وما تمتلئ به قلوبهم من الحقد و الحسد ، بسبب ما اختصهم الله به من الفضل بالرسالة الخاتمة، فيجب علينا كمُسْلِمِينَ أن نتنبه لهذا ، ونحذِر منهم .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١). قال ابنُ بَدْران: "ومن المعلوم أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يُعَدَلْ عنه إلى غيره، وما دخل الرَّفْقُ في شيءٍ إلا زَانَةٌ ، وما دخل الحَرْقُ في شيءٍ إلا شَانَهُ ، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلةٌ تحت قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(٢)، وأنت إذا تأمَّلتَها حقَّ تأمُّلِها أرشدتك إلى قواعد العُمران ، وإلى المدنيَّة الصحيحة"^(٣) .

استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - من هذه الآية أدب اجتماعي وهو الرَّفْقُ واللِّين في محلِّه ، والشِدَّة في محلِّها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضاً أن يُوضَعَ اللِّين في محلِّ الشِدَّة، ولا الشِدَّة في محلِّ اللِّين، وكلما كان اللِّين في القول كان أحسنَ وأولى ، والآية هنا تُشير إلى هذا وتدعوا إلى تقديمه ، واستنباط ابن بدران يدور حول هذا المعنى ، وهو معنى صحيح .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(٤) . قال ابنُ بَدْران: "والذي يلوح من سِرِّ الآية التفصيل ، واعتبار كلِّ مَقَامٍ بِحَسَبِهِ ، فإن كان القول للدعوة

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٤٧) .

(٤) سورة البقرة: آية (٨٣) .

إلى الإمام فليكن بالرِّفق واللين، كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ رِقَابًا لَنَا﴾^(١)، وقال لمحمد (ﷺ): ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)، وإن كان لدعوة المُسْتَأَقِ ونحوهم للطاعة، فليكن بِحُسْنِ القول " (٣).

هنا فصل ابن بَدْران - رحمه الله - في استنباطه، وجعل للإحسان في الآية الكريمة مَعَانِي كَثِيرَةً تَضِيءُ من هذه اللفظة الجامعة، فالقول لا بُدَّ أن يُرَاعَى فيه الناصح حال المنصوح ومكانته، بسلوك طُرُق الإحسان، كلُّ على حَسَبِ حاله ومنزلته، ونحن نحتاج إلى هذه القاعدة بكثرة، خاصةً أننا في حياتنا نتعامل مع أصنافٍ مختلفة من البشر، وكل إنسان لا بُدَّ أن يُعَامَلَ على حَسَبِ حاله لإيصال الحق إليه، فَتُسْتَعْمَلُ معه الطريقة الناجعة بحَسَبِ حاله، فالإمام يَخاطَبُ برفقٍ ولين، أما عامَّةُ الناس فالإحسان بالقول مطلبٌ شرعي لهم، أُسَوِّتُنَا في ذلك سيد البشر (ﷺ)، فكان تعاملُه مع عامة الناس تعاملًا حَسَنًا لِيِّن، فيظهر لنا من هذا قاعدة عمرانية مهمة تدعو إلى التعامل الأمثل في الدعوة.

(١) سورة طه : آية (٤٤) .

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٩) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٤٧) .

المبحث الثاني أقسامه باعتبار صحته وبطلانه

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الاستنباط الصحيح .
- المطلب الثاني : الاستنباط الباطل .

أقسام الاستنباط باعتبار صحته وبطلانه .

ينقسم الاستنباط من القرآن باعتبار صحته وبطلانه إلى قسمين^(١):

الأول: استنباط صحيح : وهو ما توفرت فيه شروط الصحة ، وهما شرطان^(٢) :

أولاً: صحة دلالة الآية على هذا المعنى .

ثانياً: صحة المعنى المستنبط في ذاته .

فينظر في الدلالة الرابطة بين الآية والاستنباط، والعلاقة بينهما ، فإن صحَّ الربط فقد توفّر الشرط الأول ، ثم ينظر في معنى الاستنباط ، فإن ظهرت صحته فهو استنباط صحيح في ذاته ، صحيح الدلالة ، وإن اختلف شرط واحد فقد سقطت صحته ، وأصبح من قبيل الباطل غير الصحيح .

الثاني: استنباط باطل: وهو ما لم تتوفر فيه شروط الاستنباط الصحيح .

فإن سقط شرط من شروط صحة الاستنباط فإنه يكون من قبيل الاستنباط الباطل؛ لأنه اختلف شرط ، وبالتالي تسقط الصحة عن الاستنباط ، وسأمثل لكل منهما عند ابن بدران - رحمه الله - في تفسيره بما يوضح ذلك ويبينه .

(١) الاستنباط في القرآن الكريم لفهدهم الوهبي (١٤٢) .

(٢) المصدر السابق (١٤٥) .

أولاً: الأمثلة التطبيقية للاستنباط الصحيح:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١). قال ابن بدران: "ودلت الآية أيضاً على مُطْلَقِ الطَّوْفِ ، لا على كَيْفِيَّةٍ ولا عدد ، غير أن الأحاديث الصحيحة هي التي تُعَيِّنُ ذلك ، ولها محلٌّ تُذَكَّرُ فيه ، وليس هنا محلٌّ اسْتِثْنَاءِهَا"^(٢) .

يشير ابن بدران - رحمه الله - إلى أنه لما ذُكِرَ الطَّوْفُ في الآية مطلقاً دون تحديد عددٍ معين ولا كَيْفِيَّةٍ خاصة ، دلَّ على أنَّ هناك مَصْدَرًا آخر في أخذ الأحكام الجملة ، وهذا المصدر هو السنة النبوية ، فقد جاءت مفصَّلةً ومبيَّنةً للأحكام الجملة في آيات عديدةٍ من القرآن الكريم ، فهذا استنباطٌ صحيح ، وهو الذي يظهر دخوله تحت قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٣) .

كما أشار عددٌ من العلماء إلى المعنى المستنبط هنا ، منهم الإمام النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦هـ) فقد قال في هذا الصَّدَد: "على السُّنَنِ مدار أكثر الأحكام الفقهية؛ فإنَّ أكثر الآيات المُروَعِيَّاتِ مُجْمَلَاتٌ ، وبيانها في السنن المُحَكَّمَاتِ ، وقد اتفق العلماء أن على القاضي والمُفتي أن يكون عالماً بالأحاديث الحُكْمِيَّاتِ"^(٤) .

المثال الثاني : قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٥) . قال ابن بدران: "وفيه إشارة إلى أن الحَقِيقَ بالمدح مَنْ راعى حُدُودَهَا الظَاهِرَةَ من الفرائض والسنن ، وحُقُوقَهَا الباطنة من الخشوع والإقبال على الله تعالى ، لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون، ولذلك

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١١) .

(٣) سورة النحل: آية (٤٤) .

(٤) المنهاج: للنَّوَوِيِّ (١ / ٤) .

(٥) سورة البقرة: آية (٣) .

ذُكر في سياق المدح : ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(١) " (٢) .

استنبط ابن بدران - رحمه الله - من الآية المعنى الحقيقي لأداء الصلاة وهو إقامة الصلاة على وجهها الحقيقي، إقامة لا أداء فقط، فالإقامة تشمل إقامة الصلاة بفرائضها وسننها، ومستحباتها، وغير ذلك من معاني الإقامة ، المأخوذة من كلمة ﴿وَيُقِيمُونَ﴾ التي تتضمن كثيراً من الحقوق ، لا مجرد الأداء ، فمن بلاغة القرآن الكريم جمعه المعاني الجليلة بلفظٍ موجز، فهذا تكون الإقامة الحقيقية هي ما استنبطها ابن بدران من الآية، وبهذا يكون هذا هو المفهوم الحق لإقامة الصلاة ، مما يدل على كونه استنباطاً صحيحاً.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) قال ابن بدران: "ودل ظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ باعتبار الضمير العائد إلى كلام الله ، أن التحريف كان للفظ ؛ لأن كلام الله إذا كان باقياً على جهته وغيرتوا تأويله فإنما يكونون معيّرين لمعناه ، لا لنفس الكلام المسموع"^(٤) .

فأشار ابن بدران إلى دلالة الآية على التحريف اللفظي للتوراة، لا مجرد المعنى، فحمل التحريف على تغيير اللفظ هنا أولى من حمله على تغيير المعنى؛ لأن التحريف في الآية إنما هو لكلام الله - جلّ وعلا-، وكلام الله تعالى هو اللفظ المسموع؛ إذ لو غيرتوا تأويله وتفسيره لكانوا معيّرين لمعناه ، لا للكلام المسموع ، كما أن من قال إن التبديل والتغيير وقع في المعاني أيضاً^(٥) ، فقولته غير منكر، قال الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) :

(١) سورة البقرة: آية (٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٤).

(٣) سورة البقرة: آية (٧٥) .

(٤) جواهر الأفكار (٢٣١).

(٥) بل إن هذا أمر مُسَلَّم به ، ويُقرُّ به عامة اليهود والنصارى، وهو ما حكى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- الإجماع في كتابه الجواب الصحيح (٥/ ١٢٣) ، وقال أيضاً (٢/ ٤١٩) : "ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب مُتَّفِقُونَ على وقوع التَّحْرِيفِ في المعاني والتفسير" .

"تحريفهم المعاني لا يُنكر؛ بل هو موجودٌ عندهم بكثرة"^(١) ، لكن القول بعدم التحريف في ألفاظها قولاً لا يُسَلَّم به؛ لأنه قد وُجد فيها من الألفاظ ما لا يجوز أن يكون من كلام الله ، إضافةً إلى ما فيها من التناقض والتضارب في نصوصها ، مما يدلُّ على صحَّة استنباطه - رحمه الله - .

المثال الرابع : قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) قال ابنُ بَدْران: "وفي هذه الآية بيانٌ لما شَرُفَ به كتابنا من أنه - لإعجازه - لا يقدر أحدٌ أن يأتي من عنده بما يدسُّه فيه، فيلبَّسَ به " ^(٣) .

استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - من هذه الآية أنه لَمَّا ذكر - جلَّ وعلا - تحريف اليهود لكتابهم في هذه الآية ، عُرِفَ من ضده معجزة حفظ القرآن الكريم، وحماية الله تعالى له من التحريف ، وصيانتَه عِبْرَ الأزمان من عبث الأيدي به؛ لِيَبْقَى ما فيه حُجَّةٌ لله على الناس، قائمةٌ حتى يرث الله الأرضَ وَمَنْ عليها، وهو استنباط صحيح، فقد أخبر - جلَّ وعلا - عن ذلك، وأقرَّه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحْفُظُونَ﴾^(٤) ، وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٥) ، فيتبين من هذا أنه استنباطٌ صحيح .

(١) فتح الباري (١٣ / ٥٢٤) ، وإلى هذا القول ذهب الإمام البُخاري - رحمه الله - في صحيحه (٩ / ١٦٠) ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿١٢﴾ [البروج: ٢ - ٢٢] حيث قال: "يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ، وليس أحدٌ يزِيل لفظ كتابٍ من كتب الله - عز وجل - ، ولكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله" ، واختاره الرَّازي في تفسيره (٣ / ٥٦٠) ، ومقصود البُخاري ومن وافقه - والله أعلم - أنهم إذا حرفوا كتبهم لم تعد كلاماً لله ، فلم يحرفوا كلام الله إذن ، فالخلاف لفظي .

(٢) سورة البقرة: آية (٧٩) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٣٨) .

(٤) سورة الحجر: آية (٩) .

(٥) سورة النساء: آية (٨٢) .

المثال الخامس: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١). قال ابن بدران: "ولكن لما كان من الجائر أن يُظنَّ أن كلَّ سيئةٍ صَعُرَتْ أو كَبُرَتْ ، فحالها سواءٌ في أن فاعلها يخلد في النار، أزدفها بقوله: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ ، ليدلَّ على أن الذي يستحقُّ الخلود هو الذي تكون سيئته قد أحاطت به" (٢) .

مراد ابن بدران - رحمه الله - أن إحاطة الخطيئات في الآية هي حالة الكفر؛ لأنها تَعَلُّوا على جميع الخطايا، وتحيط بها ، فليس مع الكفر عمل صالح ، فلا تكون السيئة محيطَةً بصاحبها إلا في حالة الشرك ، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٣) ، فبيّن هنا أن الشرك وحده هو الذي لا يغفره الله، أما ما دون الشرك فلا يُحَكِّمُ عليه بالخلود ، بل يكون تحت مشيئة الله تعالى .
ومثل ما جاء في هذه الآيات جاء في السنة النبوية ، حيث قد وَرَدَ من كلام الرسول (ﷺ) ما يُؤيِّد أن الله يجعل مرتكبي الكبيرة تحت مشيئته؛ فقد جاء في صحيح البخاري: أن الرسول (ﷺ) بايع الأنصار على أمورٍ، ثم قال في آخر كلامه : "ومَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَطَهْرٌ، وَمَنْ سَتَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ" (٤) ، وغيرها من النصوص كثير ، تدلُّ دلالةً قاطعةً على أن المُوَحَّدَ مُسْتَثْنَى من عموم الوعيد بالخلود . فيتين من هذا كون الاستنباط استنباطاً صحيحاً ، تؤكده الآيات والسنة النبوية الصحيحة .

(١) سورة البقرة: آية (٨١) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٤٠) .

(٣) سورة النساء: آية (٤٨) .

(٤) (٨ / ١٦٢) ، كتاب الحدود ، باب توبة السارق ، حديث رقم (٦٨٠١) .

ثانياً: الأمثلة التطبيقية للاستنباط الباطل:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً﴾^(١). قال ابن بدران: "وصريح قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، يدلُّ على أنه تعالى خلق آدم في الأرض، ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء، لكان هذا أولى بالذكر؛ لأنه من أعظم الآيات، ومن أعظم النعم عليه، فإنه يكون معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السماوات"^(٢).

وهذا الاستنباط باطل من جهة الآية وسياقها، فالآية ليس فيها ما يدل صراحة على أن الله - جلَّ وعلا - خلق آدم في الأرض كما أخبر بذلك ابن بدران في استنباطه، وإنما يخبر تعالى بامتثاله على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم، بأنه جعل في الأرض قوما يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل^(٣).

وهو أيضاً استنباط خالف فيه ابن بدران - رحمه الله - جمهور العلماء، فالذي ذهب إليه الجمهور أن الله - جلَّ وعلا - خلق آدم في السماء، وأن الجنة التي أدخلها إياه هي جنة الخلد، وجزموا بأنها موجودة في السماء، وهذا الذي ارتضاه واعتقدته أهل السنة، وهو الذي تشهد له ظواهر الآيات والأخبار المروية عن النبي (ﷺ)^(٤)، قال شيخ

(١) سورة البقرة: آية (٣٠).

(٢) جواهر الأفكار (١٧٦).

(٣) انظر تفسير الآية: جامع البيان: للطبري (٤٥١/١)، ومعالم التنزيل: للبعوي (١٠٢/١)، والكشاف:

للزحشي (١٢٤/١)، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٢١٦/١)، ومدارك التنزيل: للنسفي (٧٧/١).

(٤) جاء في صحيح مسلم (٤/٢٠١٦)، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك،

حديث رقم (٢٦١١)، أن رسول الله (ﷺ) قال: "لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ، فَجَعَلَ

إِبْلِيسَ يَطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَى أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقاً لَا يَتَمَّاكُ". وثبت في صحيح مسلم

(١/١٨٦)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩٥): "يجمع الله تبارك وتعالى

الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيقولون: يا أبانا، استفتخ لنا الجنة، فيقول: وهل

أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم" مما يدلُّ على أن الجنة التي أُخْرِجَ مِنْهَا آدَمُ هي بعينها التي يُطَلَّبُ مِنْهُ أَنْ

الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨): "والجنة التي أُسْكِنَهَا آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي: جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدّة، أو غير ذلك فهو من المتفلسفة والمُلحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المُبتدعين، فإنّ هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يُرَدُّان هذا القول، وسلف الأمة وأئمّتها متفقون على بُطلان هذا القول"^(١)، مما يدلُّ على أن خَلْقَهُ وسجود الملائكة ودخوله الجنة، كلُّها كانت في العالم العلويّ في السماء، وأيضاً قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢)، فَعَلَّقَ الأمر هنا بخلق آدم وتسويته ونفخ الروح فيه، فيكون المعنى أن الملائكة أُمِرَّت بالسجود لآدم بمجرد خَلْقِهِ - حيث أتى بحرف الفاء التي تفيد التّعقيب -، ومعلوم أن الملائكة في السماء، كما صرّح به القرآن في أكثر من موضع^(٣)، فخلق آدم (عليه السلام) كان إذن في المكان الذي كانت توجد فيه الملائكة، لأنها أُمِرَّت بالسجود له بمجرد خَلْقِهِ، وهذا أحد الوجوه التي تبين الأمر الراجح في المسألة، فيتّضح من هذا كون هذا الاستنباط استنباطاً باطلاً.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ

يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٤). قال ابن بدران: "دلّت الآية على أن الطواف إنما يكون بالصّفا والمروة، فمن سعى بينهما من غير صُعودٍ عليهما لم يُعدّ طائفاً"^(٥).

يَسْتَفْتِيهَا لَهُمْ .

(١) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٤ / ٣٤٧).

(٢) سورة الحجر: آية (٢٩).

(٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(٣٦) سورة الأعراف: آية (٢٠٦).

(٤) سورة البقرة: آية (١٥٨).

(٥) جواهر الأفكار (٤١٠).

وهذا استنباطٌ ضعيفٌ من جهة الآية وسياقها ، فليس في الآية دلالة على هذا القول، فالآية تشير إلى أنه لا إثم عليه في أن يطوف بينهما^(١)، والطواف غير الصعود^(٢). وهو أيضاً استنباطٌ ضعيفٌ ، يخالف عمل الصحابة ، وقول جماهير العلماء ، فقد ترك الصعود بعض الصحابة، قال المأورديّ (ت: ٤٥٠هـ): "فما رواه الشافعي، عن سُفيان، عن ابن أبي نُجَيْح، عن أبيه قال: أخبرني من رأى عثمان بن عفان يقوم في فرض في أسفل الصفا ولا يظهر عليه ، فلم ينكر ذلك أحدٌ من الصحابة ، فثبت أنه إجماع"^(٣) ، فالصعود ليس واجباً، لكن يجب أن يستوعب ما بينهما، فيُلصِقُ قدمه بهما في الذهاب والإياب، فإن ترك شيئاً لم يستوعبه لم يُجزئه حتى يأتي به، وهو المذهب^(٤)، وجمهور العلماء على أن الصعود سنة^(٥) ، ولا شيء على تاركه، وليس في تركه إثمٌ ولا إبطالٌ للسعي، لأنَّ الصعود إلى أعلى الصفا وأعلى المروة فيه تعبٌ ومشقةٌ، قال الكرمانيُّ: "فإن لم يصعد على الصفا والمروة في السعي الذي ذكرنا ، يجوز عندنا ويُكرهه ؛ لما فيه من ترك السنة ، ولا يجب بتركه شيءٌ؛ لأنه من السنة"^(٦) ، فيتبين ويتضح من هذا أنَّ ما قاله ابنُ بَدْران - رحمه الله - استنباطٌ باطلٌ .

-
- (١) انظر تفسير الآية: جامع البيان: للطبري (٣/ ٢٣٠) ، ومعالم التنزيل: للبغوي (١/ ١٩١) ، والكشاف: للزحشي (١/ ٢٠٨) ، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير (١/ ٤٦٩) ، وفتح القدير: للشوكاني (١/ ١٨٦) .
- (٢) انظر معنى الصعود: العين: للخليل بن أحمد (١/ ٢٨٩) ، والصحاح: للجوهري (٢/ ٤٩٧) ، ومجمل اللغة: لابن فارس (١/ ٥٣٤) ، ومقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ٢٨٧) . وانظر معنى الطواف: العين: للخليل بن أحمد (٧/ ٤٥٨) ، والصحاح: للجوهري (٤/ ١٣٩٦) ، ومقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ٤٣٢) .
- (٣) الحاوي الكبير: للمأوردي (٤/ ١٥٩) .
- (٤) قال ابن قدامة: "والواجب من هذا ثلاثة أشياء: استيفاء السبع، فإن ترك منها شيئاً وإن قل، لم يُجزئه، وإن لم يترق على الصفا والمروة، وجب استيعاب ما بينهما، بأن يُلصِقُ عقبه بأسفل الصفا ثم يُلصِقُ أصابع رجليه بالمروة، يأتي بالواجب" الكافي (١/ ٥١٦) ، وانظر: المبسوط: للشيخ سي (٤/ ٥٢) ، وفقه السنة: للسيد سابق (١/ ٧١٢) .
- (٥) انظر: الكافي: لابن قدامة (١/ ٥١٦) ، وفتح القدير: لابن الهمام (٢/ ٤٥٩) ، والأصل المعروف بالمبسوط: للشيباني (٢/ ٤٠٨) ، وبدائع الصنائع: للكاشاني (٢/ ١٣٤) .
- (٦) تبين الحقائق: للزبيعي (٢/ ١٩) .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾^(١). قال ابنُ بَدْران: "وَدَعَى بعض المتأخرين منهم^(٢) أنه اكتشف كوكباً ثامناً للسَّيَّارات، وسماه (نَيْتُون) باسم مُكْتَشَفِهِ، والذي يُلُوخُ لي أَنَّ هذا الكوكب هو الذي يُعَبَّرُ عنه الأقدمون بفلك النَّوَابِت، وهو كثير الدُّكر في كتب الهيئة، وقد بقي عليهم فلكٌ آخر لم يكتشفوه، وهو فلك الأَفْلاكِ وَالْفَلَكُ الأعظم، والأَطْلَس، وقالوا: إنه محيطٌ بجميع الأجسام، وليس وراءه شيءٌ لا خلاء ولا ماء، ولقد سبق القرآن الكريم إلى ذِكر هذين الكَوْكَبَيْنِ، فقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٣)، يُشير إلى الثامن، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤)، يشير إلى التاسع^(٥).

هذا الاستنباط ضعيف، فالآية وسياقها ليس فيها أي دلالة على أن الكرسي والعرش فَلَكَيْنِ من الأفلاك السماوية، ولا أن الأفلاك تسعة، وإنما كان الحديث عن عظم خلق السموات والأرض وما فيها من آيات تدل على خالق هذا الكون سبحانه، دون تعيين لأمر ولا تخصيص لعدد.

والعرش والكرسي في النصوص لهما صفات غير صِفَةِ الفَلَكيَّة، فوصِفَ العرش بأنَّه سرير ذو قوائم^(٦)، وأنَّ الملائكة تحمله^(٧)، ولذلك فإنه لا يوافق صفة الأفلاك الكروية،

(١) سورة البقرة: آية (١٦٤).

(٢) يعني بهم المتأخرون المنتصرون لمذهب فيثاغورث. انظر: جواهر الأفكار (٤٢٢).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٤) سورة طه: آية (٥).

(٥) جواهر الأفكار (٤٢٢).

(٦) انظر: صحيح البخاري (١٢٦/٩)، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] حديث (٧٤٢٧).

(٧) صحيح مسلم (٤/١٧٥٠)، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث (٢٢٢٩).

والكرسي وُصِفَ في اللغة بأنه كالشيء الذي يعتمد ويُجَلَسُ عليه^(١) ، فهو موضع قدم الرب - سبحانه وتعالى - ، فدلَّ على أنه ليس بفلك .

كما أن قوله - رحمه الله - مخالف لما دلَّت عليه الأحاديث والآثار ، ومخالفٌ لما عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة ، ومخالفٌ للغة العربية^(٢) .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ

إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) . قال: "إن السماوات عبارة عن السَّيَّارات السَّبْعِ، ولكنَّ انتقاض الحصر ليس بلازم لنا؛ لأن العدد لا مفهوم له، ولو سلَّمنا أن له مَفْهُومًا، ولكن الكتاب العزيز لم يقتصر على ذكر السبع، بل زاد عليها اثنين، وهما الكرسيُّ والعرش، وهما عند الحكماء مما يطلق عليهما لفظ الفلك، فإذا انضَمَّا إلى السبعة صارت تسعة، وهم إلى الآن لم يكتشفوا الثامن من بعد ألوْفٍ من السنين ، ونحن ندعُّهم حتى يكتشفوا التَّاسِعَ بعد دهرٍ، وهناك يُدْعُونَ لنا"^(٤) .

وهذا استنباطٌ ضعيف ، فالآية وسياقها ليس فيها أي دلالة على أن السَّمَوَات هي الكواكب السَّيَّارة^(٥) ، فالحديث هنا عن السماوات وعددها، وقد فرَّقت النصوص القرآنية بينهما، فقال تعالى عن الكواكب: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ﴾^(٦) ، وقال

(١) انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (٣٢/١٠) .

(٢) وسيأتي بيان كل هذه المخالفات .

(٣) سورة البقرة: آية (٢٩) .

(٤) جواهر الأفكار (١٥٢) .

(٥) الكواكب السيارة: أجرام سماوية تدور حول نفسها وحول الشمس وتستضيء بضوئها، وهي على نوعين: كواكب رئيسية، وهي عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون، بلوتو، والنوع الآخر هو الكواكب الثانوية أو الكويكبات. وسميت سَيَّارة لأن العرب القدماء كانوا يُسمون كل النقاط اللامعة في السماء بالكواكب، ولكن لاحظوا أن بعضها تتحرك باستمرار، فسموا المتحركة منها بالكواكب السَّيَّارة والتي تُسمى اليوم بالكواكب، والثابتة بالكواكب الثابتة والتي تسمى اليوم بالنجوم. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار (١٩٧١/٣) مفاتيح العلوم: محمد الخوارزمي (٢٣٥)، المقدمات في الجغرافيا الطبيعية: عبدالعزيز طريح (١٩ / ١) .

(٦) سورة الصافات: آية (٦) .

تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أُنْتَثَرَتْ﴾^(١) وقال تعالى عن السماوات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٢)، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّى جَعَلْنَاهُ حَقَّ الْقَوْلِ مِن دُونِ الْحُقُوقِ إِذْ يُصَبِّحُ أَنبَسُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَأَى أَنبَسٌ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَرَأَى أَنبَسٌ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ﴾^(٣)، وبهذا يتبين الفرق بينهما، وأن السماوات غير الكواكب .

وهناك فرق بينهما في اللغة^(٤) ، كما فرّق العلم الحديث بينهما من حيث المسمى وخصائص كل منهما ، فالسماوات سبع كما صرحت هذه الآية وغيرها من الآيات، أما الكواكب فهي تتزايد ، حيث يظهر مكتشفات لكواكب جديدة كلما تقدم العلم .
و لا بد أن نعرف أنه من الخطأ البالغ أن نعلق تفسير الحقائق والإشارات العلمية التي يذكرها القرآن بما يفترضه العقل البشري من نظريات علمية قد تصح وقد لا تصح، فحقائق القرآن حقائق نهائية قاطعة مطلقة ، أما ما يصل إليه البحث الإنساني عن طريق الفرض والنظريات فهو حقائق غير نهائية ولا قاطعة ، وهي دائماً قابلة للتغيير والتعديل والنقص والإضافة ، فإذا حملنا عليها ألفاظ القرآن كان فهم آياته عُرضة للتغيير والتبديل مما يبعث على الشك ويؤدي إلى البلبلة والاضطراب ، أما إن كانت دلالة الآيات عليه واضحة بيّنة فلا مانع منه ، ولكن الممنوع قصرها على هذه المكتشفات، أو التعسّف في التأويل الذي يخالف فيه القرآن ، أو السنة النبوية، أو قول الجمهور، ويخرج به اللفظ عن أصل وضعه اللغوي، واستعماله العُرْفِي عند العرب، وابن بَدْران - رحمه الله - وقع في هذا المزلق المنحدر في استنباطاته هذه ، ولعله كان ممن يدافع عن الإسلام بالإجابة عن محاولات من طعن في الإسلام .

(١) سورة الانفطار: آية (٢) .

(٢) سورة الإسراء: آية (٤٤) .

(٣) سورة نوح: آية (١٥) .

(٤) انظر معنى السماء: المحيط في اللغة: للصاحب بن عباد (٢/ ٢٨٣) ، والعباب الزاخر: لرضي الصَّاعِي (١/

٤٣٥) . وانظر معنى الكواكب: العين: للخليل بن أحمد (٥/ ٤٣٣) ، وتهذيب اللغة: للأزهري (١٠/ ٢١٨) ،

القاموس المحيط: للفيروز آبادي (١/ ١٣١) .

المبحث الثالث
أقسامه باعتبار ظهور النص
المستنبط منه وخفائه

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الاستنباط من النصوص الظاهرة
المعنى .
المطلب الثاني : الاستنباط من النصوص غير الظاهرة
المعنى .

أقسام الاستنباط باعتبار ظهور النص وخفائه .

المتأمل في نصوص القرآن يجدها تنقسم إلى قسمين:

أ- نصوصٌ ظاهرة المعنى ، واضحة اللفظ، لا تحتاج إلى بيان، ولا يلتبس تأويلها ، وتُفهم دون الحاجة إلى تفسير ، وهذا النوع هو أكثر القرآن الكريم ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(١)، وقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ فَصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

ب- ونصوصٌ خفية غير ظاهرة المعنى تحتاج إلى بيان وإيضاح ، فلا يكون الاستنباط إلا بعد فهم المعنى الصحيح لها؛ لتجنّب مواطن الخطأ والغلط .

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ): "فمن لم يُحكّم ظاهر التفسير، وبأدر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرأي ، والنقل والسمع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً؛ ليتّقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتّسع الفهم و الاستنباط"^(٣) .

وقال الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ): "ينقسم القرآن العظيم إلى: ما هو بيّن بنفسه، بلفظ لا يحتاج إلى بيان منه، ولا من غيره - وهو كثير - ... وإلى ما ليس بيّن بنفسه، فيحتاج إلى بيان، وبيانه إما فيه في آية أخرى، أو في السّنة"^(٤) .

وسأمثل لكل قسم ، موضحة كل ذلك عند بياني لكل استنباط .

(١) القمر: آية (١٧) .

(٢) فصلت: آية (٣) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٩) . وانظر: البزّهان في علوم القرآن: للزركشي (٢/ ١٥٥) .

(٤) البزّهان في علوم القرآن: للزركشي (٢/ ١٨٣ - ١٨٤) .

أولاً: الأمثلة التطبيقية للاستنباط من النصوص الظاهرة المعنى :

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١) .

قال ابنُ بَدْران: "وَذَكَرَ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ دون الكعبة ، دليلٌ على أنَّ الواجب مراعاة الجهة دون العين" ^(٢) .

فالمعنى في الآية واضح ، وكلُّ من قرأ الآية يعلم معناها ، وهو أنَّ التوجُّه في الصلاة يكون لجهة الكعبة دون عينها ؛ لأنَّ فيها تصريحاً بذكر ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ دون الكعبة ، فَعُلِمَ أن الله وسَّع على عباده في هذا، فلم يشقَّ عليهم، ولم يجعل عليهم في دينهم من حرج، فيكفي في ذلك الجهة دون العين في الصلاة للبعيد .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْران: "ودلَّ على تناوُلِهِ لِلْمُصْرِّينَ قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾"^(٤) .

لما كان قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ يدلُّ على استواء الإنذار وعدمه ، كانت دلالته واضحةً على كونهم من الكفار المعاندين المُصْرِّين؛ لاستواء الإنذار وعدمه لديهم ، فسواءً أُنذِرهم وحذرهم أم لا فلن يَقبَلُوا، ولن يَهْتَدُوا؛ لأنَّ الإصرار والعنادَ تمكَّنَ منهم، وأخذ مأخذه منهم ، فهم مُعَانِدُونَ مُصْرِّونَ معاندين على كفرهم ؛ بدليل التسوية في الإنذار وعدمه، كما أنه يتضح من الآية اتِّصافُ الكفار بالإصرار على الكفر والضلال، بحيث لا يُجِدِي فيهم الإنذار، فالمعنى ظاهرٌ بيِّنٌ ليس فيه إبهامٌ ، ومن ظاهر الآية عُلِمَ هذا ، وفهَمَ منه المعنى ، دون الرجوع إليه في كتب أهل التفسير ، وغيرها ، وهذا استنباطٌ من نصِّ ظاهر المعنى .

(١) سورة البقرة آية (١٤٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨١) .

(٣) سورة البقرة: آية (٦) .

(٤) جواهر الأفكار (٦١) .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (١). قال ابنُ بَدْران: "ثم وصفُ الجنات بكونها تجري من تحتها الأنهار، إشارةً إلى أن المراد بالجنة أشجارها وثمارها و عُروسها، وأن الماء يجري تحت هذه المذكورات، ولم يُرد أرضها" (٢).

في الاستنباط بيّن ابن بَدْران - رحمه الله - المراد من الجنة في الآية ، وأن المراد بها الأشجار والثمار ، وليس المراد بها الأرض ، وما ذلك إلا لكون الآية ظاهرة الدلالة على أن المقصود بالجنة ثمارها وأشجارها ، لا أرضها ، لأنه جعل الأنهار تجري من تحتها ، وهذا إنما يكون للثمار والأشجار ، لأنها فوق الأرض والأنهار تحتها ، وهذا المعنى للآية مأخوذٌ من ظاهرها ؛ إذ لا داعي للبحث والتنقيب عن معناها في بَطُون الكتب ، ويكفي في ذلك النظرُ في ظاهر النص لمعرفة ما قيل واستنبط .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣). قال ابنُ بَدْران: " فالأمر الذي تقتضيه الآية : أن الله تعالى خلق لنا ما في الأرض جميعاً، وإذا كان مخلوقاً لنا ، والله تعالى ذكره في مَعْرُض النِّعم التي عمّت المكلفين بأسرهم، فيكون مباحاً لنا ، إلا أن يأتي بيانٌ من الشرع بمنع شيءٍ منه ، فإننا نتركه عملاً بذلك البيان " (٤) .

الاستنباط واضحٌ ظاهرٌ من النص ، لا يُحتاج فيه إلى الرجوع لمعنى النصّ من مَوَارِدِهِ ، فما كان الله سبحانه ليخلق ما في الأرض جميعاً ويُسخِّره للإنسان، ويمرّن عليه به ، ثم يحرمه منها بتحريمه عليه؛ لأنه خلق كل ما في الأرض له، وسخّره له، وأنعم به عليه ،

(١) سورة البقرة: آية (٢٥) .

(٢) جواهر الأفكار (١٢١ - ١٢٢).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٩) .

(٤) جواهر الأفكار (١٤٩).

وإنما حرم أشياء معينة منه لسببٍ وحكمةٍ قد نَعَلَمَهَا وقد لا نَعَلَمَهَا ، مما يدلُّ على أن أصل الإباحة باقٍ في كل شيء خلقه لنا، حتى يأتي دليلٌ من الشارع بالمنع والتحريم ، فتتوقف فيه ، ونقف عند حدوده .

المثال الخامس: قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) . قال ابنُ بَدْران: "ثم إنَّ اللائح من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾" (٢) أن آدم لما صار حياً سجدت إليه الملائكة ؛ لأنَّ الفاء تدلُّ على التَّعْقِيبِ" (٣) .

فهذا الاستنباط لا يَسْتَدْعِي النظر في تفسير الآية؛ لظهور معناه ووضوحه ، ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي من غير تأخيرٍ ، فالفاء هنا للتَّرتِيبِ والتَّعْقِيبِ (٤) ، فدل على أن السجود وقع بعد أن صار آدم حياً مباشرة ، وهو ظاهر من النص .
فهذه الاستنباطات الخمسة ظاهرةٌ وواضحة المعنى ، لا تَحْتَاجُ منا الرجوع فيها إلى كتب التفسير لمعرفة معنى الآية وتفسيرها ، فمجرد النظر للآية يُنْبِئُ عن صحة الاستنباط أو بُطلانه .

(١) سورة البقرة: آية (٣٤) .

(٢) سورة البقرة: آية (٣٤) .

(٣) جواهر الأفكار (١٧٠) .

(٤) توضيح المقاصد: لحسن المراد (٢/ ٩٩٨) ، وتمعن الهوامع: للسُّيُوطِي (٣/ ١٩٢) ، وضياء السَّالِك: لمحمد النَّجَّار (٣/ ١٩٠) .

ثانياً: الأمثلة التطبيقية للاستنباط من النصوص غير ظاهرة المعنى .

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (١) . قال ابنُ بَدْران : "إنَّ التشديد في السؤال والتعنت فيه مُوجِبٌ للتشديد في التكليف ، ولهذا نهانا الله عنه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ (٢) " (٣) .

فاستخراج الاستنباط هنا يكون بعد النظر لمعنى وتفسير الآية من موطنه؛ إذ لا يتبين للمستنبط مثل هذا الاستنباط إلا بعد الرجوع لتفسير الآية ومعناها ، فقد جاء الحديث عن قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ بعد ذكر تَعَنَّتْهُمْ وَتَشَدَّدْتُمْ في السؤال في قصة البقرة، فاستنبط ابن بدران في كلامه هذا أَنَّ العقاب بقسوة القلب جاء نتيجةً للتعنت في السؤال ، فاستمرار بني إسرائيل في التعنت و التشدد في السؤال عن أوصاف البقرة التي ذكرها لهم نبيهم موسى - عليه السلام - وتشديد الله عليهم أَوْرَثَهُمْ قَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ حتى أصبحت كالحجارة أو أشدَّ قَسْوَةً منها ، وفعل بني إسرائيل مع نبيهم في هذه القصة ، هو من التعنت والتشدد البغيض المورث للقسوة .

فبعد معرفة معنى الآية ، عُلِمَ أَنَّ عِلَّةَ التَّشْدِيدِ فِي الْأَوْصَافِ هِيَ التَّشَدُّدُ فِي السُّؤَالِ ، فَالْتَّنَطُّعُ فِي الدِّينِ وَالْإِلْحَافُ فِي السُّؤَالِ مِمَّا يَقْتَضِي إِلَى التَّشْدِيدِ فِي الْأَحْكَامِ .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ

(١) سورة البقرة: آية (٧٤) .

(٢) سورة المائدة: آية (١٠١) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٢٧ - ٢٢٨) .

رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾^(١). قال ابن بَدْران: "ومن الأحكام التي تُسْتَنْبَطُ من هذا الآية: ... أن الآتي بالمعصية مع العلم بكونها معصيةً يكون عُزْماً ووزيراً"^(٢).

استنبط ابن بَدْران من الآية هذا المعنى اللطيف ، ولن يتبين للمستنبط مثل هذا الاستنباط إلا بعد الرجوع لتفسير الآية ومعناها ، وهو أن كتمان هؤلاء المنافقين من اليهود الحق الذي كانوا يجدونه بين أيديهم، خشية المُحَاجَاة والمواجهة به من النبي (ﷺ) ومن آمن معه ، يُعَدُّ معصيةً وجرماً عظيماً؛ لأنهم يعلمون أن ما يفعلونه كذباً وتدليساً ونفاقاً، وكتماناً للحق الذي يجدونه في كتبهم، فاجتمع الكتمان والكذب مع علمهم بصدق نبوة محمد (ﷺ) فيكون هذا منهم كبراً وعناداً وإصراراً ، وهم يعلمون ما يفعلون من حيث البشاعة والجرم ، فيكون جرْمُهُمْ هذا مع العلم به أكبر جرماً^(٣) ، فَعَلِمَ أن المعصية من العاصي العالم أقبح ، ولذا فإنَّه أشدُّ جرماً من الجاهلين ، حيث إنَّ العِلْمَ يترتب عليه مالا يترتب على غيره .

فبعد بيان معنى الآية عُرف الاستنباط ، فظهر المعنى واتَّضَحَ الحكم بعد أن لم يكن ظاهراً ، فاحتاج منا أولاً بيان معنى النصِّ ليظهر لنا الاستنباط ، ويُعَلِّمُ أنه صحيح المأخذ منها ، صحيح المعنى في ذاته .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا

خَآئِفِينَ﴾^(٤) . قال ابن بَدْران: "ففيه بشارة المؤمنين وأهل الحق بعلو كلمة الإسلام والحق ، وقهر مَنْ عَادَاهُ"^(٥) .

(١) سورة البقرة: آية (٧٦) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٦) .

(٣) انظر تفسير الآية: جامع البيان: للطَّبْرِيِّ (٢ / ٢٤٩) ، ومعالم التنزيل: للَبَّعَوِيِّ (١ / ١٣٥) ، وتفسير القرآن

العظيم: لابن كثير (٣٠٧/١) .

(٤) سورة البقرة: آية (١١٤) .

(٥) جواهر الأفكار (٣٢١) .

هنا أيضا يكون استخراج الاستنباط من الآية بعد النظر في تفسير الآية ومعناها ، فلا يمكن ظهوره دون معرفة معنى النص ، والمعنى هو أن الله - جل وعلا- ختم الآية - بعد ذكر من يسعى في خراب مساجد الله- بالوعيد لهم ، وعقاب المتعدي بالدخول إليها ورجلاً خائفاً^(١) ، وما هذا إلا لعلّ كلمة الإسلام ، وقهر أعداء الله، وعدم المساس بشيء من الأمور المقدسة عند المسلمين ، فأخذ ابن بدران من هذا التحذير بشارة للمسلمين وأهل الحق بمكانة الإسلام، وسوء التعدي على أمر من أموره ، فعلم من الوعيد بشارة المؤمن بالنصر والتّمكنين ؛ إذ لا يستطيع أعداء الإسلام التعدي على مقدّساتهم ، وإن فعلوا فالعقاب مصيرهم .

فبعد أن اتّضح معنى الآية وتفسيرها عرفت صحّة الاستنباط ، وأنه مأخوذ من الوعيد بالعلبة والخوف للمتعدّي في الآية ، وعليه فالنصر للفريق الثاني وهم المؤمنون .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يِعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا لَيُظُنُّونَ﴾^(٢) . قال ابن بدران: "إنّ التقليد لا يعدّ علماً ؛ لأنه أخذ قول الغير بلا دليل، ومثل هذا لا يليق أن يكون متصفاً بالعلم أصلاً؛ لأن هذه طريقة العوام"^(٣) .

فلما كان هؤلاء القوم من اليهود لا سبيل لهم إلى معرفة الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم، ذمهم - جلّ وعلا- بتقليدهم، والقبول من علمائهم، على الرغم من أنّ عوامّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب والبهتان، وبأكل الحرام، وبتغيير الأحكام عن واجبها، وعرفوهم بالتعصّب الشديد، وأنهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه، فلذلك ذمهم الله لما قلّدوا من قد عرفوه ، ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ﷺ) ؛ إذ كانت دلائله ومعجزاته أوضح من أن تخفى ، إذا فالطاعة تعدّ تقليداً سلبياً ومذموماً في القرآن

(١) انظر تفسير الآية: جامع البيان: للطبريّ (٢/ ٥٢٣) ، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير (١/ ٣٨٩) .

(٢) سورة البقرة: آية (٧٨) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٣٧- ٢٣٨) .

الكريم حتى وإن كانت للعلماء إذا كانوا غير مستحقين للاتباع ، كما في الآية السابقة ،
أو إذا كانت من غير بصيرة وعلم وتحري ، ومن غير مسوغ عقلي وشرعي .
فمن هذا التفسير للآية أخذ ابن بدران - رحمه الله - الاستنباط المذكور ، وهو أن
التقليد لا يعد علماً ، فلم تتبين العلاقة بين الاستنباط والآية إلا بعد معرفة تفسير الآية ،
فاحتيج إلى معرفة التفسير ليتضح المعنى ويتجلى .
فجميع الاستنباطات السابقة الذكر لم يتضح معناها إلا بعد معرفة تفسير الآية ،
وبدون ظهور معنى النص لن يستطيع المستنبط استخراج مثل هذه الاستنباطات ؛ حيث
إنها تُؤخذ من تفسير الآية ، لا من ظاهرها .

المبحث الثالث أقسامه باعتبار الأفراد والتركيب في النص

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الاستنباط من النص الواحد (الإفراد) .
- المطلب الثاني : الاستنباط بالرّبط بين نصّين أو أكثر (التّركيب) .

أقسام الاستنباط باعتبار الأفراد والتركيب في النص .

الاستنباط من القرآن ينقسم إلى قسمين:

- أ- الاستنباط من نصٍّ واحدٍ مفرد ، بلا ضمٍّ إلى نصٍّ آخر ، وهو أكثرها وجوداً في كتب وتفسير العلماء .
- ب- الاستنباط بالرِّبْطِ بين نصين أو أكثر ، وهو ما يُسمِّيه ابن القَيِّم (ت: ٧٢٥ هـ) "بدلالة التركيب" ، وهذا النوع من أدقِّ وألطف أنواع الاستنباط ، كما يقول ابن القَيِّم (ت: ٧٢٥ هـ): "فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقِّه"^(١) ، ويقول: "دلالة التركيب ، وهو ضمُّ نصٍّ إلى نصٍّ آخر ، وهي غير دلالة الاقتران"^(٢) ، بل هي ألطف منها وأدقُّ وأصحُّ كما تقدَّم^(٣) " ، وسأمثِّل لكل نوعٍ لتتَّضح الصورة أكثر .

(١) إغلام الموقَّعين (١/ ٦٦) .

(٢) هي كما عرفها الزَّركَشِي (ت: ٧٩٤ هـ): " صورته أن يجمع بين شيئين في الأمر أو النهي، ثم يُبَيِّن حكم أحدهما فيستدل بالقرن على ثبوت الحكم للآخر" انظر: تَشْنِيفُ الْمَسَامِيع (٢/ ٧٥٩) . ويمكن أن يُقال في تعريفها: "الجمع بين شيئين أو أكثر في سياقٍ واحدٍ" انظر: دلالة الاقتران وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية: د.

محمد سعد البيوي (٨) .

(٣) إغلام الموقَّعين (١/ ٢٧٣) .

أولاً: الأمثلة التطبيقية للاستنباط من النص الواحد (الإفراد) .

المثال الأول: قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٥) . قال ابن بدران: "ومساق الآية يدلُّ على أنَّ حواء كانت موجودةً حين أمره بِسُكْنِي الجنة" (٢) .
فالآية تدلُّ على أنَّ آدم وحواء كانا موجودين ، يَسْمَعَانِ الخطاب الذي سَيُوجَّهُ إليهما، وعليه فإنَّ حواء كانت موجودةً لكونها داخلةً في الخطاب ، فتكون موجودةً وقت الأمر بالسُّكْنِي ؛ لأنَّ سُكْنِي الجنة سيكون بعد الأمر ، وهذا الاستنباط مأخوذٌ من هذه الآية؛ لأنه لم يذكر غيرها دليلاً يَسْتَنْدُ إليه هذا الاستنباط ، فَعُلِمَ أنه مأخوذٌ من نصٍّ واحد فقط ، فيكون استنباط إفراد .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) . قال ابن بدران: "وفي التعبير بالبارئ ترغيبٌ لهم في طاعته بالتذكير بالإحسان ، وترهيبٌ بإيقاع الهوان" (٤) .
فلَمَّا كان اسم البارئ معناه الخالق (٥) كان ذكره في الآية تذكيراً منه - جلَّ وعلا- بإحسانه على خَلْقِهِ بالخَلْقِ والإِيجَادِ ، فكان القادر على خلقهم قادراً على إعدامهم ، كما قدر على إيجادهم ، ومن هنا كان هذا الاستنباط ، فلم يذكر دليلاً آخر غير هذه الآية دليلاً على ما قيل ، فَيُعْلَمُ أنه استنباطٌ من نصٍّ واحد .

(١) سورة البقرة: آية (٣٥) .

(٢) جواهر الأفكار (١٧٢) .

(٣) سورة البقرة: آية (٥٤) .

(٤) جواهر الأفكار (٢٠٧) .

(٥) قال ابن الأثير: " هو الذي خَلَقَ الخَلْقَ لا عن مِثَالٍ " النّهاية (١ / ١١١) .

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤). قال ابنُ بَدْران: "وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ﴾" (٢) سرٌّ آخر، وهو أنه أشار بالكاف والميم الدالَّين على الجمع، إلى أنه متى كانت الملة واحدةً كان جميع المتبعين لها كرجلٍ واحد" (٣).

خاطب الله يهود المدينة وقت نزول القرآن، مذكرا بأسلافهم الذين تَعَتَّوْا على موسى، وِوُجَّهَ إليهم التَّوْبِيخَ والتَّقْرِيعَ والتسفيه والتهديد، كأنهم هم بأشخاصهم، فالآية إعلامٌ بوحدَةِ المِلَّةِ، واعتبارها كالشخص الواحد، يصيب خلفها ما أصاب سلفها من خير وشر، ما دام الخلف مُسْتَنَّأً بسنة السلف، ومرتبطاً به، وجارياً على طريقته، كما هم يهود المدينة في اتِّباعِهِم لسلفهم من اليهود، فالأمة الواحدة في العقيدة يستوي أولها منذ بدء كيانها مع آخرها، ما دام الآخر مرتبطاً بعقيدة الأول، مُسْتَنَّأً بسُنَّتِهِ لم ينحرف عنها. فانتَّصَحَ كَوْنُ هذا الاستنباط مأخوذاً من نصٍّ واحدٍ وهو هذه الآية؛ إذ لا دليل غيرها هنا ذكره المُسْتَنْبِط.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٩٥). قال ابنُ بَدْران: "وعبَّرَ باليد التي بها أكثر الأفعال إشارةً إلى أنَّ أكثر أفعالهم لِقَبَاحَتِهَا كأنها خالية عن القصد" (٥).

فلما عبَّرَ - جلَّ وعلا - باليد عن الذات في الآية عُلِمَ منه حقيقةً بأنَّ اليد أهمُّ آلات العمل، فإذا رجَّت إلى معاصي اليهود وجدَّتْ أفضَعَهَا باليد، فأكثر ما صنعوه

(١) سورة البقرة: آية (٨٤).

(٢) سورة البقرة: آية (٨٤).

(٣) جواهر الأفكار (٢٥٠).

(٤) سورة البقرة: آية (٩٥).

(٥) جواهر الأفكار (٢٦٧).

هو تحريف التوراة ، ووسيلته اليد ، وأفزع ما اقترّفوه قتل الأنبياء ، وآلته اليد ، لذلك أُسندَ التقديم إلى اليد دون غيرها من سائر الأعضاء .

فوردَ هنا نصٌّ واحدٌ ولم يردْ غيره ، فيتّضح كون الاستنباط هنا مأخوذاً من آية واحدة، وهو ما يُسمّى بالإفراد .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(١) . قال ابنُ بدران: "وقوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ إشارةٌ إلى الجاذبيّة ؛ لأنها لا تُرى ، فالأفلاك كُلُّها - المستقرُّ منها والمتحرِّكُ - إنما حصّل وظيفته بالجاذبية المخلوقة لله تعالى"^(٢) .
فالآية تُشير هنا إلى وجود عمَدٍ غير مرئية ، وهي ما يتمُّ بفعل الجاذبيّة ، فكلمة "تَرَوْنَهَا" وُضِعَتْ - والله أعلم - لهذا الغرض، لتلَفّت نظر الإنسان إلى وجود شيءٍ غير مرئيٍّ سيدركه الإنسان يوماً ما بعقله ، وإن لم يره بعينه ، ألا وهو قانون الجاذبيّة .
فالاستنباط مأخوذٌ هنا من نصٍّ واحد ، وليس هناك دليلٌ آخر أو نصٌّ يُستدلُّ به عليه غير ما ذكر من هذه الآية ، فيتبيّن أنه استنباط إفراد .

(١) سورة الرعد: آية (٢).

(٢) جواهر الأفكار (٢١٩).

ثانياً: الأمثلة التطبيقية للاستنباط بالرئط بين نصين أو أكثر (التركيب) .

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(١) . قال ابن بدران: " الآية تفتضي أنّ المخاطبين كانوا عاملين بأنّ هذه الأشياء المذكورة لم توجد لذاتها ، وأنها موجودة بإيجاد مُوجدٍ لها ، وذلك تحقيق قوله تعالى : ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) " (٣) .

فاستدلّ ابن بدران - رحمه الله - على أنّ هذه المخلوقات تفتضي وجود مُوجدٍ وخالقٍ لها ، وهو الله - جلّ وعلا - ، وأنّ المخاطبين كانوا عاملين بذلك ، ودليل علم المخاطبين بما قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٤) وقوله: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٥) ، فهذا الاستنباط مأخوذٌ من نصين ، يُقوّي كلّ منهما الآخر ، وهذا النوع هو ما يسمّى بدلالة التركيب .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فِيْ خُرْجٍ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦) . قال ابن بدران: "التشديد في السؤال والتعنّت فيه موجبٌ للتشديد في التكليف ، ولهذا نحانا الله عنه

(١) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٢) سورة لقمان: آية (٢٥) . وسورة الزمر: آية (٣٨) .

(٣) جواهر الأفكار (٩٥) .

(٤) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٥) سورة لقمان: آية (٢٥) . وسورة الزمر: آية (٣٨) .

(٦) سورة البقرة: آية (٧٤) .

بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَأَةٌ﴾^(١) ، وَيُبَيِّنُ
تعالى عاقبة التَّشْدِيدِ فِي السُّؤَالِ وَالتَّعَنُّتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، بِمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْإِيضَاحِ"^(٢) .

استدل ابنُ بَدْرَانَ - رحمه الله - عَلَى التَّعَنُّتِ وَ التَّشْدُّدِ فِي السُّؤَالِ بِآيَتَيْنِ^(٣) ،
أَوْرَدَهُمَا عِنْدَ ذِكْرِ اسْتِنْبَاطِهِ ، فَرَبَطَ بَيْنَ النَّصِّينِ بِمَا اسْتِنْبَطَهُ مِنْهُمَا ، فَهَذَا مِنْ قَبِيلِ
الاسْتِنْبَاطِ بِالرَّبْطِ بَيْنَ نَصِّينِ "التَّرْكِيبِ" .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤) .
قال ابنُ بَدْرَانَ: "وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ
جُهَّالٌ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ ، وَلَا كِتَابَ ، وَأَنَّ الشَّرْكَ يُنَجِّسُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾"^(٥) ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يَبْعَثُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يُطَهِّرُهُمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ حُكَمَاءَ
الْأَرْضِ بَعْدَ جَهْلِهِمْ"^(٦) .

استدل ابنُ بَدْرَانَ - رحمه الله - عَلَى أَنَّ الشَّرْكَ يُنَجِّسُ بِهِ صَاحِبُهُ بِآيَتَيْنِ هُمَا
قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾^(٧) ، وَقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٨) ، فَالْآيَةُ الْأُولَى عُلِمَ
مِنْ دَعَائِهِ فِيهَا بِتَزْكِيَتِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى الشَّرْكِ ، حَيْثُ إِنَّ الشَّرْكَ يُنَجِّسُ ، فَوَجَبَ تَطْهِيرَهُمْ

(١) سورة المائدة: آية (١٠١) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٣) سورة البقرة: آية (٧٤) ، وسورة المائدة: آية (١٠١) .

(٤) سورة: البقرة آية (١٢٩) .

(٥) سورة التوبة: آية (٢٨) .

(٦) جواهر الأفكار (٣٤٩) .

(٧) سورة: البقرة آية (١٢٩) .

(٨) سورة التوبة: آية (٢٨) .

منه، والآية الثانية صريحةً بِنَجَاسَةِ المشركين ، فدلتْ كِلَا الآيتين على أَنَّ الشَّركَ يُنَجِّسُ ، وهذا من قبيل دلالة التركيب؛ حيث إن الاستدلال كان بالرِّبْطِ بين نصَّين وهو التَّركيب .

المثال الرابع : قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ

بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ ^(١) . قال

ابنُ بَدْرَانَ : " وقد دَلَّتْ هذه الآية بظاها على استحقاق اللعنة على مَنْ كتم ما أنزل

الله ، وإن لم يُسأل عنه ، بل يجب التعليم والتبيين ، وإن لم يُسألوا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ^(٢) " ^(٣) .

استدلَّ ابنُ بَدْرَانَ - رحمه الله - على استحقاق اللعنة على مَنْ كتم ما أنزل الله ، وإن

لم يسأل عن ذلك ، بأن تقاعس عن التعليم ، وذلك بالرِّبْطِ بين دليلين ^(٤) ، وكلا

الدليلين يدلُّ على معنى ما استدلَّ عليه بهما ، فالأول صريحٌ باللعنة لكاتم الحق ،

والآخر مُقَوِّمٌ ومُؤَيِّدٌ لما قبله ، ودالٌّ على النهي عن كتمان الحق ، وهذا كله من قبيل

الاستنباط بالرِّبْطِ بين نصَّين ، وهو "التركيب" .

(١) سورة البقرة: آية (١٥٩) .

(٢) سورة آل عمران: آية (١٨٧) .

(٣) جواهر الأفكار (٤١٣) .

(٤) الآية (١٥٨) من سورة البقرة ، والآية (٨٧) من سورة آل عمران .

الفصل الرابع طرق الاستنباط من القرآن عند ابن بدران

وفيه أربعة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: دلالة الإشارة .
- ❖ المبحث الثاني: دلالة النص .
- ❖ المبحث الثالث: دلالة المفهوم .
- ❖ المبحث الرابع: دلالة الاقتران .

مدخل

كيفية دلالة اللفظ على المعنى، تُعدُّ من أهم المباحث اللغوية التي تميّزت دراستها بالتعمُّق في المباحث الأصولية، مما يدلُّ على أهمية هذه الدلالات في استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، وقبل البدء بذكر الدلالات، لا بُدَّ من التعرّيج على تعريف الدلالة .

تعريف الدلالة لغةً :

مصدر دَلَّ يَدُلُّ دَلَالَةً بفتح الدال وهو أَفْصَحُ^(١)، ودَلَّ: الدال واللام أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمانةٍ تتعلَّمُها، والآخر اضطرابٌ في الشيء^(٢)، والدلالة: الإرشاد، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه من دلائل ودلالات^(٣)، والدلالة أعمُّ من الإرشاد^(٤).

تعريف الدلالة اصطلاحاً :

عُرِّفَت الدلالة بأكثر من تعريف، كان للمتقدمين فيها قَدَم السبقي، كما أنَّ المعاصرين أيضاً كانت لهم أقوالٌ فيها وتعريفات، ولعليّ أُشير إلى تعريف كلٍّ منهما؛ تقريباً للمعنى، وتوضيحاً للصورة، ومن تلك التعريفات :

ما عَرَفَهَا بها المتقدمون بقولهم: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر^(٥)، وهذا هو أصحُّ التعريفات، لأنه يدلُّ على أنَّ هناك تلازماً بين الدال والمدلول؛ بحيث إذا فُهِم الدال فُهِم المدلول، فالشيء الأول هو: الدال، والشيء الثاني هو المدلول. كما عَرَفَهُ بعض العلماء المعاصرين بأنه: العلم المختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب اللغوية في سياقاتها المختلفة^(٦).

(١) المَهْدَب: لعبد الكريم النملة (٣/ ١٠٥٥) .

(٢) مقاييس اللغة: لابن فارس (٢/ ٢٦٠) .

(٣) انظر: مُجْمَلُ اللغة: لابن فارس (٣١٩)، وجمهرة اللغة: لابن دُرَيْد (١/ ١١٤)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٩٤).

(٤) الكليات: لأبي البقاء (٤٣٩) .

(٥) انظر: التعريفات: للجرجاني (١٠٤)، وروح المعاني: للألويسي (٩/ ٣٢٦)، والتَّحْيِيرُ: للمزدائي (١/ ٣١٧)، وغاية

الوُصُول: للقاضي زكريّا (١/ ٣٢١)، والمَهْدَب: لعبد الكريم النملة (٣/ ١٠٥٥)، ومقاليد العلوم: للسُّيُوطِي (١١٨).

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد مختار (١/ ٧٦٤) .

❖ المبحث الأول: دلالة الإشارة .

الإشارة في اللغة :

الإشارة مأخوذة من أشار إليه، ويده، أو نحوها أي: "أومأ إليه" ، مُعَبَّرًا عن معنى من المعاني^(١) ، وأشار الرجل يُشير إشارةً، إذا أومى بيديه، وأشار يُشير، إذا ما وَجَّه الرأي^(٢) ، وأشار إليه وشَوَّر: "أومأ"، ويكون ذلك بالكفِّ والعين والحاجب^(٣) .

وأما في الاصطلاح :

فَهُنَاكَ تَعْرِيفَاتٌ متعددة لهذه الدلالة، وهي متشابهةٌ من حيث المضمون ، وأجمل القول بتعريفٍ جامعٍ شاملٍ لها ، وهو: دلالة اللفظ على معنىٍ غيرٍ مقصودٍ قصدًا أوليًا ، ولا سيقَ له النص ، ولكنه مرتبطٌ بالمعنى الذي سيقَ اللفظ لإفادته^(٤) .
فكما أنَّ المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدلُّ عليه نفس اللفظ فَيُسَمَّى إشارةً ، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يُقصد به ويُبنى عليه .

(١) انظر: المعجم الوسيط (١ / ٤٩٩) .

(٢) انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (١١ / ٢٧٧) ، والصَّحَاحُ : للخوهري (٢ / ٧٠٤) ، ومختار الصحاح: للرازي (١٧٠) .

(٣) انظر: لسان العرب: لابن منظور (٤ / ٤٣٦) ، وتاج العروس: للمرتضى الزبيدي (١٢ / ٢٥٧) .

(٤) انظر: إرشاد الفحول: للشوكاني (٢ / ٣٧) ، ومذكرة في أصول الفقه: للشنقيطي (٢٨٣) ، المهذب: لعبدالكريم النملة (٤ / ١٧٣٥) ، ومعالم أصول الفقه: لمحمد الجيزاني (٤٤٧) ، الجامع لمسائل أصول الفقه: لعبدالكريم النملة (٢٩٥) ، وأصول الفقه الذي لا يسعُ الفقيه جهله: لعياض السلمية (٣٨٨) ، ومنهج الاستنباط في القرآن الكريم: للوهبي (١٢٩٧) ، ودراسات في علوم القرآن: للرومي (٤٤٨) .

أمثلة تطبيقية للاستنباط بدلالة الإشارة :

المثال الأول : قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) قال ابن بَدْران: "قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾"^(٢) ، مشيراً به إلى ابتداء الخلق تنبيهاً على الاستدلال بالمصنوع على الصَّانِع ، و بالبداة على الإعادة"^(٣) .

فاستنبط ابن بَدْران - رحمه الله - من الآية بدلالة الإشارة ، من جهة أن كونه ربِّ العالمين دالٌّ على ابتداء الخلق ، وذلك لأن البدء والخلق من لوازم الرُّبُوبِيَّة ، وهذه الدلالة لا يدلُّ عليها السياق ، وإنما هي إشارةٌ دقيقةٌ غير مقصودةٍ من النص أصالة .

المثال الثاني : قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤) . قال ابن بَدْران: "وللعدول عن الغيبة إلى الخطاب نكتةٌ تدقُّ عن فَهْم أرباب المعاني ، وهي: أنه أتى بالكاف إشارةً إلى مقام الإحسان الذي أشار إليه النبي (ﷺ) بقوله - لما سُئِلَ عن الإحسان-: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" رواه البُخَارِي^(٥) "^(٦) .

فاستنبط ابن بَدْران - رحمه الله - من الآية أنَّ العدول إلى الخطاب مباشرة دالٌّ بالإشارة على مرتبة الإحسان ، وهذه دلالةٌ غيرُ ظاهرةٍ ، ولا يدلُّ السياق عليها ، وإنما هي من إشارات الآية ، كما أنها من دلالة اللفظ على لازم غير مقصودٍ قصداً أولياً ، ولكنه مرتبطٌ بالمعنى الذي سبق اللفظ لإفادته .

(١) سورة الفاتحة آية (٢) .

(٢) سورة الفاتحة: آية (٢) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٥) .

(٤) سورة الفاتحة آية (٥) .

(٥) صحيح البُخَارِي (١ / ١٩) ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم: (٥٠) . وصحيح مسلم (١ / ٣٦) ، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ، حديث رقم: (٨) .

(٦) جواهر الأفكار (٣٨) .

المثال الثالث : قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾^(١). قال ابنُ بَدْران: "وقوله:

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾ إشارةٌ إلى الجاذبيَّة ؛ لأنها لا تُرى ؛ فالأفلاكُ كُلُّها المستقرُّ منها والمتحرِّكُ إنما حصَّلَ وظيفته بالجاذبيَّةِ المخلوقة لله تعالى"^(٢).

فاستنبط ابنُ بَدْران - رحمه الله - من الآية دلالة الإشارة التي تشير إلى وجودِ عَمَدٍ غير مرئيةٍ أنه ما يتمُّ بفعلِ الجاذبيَّةِ ، وهذا المعنى ليس مقصوداً باللفظ في الأصل ، وإنما فُصد تبعاً ، يعني صار المدلول عليه من خارج اللفظ تابعٌ للملفوظ به ، ومدلول الإشارة هنا لم يُسَقِ الكلام من أجله .

المثال الرابع : قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْران: "والإشارة في الآية إلى ما كأنه تعالى يقول: جعلت الرسول ﷺ واسطةً بيني وبينك أيها المنادى أولاً ، ثم إني الآن أزيد في إكرامك وتقريبك ، فأخاطبك من غير واسطة ؛ ليحصل لك مع التنبيه على الأدلة شرف المخاطبة والمكالمة "^(٤) .

ففي الآية انتقال إلى أسلوب المخاطبة والمكالمة من غير واسطة؛ وذلك إكراماً وتقريباً للمؤمن من الله تعالى ، وليحصل له الشرف بالمخاطبة من غير واسطة ، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود قصداً أولاً ، وإنما فُصد تبعاً ، فالآية لم تُنصُّ عليه ولم يُسَقِ الكلام من أجله، إذ إن لفظ الآية فيه الأمر بالعبادة .

المثال الخامس : قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾^(٥) . قال ابنُ بَدْران:

(١) سورة الرعد: آية (٢).

(٢) جواهر الأفكار (٢١٩).

(٣) سورة البقرة: آية (٢١).

(٤) جواهر الأفكار (٩٣).

(٥) سورة البقرة: آية (١٨٧).

"ويدلُّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ أن ابتداء الإمساك يكون من التبيُّن ، فَمَنْ شكَّ فيه وفعل شيئاً من المفطرات ، ثم انكشَفَ له أنَّ الفجر كان طالعاً وصامه ، فإنَّه لا قضاء عليه ؛ لأنه غيَّاه بتبيُّن الفجر للصائم ، لا بالطلوع"^(١) .

فالنص القرآني يدلُّ بعبارته على أن ابتداء الإمساك يكون من التبيُّن ، فاستنبط منه ابنُ بَدْران - رحمه الله - بدلالة الإشارة على صحَّة صوم مَنْ فعل شيئاً من المفطرات شاكاً في طلوع الفجر ، وهذا المعنى ليس مقصوداً باللفظ في الأصل ، وإنما فُصِدَ تبعاً ، فهو غير ظاهرٍ ، ولا يدلُّ السياق عليه ، وإنما هو من الإشارات التي ترمي إليها الآية .

(١) جواهر الأفكار (٥٢٠).

❖ المبحث الثاني: دلالة النص .

النص في اللغة :

النص: يدلُّ على رَفْعٍ وارتِفَاعٍ ، فالنصُّ رَفْعُكَ الشَّيْءِ ، وَنَصَصْتُ نَاقِي: إذا رَفَعْتُهَا فِي السَّيْرِ^(١) ، وَمِنْهُ نَصَصْتُ الْحَدِيثَ أَنْصَهُ نَصًّا إِذَا أَظْهَرْتَهُ، وَنَصَصْتُ الْعُرُوسَ نَصًّا إِذَا أَظْهَرْتُهَا^(٢) ، وَأَصْلُ النَّصِّ: أَقْصَى الشَّيْءِ وَغَايَتَهُ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيْعٌ^(٣) ، وَنَصُّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَاهُ^(٤) ، وَنَصٌّ فَلَانًا نَصًّا، إِذَا اسْتَقْصَى مَسْأَلَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ، أَي: أَحْفَاهُ فِيهَا ، وَرَفَعَهُ إِلَى حَدِّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ^(٥) .

أما في الاصطلاح :

فهو عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة^(٦) ، فقلوه: لغةً ، أي يعرفه كلُّ مَنْ يَعْرِفُ هَذَا اللِّسَانَ بِمَجَرَّدِ سَمَاعِ اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ .

ومن أسماء هذه الدلالة عند الأصوليين :

- دلالة النص ؛ لأنها مستفادة من النص ، وهذا عند الحنفيَّة، ويقصدون بهذا ما ثبت بمعنى النص لا اجتهاداً ولا استنباطاً^(٧) .
- وتُسمَّى دلالة الدلالة لأنَّ معناها يُفْهَمُ مِنْ مَفْهُومِ النَّصِّ لَا مِنْ عِبَارَتِهِ ، وَهَذَا عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ^(٨) .
- وتُسمَّى مفهوم الموافقة ؛ لأنها توافق دلالة العبارة ولا تخالفها ، أو لأنَّ مدلول اللفظ فِي مَحَلِّ السُّكُوتِ مُوَافِقٌ لِمَدْلُولِهِ فِي النَّطْقِ ، وَهَذَا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ^(٩) .

(١) تهذيب اللغة: للأزهري (١٢ / ٨٢) .

(٢) جمهرة اللغة: لابن دُرَيْدٍ (١ / ١٤٥) ، وَالصَّحَّاحُ: لِلجَوْهَرِيِّ (٣ / ١٠٥٨) ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ: لِمُرْتَضَى الرَّيْذِيِّ

(١٨ / ١٧٨) ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: لِابْنِ مَنْظُورٍ (٧ / ٩٧) .

(٣) تَاجُ الْعُرُوسِ: لِمُرْتَضَى الرَّيْذِيِّ (١٨ / ١٨٠) ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: لِابْنِ مَنْظُورٍ (٧ / ٩٨) .

(٤) مُجْمَلُ اللُّغَةِ: لِابْنِ فَارِسٍ (٨٤٣) .

(٥) تَاجُ الْعُرُوسِ: لِمُرْتَضَى الرَّيْذِيِّ (١٨ / ١٧٩) .

(٦) كَشَفُ الْأَسْرَارِ شَرْحُ أَصُولِ الْبِرْدَوِيِّ: (١ / ٧٣) ، التَّعْرِيفَاتُ: لِلجُرْجَانِيِّ (١٠٤) .

(٧) انظر: المَهْدَبُ: لِعَبْدِ الْكَرِيمِ النَّمَلَةِ (٤ / ١٧٤٣) .

(٨) انظر: المصدر السابق .

- وتُسمَّى القياس الجليّ عند الشافعي ، ووجه ذلك: أنه إحاق المسكوت بالمنطوق لمعنى يقتضي ذلك^(٢) .
- وتُسمَّى مفهوم الخطاب^(٣) .
- وتُسمَّى فحوى اللفظ، ويُعبّر عن ذلك بعضهم بفحوى الخطاب، ووجه ذلك: أنّ الحكم الذي يثبت بمنطوقه يثبت لغير المذكور بروحه، ومعناه، ومعقوله^(٤) .
- وتُسمَّى دلالة التنبيه الأولى لأن العمل بها أولى من غيره^(٥) .
- وتسمى لحن الخطاب، ويُعبّر بعضهم عنه بقوله: " لحنُ القَوْل " ^(٦) .

=

- (١) المهذب: لعبد الكريم التَّمَلَّة (٤/ ١٧٤٣) ، ودراساتٌ أصولية: لمحمد حَفْنَاوِي (٢٩٠).
- (٢) انظر: المهذب: لعبد الكريم التَّمَلَّة (٤/ ١٧٤٤) ودراساتٌ أصولية: لمحمد حَفْنَاوِي (٢٩١).
- (٣) وهذا عند ابن فُورِك ، وأبي يَعْلَى . انظر: المهذب: لعبد الكريم التَّمَلَّة (٤/ ١٧٤٣) .
- (٤) انظر: المصدر السابق (٤/ ١٧٤٤) .
- (٥) انظر: المصدر السابق .
- (٦) انظر: المصدر السابق .

أمثلة تطبيقية للاستنباط بدلالة النص :

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) ، قال ابنُ بَدْران: "وذلك لَمَّا ذَكَرَ الحَقِيقَ بِالْحَمْدِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْعِظَامَ ، تَعْلَقُ الْعِلْمَ بِمَعْلُومٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ ، حَقِيقَ بِالثَّنَاءِ وَغَايَةَ الْخُضُوعِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ فِي الْمُهَيَّمَاتِ ، فَخُوطِبَ ذَلِكَ الْمَعْلُومَ الْمُتَمَيِّزَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ، فَقِيلَ: (إِيَّاكَ) يَا مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ نَخْصُ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةَ ، لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ ، وَلَا نَسْتَعِينُهُ ؛ لِيَكُونَ الْخُطَابُ أَدْلَّ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ التَّمْيِيزِ الَّذِي لَا تَحْقُقُ الْعِبَادَةَ إِلَّا بِهِ ، فَهَذِهِ نَكْتَةُ أَرْبَابِ الْمَعَانِي ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْكِشَافِ"^(٢) .

فعبارة النص هي ما ذُكِرَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا- قَبْلَهَا، وَيُفْهَمُ مِنْ دَلَالَتِهِ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةَ قَبْلَهَا مُسْتَلْزِمَةٌ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْعِبُودِيَّةَ ، فإِجْرَاءُ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ تَعْلِيلٌ لَمَّا سَبَقَ مِنْ اخْتِصَاصِ الْحَمْدِ بِهِ تَعَالَى ، وَتَمْهِيدٌ لَمَّا بَعْدَهُ مِنْ اِقْتِصَارِ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةَ عَلَيْهِ ، فَظَهَرَ أَنَّ كُلَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ كَمَا أُثْبِتَتْ هَذَا الْأَمْرَيْنِ فَإِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى امْتِنَاعِ ثَبُوتِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَهُوَ الْاِخْتِصَاصُ الَّذِي عَنَاهُ الْاِلْتِفَاتُ ، فَهِيَ دَلَالَةٌ صَرِيحَةٌ نَصِيَّةٌ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ صِفَاتِ الْكَمَالِ قَبْلَهَا مُسْتَلْزِمٌ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْعِبُودِيَّةَ ، وَهَذَا هُوَ مَرَادُ ابْنِ بَدْرَانَ .

المثال الثاني : قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) ، قال ابنُ بَدْران: "ومساق الآية يدلُّ على أَنَّ حَوَاءَ كَانَتْ مَوْجُودَةً حِينَ أَمَرَ بِسُكْنِ الْجَنَّةِ"^(٤) .

(١) سورة الفاتحة: آية (٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨) .

(٣) سورة البقرة: آية (٣٥) .

(٤) جواهر الأفكار (١٧٢) .

هذه الآية تنصُّ على أمر آدم وحواء بسكنى الجنة ، وهذا يقتضي كُونهما مَوْجُودَيْنِ يَسْمَعَانِ الخطاب الذي سَيُوجَّهُ إليهما، وبهذا فإنه يُفْهَمُ منه بدلالة النَّصِّ أَنَّ حِوَاءَ كانت موجودة؛ لكونها داخلَةً في الخِطَابِ، وهذه العلة يَفْهَمُهَا أهل اللغة، فكلُّ مَنْ يعرف فنون اللغة يُدْرِكُ أَنَّ الخطاب مُوجَّهٌ لآدم وحواء ، وهذا يقتضي أنهما جميعاً موجودين وقت الأمر بذلك ، فيمكن بمقتضى فَحْوَى الخطاب تطبيق هذا المعنى على أَنَّ حِوَاءَ كانت موجودةً حين أَمَرَ اللهُ - جَلَّ وَعَلَا - بالسُّكْنَى ، وذلك لاستواء العلة فيهما، وهي كون الخطاب لهما جميعاً ، وعليه فَحْوَاءُ كانت موجودةً حين الأمر بالسُّكْنَى بدلالة النَّصِّ .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾^(١) . قال ابنُ بَدْرَانَ: " أما قوله: ﴿كِتَابٌ﴾ فقد اتفق المفسرون على أنه القرآن، لأن قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يدل على أن هذا الكتاب غير ما معهم ، وما ذلك إلا القرآن " ^(٢) .

فهذا الكتاب هو القرآن ، يَعْرِفُ ذلك كل من يعرف هذا اللسان العربي دون تأمل ، حيث وصفه الله بأنه مصدقٌ لما معهم ، وما ذلك إلا القرآن الكريم .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْرَانَ: "أشعر نفي العلم عنهم بأن ذلك النبذ كان عن علم ومعرفة ، لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم ، فدلَّت الآية من هذه الجهة على أن هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوته، إلا أنهم جحدوا ما يعلمون" ^(٤) .

(١) سورة البقرة: آية (٨٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٥٨) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٠١) .

(٤) جواهر الأفكار (٢٨٠) .

فَنصَّتْ الآيَةَ عَلَى نَفِي الْعِلْمِ عَنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ مِنْ نَبْذِ كِتَابِ اللَّهِ، فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمْ عَالِمِينَ بِصِحَّةِ نُبُوْتِهِ ﷺ، وَهَذَا ثَابِتٌ بِمَعْنَى النَّصِّ لُغَةً، وَدَلٌّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الآيَاتِ .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ^ط قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾^(١) . قال ابنُ بَدْرَانَ: "وهذه الوصية وهذا السؤال يدلان على أن شفقة الأنبياء على أولادهم كانت في باب الدين ، وهمتهم مصروفة إليه دون غيره"^(٢) .

فهذه الآية تُنصُّ على موقف تربوي يحمل بين طياته حُسْنَ الخطاب والتودد واللين الذي صدر من يعقوب (عليه السلام) ، وهو في حالة الموت ؛ حيث استغل ذلك الموقف عندما لانت قلوب الأبناء، ومُلِئَتْ شَفَقَةً على الوالد الذي يصارع الموت ، فضرب لنا أعظم مَثَلٍ في سعي الأنبياء المستمر لتأديب أبنائهم ، فكانت تربية الأولاد على الإيمان بالله - جلَّ وعلا - دأب المرسلين، ونهج الأنبياء، وهو النهج القويم ، والصراط المستقيم .

(١) سورة البقرة آية (١٣٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٥٤) .

❖ المبحث الثالث: دلالة المفهوم .

تعريف المفهوم لغة:

مأخوذٌ من فَهِمْتُ الشَّيْءَ فَهَمًّا وَفَهَمًا : عَرَفْتُهُ وَعَقَلْتُهُ، وَفَهَمْتُ فَلَانًا وَأَفْهَمْتُهُ: عَرَفْتُهُ^(١) ، وَفَهَمْتُ الشَّيْءَ فَهَمًّا وَفَهَامِيَّةً: عَلِمْتُهُ ، وَقُلَانٌ فَهْمٌ ، وَقَدْ اسْتَفْهَمَنِي الشَّيْءُ فَأَفْهَمْتُهُ، وَفَهَمْتُهُ تَفْهِيمًا ، وَتَفَهَّمَ الْكَلَامَ، إِذَا فَهَمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ^(٢) .

أما في الاصطلاح : هو ما يخالف حكمه المنطوق^(٣) ، أو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت عنه^(٤) .

والمعنى الحاصل من جهة المفهوم يحصل إما بمفهوم موافق أو مفهوم مخالف ، فما وافق اللفظ في دلالاته على ما يدل فهو مفهوم الموافقة، وما خالف اللفظ في دلالاته فهو مفهوم المخالفة^(٥) .

ويُسَمَّى مفهوم المخالفة؛ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْمَنْطُوقِ بِهِ^(٦) ، وَيُسَمَّى أَيْضًا دَلِيلَ الْخِطَابِ وَتَبْيِيهِ الْخِطَابِ ، أَوْ فَحْوَى الْخِطَابِ^(٧) ؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ بِوَسْطَةِ انْتِفَاءِ الْقَيْدِ مِنَ الْوَصْفِيَّةِ أَوْ الشَّرْطِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا .

(١) العين: للخليل (٤ / ٦١) ، وانظر: تهذيب اللغة: للأزهري (٦ / ١٧٧)، والمحكم والمجيب الأعظم: لابن سيده (٤ / ٣٣٨).

(٢) الصحاح: للجوهرى (٥ / ٢٠٠٥)، وانظر: مجمل اللغة: لابن فارس (٧٠٧)، ومقاييس اللغة: لابن فارس (٤ / ٤٥٧) ، ومختار الصحاح: للرازي (٢٤٤) .

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن: لمناخ القطان (٢٦٠) ، ودراسات في علوم القرآن: لفهد الرؤمي (٤٥١) ، نفحات من علوم القرآن: لمحمد أحمد (٩٠) .

(٤) أصول الفقه: لعياض السلمى (٣٥٧) .

(٥) الطراز لأسرار البلاغة: للعلاوي (٣٥٧) .

(٦) المدخل: لابن بدران (٢٧٤) .

(٧) انظر: شرح الكوكب المنير: لابن النجار (٣ / ٤٨١) .

أمثلة تطبيقية للاستنباط بدلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) :

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) . قال ابنُ بَدْران: "هذا القول على كل حال جهل منهم ، ولكن يحتمل أن هؤلاء القوم كانوا على مذهب من سلف من الفلاسفة القائلين: "بأن الأرواح وإن صارت مكدره بأفعال الأشباح ، إلا أنها بعد المفارقة ورجوع العناصر إلى أصلها تصير إلى حظائر القدس ، ولا يزاحمها شيء من نتائج الأعمال ، إلا أياماً معدودة بقدر فطام الأرواح عن لبان التمتع الحيوانية ، ثم تتخلص من العاب وترجع إلى حسن المآب " وعلى هذا يكون الرد في الآية على كل فريق انتحل هذه النحلة ، واتبع هذه البدعة" (٢) .

حيث عُلمَ من قول اليهود - وهو في محل النطق - المشابهة والموافقة لقول الفلاسفة - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق في القول والاعتقاد على الفوز الأخرى وإن عُذِبَت الأرواح فإنها تكون لأيام معدودة فقط .

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ (٣) . قال ابنُ بَدْران: "والآية لا تدل على أن الذي يتعلمونه منهما ليس إلا هذا القدر، لكن ذكرت هذه الصورة تنبيهاً على سائر الصور ، فإن استكانة المرء إلى زوجته وركونه إليها معروف زائد على كل مودة ، فنبه تعالى بذكر ذلك على أن السحر إذا أمكن به هذا الأمر على شدته فغيره به أولى " (٤) .

(١) سورة البقرة: آية (٨٠) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٩) .

(٣) سورة البقرة آية (١٠٢) .

(٤) جواهر الأفكار (٢٨٣) .

حيث عُلمَ من أن السحر الذي يحصل به التفرقة بين الزوجين على شدته - وهو في محل النطق - أن غيره من صور السحر أولى - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق على أنها جميعاً من صور تعليم السحر المحرم .

المثال الثالث : قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١) . قال ابنُ بَدْران: "ومن المعلوم في فن الأصول أن الحكم إذا ترتب على وصف أشعر بعلية ذلك الوصف ، فالآية دالة على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين ، وهذا يقتضي العموم"^(٢) .
حيث عُلمَ أن الإحسان إلى الوالدين لمحض كونهما والدين - وهو في محل النطق - إنما هو وصف خاص يستلزم تعظيمهما - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق على صفة كونهما (والدين) التي هي من لوازم ثبوت الطاعة لهما دون غيرها من الصفات والقيود والشروط .

المثال الرابع : قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْران: "والذي يلوح من سِرِّ الآية التفصيل ، واعتبار كل مَقَامٍ بِحَسَبِهِ ، فإن كان القول للدعوة إلى الإمام فليكن بالرفق واللين، كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾^(٤) ، وقال محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥) ، وإن كان لدعوة المُسَاقِ ونحوهم للطاعة ، فليكن بِحُسْنِ القول كما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٦) ، ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧) " (٨) .

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٤٣) .

(٣) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٤) سورة طه : آية (٤٤) .

(٥) سورة آل عمران: آية (١٥٩) .

(٦) سورة النحل: آية (١٢٥) .

(٧) سورة المؤمنين: آية (٩٦) .

(٨) جواهر الأفكار (٢٤٧) .

حيث عُلمَ من الأمر بالإحسان في القول - وهو في محل النطق - اعتبار كل مَقَامٍ بِحَسَبِهِ - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق في الإحسان كل على حسب حاله .

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (١) . قال ابنُ بَدْران: "وقد يظن في بادئ الأمر أن هذا النهي لا فائدة فيه ، ولكن متى تأمل الاحتمالات المتقدمة تلاشى ذلك الظن ، وعلم من أولها أنه نهي عما يعتقد فلاسفة الهند من البراهمة وغيرهم من أنهم يقدرون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد الذي هو عالم العناصر ، واللحوق بعالم النور والصلاح الذي هو عالم الروح" (٢) .

حيث عُلمَ من النهي عن قتل النفس - وهو في محل النطق - المشابهة والموافقة لاعتقاد بعض الفرق أن قتل النفس جائز؛ تحليصاً لها من الفساد - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق في قتل الإنسان نفسه .

(١) سورة البقرة: آية (٨٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٥٠) .

أمثلة تطبيقية للاستنباط بدلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) :

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) . قال ابنُ بَدْران: "دليلٌ على أنَّ مَنْ كانت هذه صفاته ، لم يكن أحدٌ أحقُّ منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله" ^(٢) .

فالحكم المنطوق هو كَوْنُ الحمد والثناء لله - جلَّ وعلا- وحده ؛ لما اتصف به من صفات الكمال الواردة في مقدمة السورة ، والحكم المسكوت عنه هو أنه لا أحدٌ أحقُّ منه سبحانه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٣) . قال ابنُ بَدْران: "وفي الإتيان بـ "مِنْ" الشائعة في العموم ، إشارةٌ إلى إلزام مَنْ رأى الهلال وحده بالصَّوم ، و "مِنْ" واقعةٌ على المكلف الذي يليق به الخطاب ، فلا يدخل في عمومها الصبيُّ والمجنون ؛ لأنهما ليسا أهلاً للخطاب ولا للتكليف"^(٤) .

فالحكم المنطوق هو إلزام البالغ العاقل بالصَّوم إذا رأى الهلال^(٥) ، والحكم المسكوت عنه هو أنه لا يدخل في عمومها الصبيُّ والمجنون ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٦) . قال ابنُ بَدْران: "وقوله تعالى:

(١) سورة الفاتحة: آية (٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٨٥) .

(٤) جواهر الأفكار (٥٠٣) .

(٥) المغني: لابن قُدَّامة (٣/ ١٦٤) .

(٦) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ ، بيان لغاية الصوم ، وإشارة إلى أنه لا صوم في الليل ، كما أنه لا فطرَ بالنهار ، ومنه يؤخذ أن المواصلَ مُجَوِّعٌ نفسه في غير طاعة ربه^(١) .
 فمنطوق الآية دالٌّ على وجوب استمرار الصيام من طلوع الفجر إلى الليل ، فاستنبط من ذلك ابن بَدْران أن الليل ليس محلاً للصيام ، فيبطل الوصال ، لأنَّ الشرع أخرج زمان الليل من أن يكون وقتاً لِرُكْنِ الصوم ، وهذا من مفهوم المخالفة المغاير والمخالف للمنطوق كما هو واضح .

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾^(٢) ، قال ابنُ بَدْران: "تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به ، لمعرفة بهم وبصِفته ، ولأنهم كانوا المبشرين بزمانه ، والمستفتحين على الذين كفروا به ، وكانوا يُعَدُّون أنفسهم من أتباعه ، أول الناس كلهم ، فلما بعث كان أمرهم بصحته في غاية اللجاجة، فكان عملهم في كفرهم ، وإن تأخر عمل من يسابق شخصاً إلى شيء" ^(٣) .
 فمنطوق الآية دال على نهيه -جلَّ وعلا- لبني إسرائيل بأن لا يكون لهم الأولوية في الكفر بمحمد (ﷺ) ، ومفهوم الآية دالٌّ على أنه يجب أن يكون لهم الأولوية في الإيمان به ، كما استدللَّ بذلك ابنُ بَدْران - رحمه الله- ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٤) . قال ابنُ بَدْران: "قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عُدُولاً ، يشير إلى

(١) جواهر الأفكار (٥٢١).

(٢) سورة البقرة: آية (٤١) .

(٣) جواهر الأفكار (١٨٩).

(٤) سورة البقرة: آية (١٤٣) .

أنَّ إجماع الفاسقين والمبتدعين لا يُعدُّ إجماعاً ، ولا يعتبر في الإجماع إلا العدلُ العارف بما جاء به الرسول" (١) .

فالحكم المنطوق هو وصف هذه الأمة بالعدل ، وهذا يقتضي كون إجماعهم حجةً؛ لتوفر شرط العدالة فيهم ، والحكم المسكوت عنه هو أنَّ إجماع الفاسقين والمبتدعين لا يُعدُّ إجماعاً؛ لاختلال شرط العدالة فيهم ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

(١) جواهر الأفكار (٣٧٤).

❖ المبحث الرابع: دلالة الاقتران .

تعريف الاقتران لغة :

القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، والآخر شيءٌ يَنْتأ بقوةٍ وشِدَّةٍ^(١)، واقترن الشيء بغيره ، وقَارَنْتُهُ قِرَانًا: صَاحَبْتُهُ، ومنه قِرَانُ الكواكب، والقِرَانُ: أَنْ يَقْرَنَ بين شيئين، كالتَّمَرَّتَيْنِ عند الأكل، وكالجمع بين الحجِّ والعُمرة^(٢)، والقِرَانُ: الحَبْلُ الذي يُقْرَنُ به البَعِيرَانِ^(٣)، والقَرِينُ: المُصَاحِبُ^(٤).

والقَرْنُ : قَرَنَ الشَّاةَ والبقرة وغيرهما ، والقَرْنُ من الناس: الأُمَّة منهم، وإنما اشتقاق القَرْنِ من الاقْتِرَانِ، فتأويله أَنَّ القَرْنَ: الَّذِينَ كَانُوا مُقْتَرِنِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذُوو اقْتِرَانٍ آخِرٍ^(٥) .

أما اصطلاحاً :

الاقتران: أَنْ يَقْرَنَ الشَّارِعَ بين شيئين لفظاً^(٦)، وقيل: هي أَنْ يُجْمَعَ بين شيئين أو أشياء في الأمر أو النهي، ثم يُبَيَّنُّ حكم أحدهما، فَيُسْتَدَلُّ بالقِرَانِ على ثبوت ذلك الحُكْمِ للآخر^(٧) .

وسميت بدلالة الاقتران لأنه يجتمع شَيْئَانِ أو أشياء في معنى من المعاني في سياقٍ واحد فيدل على اتِّحَادِ حكمهما .

(١) انظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (٥/ ٧٦) .

(٢) انظر: الصَّحاح: للجَوْهَرِيِّ (٦/ ٢١٨١) ، ومَجْمَلُ اللغة: لابن فارس (٧٤٩) ، والمُحْكَمُ والمُحِيطُ والأعظم: لابن سِنْدَةَ (٦/ ٣٦٤) .

(٣) انظر: تهذيب اللغة : للأزْهَرِيِّ (٩/ ٨٤) ، والعين: للخليل بن أحمد (٥/ ١٤١) ، وجمهرة اللغة: لابن دُرَيْدٍ (٢/ ٧٩٣) .

(٤) انظر: الصَّحاح: للجَوْهَرِيِّ (٦/ ٢١٨١) .

(٥) انظر: تهذيب اللغة: للأزْهَرِيِّ (٩/ ٨٤) .

(٦) مختصر التحرير: لابن النَّجَّار (٣/ ٢٥٩) .

(٧) دلالة الاقتران: أبو عاصم البَرْكَاتِي (١٨) .

أمثلة تطبيقية للاستنباط بدلالة الاقتران :

المثال الأول : قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾^(١) . قال ابن بدران: "ومساق الآية يدل على أن حواء كانت موجودة حين أمره بسكنى الجنة"^(٢).
 فاستنبط ابن بدران - رحمه الله - أن حواء كانت موجودة وقت الأمر بالسكنى ؛ حيث قرّن وجود حواء بوجود المخاطب آدم الموجود وقت الأمر بالسكنى ، وهذا يقتضي وجودها معه وقت الخطاب .

المثال الثاني : قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾^(٣) . قال ابن بدران: "وإن المضل وإن كان مذموماً ، فالمعترّ بإضلال المضل أيضاً مذمومٌ ؛ لأنه تعالى ذمهم وإن كانوا بهذه الصفة"^(٤) .

فاستنبط ابن بدران - رحمه الله - بأنّ المعترّ بإضلال المضلّ مذمومٌ ، فقرّن ذمّ المعترّ بإضلال المضلّ ، بدم المضلّ من اليهود ؛ حيث إنّ كليهما مذمومان .

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(٥).
 قال ابن بدران: "قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ يدل على أنه فرض علينا ، وإقامة ذلك الفرض واجبة على الإمام ، أو من يجري مجراه ؛ لأنه متى حصلت شرائط

(١) سورة البقرة: آية (٣٥) .

(٢) جواهر الأفكار (١٧٢) .

(٣) سورة البقرة: آية (٧٨) .

(٤) جواهر الأفكار (٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٥) سورة البقرة: آية (١٧٨) .

وجوب القَوَد ، فإنه لا يحلُّ للإمام أن يترك القَوَد ؛ لأنه من جملة المؤمنين، إلا إذا أراد وليُّ الدَّم العفو" (١) .

قَرَنَ ابن بدران - رحمه الله - فَرُضِيَّةَ إقامة القِصَاص على الإمام أو مَنْ يجري مجراه ، بِفَرُضِيَّةِ إقامة القِصَاص على جملة المؤمنين المخاطبين بالآية؛ لأنَّ الإمام من جملة المؤمنين، وإقامة الحقوق تكون بيده .

المثال الرابع : قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ

يُوقِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ (٢) . قال ابنُ بَدْران: "لما وصفهم بالإيمان جملةً ، أشار إلى بعض تفصيله على وجهٍ يدخل فيه أهل الكتاب دخولاً أولياً" (٣) .

فاستنبط ابن بَدْران - رحمه الله - أن الموصوفين بالإيمان بالكتب جميعاً في الآية هم المؤمنون من العرب والمؤمنون من أهل الكتاب ، فيتضح دخول مؤمن أهل الكتاب مع مؤمن العرب دخولاً أولياً ، مما يدل على أن النص قَرَنَ بينهما في الإيمان بما أنزل على محمد (ﷺ) وما أنزل من قبله من الكتب .

المثال الخامس : قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾﴾ (٤) . قال ابنُ بَدْران: "يدل على الإخبار بغيب ، وهو أن من الحجارة ما هو قابل لأن يكون وقوداً الآن ، والآية وإن كانت مسوقة لتحويل أمر النار في الآخرة ، إلا أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون كثير مما في الآخرة له نموذج في الدنيا ، ولما كان الأمر كذلك ، وكانت الحجارة الفَحْمِيَّة (٥)

(١) جواهر الأفكار (٤٧٤ - ٤٧٥) .

(٢) سورة البقرة: آية (٤) .

(٣) جواهر الأفكار (٥٥) .

(٤) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٥) معدن كربوني أسود براق أو ضارب إلى السواد تكون من مواد نباتية في جوف الأرض خلال عصور متطاولة.

انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٦) ، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٤٧) .

مخبوءة في خزائن الأسرار حين نزول القرآن ، إلى أن ظهرت تلك الإشارة إلى الوجود وأظهر لهم تعالى حجارة تقوم مقام الحطب"^(١) .

فالآية فيها أنّ هناك حجارة قابلة للاشتعال في نار جهنم ، وقد قرّن ابن بدران - رحمه الله- بين هذه الحجارة الموجودة في نار جهنم في الآخرة بحجارة تقوم مقام الحطب في الدنيا كالحجر الفحامي ونحوه ، وأثبت أنّهما يتفقان في خصائصهما وطبائعهما .

(١) جواهر الأفكار (١١٩ - ١٢٠).

الفصل الخامس
أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن
بدران .

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : تأثره بالفلسفة وعلم الكلام .
- المطلب الثاني : مخالفة النُصُوص وما اتفق عليه الجمهور .
- المطلب الثالث : التأويل الخاطيء للنص .

تمهيد :

من خلال الفصول الأربعة التي مرّت بنا ، تعرّفنا على شخصية ابن بَدْران التفسيرية والعلمية ، وما انفردَ به من آراء فقهية وعلمية تدلُّ على اعتداده بآرائه ، وما لديه من ذخيرة علمية عظيمة مكنته من استخراج جواهرٍ واستنباطاتٍ ولطائف في هذا التفسير ، مقارنةً بغيره من التفاسير الكاملة التي تقلُّ فيها الاستنباطات إذا ما قُورنت بالحجم الهائل منها في هذا التفسير ، على الرّغم من صغر حجمه، وقلة ما فسره من الآيات ، مما يدلُّ على شخصيةٍ عظيمةٍ لها شأنها في هذا المجال ، وفي غيره من العلوم الأخرى ، ولكنّ الأمانة العلمية تقتضي من الباحثة ذِكر ما تراه من المآخذ .

فلا يخلو عمل إنسانٍ من نقصٍ ، ولا يسلم أحدٌ من خطأ، إلا من عصمه الله تعالى، فالكمال لله وحده ، والعصمة لأبيائه (عليهم الصلاة والسلام) ، فابن بَدْران واجه أموراً أثرت في بعض استنباطاته وآرائه ، وجعلت منها استنباطاتٍ لا تُسلم له ، ولعلّي أصفُ هذه المآخذ بالخطأ لا بالانحراف ؛ لكون هذه المآخذ هيئته لا تصل إلى حدّ الانحراف، ولا تنقص من شأن ابن بَدْران - رحمه الله - ، ولا تقل من قدره العلمي، وحتى لا أصفُ عالماً عظيماً خُضت في سيرته والتعرّف عليه وقتاً جعلني أتعاظم إطلاق هذا اللفظ عليه .

فأوردُ هنا أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن بَدْران بحسب ما توصلتُ إليه باجتهادي ووجهة نظري ، والله أسأل أن لا يُؤاخذني بما سأقول ، وأن يرفع قدرَ هذا العالم الجليل، بما أفادنا فيه ، وأوصل لنا من علم ، يُنبئ عن جلاله قدره ، وسعة علمه .

أولاً: تأثيره بالفلسفة وعلم الكلام:

فابنُ بَدْران - رحمه الله - على الرغم من صفاء عقيدته وكَوْنه على منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، وعلى مذهب الحنابلة، إلا أن لعلم الكلام والفلسفة تأثيراً واضحاً على بعض استنباطاته وتفسيراته وأقواله، وهذا يلحظه القارئ العابر فضلاً عن الباحث المعني بدراسة تفسيره، ومن الملاحظ أيضاً أنه يُجِيلُ في كثيرٍ من المسائل العقديّة المهمّة إلى ما كتبه الرَّازي (ت: ٦٠٦هـ)، مع أنه أشعريُّ وقع في خطأ مخالفة مُعتقد أهل السنة في كثيرٍ من مسائل العقيدة، ولا يجيل مثلاً على ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيميّة (ت: ٧٢٨هـ) وابنُ القَيِّم (ت: ٧٥١هـ) في ذلك، وما كتّباه في ذلك يفوق ما كتبه الرَّازيُّ وغيره كثرةً وشُهرةً ودقّةً، فكلُّ ذلك يدل على أنّ ابنَ بَدْران لم يزل يعاني من آثار الفلسفة وعلم الكلام وإن كنا لا نُشكِّك في توجُّهه إلى مذهب السلف عقيدةً وعملاً .

ومن مظاهر تأثر ابن بَدْران بالمتكلمين والفلاسفة تَلْفُظُهُ - أحياناً - بعباراتٍ غير مضبوطةٍ شرعاً، وهي مما لا يليق بالباري سبحانه وتعالى، ومن الأمثلة على ذلك:

قوله: "وهذه الأوصاف التي أُجْرِيَتْ على الله تعالى من كونه ربّاً ومالكاً للعالمين"^(١)، فقوله: «أُجْرِيَتْ على الله تعالى» يُلمَسُ فيها إساءة التعبير مع ربِّ العزة والجلال سبحانه وتعالى؛ لأنه تعالى هو الذي وصف نفسه بصفات الكمال والجلال، وهو الذي علّم أنبياءه أسماءه وصفاته ونعوت جلاله، فالواجب في هذه المسائل التَّقْيُيدُ بالعبارات الشرعية، وعدم التجاوز في ذلك؛ لئلا تزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها .

وأيضاً قوله: "فأقول: حيث إنّ الصانع جلّ وعلا هو المُوجد لجميع الكائنات"^(٢). فإطلاقه وصف الصانع على الله تعالى هو لفظٌ جرى على ألسنة المتكلمين، ولم يكن

(١) جواهر الأفكار (٣٧، ٣٨).

(٢) جواهر الأفكار (٩٧).

علماء السلف يصفون الله تعالى به ، هو تجاوزٌ، وإساءةٌ تعبير مع الخالق جلَّ وعلا ، وهذا الوصف لم يرد في القرآن ولا في السنة، ولم يستخدمه أصحاب النبي (ﷺ) ، والقاعدة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: "إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، أو أثبتته له رسوله (ﷺ) من الأسماء والصفات" (١) .

كما أنَّ هناك استنباطاتٍ تأثرت فيها بأهل الكلام والفلسفة ، اذكر منها على سبيل المثال :

مثال (١): قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ (٢) .
الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وَأَدْعَى بعض المتأخرين منهم أنه اكتشف كوكباً ثامناً للسيارات، وسمَّاهُ (نَيْتُون) باسم مكتشفه، والذي يلوح لي أنَّ هذا الكوكب هو الذي يُعبَّر عنه الأقدمون بفَلَكَ النَّوَابِت، وهو كثير الذكر في كتب الهيئة، وقد بقي عليهم فلكٌ آخر لم يكتشفوه ، وهو فَلَكَ الْأَفْلَاقِ وَالْفَلَكَ الْأَعْظَمُ وَالْأَطْلَس ، وقالوا: إنه محيطٌ بجميع الأجسام، وليس وراءه شيءٌ لا خلاء ولا ماء، ولقد سبق القرآن الكريم إلى ذكر هذين الكَوْكَبَيْن، فقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٣)، يشير إلى الثامن، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٤)، يشير إلى التاسع" (٥) .

(١) انظر: معارج القبول: لحافظ الحكيمي (١/ ٣٦٦) ، وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: لعَلوي السَّقَاف (٢٣) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٦٤) .

(٣) سورة البقرة: آية (٢٥٥) .

(٤) سورة طه: آية (٥) .

(٥) جواهر الأفكار (٤٢٢) .

البيان :

حيث إنه أتى باستنباطٍ لا يُسلم له، حيث ذكر أن الكرسي والعرش فلَكَيْنِ من الأفلاك السَّمَاوِيَّةِ ؛ سيراً على طريقة الفلاسفة في ذلك ، حيث أنه أقر -رحمه الله- بأن هذا على مذهب المتأخِّرين الحكماء^(١)، - وهم الفلاسفة - حيث لم يُقلْ به أحدٌ من سلف الأمة ، وهذا يدل - بلا شك - على تأثر ابن بَدْران بكلامهم، ويؤكد بقاء أثر قراءاته السابقة في الفلسفة وعلم الكلام، وتأثيرها عليه في استنباطاته .

وسأناقش خطأ ذلك ، فأرد القول الحقَّ في هذا بمشيئة الله تعالى ، ثم الأدلة على بطلان وخطأ هذا القول الذي أوردته - رحمه الله- .

أولاً: الكرسيُّ:

الثابت عند أهل السنة في هذه المسألة هو أن الكرسي: جسمٌ عظيمٌ مخلوقٌ بين يدي العرش ، وهو موضع قدم الرّبِّ سبحانه وتعالى^(٢) ، وهذا القول هو مذهب السلف من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم ، واقتدى بسنتهم ، وهذا هو ما دلَّ عليه القرآن والسنة والإجماع، ولغة العرب التي نزل بها القرآن ، ومن الأحاديث والآثار الثابتة عن هذا والمبيّنة له بياناً واضحاً :

ما صحَّ عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) موقوفاً^(٣) عليه من قوله: "الكرسيُّ موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"^(٤) ، قال القاضي أبو محمد^(٥) (ت: ٥٥٤١هـ):

(١) جواهر الأفكار (٤٢٢) .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/٦٨٠)، وأقوال الثقات: للمقدسي (١١٦) ، والأسماء والصفات: للبيهقي (٢/١٩٥ - ١٩٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٩٠) .

(٣) قيل: إنّه مرفوع، والصحيح أنه موقوف، قال الألبسي في جلاء العينين (٤١٧): "وقد روي مرفوعاً والصواب وقفه الخبر"، وقال ابن أبي العزّ في شرح الطحاوية (١/٢٧٩): "وقد روي مرفوعاً، والصواب أنه موقوف" .

(٤) وهو صحيحٌ موقوفٌ ، رواه الحاكم في مستدركه (٢/٣١٠) حديث رقم (٣١١٦) ، وقال: "صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يُخرجاه" . ووافقه الذهبي عليه في التلخيص بذي المستدرك ، فقال: (على شرط البخاري ومسلم) ، وقال الذهبي في العرش (١/٣٥٤): "وهذه روايةٌ اتفق أهل العلم على صحتها" ، وقال الداني بن مثير في كتاب سلسلة الآثار الصحيحة (٢/٨٢): "صحيحٌ" .

"والذي تقتضيه الأحاديث أنّ الكرسيّ مخلوقٌ عظيمٌ بين يديّ العرش، والعرش أعظم منه" (١) ، وقال ابن أبي زَمِين (٢) (ت: ٣٩٩هـ): "ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يديّ العرش، وأنه موضع القدمين" (٣) ، وقال القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): "والذي تقتضيه الأحاديث أنّ الكرسيّ مخلوقٌ بين يديّ العرش، والعرش أعظم منه" (٤) .

كما أنّ أهل اللغة لا يعرفون معنىً للكرسيّ غير هذا المعنى، قال الرَّجَاج (ت: ٣١١هـ): "والذي نعرفه من الكرسيّ في اللغة: الشيء الذي يُعْتَمَدُ ويُجْلَسُ عليه، فهذا يدلُّ على أنّ الكرسيّ عظيمٌ دونه السموات والأرض" (٥) ، وقال ابن مَنْظُور (ت: ٧١١هـ): "الكرسيّ معروفٌ، واحد الكراسيّ، والكرسيّ في اللغة الشيء الذي يُعْتَمَدُ عليه ويُجْلَسُ عليه ، فهذا يدلُّ على أنّ الكرسيّ عظيمٌ دونه السموات والأرض، والكرسيّ في اللغة والكراسيّة إنما هو الشيء الذي قد ثَبَتَ وَلَزِمَ بعضه بعضاً" (٦) ، وقال في تهذيب اللغة (٧) : "الكرسيّ ما تعرفه العرب من كراسيّ الملوك".

ومن ذلك وغيره يتبيّن أن القول الفصل في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أنّ الكرسيّ هو موضع قَدَمِي الرَّبِّ - عز وجل - وبهذا القول جزم

(١) هو ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن أبي بكرٍ غالب بن عبد الرحمن بن غالب ، ولد سنة (٤٨١هـ) ، بعزْناطَة بالأندلس ، من تلاميذه: ابنه حمزة، وابن حُبَيْش، وابن القُرْس ، ومن مؤلفاته: المحرَّرُ الوجيز ، فهرس ابن عطية . انظر ترجمته في: سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: لِلدَّهْلِيِّ (٤ / ١٠١) ، ومعجم المؤلفين: لِعُمَرَ كَحَّالَةَ (٥ / ٩٣) .

(٢) المحرَّرُ الوجيز: لابن عطية (١ / ٣٤٢) .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، ولد سنة (٣٢٤هـ) ، من شيوخه: أبوه، وابن حَزْم، وابن شَامَة، ومن تلاميذه: أبو عمرو الدَّانِي وأبو عُمَر بن الحَدَّاء، ومن مؤلفاته: أصول السنة، وقدوة القارئ، والوثائق . انظر ترجمته في: طبقات المفسرين: للأدَنَة دي (٩٣)، وطبقات المفسرين: للسُّيُوطِي (٤ / ١٠٤)، والأعلام: لِلزَّيْلِيّ (٦ / ٢٢٧) .

(٤) أصول السنة (٩٦) .

(٥) تفسير القُرْطُبِيّ (٣ / ٢٧٨) .

(٦) تهذيب اللغة: لِلأَزْهَرِيّ (١٠ / ٣٢) .

(٧) لسان العرب: لابن مَنْظُور (٦ / ١٩٤) .

(٨) تهذيب اللغة: لِلأَزْهَرِيّ (١٠ / ٣٣) .

شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)^(١) ، وغيره من أئمة العلم وأهل التحقيق كما أسلفنا ، ومن هذا كله يتبين لنا مدى صحته هذا القول وموافقته للكتاب والسنة، وإجماع الأمة، ومطابقته لما جاء في لغة العرب، وغير ذلك من الأقوال ، فهي أقوال باطلة ومخالفة لما عليه جمهور أهل السنة من سلف الأمة وخلفها .

ثانياً: العرش:

اتفقت الأقوال على أنه: "سرير ذو قوائم عظيمة"، وهناك آثار من الكتاب والسنة وأقوال السلف واللغة كلها قد تظافرت على إثبات أن العرش هو السرير، منها: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾^(٢) قال الطبري: "يعني بالعرش: السرير"^(٣)، وقال في موضع آخر: "ذوالسرير المحيط بما دونه"^(٤).

وقال البيهقي (ت: ٤٥٨هـ): "وأقوايل أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم مجسم خلقه الله، وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة واضحة على ما ذهبوا إليه"^(٥) ، وقال أيضاً: "العرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء"^(٦)، وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات"^(٧)، وقال الذهبي - بعد أن ذكر سرور أهل الجنة -: "فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الكُرسيُّ ثابتٌ بالكتاب والسنة وإجماع السلف". الفتاوى (٥٨٤/٦) ، والعرش: للذهبي (١/٣٥٣) ، وشرح العقيدة الواسطية: لخالد المصلح (٤٠) .

(٢) سورة الزمر: آية (٧٥) .

(٣) جامع البيان: للطبري (٢٠/٢٧١) .

(٤) المرجع السابق (٢٠/٢٩٤) .

(٥) الأسماء والصفات (٢/٢٧٢) .

(٦) الاعتقاد (١١٢) .

(٧) البداية والنهاية (١٢/١) .

وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكَرُوبِيِّينَ^(١) الحافئين من حوله، وحُسْنِه ورؤنقه وقيمته، فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء^(٢)، وهذه الأقوال في تعريف العرش وبيان صفته هي ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها في عرش الله، كما أنّ اللغة تُقرّر ذلك^(٣).
فقول ابن بدران، وأهل الفلسفة بأنّ العرش والكرسيّ هو فلّك من الأفلاك، قولٌ باطلٌ مخالفٌ لما عليه سلف الأمة، ويُردُّ عليه برؤود وهي:

١- جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم):
"لا تُخَيِّرُوا بين الأنبياء؛ فإن الناس يُصَعَّفُونَ يوم القيامة، فأكون أول مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الأَرْضُ، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فلا أدري أكانَ فيمَنْ صُعِقَ أم حوسب بِصَعْفَتِهِ الأُولَى"^(٤)، والشاهد لنا من هذا الحديث قوله: "فإذا أنا بموسى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ؛" حيث أن دلالة النص تُبطلُ هذه الدلالة، فالعرش في النصوص له صفةٌ أخرى غير صفة الفلكية، فوصفٌ بأنّ له قوائم، وأنّ الملائكة تحمله، وغير ذلك، وهذا الحديث هو من أقوى الأدلة على أن العرش ليس المراد به الكوكب.
كذلك الكرسيّ له صفاتٌ بيّنتها الآثار السابقة الذكر، فدَلَّ على أنّهما ليسا بِفَلَكَيْنِ، إذ من خصائص الكواكب أنّها أجرام سماوية معتمة صلبة، لها شكل كروي^(٥).

(١) الكروبيون: سادة الملائكة، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهم المقربون. لسان العرب: لابن منظور (١/٧١٤)، ومقاييس اللغة: لابن فارس (٥/١٧٥).

(٢) العلو (٥٧).

(٣) انظر: العين: للخليل بن أحمد (١/٢٤٩)، وتهذيب اللغة: للأزهري (١/٢٦٣)، مجمل اللغة: لابن فارس (٦٥٨)، ومقاييس اللغة: لابن فارس (٤/٢٦٤)، والمُحْكَم والمُحِيط الأعظم: لابن سيده (١/٣٦١).

(٤) أخرجه البخاريّ في صحيحه (٣/١٢١)، كتاب الخُصُومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، حديث رقم (٢٤١٢). ومسلم في صحيحه (٤/١٨٤٤)، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى (صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم (٢٣٧٣).

(٥) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية: لعبد العزيز طريح شرف (١٠)، المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة: لمحمد محمد بن وطه عثمان القرّاء (١٠٤).

٢- الدلالة العقلية أيضاً تُبطل ذلك ، وذلك أنّ أهل الهيئة والفلاسفة لم يُقدّموا باتّفاقهم بُرهاناً قطعياً على أنه ليس وراء الفلك التاسع - كما سمّوه- فلكٌ، قال ابن بدران: "ويمكن أن يأتي زمانٌ ترتقي فيه الأرصاد إلى اكتشاف ما هو أعلى من نيّتون..."^(١) ، فلم يقولوا: إنه ليس وراء الكوكب التاسع^(٢) كوكبٌ ، والعرشُ الذي دُكر في النصوص لا يُوافقُ هذا المبدأ؛ لأنه آخر المخلوقات ، والعرشُ أعظم المخلوقات، وما تحته صغيرٌ بالنسبة إليه ، فلم يُؤيّد ببرهانٍ يدلُّ على أنه ليس وراء الفلك التاسع شيءٌ ، وإنما قالوا هذا الذي يظهر من جهة النظر .

٣- دلالة اللّغة ، قال ابن قُتيبة (ت: ٢٧٦هـ) في نقض ما ذهبوا إليه: "وطلبوا للعرش معنىً غير السّرير، والعلماء في اللغة لا يعرفون للعرش معنىً إلا السّرير"^(٣) ، وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "العرش في اللغة عبارةٌ عن السّرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾"^(٤) ، وليس هو فلكاً ، ولا تُفهمُ منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سريرٌ ذو قوائم"^(٥).

٤- كما أن هناك قاعدة ضرورية في هذا الموضوع - موضوع علاقة القرآن بالعلوم الطبيعية - حيث إن القرآن الكريم كتاب هداية ، أنزله الله - عز وجل - لمقصد عظيم في حياة البشر ، وهو هدايتهم إلى خالقهم ، فليس القرآن بكتاب علوم طبيعية ، وإن حوى في هذا الصدد الكثير من الإشارات في مجال الطب والفلك والجيولوجيا وغيرها، إذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، ولم يجرى ليكون كتاب علمٍ فلكيٍّ أو طبيٍّ، كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم، وقد

(١) جواهر الأفكار (٤٢٢) .

(٢) فالمجموعة الشمسية تحوي تسعة كواكب بناء على ما توصلوا إليه في الوقت الحالي ، انظر: المقدمات في الجغرافيا الطبيعية: لعبد العزيز طريح شرف (١٩) ، المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة: محمد محمدين ، وطه عثمان الفراء (١٠٤) .

(٣) الاختلاف في اللفظ (٤٧) .

(٤) سورة النمل: آية (٢٣) .

(٥) البداية والنهاية (١١/١-١٢) .

يبلغ الحمّاس ببعض المُتحمّسين لهذا القرآن أن يُحاولوا أن يُضيئوا إليه ما ليس منه، كأنما يعظموه بهذا ويكبروه ، والقرآن ليس في حاجة لذلك .

فلا بد أن ننتبه هاهنا إلى أنه من الخطأ البالغ أن نُعلّق تفسير الحقائق والإشارات العلمية التي يذكرها القرآن بما يفترضه العقل البشري من نظريات علمية قد تصح وقد لا تصح، فحقائق القرآن حقائق نهائية قاطعة مطلقة ، أما ما يصل إليه البحث الإنساني عن طريق الفرض والنظريات فهو - ما لم يثبت ثبوتاً قاطعاً مزيلاً لأي شك - حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود عقل الإنسان ومعارفه، وهي دائماً قابلة للتغيير والتعديل والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة، أو تفسير جديد ، مما يجعل من انساق خلفها ليُفصّل القرآن على مقاسها في حاجة دائمة إلى التأويل المستمر والتكلف في تفسير النصوص كي توافق نظريات قد لا تثبت ، وكل يوم يجد فيها جديد .

هذا ، والسكوت عن الكلام في العرش والكُرسيّ ، وترك التعمّق في كونهما فلّكين، خيرٌ من الجدل وكثرة الحديث فيه؛ فإنّ الحوضَ في ذلك والتعمّق فيه من شرّه الفكر، واستشراق العقل إلى إدراك أمرٍ غيبي ، لا يُعلم إلا بالتوقف، فينبغي الوُفوف عند النقل .

فَعَلِمَ مما تقدم انتفاء الدليل عند هؤلاء ، كما عَلِمَ مخالفتهم للأدلة الشرعية ، وإبطلها لأقوالهم ، ويضاف إلى هذا مخالفتهم للغة العرب ، وبعد هذا كله لا تبقى أدنى شبهة في فساد هذا القول وبُطلانه ، والله أعلم .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

الاستنباط :

قال ابنُ بدران: "السموات عبارةٌ عن السيَّارات السَّبع، ولكنَّ انتقاض الحصر ليس بلازم لنا ؛ لأنَّ العدد لا مفهوم له، ولو سلَّمنا أنَّ له مفهوماً، ولكن الكتاب العزيز لم يقتصر على ذكر السَّبع ، بل زاد عليها اثنين، وهما الكُرسيُّ والعَرْش، وهما عند الحكماء مما يطلق عليهما لفظ الفلك، فإذا انضماً إلى السبعة صارت تسعة، وهم إلى الآن لم يكتشفوا الثامن من بعد ألوفٍ من السنين، ونحن ندعُّهم حتى يكتشفوا التاسع بعد دهرٍ ، وهناك يُدعُّون لنا" (٢).

البيان :

فاستنباطه في هذا الموضوع كان محفوفاً بالمخاطر كالأستنباط السابق ؛ حيث قال بأن الكواكب السيارة هي السموات السبع ، وزاد عليها كوكبين أو فلكين هما العرش والكُرسيُّ كما زعم ، حيث لا مفهوم للعدد المحصور عنده في الآية ، إذ إنَّ تخصيص العدد بالذكر لا يدلُّ على نفْي الزائد ، وهذا مما تأثر به من أهل الفلسفة (٣) التي غاص في بحرها ، ورجع عنها فيما بعد ، ولكن لم تنزل هناك بقايا لها في بعض تفسيراته كما هو واضحٌ في استنباطه هذا والذي قبله .

والقول الحقُّ في هذا ، هو أنَّ السمواتِ السبعَ غير الأفلاك السبع ، ويتبين صحة

هذا القول مما يلي:

(١) سورة البقرة: آية (٢٩).

(٢) جواهر الأفكار (١٥٢).

(٣) انظر هذا الرأي مفصلاً في كتاب: الأثر الفلْسَفِيُّ في التفسير: (٣٦٦ وما بعده) .

أولاً: من حيث دلالة النصوص ؛ فهي هنا أيضاً تُبطلُ هذه الدلالة ، فالسماوات في النصوص القرآنية لها صفةٌ أخرى غير صفة الفلكية، فوصفت بأنها ذات حُبُك^(١) ؛ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾^(٢) ، فتكوّن من نسيج ، وهذا النسيج بدوره مكونٌ من عدد من المجرات لا يعلمه إلا الله ، وهذا من حُسن خَلْق البارئ - جلَّ وعلا- ، كما يُشير القرآن إلى شكلها وهيئتها بأنها ذات طبقاتٍ ، فهي سماءٌ فوق سماءٍ مطابقةٍ ، وليست أجراماً ولا كُرَاتٍ ، لقوله: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٣) ، ووصفت أيضاً بأنها زُيِّنَتْ بالأفلاك والكواكب ، وأنها شيءٌ منفصلٌ عن الكواكب ، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٤) ، فدلَّ على أنها لا تحمل صفات الأفلاك، والفلك مسارٌ من المسارات ، وكرّةٌ من الكُرَات ، وليس فيه شيءٌ من صفات السموات، قال ابن تيميّة (ت: ٧٢٨هـ): "ولفظ الفلك يدلُّ على الاستدارة مطلقاً ، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٥) "، ومن هذا يتبيّن أنّ السماء غير الفلك ، وأنَّ كلاً منهما مختلفٌ عن الآخر.

ثانياً: لو أنّ السموات السبع هي الأفلاك السبع كما قيل ، فإنه لم يأتِ عن الله في الآية إلا السبع ، فنقتصر على ذلك ، فلا نعلم عنها إلا ما جاءت به النصوص ، وماعدا ذلك فهو من الغيب الذي نكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى، وقد ردّ الشوكانيُّ

(١) قال ابن القيم: " أصل الحُبُك في اللُّغة: إجادة النَّسِج ، يقال: حَبَكَ الثوب إذا أجاد نسجه ، وحَبِلَ حَبُوك إذا كان شديد القتل ، وفسر حَبُوك الكفْل أي مُدْبِجُه ، وقال سَمَرٌ: الحَبُوك في اللغة ما أُجيدَ عَمَلُه ... ، وجمَعُ الشعر حُبُكٌ أيضاً واحدها حَبِيكَةٌ مثل طُرُق وطَرِيقَةٌ ، وحَبَاك مثل: مِثَال ومُثَل ، والمقصود بهذا كله ما أفصح به ابن عباس ، فقال: يريد الخلق الحَسَن " التبيان في أقسام القرآن (٢٨٦) .

(٢) سورة الذاريات: آية (٧) .

(٣) سورة نوح: آية (١٥) .

(٤) سورة الصافات: آية (٦) .

(٥) سورة الأنبياء: آية (٣٣) .

(٦) الرسالة العرشيّة (١٤) .

(ت: ١٢٥٥هـ) عليهم بقوله: "وفي هذا إشارة إلى ما ذكره الحكماء من الزيادة على السَّبْع ، ونحن نقول: إنه لم يأتنا عن الله ولا عن رسوله (ﷺ) إلا السَّبْع ، فنقتصر على ذلك ، ولا نعمل بالزيادة إلا إذا جاءت من طريق الشرع ، ولم يأت شيء من ذلك" (١) .

كما أن أهل الفلك يقولون بأن الكواكب السَّيَّارة سَبْعٌ ، قال المَقْرِيْزِي (٢) (ت: ٨٤٥هـ): "اعلم أن الكواكب أجسام كُرِّيَّاتٍ ، والذي أدرك منها الحكماء بالرَّصْد ألف كوكبٍ وتسعةً وعشرون كوكبًا، وهي على قسمين: سَيَّارة، وثابتة. فالسَّيَّارة سبعة ، وهي: زُحَلٌ، والمُشْتَرِي، والمَرِّيخ، والشَّمْس، والزَّهْرَةُ، وعُطَّارِد، والقَمَر" (٣) ، فيتبين من هذه النقول أن الزيادة لا أصل لها في الشرع ، وليس في العلم الحديث ما يؤيده .

ثالثاً: أن أهل الكلام والمتفلسفة معترفون بأنه لم يقدّم لديهم دليلٌ عقليٌّ على صحّة قولهم هذا، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "إن أئمة الفلاسفة مُصْرِّحُونَ بأنه لم يقدّم عندهم دليلٌ على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن أدلتهم الحركات المختلفة ، والكُشُوفات ، ونحو ذلك على ما ذكروه، وما لم يكن لهم دليلٌ على ثبوته فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه" (٤) .

فيتبيّن من هذا أنه لا يوجد لديهم دليلٌ على تقرير قولهم ، وعلى تحديد عددٍ معين للأفلاك ؛ فقد تكون سبعةً ، وقد تكون تسعة ، وقد تكون أكثر أو أقل ، فدلّ على عدم ثبوتهم على دليلٍ يُؤيِّد قولهم ، كما أنه قولٌ مبنيٌّ على الظن ؛ لأن ما تطرّق إليه الظن والاحتمال سقط به الاستدلال .

(١) فتح القدير (١/ ٧٣) .

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المَقْرِيْزِي ، ولد سنة (٧٦٦هـ) ، من شيوخه: الأمدِيُّ ، والبُلْقَيْني ، والهِتَمِيُّ ، من مؤلفاته: الخبر عن البشر، والسلوك في معرفة دول الملوك، والمُقَفَّى . انظر ترجمته في: الأعلام: للزُّكَلِّي (١/ ١٧٧) ، والبدر الطالع: للشُّوكَّاني (١/ ٧٩) ، ومعجم المؤلفين: لعمر كَحَّالَة (٢/ ١١) .

(٣) المواعظ والاعتبار (١/ ١٣) .

(٤) الرسالة العَرَشِيَّة (٥) ، ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٤٧) .

والخلاصة أن ابن بَدْران - رحمه الله - مُتَّبِع للفلاسفة القائلين بتأويل الحقائق الشرعية بما يَتَّفِقُ مع الآراء الفلسفية ، أو إخضاع تلك الحقائق لهذه الآراء، وهذا الطريق من طرق الفلاسفة في الجمع بين الفلسفة والشريعة .

فالفلاسفة يُحَرِّفُونَ النصوص عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، لا يدلُّ عليه اللفظ بحالٍ من الأحوال، كما قال به أهل الكلام^(١) هنا من تأويل النص؛ حيث يجعلون السماوات السَّبْع هي نفسها الأفلاك السبع، وجعلوا العرش هو الفَلَك التاسع، والكُرْسِيِّ هو الفَلَك الثامن .

فَعُلِمَ مما تقدّم انتفاء الدليل عند هؤلاء ، كما عُلِمَ مخالفتهم للأدلة الشرعية ، وإبطلها لأقوالهم ، ويضاف إلى هذا مخالفتهم لأقوال علماء أهل السنة والجماعة ، وأقوال أهل الفَلَك ، و بعد هذا كله لا تبقى أدنى شبهة في فساد هذا القول و بطلانه ، و الله أعلم .

(١) قال بهذا القول بعض المتكلمين في علم الهيئة من الفلاسفة المنسوبين إلى مسلمين كابن سَيْنَا ، وغيره . انظر: العَرَش: للدَّهَبِيِّ (١/ ٣٥٠) .

ثانياً: مخالفته للنصوص وما اتفق عليه الجمهور :

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً﴾^(١).

الاستنباط :

قال ابن بدران : " وصریح قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، يدلُّ على أنه تعالى خلق آدم في الأرض، ولم يُذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان نقله بعد ذلك إلى السماء ، لكان هذا أولى بالذكر ؛ لأنه من أعظم الآيات ، ومن أعظم النعم عليه ، فإنه يكون معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السماوات"^(٣) .

البيان :

كذا قال ابن بدران ، وليس في الآية تصريحٌ بذلك ، ولا دلالة على خلق آدم في

الأرض ؛ لأن اللفظ الذي علّق عليه ابن بدران استنباطه، هو (جَاعِلٌ) ، والجعلُ غير الخلق ، فلا يكون الدليل صريحاً ، وهذا الاستنباط مخالفٌ لظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة، ومخالفٌ لقول الجمهور، وسأورد الردود على بطلان هذا الاستنباط:

أولاً: الآيات القرآنية تُشير إلى أنه تعالى خلق آدم في السماء لا في الأرض؛ لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٤) ، فعَلَّقَ الأمر هنا

بخلق آدم وتسويته ، ونفخ الروح فيه، فيكون المعنى أنَّ الملائكة أُمرت بالسجود لآدم بمجرد خَلْقِهِ - ؛ حيث أتى بحرف الفاء التي تفيد التّعقيب - ، و معلومٌ أن الملائكة في السماء، وهي مَكَانُهُمُ الرئيس ، وموطنهم المعلوم ، كما صرح به القرآن في أكثر من

(١) سورة البقرة: آية (٣٠) .

(٢) سورة البقرة: آية (٣٠) .

(٣) جواهر الأفكار (١٧٦) .

(٤) سورة الحجر: آية (٢٩) .

موضع^(١) ، فخلق آدم (ﷺ) كان إذن في المكان الذي توجد فيه الملائكة، لأنها أُمِرَتْ بالسجود له بمجرد خلقه ، و هذا أحد الوجوه التي تُبَيِّنُ الأمر الراجح في المسألة .

ثانياً: أنَّ ظواهر الأخبار المروية عن النبي (ﷺ) تشهد ببطلان هذا القول ، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "لما صَوَّرَ اللهُ آدمَ في الجنة تركه ما شاء اللهُ أن يتركه ، فجعل إبليسَ يَطِيفُ به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوفَ عرف أنه خُلِقَ خلقاً لا يتَمالك"^(٢) ، فيتبين أنَّ خَلْقَهُ إِيَّاه إنما كان في جنة الخلد كما صرح به الحديث .

وقال (ﷺ) : "يجمع اللهُ تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزَلَّفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم"^(٣) ، مما يدلُّ على أنَّ الجنة التي أُخْرِجَ منها آدم، وفيها خُلِقَ ، هي بعينها التي يُطَلَّبُ منه أن يَسْتَفْتِحَهَا لهم .

والجنة في الحديثين جاءت معرفةً بلام التعريف ، ولا جنةً يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الاسمَ عَلَمًا عليها بالعَلْبَة ، وإن كان في أصل الوضع عبارةً عن البستان ذي الثمار ، وهذا كالمدينة للمدينة المنورة والنجم للثريا ، ونظائرها ، فحيث ورد اللفظ مُعَرَّفًا بالألف واللام انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين ، وأما إن أُريدَ به جنةٌ غيرها فإنها تَجِيءُ مُنْكَرَةً .

ثالثاً: أنَّ الذي ذهب إليه جمهور السلف أنَّ اللهُ - جلَّ وعلا- خلق آدم في السماء ، وأنَّ الجنة التي أَدْخَلَهُ إِيَّاهَا هي جنة الخلد ، وجزموا بأنها موجودةٌ في السماء، وهذا الذي تقلده أهل السنة وهو الذي تشهد به ظواهر الآيات والأخبار المروية عن النبي (ﷺ) كما سلف، وأما قول ابن بدران - رحمه اللهُ - بأنه خُلِقَ في الأرض، وأن الجنة

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ سورة الأعراف: آية (٢٠٦) .

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠١٦) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك ، حديث رقم (٢٦١١) .

(٣) صحيح مسلم (١/ ١٨٦) ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (١٩٥) .

هي جنة في الأرض، فهو من أقوال المعتزلة ، كما أخبر ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) عن الجنة التي أُدخِلَ فيها آدم ، حيث قال: "وقد اختلف في الجنة التي أُسكنها آدم ، أهي في السماء أم في الأرض؟ والأكثر على الأول ، [وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض]"^(١) ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨): "والجنة التي أُسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي: جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المُبتدعين ؛ فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يردان هذا القول ، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بُطلان هذا القول"^(٢)، مما يدل على أن خَلْقَهُ وسجود الملائكة ودخوله الجنة كُلُّها كانت في العالم العلوي في السماء بإجماع السلف .

كما أن قصة آدم في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أُخرج منها فوق السماء ، وأنها جنة الخلد ، مما يدل على أنه خُلِقَ في الجنة التي أُخرج منها .
وهذه المسألة وأمثالها في القرآن الكريم من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وعلم بحكمته أنه لا جدوى للبشر في معرفة كُنْهِهِ وطبيعته ، وبقدر ما سَخَّرَ الله للإنسان من النواميس الكونية وعَرَّفَهُ بأسرارها ، بقدر ما حَجَبَ عنه أسرار الغيب ، فيما لا جدوى له في معرفته ، وهناك ألوانٌ من مثل هذه الأمور المحجوبة عن الإنسان ، منها المكان الذي خُلِقَ فيه آدم كما ذكره هنا المُسْتَنْبِط ، فإنه من الغيب الذي لا يجوز للعقل البشري أن يخوض فيه .

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (١/ ٢٣٣) .

(٢) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٤/ ٣٤٧) .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران: "دَلَّتْ الآيَةُ عَلَى أَنَّ الطَّوْفَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالصَّفَا وَالْمِرْوَةِ ، فَمَنْ سَعَى بَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ صُعُودٍ عَلَيْهِمَا لَمْ يُعَدَّ طَائِفًا"^(٢) .

البيان :

وما قاله ابنُ بَدْران -رحمه الله- يخالف إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) والجماهير بعدهم ، فالجمهور على كونه سنة^(٣) ، ولا شيء على تاركه ، وليس في تركه إثمٌ ولا إبطالٌ للسعي؛ لأنَّ الصعود إلى أعلى الصفا وأعلى المروة فيه تعبٌ ومشقةٌ ، فالصعود ليس واجباً عند الجمهور، لكن يجب أن يستوعب ما بينهما، فليُلصِقَ قَدَمَهُ بهما في الذهاب والإياب، فإن ترك شيئاً لم يستوعبه، لم يُجْزِئْهُ حتى يأتي به ، وهو المذهب^(٤) .
كما ترك الصعود بعض الصحابة^(٥) .

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠) .

(٣) انظر: الكافي: لابن قُدَّامَة (١/ ٥١٦) ، وفتح القدير: لابن الهمام (٢/ ٤٥٩) ، والأصل المعروف بالمبسوط: للشَّيْبَانِي (٢/ ٤٠٨) ، وبدائع الصَّنَائِع: للكاشَّانِي (٢/ ١٣٤) .

(٤) قال ابنُ قُدَّامَة: "والواجب من هذا ثلاثة أشياء، استيفاء السَّبْع، فإن ترك منها شيئاً - وإن قلَّ- ، لم يُجْزِئْهُ، وإن لم يَزِقْ عَلَى الصَّفَا وَالْمِرْوَةِ، وَجِبَ اسْتِعَابُ مَا بَيْنَهُمَا، بَأَنْ يُلْصِقَ عَقَبَيْهِ بِأَسْفَلِ الصَّفَا، ثُمَّ يُلْصِقَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِالْمِرْوَةِ، لِأَيِّ بِالْوَاجِبِ كُلِّهِ" . الكافي (١/ ٥١٦) ، وانظر: فقه السنة: للسَّيِّدِ سَابِق (١/ ٧١٢-٧١٣) ، وَالْمَبْسُوطُ: لِلسَّرْحَسِي (٤/ ٥١-٥٢) .

(٥) ومن النصوص التي تقول بالصُّعُودِ بِقَدْرِ مَا يَصِيرُ الْبَيْتَ بِمَرَأَى الْعَيْنِ وَلَيْسَ الصُّعُودُ لِأَعْلَى الْجَبَلِ ، مَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) حَيْثُ قَالَ: "فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَفَعِي عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ"^(٥)، فَالصُّعُودُ عَلَى الصَّفَا لِيَصِيرَ الْبَيْتَ بِمَرَأَى الْعَيْنِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا يُصْعَدُ بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ بِهِ هَذَا الْمَقْصُودُ ، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَمَنْ بَعْدَهُمْ تَوَارَثُوا الصُّعُودَ بِقَدْرِ مَا يَصِيرُ الْبَيْتَ بِمَرَأَى الْعَيْنِ وَلَيْسَ الصُّعُودُ لِأَعْلَى الْجَبَلِ .

قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): "... عن ابن أبي نجیح^(١) عن أبيه قال: أخبرني مَنْ رأى عُثْمَانَ بن عَمَّان (رضي الله عنه) يقوم في فرضٍ في أسفل الصفا ، ولا يظهر عليه ، فلم يُنكر ذلك أحدٌ من الصحابة ، فثبت أنه إجماع"^(٢) .

قال الكرماني: "فإن لم يصعد على الصفا والمروة في السعي الذي ذكرنا يجوز عندنا ، ويُكره لما فيه من ترك السنة ، ولا يجب بتركه شيء؛ لأنه من السنة"^(٣) .

فيتبين من هذا ، أنَّ الصُّعود على الصفا والمروة سنة ، وليس واجباً ، وإنما الواجب أن تُستكمل ما بين الصفا والمروة في السعي ؛ والصُّعود إنما هو زيادة خيرٍ وسنة ، وإلا فالواجب : هو استيعاب ما بين الصفا والمروة ؛ بحيث لا تترك منه شيئاً ، حتى تُكْمِل سبعة أشواط ، تبدأ من الصفا ، وتنتهي بالمروة ، فذهابك من الصفا إلى المروة سعيّة ، ورجوعك من المروة إلى الصفا سعيّة أخرى ، حتى تُكْمِل سبعة أشواط ، والمراد من ذلك ألا يترك أيّ جزءٍ من المسافة بين الصفا والمروة بغير سعي فيه ، فإن ترك جزءاً ولو صغيراً بطل سعيّه .

(١) هو عبد الله بن أبي نجیح أبو يسار الثَّقَفِي ، مؤلّي الأَخْنَس بن شُرَيْق الصحابي ، حدّث عن: مُجاهد، وطائوس، وعطاء، وحدّث عنه: شُعْبَة، والثَّوْرِي، توفي سنة (١٣١هـ) . انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٦/ ٢٧٤)، وطبقات المفسّرين: للداؤودي (١/ ٢٥٨) ، وطبقات المفسّرين: للأدّنه وي (١٦) .

(٢) الحاوي الكبير: للماوردي (٤/ ١٥٩) .

(٣) تبين الحقائق: للزّيّلعي (٢/ ١٩) .

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران: "ولنذكر الأحكام التي تُسْتَنْبَط من هذه الآية فنقول: أولها: إنَّ ظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١٥٨) ، يُشير إلى أن الطواف أي: السَّعي بين الصفا والمروة سنة"^(٢). وقال: "وعندي: أن الآية تدل على أن السَّعي تطوُّعٌ في الحج"^(٣).

البيان:

إنَّ ما استنبطه ابنُ بَدْران -رحمه الله- يخالف أسباب النزول، وما جاء عن رسول الله (ﷺ) ، والصحابة -رضي الله عنهم- والجماهير بعدهم ، ويُردُّ عليه بما يلي:

أولاً: لم يأتِ هذا اللفظ لإباحة تَرْكِ السَّعي، ولا دليل فيه عليه، وإنما جاء لإفادة إباحة السَّعي لمن كان يَتَحَرَّج منه في الجاهلية ، أو لمن كان يَطُوف به في الجاهلية قصداً لعبادة الأصنام التي كانت فيه^(٤) ؛ فأعلمهم الله تعالى أنَّ السَّعي ليس بمحظورٍ إذا لم يَقْصُد الطائف قصداً باطلاً ، فدلَّت الآية على إباحة السعي ، ورفعتِ الحرج الذي كان في صدور المسلمين منها .

ثانياً: اختلف العلماء في حكم السَّعي في الحجِّ والعمرة على أقوال :

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٠٧) .

(٣) جواهر الأفكار (٤٠٨) .

(٤) انظر القصة في: صحيح البخاري (٦ / ٣) ، أبواب العمرة ، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج ، حديث رقم (١٧٩٠) ، وجامع البيان: للطَّبْرِي (٣ / ٢٣٠) ، وأسباب النزول: للوَّاحِدِي (٤٥) ، والصحيح المسند من أسباب النزول: للهِمْدَانِي الوَادِعِي (٢٥) .

القول الأول: أنه ركنٌ من أركان الحجِّ ، لا يصح ولا يَتِمُّ بدونه، وهم الجمهور^(١)،
وَيُسْتَدَلُّ لهذا القول بما روي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "ما أتمَّ الله حجَّ
امرئٍ ولا عُمُرَتُهُ ما لم يطف بين الصفا والمروة"^(٢) .

القول الثاني: أنه واجبٌ وليس فرضاً، و يجب في تركه دمٌ^(٣) ، وهو ما رجَّحه ابن
قُدَّامَةَ (ت: ٦٢٠هـ) في المغني^(٤) ، وَيُسْتَدَلُّ لهذا القول بأنه: لا دليل على أن السعي
فرضٌ حتى يعتبر ركنًا ، وحديث عائشة السابق وفيه: "ما أتمَّ الله حجَّ امرئٍ ولا عُمُرَتُهُ ما
لم يطف بين الصفا والمروة" فيه إشارةٌ إلى أنه واجبٌ وليس بركنٍ؛ لأنها وصفت الحجَّ
بدونه بالنقصان لا بالبطلان، وَقَوَّتُ الواجب هو الذي يُوجِبُ النُقْصَانَ، بينما قَوَّتْ
الفرض -الركن- يُوجِبُ الفساد أو البُطْلان .

القول الثالث: أنه سنة، وليس بركن ولا واجب^(٥)، وَيُسْتَدَلُّ لهذا بقول ابن عَبَّاس
(ت: ٦٨هـ) وأنس (ت: ٩٣هـ) وابن الزُّبَيْرِ (ت: ٧٣هـ) وابن سِيرِينَ^(٦) (ت: ١١٠هـ)
وبقول الله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ، ونفي الحرج عن فاعله دليلٌ على
عدم وجوبه؛ فإن هذا رتبة المباح^(٧) ، وَيُرَدُّ على هذا القول^(١) بما رَدَّتْ به عائشة على

(١) وهم المالكية، والشافعية، ورواية عن أحمد. انظر: الكافي (١/٥١٧)، وفقه السنة: للسيد سابق (١/٧١٠).

(٢) صحيح البخاري (٣/٦) أبواب العمرة ، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج ، حديث رقم (١٧٩٠) ،
وصحيح مسلم (٢/٩٢٨) ، كتاب الحج ، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به ،
حديث رقم: (١٢٧٧) .

(٣) وهذا قول الحسن، وأبي حنيفة، والثوري، والقاضي أبي يعلى الخنيلي . انظر: المغني: لابن قُدَّامَةَ (٣/٣٥٢).

(٤) (٣/٣٥١ - ٣٥٢) .

(٥) وهو أحد الروايات عن أحمد . انظر: الكافي: لابن قُدَّامَةَ (١/٥١٨) .

(٦) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري، التابعي الكبير، رَوَى عن أبي هُرَيْرَةَ وابن عباس وابن الزُّبَيْرِ وغيرهم،
وكان محدثًا فقيهاً، علامةً في تفسير الأحلام، وروى عنه قتادة بن دَعَامَةَ، وأيوب السخيتاني . انظر ترجمته: وفيات
الأعيان: لابن خَلِّكَان (٤/١٨١)، والأعلام: للزُّكَلِّي (٦/١٥٤)، ومعجم المؤلفين: لعمر كَحَّالَةَ (١٠/٥٩).

(٧) مَرْعَاهُ الْمَفَاتِيح: للمباركفوري (٩/٩٣) ، والشرح الكبير: لابن قُدَّامَةَ (٣/٥٠٤) .

(١) عَمَدَتْ إلى الردِّ على هذا القول دون ما قبله من الأقوال؛ لأنَّه خطأ المُسْتَنْبِط هنا .

عُرْوَةَ ورواه عنها مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(١) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: مَا أَرَى عَلِيَّ جُنَاحًا إِلَّا أَتَطَوَّفُ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمِرْوَةِ، قَالَتْ: «لِمَ؟» قُلْتُ: لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمِرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٢)، فَقَالَتْ: "لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أَنْزَلَ هَذَا فِي أَنَسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا إِذَا أَهَلُّوا، أَهَلُّوا لِمَنَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَا يُحَلُّ لَهُمْ أَنْ يَطَّوَّفُوا بَيْنَ الصِّفَا وَالْمِرْوَةِ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) لِلْحَجِّ ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَلَعَمْرِي مَا أَتَمَّ اللَّهُ حَجَّ مَنْ لَمْ يَطَّوَّفْ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمِرْوَةِ" ، فَبَيَّنْتُ مَا ذَكَرْنَاهُ سَابِقًا مِنْ مَعْنَى الْآيَةِ وَ سَبَبِ نَزُولِهَا ، وَأَنَّهَا دَلَّتْ عَلَى رَفْعِ الْجُنَاحِ عَمَّنْ يَطَّوَّفُ بِهِمَا ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦هـ) فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا مِنْ دَقِيقِ عِلْمِهَا وَفَهْمِهَا الثَّاقِبِ، وَكَبِيرِ مَعْرِفَتِهَا بِدَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ إِنَّمَا دَلَّتْ لَفْظُهَا عَلَى رَفْعِ الْجُنَاحِ عَمَّنْ يَطَّوَّفُ بِهِمَا ... وَقَدْ يَكُونُ الْفِعْلُ وَاجِبًا، وَيَعْتَقَدُ إِنْسَانٌ أَنَّهُ يُمْتَنِعُ إِيقَاعَهُ عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَذَلِكَ كَمَنْ عَلَيْهِ صَلَاةُ الظُّهْرِ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِعْلُهَا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَيُقَالُ فِي جَوَابِهِ: لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِنْ صَلَّيْتَهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَيَكُونُ وَجُوبًا صَحِيحًا، وَلَا يَقْتَضِي نَفْيَ وَجُوبِ صَلَاةِ الظُّهْرِ"^(٣) .

وَالرَّاجِحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمِرْوَةِ رُكْنٌ ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا سُنَّةً؛ أَحَدًا بِقَوْلِ الْأَغْلَبِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ كَمَا تَقَدَّمَ .

(١) صحيح مسلم (٢/ ٩٢٨) ، كتاب الحج ، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به ، حديث رقم: (١٢٧٧) ، والمقصود بمناء: صنم كانوا يعبدونه في الجاهلية .

(٢) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٣) المنهاج: للنووي (٩/ ٢١) ، بتصرف .

ثالثاً: التأويل المخطئ للنص:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وفي الآية إشارة إلى أمرين: أحدهما: يدلُّ على الإخبار بغيب وهو أنَّ من الحجارة ما هو قابلٌ لأن يكون وقوداً الآن، والآية وإن كانت مسوقةً لتحويل أمر النار في الآخرة، إلا أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون كثيراً مما في الآخرة له نموذجٌ في الدنيا، ولما كان الأمر كذلك، وكانت الحجارة الفَحْمِيَّة مخبوءةً في خزائن الأسرار وقت نزول القرآن، إلى أن ظهرت تلك الإشارة إلى الوجود، وأظهر لهم تعالى حجارةً تقوم مقام الحطب في الاشتعال؛ ليزدادوا يقيناً بوعده تعالى ووعيده" (٢).

البيان:

ففي هذا الاستنباط سمَّى ابنُ بَدْران الحجارة التي تكون وقوداً في نار جهنم بأَها حجارة فَحْمِيَّة، وهي شبيهةٌ بالكبريت في كونه مشتعلاً، وقد صرَّح بهذا في تفسيره حيث قال: "هذا وقد قارب المعنى الذي أشرنا إليه سابقاً، مارواه ابن جرير الطَّبْرِي عن ابن عباس، وابن مسعود، وناسٍ من أصحاب النبي (ﷺ): أن الحجارة هي حجارةٌ في النار من كبريتٍ أَسْوَد، وبه قال ابنُ جُرَيْج، والحجر الفَحْمِيُّ يشبه الكبريت في كونه مشتعلاً، ويفارقُهُ في اللون، ولا مانع من أن تكون العرب وضعت لفظ الكبريت لكلِّ حجرٍ من شأنه الاشتعال، فيكون الحجر الفَحْمِيُّ منه" (٣).

وكما قال ابنُ بَدْران - رحمه الله - فإنَّ أكثر المفسرين أنها حجارةٌ من كبريت .

(١) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٢) جواهر الأفكار (١١٩ - ١٢٠).

(٣) جواهر الأفكار (١٢٠).

يقول ابن رَجَب^(١): "وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت تُوقدُ بها النار ، ويقال: إنَّ فيها خمسة أنواعٍ من العذاب ليس في غيرها : سرعة الإيقاد ، ونَتْنُ الرائحة ، وكثرة الدُّخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقُوَّةُ حرِّها إذا حَمِيَتْ"^(٢) ، وقال عبدُ الله بن مسعود (رضي الله عنه) : "إن الحجارة التي سمَّى الله في القرآن - وقودها الناس والحجارة - حجارةً من كبريت، خلقها الله تعالى عنده كيف شاء أو كما شاء"^(٣) .

والصحيح أن الحجارة التي تكون وقوداً في النار - الله أعلم بحقيقتها - ولم يرِدْ ما يُخصِّص ذلك، وما ذهب إليه ابنُ بَدْران أنها حجارةٌ فَحْمِيَّةٌ، وما ذهب إليه بعض السلف من أنها حجارةٌ من كبريت، إذا كان القول بهذا مأخوذاً من الرسول (ﷺ) فنأخذ به ولا نجادل فيه، وإن كان أمراً اجتهادياً ، مبنياً على العلم النظري التجريبي بطبائع الحجارة وخصائصها فهذا القول غيرُ مُسَلَّم به، ولعلَّ مَنْ قال بهذا من القدماء بنى قوله على كَوْنِ حجارة الكبريت أكثر قوةً واشتعالاً في ذلك الوقت أكثر من غيرها، قال الأشقر^(٤): "فإنَّ من الحجارة ما يفوق الكبريت قوةً واشتعالاً، والأوائل رأوا أنَّ حجارة الكبريت لها خصائصٌ ليست لغيرها من الحجارة ، فقالوا: إنها مادة وقود النار"^(٥)، ومع تقدُّم العلم أُكْتُشِفَتْ أحجارٌ تفوق الكبريت قوةً واشتعالاً، وقد يُوجد الله حجارةً تفوق ما في الكبريت من خصائص.

(١) هو الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، وُلِدَ في بغداد سنة (٧٣٦هـ)، من مؤلفاته: "شرح الترمذي" و"شرح علل الترمذي" و"طبقات الحنابلة" وغيرها، ومن شيوخه: الإمام ابن القيم، وابن عبد الهادي، وابن العطار ، ومن تلاميذه: الإمام الزركشي، وابن اللحام ، مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة. انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة: للسُّيُوطِي (١/٥٤٠)، والدُّرُّ الكامنة: لابن حجر (٣/١٠٨).

(٢) روائع التفسير (١/١٠١) .

(٣) قال الحاكم: "حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يُخرِّجْاه"، المُستَدْرَك (٢/٢٨٧) حديث رقم (٣٠٣٤).

(٤) هو عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ولد بفلسطين عام (١٩٤٠م) ، ومن شيوخه: محمد بن سليمان الأشقر ، وهو أخوه الكبير وشيخه الأول، و ابن باز، و الألباني، ومن مؤلفاته: أصل الاعتقاد، و الصيام في ضوء الكتاب والسنة، و معالم الشخصية الإسلامية ، توفي رحمه الله في العاصمة الأردنية عمَّان ١٤٣٣ هـ ..

(٥) اللجنة والنار: للأشقر (٣٠ - ٣١) .

القسم الثاني

القسم الثاني الدراسة التطبيقية

عرض نماذج لمواضع الاستنباط عند الإمام ابن
بدران – رحمه الله - في تفسيره "جواهر
الأفكار ومعادن الأسرار" .

مدخل

مما تَمَيَّزَ به الإمام ابن بَدْران - رحمه الله - تناول هذا النوع الدقيق من البيان ؛ لِيُفْرَزَ حرصه على تَوْفِيَةِ الآيات حَقَّهَا من المعاني ، واستيعاب كلِّ حق أشار إليه لفظ الآية ودلَّ عليه معناها ، وابن بَدْران عالمٌ مَوْسُوعِيٌّ مُتَمَكِّنٌ من كثيرٍ من العلوم النقلية والعقلية، وله إضافاتٌ جديدة في الاستنباط ، فهو مُفَسِّرٌ له استِقْلَالِيَّتُهُ وشخصيته ورؤيته التي يُوظِّفها لخدمة النَّصِّ ، فأخوَجَنِي ذلك إلى بذل مجهودٍ إضافي في تَتَبُّعِ مَعَالِمِ منهجه الاستنباطي في تفسيره، وسأذكر بعض الملامح التي تُبَيِّنُ منهجه في إيرادها، وهذه المعالم هي خلاصة منهجه ، وستبين عند دراسة النماذج ، ومن هذه الملامح:

- ١- الالتزام بذكر الاستنباطات في كل آية يقوم بتفسيرها، حيث إنه يُورِدُ في كل آية ما يقارب خمس استنباطات، وقد تزيد أو تقلُّ حَسَبَ ماتتضمنه الآية من معنى.
- ٢- لا يُرَكِّزُ على فَنِّ محدد ، فالاستنباطات والفوائد عنده ليس لها موضوعٌ مُعَيَّنٌ أو عُنْوَانٌ يُقَالُ ، وإنما هي شاملةٌ لكل ما يمكن أن يُسْتَنْبَطُ من الآية ، فهي مجالٌ رَحْبٌ لتقرير العقيدة السليمة والردِّ على المخالفين، ولذكر الأحكام الفقهية والأصولية، وبيان الأوجه البلاغية والعربية والفوائد التربوية، وغير ذلك مما يمكن أن يُسْتَنْبَطُ من الآية سواءً أكانَ بطريقة مباشرة أم خفية .
- ٣- هذه الاستنباطات ليست ذات نَمَطٍ واحد من جهة الطول والقصر ؛ فهناك استنباطاتٌ طويلة ، وهناك استنباطاتٌ مختصرة لا تتجاوز السطر والسطرين .
- ٤- هذه الفوائد ليست مَقْصُورَةً على المعاني الدقيقة ؛ بل كان - رحمه الله - يَدْكُرُ كل ما يَحْضُرُهُ حَالِ تفسير الآية من فوائدها ، ولو كانت ظاهرةً جداً .
- ٥- ربما يُرْتَّبُ على الفائدة المستنبطة من الآية فائدةٌ أخرى .
- ٦- يُصْرِّحُ بذلك أحياناً بقوله : " ومن الأحكام التي تستنبط من هذه الآية ... " .
- ٧- ظَهَرَتْ عنده دِقَّةُ الاستنباط ، والإشارة إلى معاني الآية الحَفِيَّةِ .
- ٨- انفرد ببعض اللطائف التفسيرية والاستنباطات التي يَفْتَنِّصُهَا من سياق الآيات ، ويُضْمِنُهَا تفسيره .

فهذا بعضٌ مما هو عام وظاهر لمن تتبّع استنباطاته -رحمه الله- ، ولعلّي قبل البدء في سرد هذه الاستنباطات أُعَرِّجُ على شروط المُسْتَنْبِطِ ، وشروط الاستنباط الصحيح؛ حتى نعلم الأصل الذي يُبْنَى عليه الاستنباط الصحيح عند المناقشة والدراسة .

فمن شروط المُسْتَنْبِطِ ^(١) :

١- صحّة الاعتقاد .

فالعقيدة أهم ما ينبغي للمسلم تصحيحه، وقد نبه العلماء - رحمهم الله - إلى اشتراط صحة العقيدة قبل الخوض في تفسير كلام الله تعالى ^(٢) ، لذا فإن صحة الاعتقاد من أهم الشروط الواجب توفرها في المُسْتَنْبِطِ، حيث إن هذا الشرط غير منصب على باب أو مسألة في العقيدة؛ لأن توفره في جميع الأبواب مطلب لازم .

٢- أن يعرف التفسير الصحيح للآية .

فلا يجوز لشخصٍ أن يَسْتَنْبِطَ من القرآن إذا كان لا يعرف التفسير ؛ فمعرفة التفسير أمر مهم للاستنباط ، وهو مرحلة متقدمة على الاستنباط فلا يتم الاستنباط إلا بعد معرفة تفسير الآية الصحيح .

٣- معرفة طرق الاستنباط .

وهذا؛ لتسلم له المعاني المستنبطة من كتاب الله ، والجهل بهذه الطرق قد يؤدي إلى سلوك طرق غير صحيحة في الاستنباط مما يترتب عليه الخطأ فيما يستنبط من معاني .

٤- العلم باللغة العربية .

فقد اهتم المفسرون على اختلاف توجهاتهم وتباين مناهجهم باللغة العربية، وقاموا بتوظيفها في تفسير النصّ القرآني الكريم وكشف ما فيه من غريب الألفاظ وغامض المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن ثم كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطاً أساسياً من شروط من يتصدر للتفسير ^(٣) .

(١) منهج الاستنباط من القرآن: للوهبي (١٩٩) .

(٢) انظر: الإتقان: للسُّيُوطِيّ (٤/ ٢٠٠) ، مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان (٣٤٠) .

(٣) انظر: الإتقان: للسُّيُوطِيّ (٤/ ٢١٢) ، مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان (٣٤١) .

ومن شروط وضوابط الاستنباط الصحيح :

- ١- أن يكون المعنى المستنبط صحيحاً في ذاته، فلا يخالف أمراً مقررراً في الشريعة؛ لأنه سيعتبر مردوداً^(١) .
 - ٢- أن يكون هذا المعنى المستنبط مرتبطاً بالنص ، فإذا لم تُوجد دلالة لفظية تربط بين المعنى والنص فلا يكون هذا المعنى صحيحاً^(٢) .
 - ٣- أن يكون التفسير المستنبط منه صحيحاً؛ فإن كان ضعيفاً أو باطلاً فإن نتيجة الاستنباط ستعكس عليه، وما بُني على باطلٍ فهو باطل^(٣) .
 - ٤- أن يكون ممّا للرأي فيه مجال ، أما ما استأثر الله بعلمه فإنه استنباط مردودٌ وغير صحيح ؛ إذ لا يُتوصّلُ إليه إلا بطريق الإيحاء إليه من الرسل^(٤) .
- وسأبدأ بجمع شيءٍ من الاستنباطات عند ابنِ بَدْرانٍ -رحمه الله - من خلال تفسيره "جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار" ، مُرَبَّبةً إِيَّاهَا حَسَب ترتيب المصحف ، فأذكر شيئاً مما ذكره من استنباطاته في سورة الفاتحة ، ثم أنتقل إلى ما ذكره في سورة البقرة ، مُبَيِّنَةً في كل استنباطٍ أذكره: نوع الدلالة ، والتوضيح حيث أبين كيفية دلالة الآية على الاستنباط عن طريق هذا النوع ، ووجه الاستنباط من حيث دلالة الآية على الاستنباط، وتحليل الاستنباط بذكر الطريق الذي سلكه ابنُ بَدْرانٍ - رحمه الله - في استخراج ذلك المعنى ، مُتَعَرِّضَةً لما يحتاج إليه من تصحيح خطأٍ وارد ، أو تأييد قولٍ صحيح ، أو ترجيح رأي ، أو تبين المذهب الصحيح في مسألةٍ ذكر فيها المذهب المخالف ، ونحو ذلك مما تحتاجه المناقشة .

(١) انظر: منهج الاستنباط من القرآن: للوهبي (٢٤٧) .

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٦٥) .

(٣) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط: لمساعد الطيار (١٦٩) .

(٤) منهج الاستنباط من القرآن: للوهبي (٢٧١) .

❖ أولاً: الاستنباطات في سورة الفاتحة.

١- قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

الاستنباط :

قال ابن بدران: "قال تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، مُشيراً به إلى ابتداء الخلق، تنبيهاً على الاستدلال بالمصنوع على الصانع ، و بالبداية على الإعادة"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة الإشارة .

التوضيح : ف ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دالٌّ على ابتداء الخلق ، وذلك لأن البدء والخلق من لوازم الرُّبُوبِيَّةِ ، وهذه الدلالة لا يدلُّ عليها السياق ، وإنما هي إشارةٌ دقيقةٌ غير مقصودةٍ قصداً أولاً من النص ، وهي مرتبطة بالمعنى الذي سيق اللفظ لإفادته .

وجه الاستنباط:

﴿الْعَالَمِينَ﴾ دَلٌّ على وجود المخلوقين، وهذا يشير إلى ابتداء الخلق ، فكلُّ مخلوقٍ له بدايةٌ تُخلَقُ فيها، ثم أخذ ابن بدران من الإشارة إلى ابتداء الخلق أمرين:

الأمر الأول: وجود الخالق ، وهو ما أشار إليه بقوله: (الاستدلال بالمصنوع على الصانع) ، فَخَلَقَ الْعَالَمِينَ وَإِيجَادُهُمْ خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ مُوْجِدِهِمْ ، وَخَالِقِ خَلْقِهِمْ ، أتى بهم إلى حيزِ الوجود ، وهذا أعظم دليلٍ على وجود الخالق .

الأمر الثاني: الإعادة بعد الموت، وهو ما أشار إليه بقوله: (وبالبداية على الإعادة)، فالذي أوجد الخلق أول مرةٍ من عدم بعد أن لم يكونوا ، قادرٌ على الإعادة بعد الموت ، ومعلومٌ بداهةً أن الإعادة أهون من البداية ، وكلُّ شيءٍ عليه هيئٌ سبحانه .

(١) سورة الفاتحة: آية (٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٥) .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا مأخوذ من مبدأ الخلق والإعادة ، وهو دليل توحيد الربوبية ؛ فإطلاق الربوبية في هذه السورة وتُمثّل هذه الربوبية للعالمين جميعاً يدل على أن هناك خَلْقٌ وخالقٌ مُوجد لهم ، ومن هنا استنبط ابن بدران - رحمه الله - ما أشار إليه من ابتداء الخلق، ومنه نبّه على استدلالين :

الأول: الاستدلال بوجود الأثر والمصنوع على وجود المؤثر الصانع، فاستدلّ - رحمه

الله - بوجود الخلق الذي هو الأثر والمصنوع على الخالق، الذي هو المؤثر والصانع ، فالعالم كلّهُ شاهدٌ ودليلٌ على وجود الله تعالى ، لذلك سُمّي عالمًا ، قال ابن تيميّة (ت: ٧٢٦هـ): "ويُسَمَّى كُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ عَالِمًا ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ وَبُرْهَانَ عَلَى الْخَالِقِ"^(١)، وما أُصْدِقَ مَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٢) (ت: ٢١٣هـ) :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ * * * تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(٣) .

وطريقة الاستدلال على وجود الله تعالى بمخلوقاته طريقة قرآنية عقلية، جاء بها القرآن وصحّ بها العقل ، قال ابن تيميّة (ت: ٧٢٦هـ) : "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دَلَّ القرآن عليها، وهَدَى النَّاسَ إِلَيْهَا، وَبَيَّنَّهَا، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا"^(٤).

والثاني: الاستدلال الآخر هو: الاستدلال بالأصعب على الأهلون عند البشر ، فاستدلّ - رحمه الله - بالنشأة الأولى التي هي الأصعب عند البشر - وله المثل الأعلى فكلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ عَلَيْهِ - بالنشأة الآخرة بعد الموت وهو الأهلون عند البشر .

(١) النُّبُوتَات: لابن تيميّة (٢ / ٧٤١) .

(٢) هو إسماعيل بن القاسم بن سُؤَيْدِ الْعَيْنِيِّ ، المعروف بأبي الْعَتَاهِيَةِ ، وُلِدَ فِي عَيْنِ التَّمْرِ سَنَةَ (١٣٠هـ) ، شَاعِرٌ مُكْتَبِرٌ ، سَرِيعُ الْخَاطِرِ ، فِي شِعْرِهِ إِبْدَاعٌ ، يَجِيدُ الْقَوْلَ فِي الزَّهْدِ وَالْمَدِيحِ ، وَأَكْثَرَ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ فِي عَصْرِهِ ، تَوَفَّى فِي بَغْدَادِ . انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (١ / ٣٢١) ، ووفيات الأعيان: لابن خَلِّكَانَ (١ / ٢١٩) .

(٣) ديوان أبي الْعَتَاهِيَةِ (١ / ٤٥) .

(٤) النُّبُوتَات: لابن تيميّة (١ / ٢٩٢) .

٢- قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) (١).

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران : "دليلٌ على أنَّ مَنْ كانت هذه صفاته ، لم يكن أحدٌ أَحَقَّ منه بالحمدِ والثناءِ عليه بما هو أهله" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالكلام بمنطوقه دليلٌ على اختصاص الحمد به بواسطة إشعاره بِعِلِّيَّة تلك الأوصاف للحكم ، والكلام بمفهوم المُخَالَفَة هو أنَّ تعليق الحكم بالوصف يُفيد انتفاءه عند عدمه ، فانفتت عمَّا سواه تعالى؛ لعدم وجود الصفة في غيره وتَفَرُّدِهِ سبحانه بها ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

في ذكر هذه الصفات عَقِبَ الحمد إشعارٌ بأنَّ الحمد إنما استحقَّه اللهُ سبحانه لِاتِّصَافِهِ بِهَا، فَتَرْتُبُ الحكم وهو "الحمد" على الوصف "من كونه رباً مالِكاً للعالمين ، ومن كونه رحماناً رحيماً مُنْعِماً بالنعمة كلها ، ومن كونه مالِكاً ليوم الجزاء" (٣) - والتي ذُكِرَتْ في مقدمة سورة الفاتحة - مُشْعِراً بِعِلِّيَّتِهِ ، فلما استجمع صفات الكمال ، استحقَّ بِهَا سبحانه الحمد ، الذي لا يكون إلا لِمَنْ كان في نفسه مُسْتَحِقّاً للمحامد الكاملة ، من نُعُوت كماله ، وصفاته العلية ، مُتَفَرِّداً بِهَا جَلَّ في عليائه على غيره من الأنداد والخلُق ، بل لا يستحق ذلك على الحقيقة سواه .

(١) سورة الفاتحة: آية (٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨).

(٣) وقد أشار ابنُ بَدْران - رحمه الله - إلى هذه الصفات في قوله: "وهذه الأوصاف التي أُجْرِيَتْ على الله تعالى من كونه رباً مالِكاً للعالمين ، لا يخرج منهم شيءٌ من ملكوته ورؤوبيته ، ومن كونه مُنْعِماً بالنعمة كلها : الظاهرة والباطنة ، والجلائل والدقائق ، ومن كونه مالِكاً للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به" . جواهر الأفكار: له (٣٧-٣٨) . وقوله "أُجْرِيَتْ" لفظ لا ينبغي إطلاقه في حقِّ الله ، ولو قال "وُصِفَ بِهَا اللهُ" لكان أولى ، والله أعلم .

تحليل الاستنباط:

أما الطريق الذي سلكه ابنُ بَدْران - رحمه الله - هنا فقد بَنَاهُ على ما تقرَّر في عِلْمِ الأُصُول من أن تَرْتُبَ الحِكمَ على الوصفِ مُشْعِرٌ بِعِلِّيَّتِهِ له^(١) ، فالحِكمُ هو ثبوتُ الحمدِ لله المعلوم من جملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، والوصف هو صفاتُ الله ونعوتُ كمالِهِ الواردة في سورة الفاتحة - والوصف وإن تأخَّر عن موصوفه لفظاً ، وكذا عن الحِكمِ عليه ، فهو مُقَدَّمٌ عليه رُتْبَةً ؛ لتقدمِ العِلَّةِ على المعلول والسبب على المُسَبَّب - وهذا مُشْعِرٌ بأنَّ الوصف هو عِلَّتُهُ ، فَعِلَّةُ الحِمدِ هي كونه رِياً مالِكاً للعالمين ، ومُنْعِماً بالنعَمِ كلِّها ، ومالِكاً ليومِ الجزاء ، فالأوصافُ المذكورة عِللُ الحِمدِ، ويشعر بِعِلِّيَّتِها تَرْتُبُ الحِكمِ عليها. فَبَيَّنَ أنَّ استحقاقَ جميعِ المحامدِ مختصٌّ به، وأنَّ إجراءَ تلكِ الصفاتِ: - جميعها ، أو كُلِّ واحدةٍ منها على حِدَةٍ أو الأعمِّ منهما - دالٌّ على عِلَّتِهِ منطوقاً ومفهوماً .

(١) انظر: الإِبْهَاجُ في شرحِ المُنْهَاجِ : للسُّبُكِيِّ (٢ / ٣٥٦) ، والبحرُ المِحيطُ في أصولِ الفِقه: للزَّكَّاشِيِّ (٧ / ٢٥٦) ، ومذكراً في أصولِ الفِقه: للشَّيْخِطِيِّ (٤ / ٣٠٤) ، ومن أصولِ الفِقه على مَنَهِجِ أهلِ الحديثِ: زكريا بنُ غُلامِ البَاكِسْتَانِيِّ (١٨٦) ، والجامعُ لمسائلِ أصولِ الفِقه وتطبيقاتِها على المذْهَبِ الرَّاجِحِ: عبدُ الكَرِيمِ النَّمْلَةِ (٣٥٧) .

٣- قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).

الاستنباط :

قال ابن بدران: "لما ذُكِرَ الحَقِيقُ بالحمد ، وأُجْرِيَ عليه تلك الصفات العظام ، تَعَلَّقَ العلم بمعلومٍ عظيم الشأن ، حَقِيقٌ بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المَهَمَّات ، فحُوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل: (إياك) يأمَنُ هذه صفاته ، نُحْص بالعبادة والاستعانة ، لا نَعْبُدُ غيرك ، ولا نستعينه ؛ ليكونَ الخطاب أدلَّ على أن العبادة له، لذلك التميُّز الذي لا تحقُّ العبادة إلا به ، فهذه نُكِنَتْ أرباب المعاني ، وأشار إليه في الكشَّاف" ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فعبارة النص هي ما ذُكِرَ من صفات الكمال لله - جلَّ وعلا- قبلها، ويُفهم من دلالاته أن هذه الصفات المذكورة قبلها مستلزِمة لاستحقاقه العبودية ، فهي دلالة صريحة نصية على أن ذكر صفات الكمال قبلها مستلزمٌ لاستحقاقه العبودية .

وجه الاستنباط:

لما ذُكِرَ المُسْتَحَقُّ بالحمد ، ودُكِرَ صفاته بأسلوب غيبةٍ ، انتقل إلى أسلوب الخطاب؛ بغرض تخصيص العبادة والاستعانة له سبحانه ، وإفراؤه باستحقاق العبادة له ، وأنها له خاصة، لا تُصَرَّفُ لغيره ، فكان استحقاقه وتخصيصه للعبادة بصفاته وأفعاله ، فإجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليلٌ لما سَبَقَ من اختصاص الحمد به تعالى، وتمهيدٌ لما بعده من اقتصار العبادة والاستعانة عليه ، فظهر أن كُُلَّ تلك الصفات كما أثبتت هذا الأمر، فإنها دلَّت على امتِناع بُبوتها لغير الله، وهو الاختصاص الذي عَنَاه الالتفات ^(٣) .

(١) سورة الفاتحة: آية (٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨) .

(٣) قال الزُّرْكَشِيُّ فِي البُرْهَانِ (٣/٣١٤) عن الالتفات: "هو نقل الكلام من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر تَطْرِيحاً واستِذْراراً للسَّماع، وتحديدًا لنشاطه، وصيانته لخاطره من الملل والضَّحَر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه". وقال

تحليل الاستنباط:

الطريق الذي بَنَى ابنُ بَدْران - رحمه الله - استنباطه عليه كان بواسطة بيان أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، بغرض التخصيص والاستحقاق^(١) ، ففيه تلوينٌ للنظم وافتنانٌ في الكلام وبراعة في التعبير والأسلوب ، لما أن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخَرَ أَدْخَلَ في استجلاب النفوس، واستمالة القلوب ، وأحسن تَطْرِيحاً لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد ، وفي الالتفات أسرارٌ تَقْتَضِيهِ ، ومزايا تستدعيه ، ومن أسرار هذا المقام الجليل: ما بيَّنه ابنُ بَدْران في هذا الاستنباط من غرض الاختصاص والاستحقاق به سبحانه؛ لما أجري عليه من النعوت الجلييلة التي أَوْجَبَتْ له تعالى أكمل تَمِيْز ، وأتمَّ استحقاق؛ بحيث تبدل أسلوب الغيبة إلى الخطاب والشهود ، يقول أبو السعود: "وينتقل من عالم الغيبة إلى مَعَالِمِ الشُّهُود... كأنه واقفٌ لدى مولاه مائلٌ بين يديه، وهو يدعو بالخضوع والإخبات، ويقرع بالضراعة باب المناجاة ، قائلاً: يا مَنْ هذه شُئُونُ ذاته وصفاته تُخْصُّكَ بالعبادة والاستعانة ، فإنَّ كُلَّ ما سواك كائناً ما كان بِمَعزِلٍ من استحقاق الوجود ، فضلاً عن استحقاق أن يُعْبَدَ أو يُسْتَعَانَ به"^(٢) . فهنا بيَّن - رحمه الله - في هذا الاستنباط أنَّ هناك التفاتاً من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب ، فلما ذُكِرَ الحَقِيقُ بالحمد، وأُجْرِيَتْ عليه الصفات العظيمة: من كونه رَبِّاً للعالمين، ورحمناً ورحيماً، ومالكاً ليوم الدين، بأسلوب الغيبة، انتقل إلى أسلوبٍ آخَرَ، وهو أسلوب الخطاب ، فكان حَقِيقاً بأنَّ يكون معبوداً دون غيره ، فَخُوِطِبَ بذلك ؛ لتمييزه بالصفات المذكورة تعظيماً له وتخصيصاً له بالعبادة والاستعانة .

=
 السُّيُوطِي فِي الْإِتِّقَانِ (٣/ ٢٨٩) : "نقلُ الكلام من أسلوبٍ إلى آخر - أعني من التكلُّم أو الخطاب أو الغيبة - إلى آخر منها ، بعد التعبير بالأول ، هذا هو المَشْهُور" .
 (١) انظر: إرشاد العقل: لأبي السُّعُود (١٦/١) .
 (٢) إرشاد العقل: لأبي السُّعُود (١٦/١) بتصرف .

٤- قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران: "وللْعُدُولِ عن الغيبة إلى الخطاب نُكْتَةٌ تَدِقُّ عن فَهْمِ أرباب المعاني، وهي: أنه أتى بالكاف إشارةً إلى مَقَامِ الإحسان الذي أشار إليه النبي (ﷺ) بقوله لما سُئِلَ عن الإحسان: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"^(٢) " (٣).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالعدول إلى الخطاب مباشرة دالٌّ بالإشارة على مرتبة الإحسان ، وهذه دلالةٌ غيرُ ظاهرة، ولا يدلُّ السياق عليها، وإنما هي من إشارات الآية، كما أنها من دلالة اللفظ على لازمٍ غيرٍ مقصودٍ قصداً أولياً، ولكنه مرتبطٌ بالمعنى الذي سيق اللفظ لإفادته.

وجه الاستنباط:

بعد أن غرست صفات الله الوارد ذكرها في سورة الفاتحة تعظيم الله وحضوره في القلب ، مهّدت له الانتقال من الغيبة إلى الخطاب المباشر بالكاف ، الذي يجعل القارئ لها يرتقي إلى مَقَامِ الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه؛ نتيجةً خوفه وتعظيمه لصفات الله عند الخطاب بأسلوب الغيبة ، وهذا هو مَقَامُ الإحسان الذي أشار إليه كافي الخطاب ، وهذا غرضٌ آخر غير الذي ذكّر في الاستنباط السابق من التخصيص والاستحقاق .
وهناك وجهٌ آخر : وهو أنّ العبد المؤمن إذا عبد الله في الدنيا وكأنه يراه ويراقبه ، فإنه يحقُّ مقام الإحسان ، الذي يجوز له عند الخطاب أن يخاطبه بخطاب الحضور ، وقد بيّن هذا بقوله -رحمه الله-: "ومعناه: أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة،

(١) سورة الفاتحة: آية (٥) .

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٩) ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان ، حديث رقم

(٥٠) ، وصحيح مسلم (١/ ٣٩) ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله ، حديث رقم (٨) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٨).

كأنه يراه بقلبه ، وينظر إليه في حال عبادته ، فإذا تحقَّق هذا المقام صحَّ له أن يخاطبه بخطاب الحضور ، فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) .

تحليل الاستنباط:

وطريق هذا الاستنباط كان بواسطة الالتفات أيضاً من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب ، وهذا عُذُولٌ في النظم وَتَحْوُلٌ في الأسلوب ، وللعُدُولِ حِكْمٌ وَنُكْتٌ، تخصُّ كل موضع ، وينفرد بها كلُّ مقام ، ولعلَّ ابن بَدْران أتى بِنُكْتَةٍ لم يسبقه إليها أحد ، اعتمد عليها في استخراج هذا الاستنباط ، وهي: "أنه أتى بالكاف في هذا الخطاب إشارةً إلى مقام الإحسان" . فصفات الله تعالى المذكورة في أول السورة عَرَسَتْ في نفس القارئ تعظيم الله تعالى وحضوره في القلب ، فمَهَّدَتْ له توجيه الكلام بكاف الخطاب المباشر ، فزاده هذا الانتقال تعظيماً وتوقيراً لله بصفاته العليا ، ومن ثمَّ الارتقاء بهذا التعظيم من مقام الغيبة إلى مقام الحضور والمشاهدة (الإحسان)، الذي يكون فيه العابد لله مُرَاقِباً لأعماله.

(١) جواهر الأفكار (٣٨) .

❖ ثانياً: الاستنباطات في سورة البقرة .

٥- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١)

الاستنباط :

قال ابن بدران: "ثُمَّ إِنَّ قِرَاءَةَ نَصَبِ ﴿رَيْبٍ﴾ الَّتِي هِيَ الْمَشْهُورَةُ، تُوجِبُ ارْتِفَاعَ الرَّيْبِ بِالْكَلِمَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْمَاهِيَةِ، وَنَفْيِ الْمَاهِيَةِ يَقْتَضِي نَفْيَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْمَاهِيَةِ لَثَبَتِ الْمَاهِيَةُ، وَذَلِكَ يَنَاقِضُ نَفْيَ الْمَاهِيَةِ" (٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية الكريمة تَنْصُ عَلَى نَفْيِ الرَّيْبِ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مَعْلُومٌ وَظَاهِرٌ يَعْرِفُهُ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ هَذَا اللِّسَانَ بِمَجْرَدِ سَمَاعِ اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ .

وجه الاستنباط:

كلمة (رَيْبٍ) (٣) الواقعة بعد "لا" النافية، والمنصوبة على القراءة المشهورة تدلُّ على استغراق نفي ماهية الرَيْبِ وحقيقته عن كتاب الله، فكلام الله لا يَعْتَرِيهِ رَيْبٌ وَلَا يَتَطَّرِقُ إِلَيْهِ شَكٌّ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ وَقُوعِ الْارْتِيَابِ عَنْهُ مِنْ قِبَلِ الْمُخَاطَبِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ ارْتِيَابٌ مِنْ أَنَاسٍ كَثُرُوا، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا مِنْ هُنَا الرِّيبِ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ، بَلْ عَرَّفَهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي إِذَا سَلَكَوهُ انزاح عنهم الرِّيبِ، فعلى مقاله ابن بدران لا يحتاج إلى حمله على نفي المظنَّة من الخلق، كما حمله الرَّخْشَرِيُّ (١).

(١) سورة البقرة: آية (٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٥١) .

(٣) الرَّيْبُ: الشُّكُّ، قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: "لَا شَكَّ فِيهِ" تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (١/ ٢٥٩). وَقَدْ

حُكِيَ فِيهِ الْإِجْمَاعُ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ مَعْنَى الرَّيْبِ: الشُّكُّ - : "وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَنَافِعٌ، وَعَطَاءٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَقَتَادَةُ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: لَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا". تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ١٦٢) .

(١) الكشَّاف: للرَّخْشَرِيِّ (١/ ٣٤) .

تحليل الاستنباط :

وطريقة ابن بدران - رحمه الله - هنا مأخوذة من النفي العام، فقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ استغراق لنفي جنس الرّيب بكل أفراده وأنواعه، لأنه كما قال بعض النحويين لا النافية للجنس يقصد بها "التنصيص على استغراق النفي للجنس كله" (١).
والنفي عام؛ لكون (رَيْب) منصوبةً ونكرةً في سياق النفي، قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ):
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ نفي عام، ولذلك نُصِبَ الرّيبُ به " (٢).

وقال الشوكاني (ت: ١٧٥٩هـ): "ومعنى هذا النفي العام ، أنّ الكتاب ليس بمظنّة للرّيب؛ لوضوح دلالاته وضوحًا يقوم مقام البرهان المقتضي لكونه لا ينبغي الارتباب فيه بوجه من الوجوه " (٣).

وقال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) : " والنفي لا اختصاص له، فإذا انضمّ النفي الذي لا اختصاص له إلى التنكير الذي لا يختصُّ بمعينٍ ، اقتضى ذلك العموم " (٤).

(١) شرح ابن عقيل (٥/٢) .

(٢) تفسير القرطبي (١٥٩/١) .

(٣) فتح القدير (٣٩ /١) .

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه (٤ / ١٥٠) .

٦- قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(١) .

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران: "وفيه إشارةٌ إلى أَنَّ الحَقِيقَ بالمدح مَنْ راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسُنن، وحقوقها الباطنة من الخشوع والإقبال على الله تعالى، لا المصلُّون الذين هم عن صلاتهم سَاهُونَ، ولذلك ذُكِرَ في سياق المدح: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾" ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو المدح لمن أقام الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها وفرائضها وسننها وغيرها من معاني الإقامة ، والحكم المسكوت عنه الذم للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، وهذا المفهوم مغاير ومخالف لما يفيد اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

إقامة الصلاة من صفات المتقين المُرَاعِينِ حدود الله، والخائفين الوَجِلِينَ منه سبحانه، والمذكور في الآية إقامة الصلاة لا مُجَرَّدَ الأداء، والله تعالى أمر في الصلاة بأشياء، لا تَتِمُّ إِقَامَتُهَا من: ركوعٍ وسجودٍ وقيامٍ وذكُرٍ وغيرها ، فلا تكون إقامة الصلاة إلا بإتمام ركوعها وسجودها ، والقيام بفرائضها وسننها وأركانها ، فَحَقُّ المدح لِمَنْ أقامها بهذه الكيفية ، لا المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، ولهذا بيَّنَ ابنُ بَدْران - رحمه الله - حقوق الله في الصلاة من كلمة ﴿وَيُقِيمُونَ﴾ التي تتضمن كثيراً من الحُفُوقِ ، لا مُجَرَّدَ الأداء .

تحليل الاستنباط:

بنى ابنُ بَدْران - رحمه الله - استنباطه على معنى الإقامة للصلاة لا الأداء ، فالإقامة تشمل إقامة الصلاة بأفعالها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها، والتذلل بين يدي المَلِكِ الحق ، والتفكير فيما يُقْرَأُ من القرآن والأذكار ، ثم أداء الصلاة مع الجماعة في بيوت الله،

(١) سورة البقرة: آية (٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٤) .

وإلقاء الدنيا وراء الظهر، والإقبال على الله ، ثم المحافظة على الصلوات الخمس حين يُنَادَى بِهِنَّ ، وغيرها من معاني الإِقَامَةِ .

ومن بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ جَمْعُهُ الْمَعَانِي بِلَفْظٍ مُوجِزٍ ، قال تعالى: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ ولم يُقْل: (صَلُّوا) ، ولم تردْ آيةٌ فِي الْقُرْآنِ بِلَفْظٍ: (صَلُّوا) بِالْأَمْرِ الْمُجَرَّدِ عَنِ الْإِقَامَةِ ، وبهذا يتبين لنا أولاً: عَظَمَةُ الْقُرْآنِ وبِلاغَتِهِ وقوة مصدره . وثانياً: أهمية العناية بالصلاة جُمْلَةً وتفصيلاً؛ لما اشتملت عليه كلمة ﴿ وَيُقِيمُونَ ﴾ من المعاني العظيمة ، فإقامة الصلاة تختلف عن أدائها ، فكلُّ فردٍ يستطيع أن يؤدِّي الصلاة، لكن ليس كلُّ مُصَلٍّ يستطيع أن يُقيم الصلاة؛ لأن أداءها شيءٌ وإقامتها شيءٌ آخر .

فهذا تكون الإقامة الحقيقية هي ما استنبطها ابنُ بَدْران - رحمه الله - من الآية ، وبهذا يكون المفهوم الحقُّ لإقامة الصلاة ، فليس المراد منا فقط أن نَقُومَ ونرُكعَ ونَسُجُدَ ، وقلوبنا ذاهبةٌ كُلُّ مَذْهَبٍ ، ونحن مُعْرِضُونَ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، ثم نُسَلِّمُ وكأننا لم ندخلها .

٧- قوله تعالى: ﴿وَمَمَّارَ زَقَاتِهِمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١) .

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران: " ﴿يُنْفِقُونَ﴾ هنا قد لا يُلاحظ به زمانٌ مُعَيَّن ، من حالٍ أو استقبال ، فيدلُّ إذ ذاك على الاستمرار " ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح: فيلزم من دلالة الفعل (ينفقون) على الاستمرار والدوام أن المؤمنين ينفقون المال في سبيل الله بصورة مستمرة، وهذا المعنى غير مقصود قصداً أولاً ، ولا سيق له النص، ولكن هذا المعنى مرتبط بالمعنى الذي سيق اللفظ لإفادته، وهو الإنفاق مما رزقهم.

وجه الاستنباط:

أن الفعل ﴿يُنْفِقُونَ﴾ يدلُّ على الاستمرار والدوام في الإنفاق من المؤمنين المنفقين في السَّرَاءِ والضَّرَاءِ، لا يمنعهم شيءٌ ولا يصدُّهم أمرٌ عن الإنفاق، فهم يتصدقون على الدوام رغبةً فيما عند الله ، وليُقْرِضُوا الله قرضاً حسناً ، فيجازيهم عليه حسناً .

تحليل الاستنباط:

وطريقة ابن بَدْران هنا هي أنه اعتمد على لمحّةٍ من اللَّمَحَاتِ التي لا يدركها إلا العارفون بأسرار هذه اللغة الشريفة ؛ ذلك أن من خصائص الفعل المضارع أنه لا يُلاحظ فيه زمانٌ معين من حالٍ أو استقبالٍ، وهما الزمانان اللذان يحتملهما المضارع، فلا يدلُّ إلا على جُرْدِ الاستمرار^(٣)، ومنه هذه الآية، أي أن المؤمنين ينفقون في سبيل الله بصورةٍ مستمرةٍ في مرضاته سبحانه، مما يلزمهم من الزكاة ومما يتطوَّعون به من الصدقات وغيرها، والمراد بهذه الأفعال هنا إيجاد حقائقها على الدوام من قِبَلِ الْمُتَنَفِّقِينَ لها، فلا تنقطع أبداً، ولا يَمَلُّ الْمُتَنَفِّقُ من إخراجها، فهو راغبٌ فيما عند الله من الجنة .

(١) سورة البقرة: آية (٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٥) .

(٣) انظر: اللغة: لجوزيف (١/ ١٠٧) .

٨- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(١) .

قال ابن بدران: "لما وصفهم بالإيمان جملةً ، أشار إلى بعض تفصيله على وجه يدخل فيه أهل الكتاب دخولاً أولياً"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الاقتران .

التوضيح : فاستنبط ابن بدران - رحمه الله - أن الموصوفين بالإيمان بالكتب جميعاً في الآية هم المؤمنون من العرب والمؤمنون من أهل الكتاب ، فيتضح دخول مؤمن أهل الكتاب مع مؤمن العرب دخولاً أولياً ، مما يدل على أن النص قرّن بينهما في الإيمان بما أنزل على محمد (ﷺ) وما أنزل من قبله من الكتب .

وجه الاستنباط :

وصف الله المؤمنين بالإيمان جملةً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(٣) ، فيشمل كلّ الأمور الغيبية من الجنة والنار والبعث ، وكلّ ما هو بعد الموت ، والإيمان بالله والكتب والرسول والملائكة وغيرها ، ويشمل الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً ، كما يشمل كلّ مؤمن من العرب كما بيّن هذا المفسرون في تفاسيرهم^(٤) ، وبهذا يتضح أن الإيمان هنا مجمل ، ثم وصفهم ببعض تفصيله في هذه الآية، من الإيمان بما أنزل من الكتب على محمد (ﷺ) وما أنزل من قبله، فهنا خصّص وفصل هذا، وأفرد الإيمان بالكتب جميعاً في هذه الآية، وهذا الوصف يشمل أهل الكتاب ، فيدخلون مع مسلمي العرب دخولاً أولياً

تحليل الاستنباط:

كان بناء هذا الاستنباط على قاعدة المطلق والمقيّد ، فالإيمان في الآية الأولى أُستعمل عاماً ومطلقاً ، فهو يشمل كلّ ما غاب عنهم من الجنة والنار، والثواب والعقاب

(١) سورة البقرة: آية (٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٥) .

(٣) سورة البقرة: آية (٣) .

(٤) ينظر : التفاسير التالية في هذه الآية : تفسير جامع البيان: للطبري (٢٣٧/١) ، ومعالم التنزيل: للبعوي

(١/٨٦) ، والكشاف: للزحّشري (١/٣٧) ، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير (١/١٦٥) .

والبعث، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسوله، وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها، قال الطَّبْرِي (ت: ٣١٠هـ): "فالذي هو أولى بتأويل الآية، وأشبهه بصفة القوم: أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً، إذ كان -جلّ ثناؤه- لم يحصُرْهم على معنى من معاني الإيمان دون معنى، بل أجمل وصفهم به، من غير خصوص شيء من معانيه أخرجهم من صفتهم بخبرٍ ولا عقل" (١)، وبهذا يتضح كون الإيمان في الأولى مجملاً لكل ما غاب عنهم، كما قال بذلك ابنُ بَدْران في هذا الاستنباط .

أما في الآية الثانية فأشار فيها إلى بعض تفصيل الإيمان السابق، وهو الإيمان بالكتب جميعاً دون غيره من الأمور التي ذُكرت سالفاً من الأمور الغيبية ، وهذا واضح من خلال التصريح في الآية بكونه خاصاً ومُقَيِّداً بالإيمان بما أنزلَ على محمد (ﷺ) وما أنزلَ من قبله . وبهذا يتَّضح كونَ هذا الإيمان بعضاً من تفصيل الإيمان السابق .

كما أن مَنْ وصفهم الله في الآية الأولى غير مَنْ وصفهم في الآية الثانية، فالموصوفون أولاً هم المؤمنون من العرب دون غيرهم ، والموصوفون ثانياً هم المؤمنون من العرب ومن أهل الكتاب (٢)، ويُستدلُّ على هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٣)، وبما ثبت في الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال : "ثلاثة يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين : رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنيه وآمن بي ... " (١) ، وبهذا يتَّضح دخول أهل الكتاب في هذه الآية دخولاً أوَّلياً .

(١) جامع البيان: للطَّبْرِي (١/ ٢٣٥) . وقال ابن كثير: "هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشَّافِعِيُّ وأحمد بن حنبل وأبو عُبيد وغير واحدٍ إجماعاً: أن الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص" . تفسير القرآن (١/ ١٦٥) .
(١) جامع البيان: للطَّبْرِي (١/ ٢٣٥) .

(٢) قال الطَّبْرِي: "وأولى القولين عندي بالصواب، وأشبههُما بتأويل الكتاب، القول الأول، وهو: أن الذين وصفهم الله - تعالى ذكره - بالإيمان بالغيب، وبما وصفهم به - جلّ ثناؤه - في الآيتين الأُولَيَيْنِ، غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزلَ على محمد والذي أنزلَ على مَنْ قبله من الرُّسُلِ" . جامع البيان (١/ ٢٤٠)، وقد ذكر أسباب اختياره هذا القول .

(٣) سورة آل عمران : آية (١٩٩) .

(١) صحيح البُخَارِي (١/ ٣١)، كتاب العلم ، باب تعليم الرجل أُمَّتَهُ وأهله ، حديث رقم (٦٧) . وصحيح

٩- قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا أَلْخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (١).

الاستنباط :

قال ابنُ بَدْران: "وفي هذه الآية إشارة إلى معنى لطيفٍ، وهو الإشارة إلى أن اليهود لم يؤمنوا بنزول التوراة من عند الله نزولاً حقيقياً ؛ لأنَّ أكثرهم يقول: إنَّ الله أَلْهَمَ البشر الذين هم أنبياء بني إسرائيل، بما تكلموا به، وجعلهم واسطةً لإنفاذ مقاصده، من غير أن يُجَرِّدَهُمْ من صِفَاتِهِم الدَّائِيَّة، ومن غير أن يُخْرِجُوها عن النُّفُوذ الإلهي، وإنهم لم يزلوا حين ذلك الإلهام في حالةٍ حسنةٍ من الشعور ، فَجُمِعَتْ أقوالهم من بعدهم في أسْفَار" (٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو المدح في الآية الكريمة للمؤمنين بما أنزل الله تعالى على وجه الحق ، والحكم المسكوت عنه الذم لمن لم يؤمن على هذا الوجه ، وهذا من مفهوم المخالفة المغاير والمخالف لما يفيد اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

لما كان في الآية الأمر للمؤمنين بالإيمان بما أنزل عليهم من كتاب الله وما أنزل من قَبْلِ القرآن من كُتُب، كان فيه إشارة إلى حال اليهود مع كتابهم المُنزَّل على موسى ﷺ ، فلم يؤمنوا به إيماناً حقيقياً ، كما لم يؤمنوا بما أنزل على بقية الأنبياء من كتبٍ ومنها القرآن ، فلأنَّ اليهود لم يُصَدِّقُوا بما في كتابهم ولم يعملوا بما فيه ، كما أنهم لم يؤمنوا برسولنا ﷺ وخبره عندهم في التوراة ، أمرنا - جلَّ وعلا- ألا نكون مثلهم ، وأن نؤمن بالقرآن المنزَّل على رسولنا محمدٍ ﷺ تفصيلاً ، ونؤمنُ بالكتب السابقة جملةً ، فالله تعالى مدح في هذه الآية الكريمة المؤمنين بما أنزل الله على وجه الحق، فَيُفْهَم منه التعريض

مسلم (١/١٣٤)، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدٍ ﷺ ، حديث رقم (٢٤١) .

(١) سورة البقرة: آية (٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٦) .

بالذمِّ لَمَنْ لم يُؤْمِن على هذا الوجه ، وهذه الإشارة من الإشارات الخفية التي قلَّ مَنْ يستنبطها ويتنبَّه لها .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في استنباط هذا القول كان بما يُسمَّى التَّعْرِيزُ^(١) في عِلْمِ البلاغة ، فالله تعالى مدح المؤمنين صراحةً بأنهم يؤمنون بما أنزله من الكتب على وَجْهِ الحق ، فَيُفْهَمُ منه التعرّيز بالذمِّ لَمَنْ لم يُؤْمِن بما على هذا الوجه ، قال الزَّكَشِيُّ (ت: ٧٩٤هـ) في تعريفه للتَّعْرِيزُ: " هو الدلالة على المعنى من طريق المفهوم"^(٢) .

كما أخبر سبحانه عن حال اليهود مع أنبيائهم وما جاءوا به من الشرائع، فقاموا بتحريف الكلم ، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾^(٣) ، فوقع التحريف منهم في التأويل وفي التنزيل^(٤) ، وقاموا بِكَيْتْمَانِ ما أنزل الله وإخفائه^(٥) ، والتحايل على شرع الله بوجوه الحيل للتخلص منه، فعن أبي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٧هـ) (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: "قاتل الله اليهود، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فباعوها وأكلوا أثمانها"^(٦)، فاليهود لم يقوموا بحقِّ التوراة وما فيها من تعاليمٍ شرعية ، وكذَّبوا بآيات الله ، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧) .

(١) التَّعْرِيزُ: "الإيماء والتلويح من غير كشفٍ ولا تبيين" . غريب القرآن: للسجستاني (٣٣١) ، وقيل: "التَّعْرِيزُ : ما تضمَّن الكلام من الدلالة على شيءٍ من غير ذكرٍ له" . أحكام القرآن: للخصَّاص (١٢٨ / ٢) .

(٢) البُرْهَان (٢ / ٣١١) .

(٣) سورة النساء: آية (٤٦) .

(٤) انظر: إغاثة اللُّهُفَان: لابن القَيْم (٢ / ٣٥١) .

(٥) حكى الله - جلَّ وعلا - ذلك عنهم في سورة المائدة: آية (١٥) .

(٦) رواه البخاريُّ في صحيحه (٣ / ٨٢) ، كتاب البيوع، باب: لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكته، حديث رقم (٢٢٢٤) ، ومسلمٌ في صحيحه (٣ / ١٢٠٨) ، كتاب المُسَاقَاة، باب تحريم بيع الخمر، حديث رقم (١٥٨٣) .

(٧) سورة الجمعة: آية (٥) .

١٠ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

الاستنباط :

قال ابن بدران: "وفي تكرير ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى أنه كما يثبت لهم الأثرة (٢) - وهي التقدم - بالهدى ، فهي ثابتة لهم بالفلاح ، فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميّزة على حياتها" (٣).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : الآية الكريمة تنص على أن هؤلاء المتصفين بتلك الصفات قد اختصوا وتميزوا بكل واحدة من الصفتين ، ولا شك أن هذا المعنى واضح لا يحتاج إلى نظرٍ وتأمل، إذ أن الآية تثبت ذلك وتنص عليه .

وجه الاستنباط:

في تكرير اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ دلالة على أن كلاً من الهدى والفلاح مستقلٌ بتمييزهم به عن غيرهم ، بحيث لو انفرد أحدهما لكفى مميّزاً ، وفيه تبيين على أن كلتا الأثرتين جديرة بالاعتناء والتنويه ، فلا تُذكر إحداهما تبعاً للأخرى، بل تُخصّص بجملة وإشارة خاصة؛ ليكون اشتهارهم بذلك اشتهاراً بكلتا الجملتين ، وأنهم ممن يُقال فيه كلا القولين ، فالتعبير باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ يدل على التعظيم وعُلو المكانة ، وأعيد اسم الإشارة للدلالة على اختصاصهم بكل واحدة من الصفتين .

(١) سورة البقرة: آية (٥) .

(٢) الأثرة: بفتح الهمزة وفتح الناء المثناة وراءٍ مهملة، هي التقدم والاختصاص ، من الإيثارة ، ويقال: آثرَك اللهُ علينا، أي فضلك ، وقوله: استأثر اللهُ بالبقاء، أي انفرد بالبقاء . انظر: العين: للخليل (٨ / ٢٣٨) ، ومعجم ديوان الأدب: للفارابي (٤ / ١٦١) ، وتهذيب اللغة: للأزهري (١٥ / ٨٩) .

(٣) جواهر الأفكار (٥٩) .

تحليل الاستنباط:

وبناءً على قاعدة "التكرار" وما فيها من الفوائد كان بناء هذا الاستنباط . قال ابن تيمية (ت: ٧٢٦هـ): "وليس في القرآن تكرر محض، بل لا بُدَّ من فوائد في كلِّ خطاب" (١). فالتكرار في القرآن له فوائد جلية تأخذ بمجامع القلوب ، وتُصنغى إليها الآذان والأفئدة، فيتبين من هذا أنَّ روعة التعبير البياني تقتضي تكرر ﴿أُولَئِكَ﴾ في الآية، وهو تكررٌ حكيمٌ مقصود؛ لتحقيق تناسقٍ بلاغيٍّ وهدفٍ معنويٍّ، وحيء به في كلِّ مرةٍ لتقوية الصياغة ، وتأکید المعنى ، وتقرير الحقيقة ، ولا يتحقق ذلك لو حُذِفَ في المرة الثانية .

وقد بيّن الألوסי (ت: ١٢٧٠هـ) سرّاً من أسرار هذا التكرار فقال : "وفي تكرار اسم الإشارة إشارة إلى أن هؤلاء المتصفين بتلك الصفات يستحقون بذلك الاستقلال بالتمكن في الهدى والاستبداد بالفلاح والاختصاص بكل منهما ، ولولاه لربما فهم اختصاصهم بالمجموع ، فيوهم تحقق كل واحد منهما بالانفراد فيمن عداهم ، وإنما دخل العاطف بين الجملتين لكونهما واقعتين بين كمال الاتصال والانفصال؛ لأنهما وإن تناسبا مختلفان مفهوماً ووجوداً فإن الهدى في الدنيا والفلاح في الآخرة وإثبات كل منهما مقصود في نفسه" (٢) .

وذكر ابن بدران تخصيص كل أثرٍ لهم في هذه الآية بتكرير اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ الذي جعل كلَّ أثرٍ يُنفردُ بها عن الثانية ، فالأثر الثاني تكرر فيها اسم الإشارة تأكيداً بفصلها عن الثانية ، وكونها جملةً مُستقلة عن التي قبلها ، والمراد بالأثرتين تمكُّنهم من الهدى في الدنيا ، وفوزهم بالفلاح في العُقبى ، وهذا يعني أنَّ هؤلاء الموصوفين بتلك الصفات يستحقُّون بذلك الاستقلال والتمكُّن في الهدى ، والفوز بالفلاح ، والاختصاص بكلِّ منهما ، ولو لم يُكرَّر اللفظ لربما تُوهَّم أنَّ الاستقلال بالمجموع ، لا

(١) مجموع الفتاوى: له (٤٠٨ / ١٤) ، والحسنة والسيئة: له (١٥٠) .

(٢) روح المعاني: للألوسي (١ / ١٢٧) .

بكلِّ واحدةٍ منهما ، وإنما أفاد ذلك الاختصاص لدلالته على الصفات، فيقتضي الاختصاص بهما والتميز .

كما أنَّ إثبات كلِّ منهما على حدة ، وتأکید كلِّ منهما أمرٌ مقصودٌ في نفسه، ففيه تنبيهٌ على أنهم كما ثبت لهم الأثرُ بالهدى ، فهي ثابتةٌ لهم بالفلاح .
ولو أنك أسقطت هذا اللفظ في موضع من الموضعين لضعف المعنى ، واضطرب الأسلوب ، وتجافى عن الذوق السليم ، ولأجل ما تقدّم حسن التكرار في هذا الموضع ؛ تبييناً للمعنى ، وتأکیداً للعلاقة بين الموضعين .

١١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾^(٣).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلّ على تناوله للمُصِرِّين قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾"^(٤).

نوع الدلالة: دلالة النَّص.

التوضيح: فاستواء الإنذار من عدمه في الآية دلالته واضحة على كونهم من الكفار

المُصِرِّين، وهذا يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل.

وجه الاستنباط:

لما كان قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ يدلّ على استواء الإنذار من عدمه، كانت

دلالته واضحة على كونهم من الكفار المعاندين المُصِرِّين؛ لأنّ الإصرار والعناد تمكّن منهم، وأخذ مأخذه منهم، فهم مُصِرُّون على كفرهم؛ بدليل التسوية في الإنذار أو عدمه.

تحليل الاستنباط:

أخبر ابن بدران - رحمه الله - في هذا الاستنباط أنه دلّ على تناوله للمُصِرِّين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم، وقوله هذا مأخوذ من قوله تعالى في حقّ المُعَانِدِينَ

من أهل الكتاب: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا﴾^(٥).

وهذا كلامٌ يتميِّز به حال الكفرة العوّة العتاة المُصِرِّين، ومن هذا يتّضح أنّ

الكفار بالإصرار على الكفر والضلال بحيث لا يُجدي فيهم الإنذار، وأنّ عدم هدايته

إياهم لتمرّدِهِم وتعنُّتِهِم، لا لقصورٍ في الكتاب، فهم كفروا به عند مجيئه مُكَايَرَةً وعنادًا

وإصرارًا، فاستحقُّوا بهذا الإصرار مَقَّتَ اللهُ وطرده لهم وغضبه عليهم.

(٣) سورة البقرة: آية (٦).

(٤) جواهر الأفكار (٦١).

(٥) سورة البقرة: آية (٤٥).

١٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع"^(٢)، إنما هو إلزام الحجة، وحياسة الرسول فَضْلُ الإبلاغ، ولهذا قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يُقَل: سواءٌ عليك"^(٣).

نوع الدلالة: دلالة الإشارة.

التوضيح: الآية تدل على معنى غير مقصود قصداً أولاً، ولا سيق له النص، وهو إلزام الحجة على الكفار المُصِرِّين، ولكنه مرتبط بالمعنى الذي سيق اللفظ لإفادته، فسواء أُنذِرهم أو لم يندُرهم لن يؤمنوا، فضمير الغيبة دلَّ على أن فيه إلزام الحجة عليهم، لا أنه أمر له (ﷺ) بترك إنذارهم، وهذه إشارة دقيقة لم يُسَقِ الكلام من أجله.

وجه الاستنباط:

لما دُكِرَ سبحانه صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات الكفار المُظْهِرين لكُفْرِهِم، المعاندين للرسول (ﷺ)، فاتَّصَفُوا بالكفر، وانصَبَعُوا به، وصار وصفاً لهم لازماً، فلا يَنْجَعُ فيهم وعظٌ، فهم مستمرون على كفرهم، فسواء أُنذِرهم أم لم يندُرهم لن يؤمنوا ولن ينقادوا لشرع الله، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة، غير أن القرآن استخدم ضمير الغيبة في استواء الإنذار وعدمه، فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: (سواءٌ عليك)، فاستنبط ابنُ بَدْران - رحمه الله - أن الآية ليس فيها أمرٌ له (ﷺ) بترك إنذارهم، وإلا

(١) سورة البقرة: آية (٦).

(٢) معناه: لا يفيد ولا ينفع ولا يؤثّر، وقيل: بَجَعَ الشيء: نَفَعَ، ودواءٌ نَاجِعٌ: نافعٌ مُفيدٌ، وقيل: أُنْجَعُ إذا نَفَعَ، وَبَجَعَ فيه القول والخطاب والوعظ: عَمِلَ فيه ودَخَلَ وأَثَّرَ، وقيل: بَجَعَ فيه الخطاب والوعظ والدواء أي دَخَلَ وأَثَّرَ.

انظر: لسان العرب: لابن مَنْظُور (٨/ ٣٤٨)، ومعجم اللغة العربية المعاصر: لأحمد مُخْتَار (٣/ ٢١٧١)، ومختار

الصَّحَاح: للرازي (١/ ٣٠٥).

(٣) جواهر الأفكار (٦٤).

لقال: (سواءً عليك) ، فالإنذار - وإن لم يتقبَّله المُنذَر - فيه إقامة الحجَّة عليه ، وفيه حيازة المُبلِّغ الأجر .

تحليل الاستنباط:

والطريق الذي سلكه ابنُ بَدْران - رحمه الله - في استنباط هذا المعنى مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ، حيث نَسَب استواء الإنذار وعدمه إليهم ، ولم ينسبهُ إلى الرُّسُول (ﷺ) ؛ لأنه إنما كان مبلغاً داعياً لله، وبه قامت عليهم الحجَّة، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١) . فالواجب إقامة الحجَّة على الكافر، وإذا أُقِيمَت عليه الحجَّة فقد زال عُذْرُهُ ، وحاز المُبلِّغُ فضل الإبلاغ، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (٢) . فكفروا بما جاء به ﷺ ، وبما عندهم ممَّا جاء به غيره من الرسل ، فكيف يسمعون منه إنذاراً وتحذيراً وقد كفروا بما عندهم من كتبٍ وشرائع؟! .

(١) سورة النساء: آية (١٦٥) .

(٢) سورة الأنعام: آية (١٩) .

١٣- ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران : " والتمثيل في هذه الآية أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته من التمثيل الأول ، جزئياً على قوانين البلاغة في التدرُّج في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ " (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : دل هذا التمثيل في هذه الآية الكريمة على كثرة الحيرة وشدة الأمر، وكونه أغلظ من سابقه ، وهذه المعنى غير مقصوداً باللفظ في الأصل ، وإنما قصد تبعاً؛ لما دل عليه أسلوب التدرُّج من الأهون إلى الأغلظ .

وجه الاستنباط:

إنَّ التَّصْوِيرَ الْقُرْآنِيَّ لِلتَّمْثِيلِ الثَّانِي أَقْوَى مِنْهُ فِي التَّمْثِيلِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الثَّانِي أَدْلُ عَلَى كَثْرَةِ الْحَيْرَةِ وَشِدَّةِ الْأَمْرِ، وَكَوْنَهُ أَغْلَظَ مِنْ سَابِقِهِ ، فَكِلَا الْمَثَلَيْنِ فِيهِمَا مِنَ الشَّدَّةِ وَالظُّلْمَةِ وَالْعَتَمَةِ مَا يُصَوِّرُ نَفُوسَ الْمُنَافِقِينَ الْمُضْطَّرَّةَ الْمَظْلَمَةَ ، وَلَكِنْ الثَّانِي دَائِمًا يَكُونُ فِيهِ زِيَادَةٌ فِي الْغِلْظَةِ وَالْإِضْطْرَابِ وَالْهَوْلِ ، وَإِلَّا لَمَا كَانَ فِي وُرُودِهِ حَاجَةٌ؛ لَكُونَ الْأَوَّلِ يَكْفِي ، فزاد من هول الموقف الأول ، وزاد في وصف نفوس المنافقين ، فأضاف على الظلمة والعتمة الأصوات المرعبة للقلوب كالبرق والرعد، التي تجعل السامع لها لا يحمليها، فيُسارع لوضع أصابعه، كما أشعرهم بإحاطة الله بهم ، وكونه خبيراً بهم ، عليمًا بحالهم ، لا تخفى عليه خافية فيحاسبهم بها ، مما يجعل المثل أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته .

(١) سورة البقرة: آية (١٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٨٧).

تحليل الاستنباط:

أما طريقة ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا الاستنباط فكانت مأخوذة من أحد أساليب البلاغة ، وهي التدرُّج من الأدنى إلى الأعلى^(١) .
فكلا المثلين فيه التَّهْوِيل والتَّعْتِيم نفسه الذي يصفُ به حال المنافقين وتَحْبُطَهُمْ في الدنيا، ولكنَّ المثل الثاني يشمل تهويلاتٍ أقوى ، وأوصافاً أغلظ من سابقها ، وتكشف مزيد إيضاحٍ للنفوس الحائرة وتَحْبُطِهَا في دياجير الظلام ، مما يوضِّح التدرُّج البلاغيَّ من الأهلون البسيط إلى الأغلظ الشديد .

فبعدَ الانتهاء من المثل الأول ، أعاد التصوير في المثل الثاني عن المُشَبَّه لإبرازه وإيضاح حقيقته ، فأضاف على الظلمة والعممة أصوات الرعد والبرق التي تُرْعِبُ القلوب ، وتُزهِبُ النفوس ، وتزيد من هول الموقف وفُظَاعَتِهِ ، فمن أصابه البرق في هذه الظلمات الثلاث ثم ذهب عنه تشتتُ حيرته، وتَعَظُمُ الظُّلْمَةُ في عينيه أكثر من الذي لم يزل في الظلمة ، فشَبَّه المنافقين في حيرتهم وجهلهم بالدَّين بمؤلاء الذين وصفهم ، فكانوا لا يروُن طريقاً ، ولا يبصرون سبيلاً يهتدون إليه ، كما أنه يُصَوِّرُ نفوس المنافقين المضطربة القلقة ، وَيَزِيدُ في إرعاب القلوب بما يَحْكِيهِ من أوصافٍ أقوى من أولها ، فتزيد في الإيضاح والبيان ، وتجسيم حقائق النفوس، حتى يُرْسَخَ صورة المُشَبَّه في الأذهان ، فكان أشدَّ من الأول .

وعطف المثل الثاني على الأول بحرف العطف «أو» التي تفيد هنا التسوية ، فكأنَّ المثلين يتواصلان ، ويتعاونان في رسم ملامح المنافقين ، وكشف خفايا نفوسهم .
والمعنى على إرادة التسوية: "مِثْلُ بَأْيِ الْقِصَّتَيْنِ شَتَّى ، فَهَمَا سَوَاءٌ فِي التَّمثِيلِ ، وَلَا بَأْسَ لَوْ مَثَلَتْ بِهَمَا جَمِيعاً ، وَإِنْ كَانَ التَّشْبِيهِ الثَّانِي أْبْلَغَ ؛ لِدَلَالَتِهِ عَلَى فِرطِ الْحَيْرَةِ وَشِدَّةِ الْأَمْرِ وَفُظَاعَتِهِ وَلِذَا أُخِرَ لِيَتَدْرَجَ مِنَ الْأَهْلُونَ إِلَى الْأَهْوَلِ" (٢) .

(١) البلاغة العربية: لعبد الرحمن حَبَنَّكَ (١/ ٣٩١) .

(٢) روح المعاني: للألوسي (١/ ١٧٣) .

١٤ - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) .^(١)

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "جملةٌ اعتراضية، فائدتها التنبيه على أنَّ الحذر من الموت لا يُفيد"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : مدلول الإشارة هنا لم يُسَقِ الكلام من أجله ، فنص الآية يدلُّ على أن الله محيطٌ بقدرته بهؤلاء ويلزم من هذا أن حَذَرَ هؤلاء من الموت لا ينجيهم من الهلاك فالله - جلَّ وعلا - محيطٌ بهم بقدرته ، وهذا معنى غير مقصود .

وجه الاستنباط:

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) جملة اعتراضية^(٣)؛ للتأكد على أنه لا نجاة لهم ولا مهرب؛ فقد أحاط بهم الهلاك والموت من كل ناحية، وللدلالة على أنَّ الله محيطٌ بقدرته بهؤلاء، وهم تحت مشيئته لا يفوتونه، فدلت على أن حَذَرهم من الموت لا يُنجيهم من الهلاك .

فبعد أن وصف حال المنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهة الموت في التمثيل السابق للجملة الاعتراضية ، قال: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) ، فلا يُجدي عنهم حَذَرهم من الموت شيئاً؛ لأنَّ الله محيطٌ بهم بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابنِ بَدْران - رحمه الله - في هذا الاستنباط كان بمعرفة علامات ودلائل الجملة الاعتراضية ، فهذه جملة اعتراضية ، كما أخبر بهذا ابنُ بَدْران - رحمه الله - ، وهذا اعتماداً منه على علاماتٍ ودلائلٍ تدلُّ على صحَّة الدعوى ، منها:

(١) سورة البقرة: آية (١٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٩٠) .

(٣) أنوار التنزيل: للبيضاوي (١/ ٥٢) ، ومدارك التنزيل: للنسفي (١/ ٦٠) ، الدر المصون: للسَّمِين الحَلَبِي

(١/ ١٧٥) ، تفسير ابن عَرَفَةَ (١/ ١٦٦) .

أولاً: موقعها من الكلام، فالجملة الاعتراضية تكون موجودة بين شيئين مُتلازمين^(١)؛ وقد جاءت هذه الجملة فاصلةً بين قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ ، وقوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ ، وهما جملتان في كلام واحد وقصة واحدة^(٢) .

ثانياً: أنه لا محلّ لها من الإعراب^(٣) ، والجملة التي لا محلّ لها من الإعراب مربوطّة بما قبلها لفظاً أو معنى؛ ولكنها ليست عُضْراً من عناصر الجملة، بل هي مُفَحِّمَةٌ فاصلةٌ بين عناصر الجملة لأغراض بلاغية .

ثالثاً: أن فيها تتماً للمقصود من التمثيل ، وهو أن أصحاب الصيِّب استحقوا العذاب لكفرهم ، فكذلك الكفار يستحقون هذا العذاب الأليم ، فالجملة لم تفد معنى جديداً ، وإنما تمت معنى سابقاً .

أما النُكْتَةُ في الاعتراض هذا ، فهي التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد ، وهذا ما دلّت عليه الآية وأشارت إليه، فقد وصف الله - جلّ ثناؤه - المنافقين بالإشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم ، فإنهم يُشْفِقُونَ من عذابه إشفاق الجاعل أصابعه في أذنيه حذراً من حلول الموت عليهم، وأنّ الحذر من الموت لا ينجّي منه، فهو - سبحانه - مُحِيطٌ بهم ، عالمٌ بهم ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٤) .

(١) البلاغة العربية: لعبد الرحمن حَبَنَكَةَ (١/ ٥٧٤) .

(٢) اللُّبَابُ في علوم الكتاب: لابن عادل الدَّمَشَقِيِّ (١/ ٣٩٤) ، وروح المعاني: للألوسي (١/ ١٧٤) .

(٣) هَمْعُ الْهَوَامِعِ: للسُّبُوطِيِّ (٢/ ٣٣١) ، والبلاغة العربية: لعبد الرحمن حَبَنَكَةَ (١/ ٥٧٤) .

(٤) سورة الطلاق: آية (١٢) .

١٥- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "والإشارة في الآية إلى ما كأنه تعالى يقول: جعلت الرسول (ﷺ) واسطَةً بيني وبينك أيها المنادى أولاً ، ثم إني الآن أزيد في إكرامك وتقريبك ، فأخطبك من غير واسطة ؛ ليحصل لك مع التنبيه على الأدلة شرف المخاطبة والمكاملة " (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : ففي الآية انتقال إلى أسلوب المخاطبة والمكاملة من غير واسطة؛ وذلك إكراماً وتقريباً للمؤمن من الله تعالى ، وليحصل له الشرف بالمخاطبة من غير واسطة ، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود قصداً أولاً ، وإنما قُصِدَ تبعاً ، فالآية لم تُنصَّ عليه ولم يُسَقِّ الكلام من أجله، إذ إن لفظ الآية فيه الأمر بالعبادة .

وجه الاستنباط:

الوجه الأول: أنّ كلام الله -جلّ وعلا- في الآيات السابقة التي تبين أوصاف ونعوت المؤمنين والكفار والمنافقين كان بواسطة الرسول (ﷺ) ، أما هذه الآية فهي انتقال إلى المخاطبة والحُضُور دون واسطة؛ لكون عطاء الربوبية من الله لهم يكفي ليؤمنوا بالله ويعبدوه، فهي من الأسُسِ والمَهَمَّاتِ التي خُلِقْنَا لأجلها ، وهذه المخاطبة إكرامٌ للمؤمنين.

وهناك وجهٌ ثانٍ : وهو أنّ الله تعالى لما قدّم أحكام الفرق الثلاث، أقبل عليهم بِالْحِطَابِ ، الذي هو من باب الالتفات ؛ إيداناً بأنهم صاروا بما تقدّم من ضَرْبِ الأمثال في حَيِّزِ المتأهّل للخطاب من غير واسطة ؛ تنشيطاً لهم على عبادته وترغيباً لهم فيها .

(١) سورة البقرة: آية (٢١) .

(٢) جواهر الأفكار (٩٣) .

تحليل الاستنباط:

بَنَى ابْنُ بَدْرَانَ - رحمه الله - استنباطه هذا على أسلوب الخطاب والحضور ، والذي هو أسلوبٌ من أساليب الالتفات البليغة؛ صيانةً للسامع من الضَجَرِ والمكَلِّ؛ لأنَّ النفوسَ مجبولةٌ على حُبِّ الانتقال والتغيير، وهي تَسَامُ من الاستمرار على منوالٍ واحد، واسترعاءٍ للانتباه والاهتمام ، وإيقاظٍ للإصغاء بدلاً من إجراء الحديث على أسلوبٍ واحد ، كما يزيد في البلاغة ويُحسِّنُهَا، ويكون الخطاب مع مذكرناه أَوْقَعَ وأكشَفَ عن المراد وأزْفَعَ^(١).

فكما تَضَمَّنَ هذا الاستنباط الخطاب المباشر تَضَمَّنَ الحضور، فإنه كان موجَّهًا من الخالق سبحانه ، فكانت دعوة الخلق عامةً في هذه الآية ، بأسلوب المُكَالِمة والحضور والمُخَاطَبة من الله سبحانه دون واسطة؛ وكان من أسباب هذه المُخَاطَبة المباشرة من الله:

- الإكرام والتقدير للمؤمن بربه ؛ ليحصل له الشرف بالمُخَاطَبة .
- كَوْنُ عطاء الربوبية من الله لهم يكفي ليؤمنوا به - سبحانه - ويعبدوه .
- كَوْنُ الرسول (ﷺ) داخلاً ضمن الدعوة العامة، فلم يَجْرِ الخطاب في ذلك لشخصه.

- الإيذانُ بأنهم صاروا بما تقدَّم من ضَرْبِ الأمثال في حَيِّزِ المتأهِّل للخطاب من غير واسطة ؛ تنشيطاً لهم على عبادته وترغيباً لهم فيها .

(١) ينظر: الطَّرَازُ لأسرار البلاغة: ليحيى حمزة العَلَوِيُّ (٢/ ٧٢) .

١٦ - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾^(١)

الاستنباط:

قال ابن بَدْران: "ثم اعلم أنَّ الآية مع كونها بعبارتها ناطقةً بوجوب توحيدته تعالى، وتَحْتُمُّ عبادته على كافة الناس، مُرْشِدَةٌ لهم بطريق الإشارة إلى أنَّ مطالعة آيات الكون المنصوبة في الأنفس والآفاق، مما يقضي بذلك قضاءً مُتَقَنَّأً، وقد بيَّن فيها أولاً من تلك الآيات ما يتعلَّق بأنفسهم من خلقهم وخلق أسلافهم؛ لما أنه أقوى شَهَادَةً وأظهر دلالة"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية الكريمة فيها الأمر بعبادة الخالق - جلَّ وعلا - ومطالعة آيات الكون المنصوبة في الأنفس والآفاق، وبدأ بخلق الأنفس لكونها أقرب دليل للنفس، ودلالته هذه مقصودة قصداً أولاً من اللفظ .

وجه الاستنباط:

فالآية استدللَّ بها ابنُ بَدْران - رحمه الله - على توحيد الله وألوهيته، وأنه يخاطب فيها خطاب حضور الخلق عامة، ويأمرهم بمطالعة آياته الظاهرة الدالة على ألوهيته سبحانه التي لا يمكن إنكارها، وبدأ من آيات الألوهية بذكر الخلق لأنه في ذواتهم، وبدأ بالأنفس لتكون أقرب دليل للذات، وشهادةً ظاهرة واضحة لكل إنسان، ومن ثمَّ بذكر آية خَلَقَ أسلافهم السابقين، فيكون هذا التَّفَكُّر دليلاً على وحدانيته وألوهيته - جلَّ وعلا - .

تحليل الاستنباط:

استنبط ابنُ بَدْران - رحمه الله - هذا الاستنباط بطريق التأمل في الكون والآفاق والأنفس، فَيَرى سُنَنًا تدلُّ دلالاتٍ قاطعةً على أن خَلَفَ هذه السنن خالقٌ واحدٌ أحد،

(١) سورة البقرة: آية (٢١) .

(٢) جواهر الأفكار (٩٤) .

فَرَدُّ صَمَد ، عَلِيمٌ خَبِير ، مُرِيدٌ قَادِر ، سَمِيعٌ بَصِير ، سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

والنظر في خلق النفس البشرية وهو ما يُعْرَفُ بـ (دلالة الأنفس) يعتبر آيةً من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله - جلَّ وعلا - وحده بالألوهية ، كما قال تعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) ، ولهذا فإنَّ النظر في النفس وما فيها من عجائب صنع الله أقوى دليل ، وأعظم بُرْهَانٍ على أَنَّ لنا رباً خالقاً ، حكيماً خبيراً ، ودليلٌ واضحٌ على وحدانية الله وتفردَه بالألوهية؛ لأنها أقرب ما يتفكَّر فيها العبد .

والدلالة الثانية: هي النظر في آيات الله في خلق الكون ، وهو ما يُعْرَفُ بـ (دلالة الآفاق)، وهذه آيةٌ من آيات الله - جلَّ وعلا - العظيمة الدالة على رُبُوبيته، قال تعالى:

﴿ سَتَرِيهِمْ عَآيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) ، وَمَنْ تَأَمَّلِ الْآفَاقِ وَمَا فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ خَلْقٍ عَظِيمٍ ، دَلَّةٌ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ خَالِقاً ، مُوَجِّدًا ، مُدَبِّرًا لَشُئُونِهِ .

كما أنَّ التفكر في دقَّةِ نظام هذا الكون وإحكامه يقود إلى التيقن أنَّ هذا الخلق يحتاج إلى خالقٍ واحد ، وكلِّما تدبَّر العاقل في هذه المخلوقات عَلمَ أنها خُلِقَتْ للحق وبالحق، وأنها براهين ودلالاتٌ على جميع ما أخبر به الله عن نفسه، وأدلةٌ على وحدانيته، وأدلةٌ وآثارٌ لصفات الله ومعالم بديع صنَّعه ، وهي دليلٌ مشاهدٌ على الخالق سبحانه الذي خلقه وأحكمه وأبدعه ، وهذه الأدلة والبراهين واضحة الدلالة لأصحاب العقول والألباب ، والاستدلال بها شيءٌ فطريٌّ في فهم كلِّ إنسان ، فيُدرِك أنَّ هذا الإبداع وذلك النظام والإحكام قطعاً من خالقٍ أبداع السماوات والأرض والإنسان وأحكمها؛ لذلك فإنَّ ابن بَدْران استنبط هذه الدلالات التي أخبر أنها تدلُّ على ألوهيته تعالى، وخاصةً ما كانت في الأنفس ؛ لكونها ظاهرةً لكلِّ إنسان ، وقريبةً لكلِّ عقلٍ بشري .

(١) سورة الذاريات: آية (٢١) .

(٢) سورة فصلت: آية (٥٣) .

١٧- قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "لفظة ﴿الَّذِي﴾ كلمة موضوعة للإشارة إلى مفردٍ عند محاولة تعريفه بقضية معلومة له"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة النَّص.

التوضيح: فالآية تَنْصُ على قضية معلومة، وهذه القضية التي يشير إليها الاسم الموصول الدال على الرب معروفة لكل متأمل ومتدبر في هذا الكون يؤمن بوحداية الله - سبحانه - .

وجه الاستنباط:

«الذي» في الآية: اسمٌ موصول في محلِّ نصبٍ صفة لـ (رَبِّكُمْ)^(٣)، وإعرابها هذا يبيِّن ما قاله ابنُ بَدْران - رحمه الله - من كونها تُطلق على مفرد، وهذا المفرد يعني به الرَّبُّ - جلَّ جلاله - الواقع في الآية التي قبلها، فكونه في محلِّ نصبٍ صفة لـ (رَبِّكُمْ) يُشير إلى دلالته على مفردٍ وهو الرَّبُّ - جلَّ وعلا - .

كما أنَّ هناك قضية يُشير إليها الاسم الموصول الدالُّ على الرَّبِّ - جلَّ وعلا - وهي: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(٤)، وهذه القضية لا تغيب عن كلِّ إنسانٍ متأملٍ متدبِّرٍ في هذا الكون، فهي قضية معلومةٌ أُدخِل عليها «الذي» كي يتنبَّهوا للجاعل ويعترفوا به .

(١) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٩٥) .

(٣) إعراب القرآن الكريم: للدَّعَّاس (١/١٥)، وإعراب القرآن وبيانه: لحيي الدين بن دَرُويش (١/٥٣) .

(٤) سورة البقرة: آية (٢٢) .

تحليل الاستنباط:

توصّل ابنُ بَدْران - رحمه الله - إلى هذا الاستنباط بناءً على الموقع الإعرابي للاسم الموصول «الذي» ، وهو اسمٌ موصولٌ يُطلق على شيءٍ معين، والمُشارُ إليه: «ربكم» ، وهو المفرد المقصود الإشارة إليه، و«الذي» في الآية اسم موصول لا تكتمل دلالته إلا بجملهٍ بعده، وهذه الجملة تُسمّى صلة الموصول ، فهي تُعرّف الاسم الموصول ويتم بها معناه^(١)، قال ابن مَنْظُور: "الذي: اسمٌ مبهم، وهو مبني معرفة ولا يتم إلا بصلة، وأصله: «لَدِي» فأدخل عليه الألف واللام، قال: ولا يجوز أن يُنزعاً منه"^(٢)، كما أنّ «الذي» في الآية اسمٌ يُتوصّل به إلى وَصْفٍ لذلك المفرد المذكور، قال ابن سيده^(٣) (ت: ٤٥٨هـ): "الذي من الأسماء الموصولة لِيُتوصّل بها إلى وصف المعارف بالجملة"^(٤)، وهذا الوصف هو قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ ، وهو قضية معلومة عند السامع، فعند تعريف الرَّبِّ بهذه القضية المعلومة لا بُدَّ من وجود الاسم الموصول وصلته معاً؛ لِيُعْلَمَ أنّ هناك أمراً معلوماً يُعرّف به الرَّبُّ - سبحانه - .

(١) انظر: شرح الأشمونيّ: للأشمونيّ (١/ ١٤٧) .

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ: لابن مَنْظُور (١٥/ ٢٤٥) ، وَالصَّحَاحُ: لِلْقَارِئِي (٦/ ٢٤٨١) .

(٣) علي بن إسماعيل، والمعروف بابن سيده ، وتلد بمرسيّة سنة (٣٩٨هـ) ، من مؤلفاته: الواقي في علم القوافي ، والمُشْكِلُ من شعر المتنبي ، ومن شيوخه: أبي عمر الطلمنكي ، و صَاعِدُ بن الحسن اللُّغَوِي ، انظر ترجمته: معجم الأدباء: لِلْحَمَوِيِّ (٤/ ١٦٤٨) ، ووفيات الأعيان: لابن خَلِّكَان (٣/ ٣٣٠) ، والأعلام: لِلزَّرْكَوِيِّ (٤/ ٢٦٣) .

(٤) المُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ (١٠/ ١٠٧) ، والتطبيق النحوي: لِعَبْدُ الرَّاجِحِي (١/ ٢٦٨) ، والقاموس المُحِيطُ: لِلْفَيْرُوزِ أَبِي بَادِي (١/ ١٣٣٠) ، وتاج العروس: لِلرَّيْدِي (٣٩/ ٤٥٠) .

١٨- قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "الآية تقتضي أنَّ المخاطبين كانوا عالمين بأنَّ هذه الأشياء المذكورة لم تُوجد لذاتها ، وأنها موجودةٌ بإيجادٍ مُوجدٍ لها ، وذلك تحقيق قوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) " (٣) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فاستنبط ابنُ بَدْران - رحمه الله - من الآية بدلالة النَّص الاستشهاد بهذا الكون بأجمعه ، على ربوبية الله ووجوده ، فدلتَّ على كَوْنِ المخاطبين عالمين بأنَّ هذه الأمور لم تُوجد لذاتها ، بل بإيجاد خالق لها ، وهذه الدلالة مما دلَّ عليها السياق .

وجه الاستنباط:

إنَّ الأشياء المذكورة في الآية من خلق الأنفس ، وجعل الأرض فراشاً مُمهَّداً ، والسماء بناءً كالسقف ، وإنزال الماء من السماء فيخرجُ لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مُشاهد؛ رزقاً لهم ولأنعامهم، تقتضي وجودَ مُوجدٍ لها، وهو الله -جلَّ وعلا- ، وهذه من القضايا التي لا يُنكرها مسلمٌ ولا كافر ، فالجميع موقنٌ وعالمٌ بأنها لم توجد لذاتها، وأن ثَمَّت خالقٌ لها، هو الله - سبحانه- ، ودليل علم المخاطبين بها قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٢) سورة لقمان: آية (٢٥) . وسورة الزمر: آية (٣٨) .

(٣) جواهر الأفكار (٩٥) .

(٤) سورة لقمان: آية (٢٥) . وسورة الزمر: آية (٣٨) .

تحليل الاستنباط:

استدلَّ ابنُ بَدْران - رحمه الله - بالأدلة العَقْلِيَّة في كتاب الله تعالى على إثبات وُجُودِهِ - سبحانه - . ويمكننا أن نقول ابتداءً: إِنَّ هَاتينِ الآيتين^(١) تدلان على وجود الله - سبحانه وتعالى - بما تحويه من دلائل وشواهد على أن هناك عَالَمًا مَخْلُوقًا لِخَالِقٍ عَظِيمٍ ؛ إذ ما من شيء إلا وهو أثرٌ من آثار قدرته سبحانه ، يقول أبو العَنَاهِيَّة (ت: ٢١٣هـ):

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ * * * تدلُّ على أنه واحد^(٢) .

وقال ابن القَيِّم (ت: ٧٥١هـ) : "ففي هذا أعظم دلالة وأوضحها على أنَّ العَالَمَ مَخْلُوقٌ لِخَالِقٍ حَكِيمٍ قَدِيرٍ عَلِيمٍ ، قَدَرُهُ أَحْسَنُ تَقْدِيرٍ ، وَنَظْمُهُ أَحْسَنُ نِظَامٍ"^(٣) .

فالاستدلال على وجود الله هو الاستشهاد بهذا الكون بأجمعه، واستنطاق الفطرة بما تَعَرَّفُهُ وتُقَرُّ به من حاجة الخَلْق إلى خَالِقٍ ، وافتقار البريَّة إلى باري ، فهذا الوجود لا يوجد إلا إذا أوجده واجد، والله هو الذي أوجده، ولم يَظْمِ لهذه الدَّعْوَى مُعَارِضٌ ، فإذن : تُثَبَّتِ الدَّعْوَى لِصَاحِبِهَا إِلَى أَنْ يُوجَدَ مُعَارِضٌ ، ولم يَسْبِقْ لِبَشَرٍ إنكار وجود الله؛ للآية الواردة في هذا الاستنباط ؛ لعلمهم بأن وراء هذا العالم العظيم رَبٌّ عَظِيمٌ وَخَالِقٌ مُبَدِعٌ .

(١) آية (٢١) و (٢٢) من سورة البقرة .

(٢) ديوان أبي العَنَاهِيَّة: (٣٣) .

(٣) مفتاح دار السعادة: لابن القَيِّم (١/ ٢٠٦) .

١٩- قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "والإشارة في هذه الآية إلى أنّ ما سواه عز وجل ، من شبه الاتصال بين الأرض والسماء بإنزال الماء من السماء على الأرض، والإخراج به أشباه النسل الذي ينتج من الحيوان، من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم؛ لتكون تلك الإشارة اعتباراً في مخلوقاته تعالى، وسلماً يصعدون به إلى النظر الموصول إلى توحيدته تعالى وإفراده بالربوبية، والخلق والتدبير، وليعلموا أنّ هذه الأشياء نعمة منه تعالى، فيقابلونها بدوام الشكر، ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وما تحتهم، وأنّ شيئاً من هذه المخلوقات كلّها لا يقدر على إيجاد شيءٍ منها فيتيقنوا عند ذلك أنه لا بُدَّ لها من خالقٍ ليس كمثلهما، حتى لا يجعلوا المخلوقات أنداداً له، وهم يعلمون أنها لا تقدِرُ على نحو ما هو عليه قادر"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : أشار ابن بدران إلى ما يحصل من اتصال منظم بين السماء والأرض يدلُّ على وحدانية الخالق وإفراده بالربوبية ، واستنباطه هذا أثبتته معنى النص، حيث أن هذه الظاهرة علّمت من اللفظ نفسه كما وصفه الله تعالى في الآية ، لا من إشارتها.

وجه الاستنباط:

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ، مليءٌ بالإشارة إلى بعض الحقائق الكونية التي يُستدلُّ بها على وجود الإله الواحد القادر ، ومن ذلك ما أشارت إليه هذه الآية، فالاستنباط من الدورة الطبيعية للماء والنبات ، حيث يتحوّل بخار الماء من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة في طبقات الجوِّ العليا^(٣) ، ومن ثمّ تحصل عملية الاتصال بين الأرض

(١) سورة البقرة: آية (٢٢) .

(٢) جواهر الأفكار (١٠٦-١٠٧).

(٣) قواعد الجغرافيا العامّة: جؤدة حسنين جؤدة - فتحي محمد أبو عيانة (٢٨٥) .

والسمااء التي أشار إليها ابنُ بَدْران -رحمه الله-، فيسقط الماء المتبخَّر على الأرض فتنمو الأشجار والنباتات التي تكون رزقاً لبني آدم، والتي تدلُّ على توحيد الله وربوبيته ، والتفكُّر في خلقه -سبحانه- ، وبهذا يظهر جلياً وجه الاستنباط من الآية .

تحليل الاستنباط:

هنا استنبط ابنُ بَدْران استنباطاً علمياً من سياق الآيات، يدلُّ على ذخيرة علمية في مجال علم الطبيعة والجغرافيا، فبيَّن فيه العلاقة بين السماء والأرض، وما يحصل من اتصال مُنظَّم بينهما ، يكون بدقة متناهية لا عشوائية فيها ، فهو اتصال مُوجَّه و ليس أمراً عشوائياً ، يدلُّ على قدرة الله ووحدانته ، وعلى أنَّ هناك مُوجَّه وخالق لهذه الدورة .

وهذا الاستنباط مأخوذٌ من آياتٍ أخرى، كقول الله تعالى: ﴿أُخْرٍ﴾ وَيُنزِلُ مِنَ

السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ . وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مِمَّنِ فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿١١﴾ . وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿٣﴾ .

وهذه آياتٌ بليغةٌ من كلام الحقِّ -جلَّ في علاه- ، وغيرها كثيرٌ^(٤) ، ففي هذا الاستنباط استمرارٌ في تفصيل معاني الرُّبُوبية ، وأنَّ وراء هذا الكون خالقٌ عظيم ، فالربُّ الخالق خلَق هذا الكون ليكون ملائماً لحياة الناس وعيَّشهم فيه ، فأنزل المطر من علو ، فأخرج به من الثمرات رزقاً للإنسان ، الذي يجب عليه أن يعي ويدرك هذه الحقائق؛ لتكون باعثاً من بواعث اليقين لديه، والذي يُحقِّق به كمال العبودية لله -جلَّ في علاه-.

(١) سورة النور: آية (٤٣) .

(٢) سورة الأعراف: آية (٥٧) .

(٣) سورة الأنعام: آية (٩٩) .

(٤) سورة الأنفال: آية (١١)، سورة الرعد: آية (١٧)، سورة إبراهيم: آية (٣٢)، سورة الحجر: آية (٢٢)، سورة

النحل: آية (١٠)، سورة طه: آية (٥٣)، سورة الحج: آية (٦٣)، سورة النمل: آية (٦٠)، سورة الرُّوم: آية (٢٤).

٢٠- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) .^(١)

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "في الآية دليلان على إثبات نُبُوَّة النبي (ﷺ): أحدهما: كون المُتَحَدَّى به مُعْجِزاً^(٢)، والثاني: الإخبار بقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ، وهو غيبٌ لا يعلمه إلا الله"^(٣) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية تدلُّ على نَفْيِ إتيانهم بمثل آياته وسوره ، ومن دلالة اللفظ على النفي يتبين أن المتحدي به معجزاً ، وأن الإخبار به من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، وقد وَقَّع ، وهذا دليل على إثبات نبوة محمد (ﷺ) ، وهذه الدلالة لا يدل عليها السِّيَاق وإنما هي من إشارات الآية لا من الآية ذاتها .

وجه الاستنباط:

قَمَّةُ الإعجاز في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ، فهي دلالةٌ على صحَّةِ نبوته (ﷺ)؛ لأنه يتضمَّن الإخبار عن حالهم في المستقبل بأنهم لا يفعلون، فوافق المُخْبِر عنه الخبر ، أي: وافق الأمر المُخْبِر عنه من قِبَلِه -تعالى- بأنهم لم يفعلوا ولن يأتوا بمثله الآن ولا مستقبلاً الخبر في واقعهم بأنهم لم ولن يستطيعوا الإتيان بمثله ، وقد تمَّ الأمر المُتَحَدَّى به

(١) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٢) قال السُّيوطيُّ: "المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتَّحَدِّيِّ سالمٌ عن المعارضة" الإتيان (٣/٤)، وقال الزُّرقانيُّ: "هي أمرٌ يعجز البشر متفرِّقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله" مناهل العُرْفَان (٧٣/١)، وقال مناع القطَّان: "أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتَّحَدِّيِّ سالمٌ عن المعارضة" مباحث في علوم القرآن (١/٢٦٥)، أما ما أشتهر بأنها الأمر الخارق للعادة ، فإنه يعتبر قدراً مشتركاً بينها وبين غيرها كالتَّحَدِّيِّ والكرامة ؛ لا يحصل به التمييز إلا بإضافة قُيُودٍ أخرى تمنع من دخول غير أفراد المُعَرَّفِ فيه ، وقد قيَّدها العلماء هنا بقيود حسنة، يحصل بها التفريق بينها وبين غيرها .

(٣) جواهر الأفكار (١١٨) .

المستشهد به على النبوة، فكان مُعْجِزاً ، دالاً على نُبُوَّةٍ مَنْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ، وهذا من الغَيْبِيَّاتِ التي لا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْخَالِقُ، وبهذا يَتَبَيَّنُ وجه استخراج هذا الاستنباط من الآية .

تحليل الاستنباط:

توصَّلَ ابْنُ بَدْرَانَ - رحمه الله - إلى هذا الاستنباط من النفي المُؤَكَّد في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ، حيث يظهر تأكيد عَجَزِهِمْ عن الإتيان بمثله في الآية ؛ ذلك أنهم عَجَزُوا عن الإتيان بمثله ، فصَرَّحَ بِعَجَزِهِمْ وغيرهم عن ذلك ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١) ، فكان قوله مطابقاً للواقع حتى يومنا هذا ، فيتبين من هذا بأنَّ القرآن معجزة ربانية، وبرهان صدق على نبوة مَنْ أُنزِلَ إليه ، وهو من قبيل الإخبار بالغيبيات التي لا يعلمها إلا هو، فكان هذا مع الإعجاز أقوى وأعظم دليل على نبوة محمد (ﷺ) . فالقرآن الكريم آية الإسلام الكبرى، ومعجزة الرسول العُظْمَى ، والمعجزة دليل النبوة ، فلا تصحُّ النبوة بدون مُعْجِزَةٍ، هذا مبدأ إلهيٌّ مُقَرَّرٌ، قال ابن أبي الإصْبَعِ^(٢) (ت: ٦٥٤هـ): "لا بُدَّ لكلِّ رسولٍ من الإتيان بخارقٍ، قرينٍ لدَعْوَى النبوة؛ ليتحدَّى به مَنْ بعث إليهم؛ ليكون علامة صدقه"^(٣)، وللمُعْجِزَةِ شروطٌ لا بدَّ من تحققها في الأمر المُعْجِزِ، وهي^(٤): أن تكون بما لا يقدر عليه إلا الله، وخَرَقَ العادات والمألوف في قوانين الكون وأنظمتها، وأن تقع على وفق دعوى النبي المُتَحَدِّثِ بتلك المُعْجِزَةِ، وأن يستشهد بها مُدَّعي الرسالة على صدق دَعْوَاهُ، وألا يأتي أحدٌ بمثله تلك المُعْجِزَةِ على وجهِ المُعَارَضَةِ .

(١) سورة الإسراء: آية (٨٨) .

(٢) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، ابن أبي الإصبع العدواني المصري ، عاش نيفاً وستين سنة، من مؤلفاته: بديع القرآن وتحرير التحبير. انظر ترجمته: الوافي بالوفيات: للصفدي (٥/١٩) الأعلام: للزركلي (٤/٣٠) .

(٣) بديع القرآن: له (٣٠٧) .

(٤) انظر: نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد محمد مَعْبُد (١/١٠٤) ، ودراسات في علوم القرآن: فَهْدُ الرُّومِي (٢٦٠) ، والمعجزة القرآنية: أحمد عُمر أبو شَوْقَةَ (٢١) ، ومباحث في إعجاز القرآن: مُصْطَفَى مِسْلَم (١٩-٢١) .

٢١- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "والذي أراه أنَّ هذه الآية حُجَّةٌ على المعارضين في كلِّ عصر، وفي كلِّ جيل ، والقرآن ينادي كلَّ مَنْ يَرُومُ المعارضة ، و يقيم الحُجَّةَ على الموجودين ، فإذا وُجد المعدومون أقام عليهم الحُجَّةَ مجدداً ، وأظهر المعجزة ، وهكذا في كلِّ جيل؛ ليكون الإيمان بأنَّ القرآن مُنَزَّلٌ من عند الله اجتهاداً لا تقليداً ، ويُعَلِّمُ كُلَّ فَرْدٍ وُجِدَ بأنه كما أنَّ مَنْ قبله لم يفعل المعارضة، والإتيانَ بمثل هذا القرآن، كذلك هو وَمَنْ في عصره لم يقدرُوا على المعارضة ولم يفعلوا ولن يفعلوا"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : دَلَّت الآية على معنى غير مقصود قصداً أولاً وهو ما استنبطه ابن بَدْران - رحمه الله - من كون القرآن معجزة في كل عصر ، وفي كل جيل ، وهذا المعنى مرتبط بالمعنى الذي سيق اللفظ لأفادته ، وهو تأكيد عَجْز أهل تلك الأزمنة عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

وجه الاستنباط:

لما كانت نبوة الأنبياء السابقين مختصةً بأزمانهم ، كان مُقْتَضَى الحكمة أن تكون معجزاتهم قصيرة الأمد، أما شريعة الإسلام الخالدة، فيجب أن تكون المعجزة التي تشهد بصدقها خالدة أيضاً؛ لأنَّ المعجزة إذا كانت محدودةً قصيرة الأمد لم يُشاهدْها البعيد، وقد تنقطع أخبارها المتواترة، فلا يمكن لهذا البعيد أن يحصلَ له العلم بصدق تلك النبوة، فإذا كَلَّفَهُ اللهُ بالإيمان بها كان من التكليف بغير معلوم ، والتكليف بغير معلوم مستحيلٌ على الله تعالى، فلا بُدَّ للنبوة الدائمة المستمرة من معجزةٍ دائمة ، وهكذا أنزلَ اللهُ القرآن معجزةً خالدة؛ ليكون بُرْهاناً على صدق الرسالة الخالدة ، وليكون حُجَّةً على الخَلْفِ

(١) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٢) جواهر الأفكار (١١٨).

كما كان حُجَّةً على السَّلَف ، ويكون دليل اجتهادٍ شخصي لكلِّ فرد ، وليس تقليداً فقط ، ومن هذا المُتَطَلِّق كانت هذه الآية حُجَّةً على المعارضين في كل عصر ، قال النبي (ﷺ) : «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١) .

تحليل الاستنباط:

وطريقُ ابن بَدْران - رحمه الله - هنا كان بناءً على الأغراض البلاغية لقوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ، فهي جملةٌ اعتراضيةٌ مُؤكِّدةٌ لمفهوم الكلام الذي وقعت فيه^(٢) ، وسبقها بـ "لن" جعلها تفيد أغراضاً بلاغيةً كثيرةً منها: التَّعْجِيزُ والتَّحْدِي كما دلَّت عليه هنا ؛ لأن "لن" تفيد تأكيد النفي ، فجيء بها لتأكيد عجزهم عن معارضته، قال الألويسي^(٣) (ت: ١٢١٧هـ): "والجملة - ولن تفعلا - اعتراضٌ بين جزأي الشرطية ظاهراً مقررٌ لمضمون مقدمها ، ومؤكِّدٌ لإيجاب العمل بتاليها ، وهذه معجزة باهرة ؛ حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به سبحانه، وقد وقع الأمر كذلك"^(٤) .

كما نَبَّهت بالاعتراض على عجز المخاطبين في المستقبل^(٥) ؛ ولهذا فإنَّ الله أتى بـ«لن» دون «لا» ؛ لأنها أبلغ منها وأقوى في النفي في المستقبل، ولذلك فمِنْ أبرز معجزاته أنه صالحٌ لكلِّ زمان ومكان؛ بسبب قابليَّة تأويله وتحديد أحكامه الشرعية، قال الرَّمَّحَشَرِيُّ: "«لا» و«لن» أختان في نفي المستقبل، إلا أن في «لن» توكيداً وتشديداً"^(٦) .

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٨٢)، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي؟، وأول ما نزل، حديث رقم (٤٩٨١). وصحيح مسلم (١/ ١٣٤)، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (ﷺ)، رقم (١٥٢).

(٢) انظر: هَمَّعُ الهَوَامِعِ: لِلسُّيُوطِيِّ (٢/ ٣٢٧) .

(٣) هو مُحَمَّدُ شَهَابِ الدِّينِ أَبُو الشَّاءِ الحُسَيْنِي الألويسي ، ولد سنة (١٢١٧هـ) ، من مؤلفاته: رُوحُ المعاني ، ودقائق التفسير ، والمقامات الألويسية ، ومن تلاميذه: أَلْمُجْدُ الرَّهَاقِيُّ ، وَحَمْدُ القَرْجِي ، وَرَشِيدُ حَسَنِ الكُرْدِيِّ . انظر ترجمته في: الأعلام: لِلزَّكَلِي (١٣٦/) ، مشاهير علماء نجد: لعبد الرحمن بن عبد اللطيف (٢٨٦) .

(٤) روح المعاني: للألويسي (١/ ٢٠٠) .

(٥) انظر: بحر العلوم: لِلسَّمَرَقَنْدِيِّ (١/ ٣٥) ، والتفسير الوسيط: لِلوَاحِدِيِّ (١/ ١٠٣) .

(٦) الكشَّاف (١/ ١٠١) ، وانظر: مفاتيح الغيب: لِلرَّازِي (٢/ ٣٥٢) .

٢٢- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بَدْران: "يدلُّ على الإخبار بغيب ، وهو أنَّ من الحجارة ما هو قابلٌ لأن يكون وقودًا الآن ، والآية وإن كانت مَسْووقَةً لتحويل أمر النار في الآخرة ، إلا أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون كثيرٌ مما في الآخرة له نموذجٌ في الدنيا ، ولما كان الأمر كذلك ، وكانت الحجارة الفَحْمِيَّةُ محبوبَةً في خزائن الأسرار حين نزول القرآن ، إلى أن ظهرت تلك الإشارة إلى الوجود وأظهر لهم تعالى حجارةً تقوم مقام الحطب" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الاقتران .

التوضيح : قرَن ابن بَدْران - رحمه الله - بين هذه الحجارة الموجودة في نار جهنم في الآخرة بحجارة تقوم مقام الحطب في الدنيا كالحجر الفحمي ونحوه ، وأثبت أنهما يتفقان في خصائصهما وطبائعهما ، وأثبت لأحدهما ما ثبت للآخر من خصائص وسمات .

وجه الاستنباط:

لما كانت هذه الحجارة القابلة للاشتعال في نار جهنم لها نموذجٌ في الحياة الدنيا ، كحجارة الكبريت والحجارة الفَحْمِيَّةُ ونحوهما، أشار سبحانه إلى هذه الحجارة التي تقوم مقام الحطب ، مما يدلُّ على أنَّ النار تَتَّقَدُ بالناس والحجارة .

تحليل الاستنباط:

وطريقته ابن بَدْران - رحمه الله - هنا مأخوذة من قول عبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) ، حيث قال: "إن الحجارة التي سَمَّى اللهُ في القرآن وقودها الناس والحجارة ، حجارة من كِبْرِيَّتٍ ، خلقها اللهُ تعالى عنده كيف شاء - أو كما شاء - " (٣) .

(١) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٢) جواهر الأفكار (١١٩ - ١٢٠) .

(٣) قال الحَاكِم: "حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يُجْرَها". المُسْتَدْرَك (٢/ ٢٨٧) ، كتاب التفسير ، باب بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة ، حديث رقم (٣٠٣٤) ووافقه الذهبي .

والحجر الفَحْمِيُّ يُشْبِهُ الكِبْرِيَّتِ فِي كَوْنِهِ مُشْتَعِلاً وَفِي بَعْضِ خِصَائِصِهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهَذَا ابْنُ بَدْرَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَيْثُ قَالَ: "هَذَا وَقَدْ قَارَبَ الْمَعْنَى الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ سَابِقاً مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) : أَنَّ الْحِجَارَةَ هِيَ حِجَارَةٌ فِي النَّارِ مِنْ كِبْرِيَّتِ أَسْوَدٍ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ ، وَالْحَجَرُ الْفَحْمِيُّ يَشْبِهُ الكِبْرِيَّتِ فِي كَوْنِهِ مُشْتَعِلاً، وَيَفَارِقُهُ فِي اللَّوْنِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْعَرَبُ وَضَعَتْ لَفْظَ الكِبْرِيَّتِ لِكُلِّ حَجَرٍ مِنْ شَأْنِهِ الْاِسْتِعَالُ ، فَيَكُونُ الْحَجَرُ الْفَحْمِيُّ مِنْهُ" (١) .

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْحِجَارَةَ الَّتِي تَكُونُ وَقُوداً لِلنَّارِ غَيْبٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهَا ، وَلَمْ يَرِدْ مَا يَبِينُ ذَلِكَ ، وَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ السَّلَفِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْحِجَارَةَ مِنْ كِبْرِيَّتِ ، إِذَا كَانَ الْقَوْلُ بِهَذَا مَأْخُوضاً مِنَ الرَّسُولِ (ﷺ) ، فَنَأْخُذُ بِهِ وَلَا نُبَادِلُ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ أَمراً اجْتِهَادِيّاً مَبْنِياً عَلَى الْعِلْمِ بِطَبَائِعِ الْحِجَارَةِ وَخِصَائِصِهَا فَهَذَا الْقَوْلُ غَيْرُ مُسَلَّمٍ ، يَقُولُ ابْنُ رَجَبٍ (ت: ٧٩٥هـ) (٢) : "وَأَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحِجَارَةِ حِجَارَةَ الكِبْرِيَّتِ تُوقَدُ بِهَا النَّارُ ، وَيُقَالُ : إِنَّ فِيهَا خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ لَيْسَ فِي غَيْرِهَا : سُرْعَةُ الْإِيقَادِ ، وَنَتْنُ الرَّائِحَةِ ، وَكَثْرَةُ الدُّخَانِ ، وَشِدَّةُ الْاِلْتِصَاقِ بِالْأَبْدَانِ ، وَقُوَّةُ حَرِّهَا إِذَا حَمِيَتْ" (٣) ، وَقَالَ الْأَشَقْرُ (ت: ١٤٣٣هـ) (٤) : "فَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَفُوقُ الكِبْرِيَّتِ قُوَّةً وَاسْتِعَالاً ، وَالْأَوَائِلَ رَأَوْا أَنَّ حِجَارَةَ الكِبْرِيَّتِ لَهَا خِصَائِصٌ لَيْسَتْ لَغَيْرِهَا مِنَ الْحِجَارَةِ ، فَقَالُوا: إِنَّهَا مَادَّةٌ وَقُودٌ لِلنَّارِ" (٥) .

(١) جواهر الأفكار (١٢٠).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، وُلِدَ بِبَغْدَادِ سَنَةَ (٧٣٦هـ) ، مِنْ مَوْلَفَاتِهِ: شَرَحَ التِّرْمِذِي ، وَطَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ، وَفَتْحَ الْبَارِي شَرَحَ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ ، وَمِنْ شَيْوَحِهِ: ابْنُ الْقَيْمِ ، وَابْنُ عَبْدِ الْهَادِي ، وَابْنُ الْعَطَّارِ ، وَمِنْ تَلَامِيذِهِ: الرَّزْكَشِي ، وَابْنُ اللَّحَامِ. انظُرْ تَرْجَمَتَهُ: الطَّبَقَاتُ: لِلْسُّيُوطِيِّ (١/٥٤٠)، وَالدُّرَرُ: لِابْنِ حَجَرٍ (٣/١٠٨).

(٣) رَوَاعِي التَّفْسِيرِ (١/١٠١) .

(٤) عَمْرُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشَقْرِي ، وُلِدَ بِفِلَسْطِينَ عَامَ (١٩٤٠م) ، مِنْ شَيْوَحِهِ: ابْنُ بَازٍ ، وَالْأَلْبَانِيُّ ، وَمِنْ مَوْلَفَاتِهِ: أَصْلُ الْاِعْتِقَادِ ، وَمَعَالِمُ الشَّخْصِيَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ . انظُرْ: كِتَابُ صَفْحَاتٍ مِنْ حَيَاتِي: لَهُ .

(٥) الْجَمْعَةُ وَالنَّارُ: لِلْأَشَقْرِي (٣٠ - ٣١) .

والظاهر أنَّ مراد السَّلف بهذا التفسير (التقريب والتشبيه)، وليس مرادهم أن الكِبْرِيَّتَ الذي في الأرض هو بعينه الذي في النار ، وهكذا ما ذكره ابنُ بَدْران من تشبيهه بالفحم الحَجْرِيّ ، هو على التشبيه والتقريب ، والله أعلم .

٢٣- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "إنَّ المشركين لما قَرَنُوا أنفسهم في الدنيا بالحجارة حيث نحتوها أصناماً فعبدوها من دون الله تعالى، وقالوا: إنها الشُّعَاء والشُّهَدَاء الذين يستشفعون بهم، ويستدفعون بهم المَضَارَّ عن أنفسهم تمسكاً بهم ، جعلها الله تعالى عذابهم ، فقرنهم بها مُحَمَّاة في نار جهنم؛ إبلاغاً وإغراباً في تحسُّرهم " (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية تشير إلى أن في نار جهنم حجارة قابلة للاشتعال ، ومن ذلك استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - أن تلك الحجارة هي الأصنام التي عُبدت من دون الله حيث قرنهم الله بنوع ما عصوه به، وهذا المعنى غير مقصود قصداً أولاً، وإنما قصد تبعاً .

وجه الاستنباط:

لما عبدَ المشركون الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، عُوقِبُوا بأن زاد الله عذابهم بأن جعله بهذه الحجارة؛ إبلاغاً في إيلاهم، وتَوْرِيثاً لنقيض مطلوبهم، وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم ؛ فإن الإنسان إذا قُرِن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشدَّ في ألمه وحسرتة، كما أنهم إذا أُحْرِقُوا معها كان ذلك تعريضاً بأنها وإن كانت في الدنيا لا ضررَ فيها ولا نفع باعتبار ذواتها فهي في الآخرة ضررٌ لهم لا نفع بشفاعَةٍ ولا غيرها .

تحليل الاستنباط:

(١) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٢) جواهر الأفكار (١٢٠) .

وطريق ابن بدران في استنباط هذا المعنى كان بالاستدلال بآياتٍ أخرى مُفسّرة لها ومُبيّنة للمعنى المستنبط، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ (٩٨) (١)، فقرن الله الناس بالحجارة لأنهم اتخذوها في الدنيا أصناماً ، وأيضاً قوله تعالى في الذين يَكْنِزُونَ الذهب والفضة ولا ينفقونها: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ (٢)، فَعُدَّ مَانِعُوا الزكاة بنوع ما مَنَعُوا، فقرنهم بها في نار جهنم ، فِكِلَا الآيتين مُفسّرة للآية. فمن بيان القرآن ماجاء في القرآن نفسه، إذ إن تفسير القرآن بالقرآن من أصح طرق التفسير كما قاله ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير" (٣)، والناظر في القرآن يشاهد أن فيه الإيجاز والإطناب، وفيه الإطلاق والتقييد، والعام والخاص، ولذا كان لزاماً على الناظر أن يقابل الآيات بعضها ببعض ؛ ليستعين بما جاء مُطوّلاً على معرفة ما جاء مُوجزاً ، ويفهم ما جاء مُجملاً بواسطة ما جاء مُبيّناً وهكذا، وبهذا يكون قد فسّر القرآن بالقرآن، وقد بيّن هذا الطريق ابن بدران في تفسيره (٤).

(١) سورة الأنبياء: آية (٩٨) .

(٢) سورة التوبة: آية (٣٥) .

(٣) التبيان في أقسام القرآن (١٨٧) .

(٤) جواهر الأفكار (١٢٠) .

٢٤- قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ثم وصف الجنات بكونها تجري من تحتها الأنهار؛ إشارةً إلى أن المراد بالجنة: أشجارها وثمارها وغروسها، وأن الماء يجري تحت هذه المذكورات، ولم يُرد أرضها"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة الإشارة.

التوضيح: ففي الآية وصف ظاهر للجنة وهو كون الأنهار تجري من تحتها، ومن خلال هذا المعنى استنبط ابن بَدْران - رحمه الله - معنى غير ظاهر ولا يدل عليه السياق وإنما هو من الإشارات التي ترمي إليها الآية، وهو المراد بالجنة حيث ذكر أن المراد بها أشجارها وثمارها لا أرضها، وهذا معنى غير مقصود، أُخِذَ من إشارة اللفظ لا من اللفظ نفسه.

وجه الاستنباط:

لما وعد الله المؤمنين بالجنات التي تجري تحتها الأنهار، والتي لا بُدَّ من وجود المشاهدة لها لينعم المؤمن بهذه الرؤية، فكان لا بُدَّ أن تكون ظاهرةً للعيان، غير مُحَبَّأةٍ ولا مُحْفِيَّةٍ تحت الأرض، فيُحَرِّمَ المؤمن من النظر إليها، فالأنهار إذا كانت تجري تحت أرضها لم يكن للعين نصيبٌ في رؤيتها، وكان لا بُدَّ من رفع السَّاتِرِ بين العين والأنهار، وهذا لا يمكن.

تحليل الاستنباط:

الطريق الذي سار عليه ابنُ بَدْران - رحمه الله - مأخوذٌ من الحرف «من»، والذي يستعمل في أصله لابتداء الغاية^(١)، فلما كان فيها دلالةً على أن بداية الجريان من تحت

(١) سورة البقرة: آية (٢٥).

(٢) جواهر الأفكار (١٢١-١٢٢).

هذه الجنات - أي: من أسافلها وأصولها - ، تبين أن المقصود بالجنة الأشجار والثمار لا الأرض ، وحين تتجرّد العبارة من الحرف «مِنْ» تُعطي المشهَد صورة الأنهار الجارية دون تسليط الضوء على مُنبِعها أو ما حولها ، فدلّ وجود الحرف «مِنْ» على شيءٍ معين تنبع من تحته الأنهار ، وهو حرفٌ يعطي المعنى غنىً أكثر ، وفيه بالتالي نعيمٌ أكثر ، فمنظر تفجّر الأنهار ونبعها من تحت هذه الأشجار يُعطي المعنى جمالاً ؛ حيث يُصوّر نعيم ذلك المكان الذي ابتداءً نبعها وجريانها منه .

(١) المُقْتَضَب: للمُبَرِّد (٤٤/١) ، والأصول في النحو: لأبنِ السَّرَّاج (٤٠٩/١) ، ومُعْني اللُّبَيْب: لابنِ هِشَام (٤١٩/١) ، والبحر المحيط: لأبي حَيَّان (١٠ / ٢٥٥) .

٢٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وأنت إذا تأملت سوابق هذه الآية ولواحقها ، وجدت أن هذه الآية تُشِيرُ إلى أنها وردت جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضُرِبَ لهم من الأمثال في هذه السُورَة ، وليست جواباً لنكيرهم ما ضُرِبَ من الأمثال في سائر السُور" ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فسياق الآية يدل على أن الآية وردت جواباً لنكير الكفار والمنافقين ؛ لكون السياق قبلها في الحديث عن المنافقين لا في غيرهم .

وجه الاستنباط:

أخبر الله - جلَّ وعلا- عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها ، عقِبَ أمثال قد تقدّمت في هذه السورة ضربها للمنافقين ، دون الأمثال التي ضربها في سائر السُور غيرها، فلأن يكون هذا القول - أعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ - جواباً لنكير المنافقين ما ضُرِبَ لهم من الأمثال في هذه السُورَة ، أحقُّ وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضُرِبَ لهم من الأمثال في غيرها من السور ؛ لكون الآيات في الحديث عن المنافقين لا عن غيرهم .

تحليل الاستنباط:

وهذا الاستنباط مأخوذٌ من سياق الآيات؛ إذ إنَّ سياقها واردٌ في حقِّ المنافقين ، وقد بيّن هذا ابنُ عَبَّاس (رضي الله عنه) وابنُ مَسْعُود (رضي الله عنه) فيما رَوَيَاه: "أنه لما ضَرَبَ اللهُ هذين

(١) سورة البقرة: آية (٢٦) .

(٢) جواهر الأفكار (١٣٠) .

المثلين للمنافقين^(١) ، قال المنافقون: الله أعلى وأجلُّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ .
 فهذه الرواية تدلُّ على أنَّ سبب نزول هذه الآية ما كان من قول المنافقين ، وهذه الرواية أصحُّ إسناداً^(٢) من غيرها من الروايات على ما ذكره السُّيُوطِيّ في أسباب النزول^(٣) .
 وعلى ضوء هذه الرواية تبدو الصلة بين هذه الآيات وما قبلها واضحةً ، فيجب أن تُربط الآية بالسِّيَاق الذي وردت فيه ، و لا تُقَطَّعَ عمَّا قبلها و ما بعدها .

(١) يعني قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [سورة البقرة: آية (١٧)] ، وقوله تعالى: ﴿أَوْ

كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة البقرة: آية (١٩)] .

(٢) رجَّح الإمام الطَّبْرِيّ أن تكون الآية نازلةً في حق المنافقين ، لا في حق المشركين وأهل الضلال، فقال: "أوّلَى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق، ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عبَّاس" . جامع البيان (١ / ٤٠٠) . وعقب ابن كثير على اختيار الطَّبْرِيّ بقوله: "وهو مناسب" تفسير القرآن (١ / ٢٠٧) .

(٣) لباب التُّعُول: للسُّيُوطِيّ (٨-٩) .

٢٦- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "فالأمر الذي تقتضيه الآية: أن الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً، وإذا كان مخلوقاً لنا، والله ذكره في معرض النعم التي عمّت المكلفين بأسرهم، فيكون مباحاً لنا، إلا أن يأتي بيان من الشرع بمنع شيء منه، فإننا نتركه عملاً بذلك البيان"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة الإشارة.

التوضيح: فسياق الآية ليس فيه ما يدل على أصل الإباحة، وإنما هي من إشارات الآية المرتبطة بالمعنى الذي سبق اللفظ لإفادته، وهي إشارة دقيقة غير مقصودة من النص

وجه الاستنباط:

ذكر الله تعالى خلق ما في الأرض جميعاً للناس في سياق الامتنان على الإنسان بما خلق له، وأبلغ درجات الامتنان الإباحة، وأضاف تعالى ما خلق للناس إليهم بـ"اللام"، وهي تفيد المثلک، وأدنى درجات المثلک إباحة الانتفاع بالمملوك، فما كان الله ليخلق ما في الأرض جميعاً، ويسخرها للإنسان، ويمنّ عليه بها ثم يحرمه منها بتحريمها عليه؛ لأنه خلقها وسخرها له، وإنما حرم جزئيات منها لسببٍ وحكمةٍ قد نعلمها وقد لا نعلمها. فتستفاد الإباحة^(٣) هنا من هذه الآية من الإخبار بأنه خلق لنا ما في الأرض جميعاً، وجعله لنا، وامتنن به علينا^(٤)، مما يدل على أن أصل الإباحة باقٍ في كل شيء خلقه لنا، حتى يأتي دليل من الشارع بالمنع والتحريم، فتوقف فيه، ونقف عند حدوده.

(١) سورة البقرة: آية (٢٩).

(٢) جواهر الأفكار (١٤٩).

(٣) الإباحة في اللغة: مصدر أباح من البوح وهو الإظهار والإعلان، يقال: باح بسرّه أي أظهره، وبأني بمعنى الإذن، يقال: أبحتك الشيء أي أحلته لك. انظر: مقاييس اللغة (٣١٥/١)، والصحاح (٣٥٧/١) كلمة "بوح". والمراد هنا الثاني، فالإباحة في الاصطلاح: الإذن في الفعل والترك من غير تخصيص أحدهما بمدح أو ذم. انظر: العدة: لأبي يعلى (١٦٧/١). وقيل: ما لا يتعلّق به أمرٌ ولا نهيٌ لذاته. التمهيد: لمحمود المنيوي (٦٧/١). وهذا مأخوذ من تعريف الأصوليين للمباح؛ حيث دأب أكثرهم على تعريفه، وعرف بغير ذلك.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد: لابن القيم (٤/٤).

تحليل الاستنباط:

بنى ابن بدران - رحمه الله - قوله هذا على قاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدلّ الدليل على التحريم"^(١) ، فالمنافع التي لم يردّ بشأنها دليل من الشارع ؛ فالقاعدة في حكمها : الإباحة ؛ حتى يثبت خلافها الذي هو المنع .

قال الجويني^(٢) (ت: ٤٧٨هـ): " فما لم يُعلم فيه تحريمٌ يجري عليه حكم الحِلِّ ؛ والسبب فيه أنه لا يثبت لله حكمٌ على المكلفين غير مُستندٍ إلى دليل ، فإذا انتفى دليل التحريم ثمّ استحال الحكم به " ^(٣) .

وقال: "من الأصول التي آل إليها مجامع الكلام أنه إذا لم يُستيقن حَجْرٌ أو حظرٌ من الشارع في شيءٍ فلا يثبت فيه تحريمٌ في خلو الزمان " ^(٤) .

وهي قاعدة هامة ، ونموذج راقٍ لتيسير الشريعة وتسهيلها، ورحمة الشارع بخلقه ورأفته بهم ، وتبرُّر مرونتها في التعامل مع الواقع المتجدد المتقلب ، وحوادثه التي لا حدّ لها .
ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الإسلام ضيقاً شديداً ، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً؛ ذلك أن النصوص الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً ، وما لم يبيح نصٌّ بحلّه أو حرّمته فهو باقٍ على أصل الإباحة والجواز ، وفي دائرة العفو الإلهي .
وهذه الآية من الآيات الدالّة على بقاء أصل الإباحة في الأمور حتى يأتي الدليل بالمنع والحرمة ، وإشارتها لهذه القاعدة إشارة واضحة ، ودليل على صحّة هذه القاعدة .

(١) وردت هذه القاعدة بهذه الصيغة عند السُّيوطي في الأشباه والنظائر (١ / ٦٠) ، وأوردّها ابن تيميّة في القواعد النورانية عند إثباته لكون الأصل في الأفعال العادية عدم التحريم (٢٢٢) ، وأوردّها الرزدي في المنثور في القواعد الفقهية (١ / ١٧٦) ، والمارديني الشافعي في الأنجم الزاهرات (١ / ٢٣٦) .

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، فقيه شافعي ، ولد سنة (٤١٩هـ)، من شيوخه: النيسابوري، وأبو نُعَيْم الأصبهاني، ومن تلاميذه: الكيا الهراسي، والغزالي، وابن القشيري، ومن مؤلفاته: الإرشاد في الكلام، والعقيدة النظامية . انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات: لابن الحليل (١٩ / ١١٦) ، وطبقات الشافعية: للسُّبكي (٥ / ١٦٥) .

(٣) غياث الأمم في التياث الظلم: للجويني (٤٩٠) ، وينظر: (٥٠٢) .

(٤) المرجع السابق (٥٠٩ - ٥١٠) .

٢٧- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "إننا إذا أهملنا استعمال ما خُلِقَ لنا ، وتركنا أمر الزراعة مهملاً ، ولم نَمِلْ إلى استخراج المعادن من مكائنها لنفع عباد الله تعالى ، ولم نَنْظُرْ في خصائص الأشياء للانتفاع بها ، وأَعْرَضْنَا عن هذه النعم ونَأْيْنَا عنها جانباً ، كان ذلك إِعْرَاضاً منا عَمَّا خُلِقَ لأجلنا من النعم ، فَيُوشِكُ أن تُسَلَبَ منا وتُعْطَى إلى غيرنا مِمَّنْ ينتفع بها ، ففي الآية دليلٌ وبيانٌ واستبصارٌ"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح: في الآية إشارة إلى استغلال الثروات ، وهذه إشارة غير مقصودة قصداً أولاً ، حيث عُلِمَتْ من دلالة اللفظ الظاهرة على أن ما في الأرض مسخرٌ لبني آدم ، والتسخير يوجب الاستغلال .

وجه الاستنباط:

تدل الآية على أن الله خلق جميع ما في الأرض من أجزائها المكونة لها من أجلنا، فكلُّ ما في السماوات من كائناتٍ وما في الأرض مُسَخَّرٌ لأجلنا ، ومادام الله سخرها لنا فَيُفْهِمُ من ذلك حَثُّ الْمُؤْمِنِينَ على النظر في نواميس الكون وقوانينه ودراستها حتى يستفاد منها في عِمَارَةِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّا إِن لم نُعَمِّرْ هذه الأرض ونُسْتَعِلَّ ثروتها التي سَخَّرَهَا اللهُ لنا كان هذا منا إِعْرَاضاً وتجاهلاً ، ثم يقوم به غيرنا من الأمم .

تحليل الاستنباط:

لما عُلِمَ أَنَّ ما في الأرض مسخرٌ لبني آدم - والتسخير يُوجِبُ الاستغلال وعمارة الأرض - ، عُلِمَ أن هذا من الفروض الواجبة على بني آدم ، وقد قَسَمَ الفقهاء الفروض قسَمين: فروض أعيانٍ وفروض كفاية^(٣) ، وفروض العين مثل الصلاة والصوم ، وأما

(١) سورة البقرة: آية (٢٩) .

(٢) جواهر الأفكار (١٤٩).

(٣) انظر: المُسَوِّدَةُ في أصول الفقه: لآل تَيْمِيَّة (٣١) ، والفُروق: للقرائبي (١٢٩/١) ، والأشباه والنظائر:

فروض الكفاية فهي فروضٌ عامة، فإذا قام بها البعض سقطت عن الأمة، لكن إن أهملها الكلُّ أُنْمُوا، فكلُّ عِلْمٍ نافعٍ، أو صناعةٍ مفيدةٍ، لا بُدَّ أن يوجد من المسلمين من يُحْسِنُ أداءها، وإلا حصل الإثم للجميع، لكن إذا جرى تعيين فرد لها، صارت بالنسبة إليه من فروض العين، وعلى ذلك، فعلى كُلِّ من يُعنى بعمارة الأرض أن يواكب تطور العلوم والصناعات كي يستطيع فعلاً أن يُعَمَّر .

قال أبو حامد العزالي^(١) (ت: ٥٠٥هـ) في نظريته في العلم الشرعي والدنيوي، وعلاقة أحدهما بالآخر: "تنقسم العلوم إلى: شرعية، وهي ما استُفيد من الأنبياء عليهم السلام، وغير شرعية، وهي ما أُرشد إليها العقل، كالطبِّ والحساب وأمثالها، وغير الشرعية هي من فروض الكفاية، فإذا خلا منها بلدٌ سارع إليه الهلاك"^(٢).

وقال: "مَنْ لم يكن بصيرة عقله نافذةً فلا تعلق به من الدين إلا قشوره، بل خيالاته وأمثله دون لُبابه وحقيقته، فلا تُدرك العلوم الشرعية إلا بالعلوم العقلية، فإنَّ العقلية كالأدوية للصحة، والشرعية كالغذاء"^(٣).

فمن يتطلع لدورٍ في الحضارة فلا بُدَّ أن يكون له حضورٌ مُتميزٌ، كما ينبغي أن تكون لديه فكرةٌ واضحةٌ تجاه الكون وخالقه والحياة، فالكون كتابٌ مفتوحٌ خلقه الله تعالى وجعله زاخراً بالآيات العظيمة، وجعل مَهْمَةً الإنسان التفكير في هذا الكون، ودعاً الإنسان إلى البحث والتنقيب في هذا الكون المُسَخَّر له من أجل اكتشاف سُنَنِ الله لتسخيرها في خدمة الإنسان، فالإنسان مدعوٌ للتفكير في نفسه وفي الآفاق حتى يزداد إيماناً بالله، ومعرفة قوانين الله -جلَّ وعلا- في كونه لتسهيل مَهْمَةِ الإنسان في عمارة الأرض .

للشُّبُوطِي (٤١٠) .

(١) أبو حامد محمد العزالي الطوسي النيسابوري، ولد سنة (٤٥٠هـ)، ومن تلاميذه: أحمد الحنفي، ومحمد العطار، وأحمد بن بُرْهَانَ، ومن مؤلفاته: البسيط في الفروع، وإحياء علوم الدين، وُتُغِيَةُ المُرِيد . انظر ترجمته: تاريخ بغداد: للخطيب (٢١ / ٢٧)، والأعلام: للزركلي (٧ / ٢٢)، ومعجم المؤلفين: لعمركا (١١ / ٢٦٦) .

(٢) إحياء علوم الدين: للعزالي (١ / ١٦) بتصرف .

(٣) ميزان العمل: للعزالي (٣٣٨ - ٣٣٩) .

٢٨- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١).

الاستنباط:

قال: "أشار بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ إلى أنه لم يخلق هذا النوع البشري للفناء، بل للبقاء"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية دلت على نسبة النعم إلى الإنسان بالضمير ﴿لَكُمْ﴾ ، وعلم من

ذلك بقاء النسل، حيث أن إثبات النسبة يستلزم إثبات بقاء النسل، فما خلق من أجل الإنسان يجعل الحياة تستمر وتبقى، وهذه الدلالة أخذت من إشارة اللفظ لامن اللفظ.

وجه الاستنباط:

عُني القرآن بموضوع حماية البيئة وعمارتها، وما من نعمة أودعها الله في البيئة إلا وهبها

للإنسان ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ فما دام سبحانه قد وهب له هذه النعم في الأرض فهذا يدل على أن بقاء النسل سيستمر مع استمرار وبقاء هذه النعم، وأنه لن ينقطع بموت السُّلالة الأولى التي خلقها، مما يدل على بقاء النسل وعدم فئاته.

تحليل الاستنباط:

اعتمد ابنُ بَدْران في استنباطه هذا على ما جاء في الآية من الإشارة بـ﴿لَكُمْ﴾

للدلالة على قصد النعمة والتفضُّل على الإنسان، ونسبة النعم إليه، ومادام أثبت النسبة بالضمير ﴿لَكُمْ﴾ فقد أثبت بقاء النسل ، وما دامت إرادة الله -تعالى- باقية بأن يبقى النسل، فإنه يتحتم بقاء سُنَّة التناسل الذي جعله -جَلَّت قدرته- في الذَّكر والأنثى، فالسبب الرَّئيس في بقاء نوع الإنسان الذي خُلِقَتْ لأجله جميع الكائنات هو الإنسان بجنسيه ، وأيضاً ما هيأ سبحانه للبشر من نعم تجعل الحياة تستمر وتبقى .

(١) سورة البقرة: آية (٢٩) .

(٢) جواهر الأفكار (١٥٣) .

٢٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).
الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وصريح قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، يدلُّ على أنه تعالى خلق آدم في الأرض ، ولم يذكر في موضع واحدٍ أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذکر ؛ لأنه من أعظم الآيات ، ومن أعظم النعم عليه ؛ فإنه يكون معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السماوات"^(٣) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح: الآية دلَّت على أن الله - جلَّ وعلا- جعل آدم (عليه السلام) خليفة في الأرض، ولم يرد فيها ما يدلُّ على خلق آدم (عليه السلام) في الأرض ، ولا دلَّ السياق على ذلك ، فدلَّ هذا على أنها من الإشارات الدقيقة غير المقصودة من النص قصداً أولاً ، ولكنها مرتبطة بالمعنى الذي سبق اللفظ لإفادته .

وجه الاستنباط:

أُخْتُلِفَ في كلمة (بِجَاعِلٍ) ، ف قيل هي بمعنى: "خَالِقٌ"^(٤) ، وقيل هي بمعنى: "فَاعِلٌ" أي: مُصَيِّرُهُ^(٥) ، وعلى قول مَنْ قال إنها بمعنى خَالِقٍ استنبط ابنُ بدران هذا المعنى ، فدلَّ على أنه تعالى يُخْبِرُ بامتنانه على بني آدم ، بتنويبه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم ، فخلقهم الله في الأرض ، كما دلَّت عليه الآية على قول مَنْ قال إنها بمعنى "خَلَقَ" .

(١) سورة البقرة: آية (٣٠) .

(٢) سورة البقرة: آية (٣٠) .

(٣) جواهر الأفكار (١٧٦) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٢/ ٢٦٣) ، وجامع البيان: للطبري (١/ ٤٤٨) ، والمحزَّز الوجيز: لابن عطية (١/ ١١٦) ، ومعالم التنزيل: للبعوي (١/ ١٠٢) .

(٥) الكشَّاف: للزَّحَّشَرِي (١/ ١٢٤) ، والمحزَّز الوجيز: لابن عطية (١/ ١١٦) ، ومفاتيح الغيب: للزَّازِي (١/ ٣٨٨) .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران هنا ، أخذاً من معنى جَاعِلٍ: أي "خالق" كما قال به بعضهم ، وقد اختلف علماء الإسلام في المكان الذي خُلِقَ فيه آدم (ﷺ) ، قال ابن بدران :
 "والحاصل: أن أدلة الجانبين متعارضة ، وأرجحها أنها كانت في الأرض ، والله أعلم" (١).
 فالذي ذهب إليه جمهور السلف أن الله - جلَّ وعلا - خلق آدم (ﷺ) في السماء ، وأن الجنة التي أَدْخَلَهَا إِيَّاهُ هي جنة الخلد ، وجزموا بأنها موجودة في السماء ، وهذا الذي قال به أهل السنة ، وهو الذي تشهد به ظواهر الآيات والأخبار المروية عن النبي (ﷺ) (٢) .

ومنهم من قال بقول ابن بدران -رحمه الله- بأنه خُلِقَ (ﷺ) في الأرض ، وأن الجنة هي جنة في الأرض ، وهو من أقوال المعتزلة ، كما أخبر ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) عن الجنة التي أَدْخَلَ فِيهَا آدم (ﷺ) ، حيث قال: "وقد اختلفَ في الجنة التي أُسْكِنَهَا آدم ، أهي في السماء أم في الأرض ؟ والأكثر على الأول [وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض]" (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨): "والجنة التي أُسْكِنَهَا آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي: جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدّة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والمُلجدين، أو من إخوانهم المتكلمين المُبتدعين، فإنَّ هذا يقوله من يقول من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يَرُدُّان هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول" (٤) .

(١) جواهر الأفكار (١٧٧) .

(٢) جاء في صحيح مسلم (١/ ١٨٦) ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً بها ، حديث رقم (١٩٥) :
 "يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزَلَّفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم" ، مما يدلُّ على أنَّ الجنة التي أُخْرِجَ مِنْهَا آدم هي بعينها التي يُطَلَّبُ مِنْهُ أَنْ يَسْتَفْتَحَهَا لَهُمْ .

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (١/ ٢٣٣) .

(٤) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٤/ ٣٤٧) .

وقد ذكر ابنُ القَيِّمِ القولين بأدلتيهما في المفتاح^(١) ، والحادي^(٢) ، ودَكَرَ الخِلافَ وأطال فيه ابنُ كثيرٍ في البداية والنهاية^(٣) ، وفي تفسيره أيضاً^(٤) .

والرَّاجِحُ -والله أعلم- هو ما ذهب إليه جمهور الأمة من أنه خُلِقَ في السماء؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٥) ، فَعَلَّقَ الأمرَ هنا بخلق آدم (عليه السلام) وتسويته ونفخ الروح فيه ، فيكون المعنى أن الملائكة أُمِرَتْ بالسجود لآدم (عليه السلام) بمجرد خَلْقِهِ - حيث أتى بحرف الفاء التي تفيد التَّعْقِيبَ - ، ومعلومٌ أنَّ الملائكة في السماء ، ومكانها هو السماء ، كما صرَّحَ به القرآن في أكثر من موضع^(٦) ، فخلقُ آدم (عليه السلام) كان إذن في المكان الذي كانت تُوجَدُ فيه الملائكة؛ لأنها أُمِرَتْ بالسجود له بمجرد خَلْقِهِ ، وهذا أحد الوجوه التي تُبَيِّنُ الأمرَ الرَّاجِحَ في المسألة .

وإن كانت هذه المسألة وأمثالها في القرآن الكريم غيبٌ من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه؛ وَعَلِمَ بحكمته أنه لا جدوى للبشر في معرفة كُنْهِهِ وطبيعته ، ولكني أَرَجِّحُ هنا بما ظهر لي من دليلٍ ، وسيراً على منهج أهل السنة القائلين بالقول الأول ، كما أنه ليس لهذه القضية تأثيرٌ في العقيدة - والله أعلم - .

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٢ وما بعدها) .

(٢) حادي الأرواح (١/ ٢٢ - ٤٤) .

(٣) (١/ ٧٤ وما بعدها) .

(٤) جامع البيان: للطَّبْرِيِّ (١/ ٢١٦) .

(٥) سورة الحجر: آية (٢٩) .

(٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَنُسِبِحُونَهُ وَ لَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ سورة

الأعراف: آية (٢٠٦) .

٣٠- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ولما عَلِمَتِ الإشارة، لكنْ لأهل البصيرة، أَتَبَعَهَا قصة آدم (عليه السلام)، دليلاً ظاهراً ومثالاً بيناً لخلاصة ما أُريد بهذه الجملة ، من أن النوع الآدمي هو المقصود بالذات من هذا الوجود ، وأنه لا يجوز في الحكمة أن يُتْرَكَ بعد موته من غير إحياء ، يرد به إلى دارٍ لا يكون في شيءٍ من أمورِها من أحدٍ نوعٌ من الخلل ، وتكون الحكمة فيها ظاهرةً تمام الظهور ، لا خفاءً بها أصلاً" ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فظاهر الآية لا يدلُّ على البعث بعد الموت ، كما أن السياق لا يدلُّ على هذا ، وإنما هي من إشارات الآية المرتبطة بالمعنى الظاهر .

وجه الاستنباط:

لما ذكر - جلَّ وعلا- في الآية السابقة أنه خلق الأرض والسموات لأجل بقاء هذا الإنسان ، عَقَّبَهُ بتعريفٍ عن أصل خَلْقِهِ وبدايته ، فهو المقصود والمَعْنِيُّ بهذا الوجود ، ولأجله سُخِّرَ كل ما في السماوات والأرض ، فالكون بكلِّ ما فيه خلقه الله كفعل يطلق عليه اسم الخلق ، لكنَّ عملية خلق الإنسان لها طبيعةٌ وأطوارٌ خاصةٌ متميزةٌ عن الخلق في عوالم الحيوان والنبات ، ومن هذا التميُّز تشكَّلت مكانة الإنسان ؛ إذ لا يمكن أن تنتهي حياته بموته، بل إنَّ بعد الموت حياةٌ ودارٌ أبديةٌ مختلفةٌ عن دار الفناء .

تحليل الاستنباط:

الطريقُ الذي سلكه ابنُ بَدْران - رحمه الله - في استخراج هذا الاستنباط هو بالرِّبْطُ بين الآيتين ، أو ما يُسمَّى مناسبة الآية لما قبلها ، ومن هذا الفن تظهر استنباطاتٌ خفيةٌ ولطائف دقيقة، قال الرَّازي (ت: ٦٠٦هـ): " أكثر لطائف القرآن مُودَعَةٌ في الترتيبات

(١) سورة البقرة: آية (٣٠) .

(٢) جواهر الأفكار (١٥٤) .

والرَّوَابِطُ" (١) . قال وليُّ الدين المَلَّوي (٢) : "قد وَهَمَ من قال: لا يُطلب للآية الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حَسَبِ الوقائع المَفْرَقَة ، وفصلُ الخطاب أنها على حَسَبِ الوقائع تنزيلاً وعلى حَسَبِ الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، فالمصحف على وَفْق ما في اللوح المحفوظ ، مرتبةٌ سورُهُ كُلُّها وآياته بالتوقيف ، كما أنزلَ جملةً إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كلِّ آيةٍ أن يُبْحَثَ أولُ كلِّ شيءٍ عن كونها مُكَمَّلةً لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك عِلْمٌ جَمٌّ" (٣) .

والواو الواقعة بين الآيتين ليست حرف عطف، إنما هي استئنافية (٤)، ولكن الرنط بين الآيتين لا يلزم أن يكون بالعطف، بل تكفى فيه قرائن تدل على العلاقة ، فإذا تمَّ الكلام وأُتِيَ بعد تمامه بكلامٍ مستأنف يتصل بالسابق من جهة الموضوع ، ولكن لا صلة له به من الوجهة الإعرابية، فهنا تُوجَدُ المناسبة بينهما، قال السُّيوطي (ت: ٩١١هـ): "إن لم تكن معطوفةً فلا بُدَّ من دِعامَةٍ تُؤدِّنُ باتِّصالِ الكلام ، وهي قرائن معنوية تُؤدِّنُ بالربط" (٥) .

وهذه القرينة هنا هي ما سمَّاهُ ابنُ عَاشُور (ت: ١٣٩٣هـ) بعطف القصة على القصة، حيث قال: "عَطَفَتِ الواو قصةَ خَلْقِ أولِ البشرِ على قصةِ خَلْقِ السماوات والأرض انتقالاً بهم في الاستدلال على أَنَّ اللهَ واحدٌ ، وعلى بطلانِ شِرْكَهم ، وَتَخَلُّصًا من ذِكرِ خَلْقِ السماوات والأرض إلى خَلْقِ النوع الذي هو سلطان الأرض والمتصرِّفُ في أحوالها؛ ليجمع بين تعدُّد الأدلَّةِ وبين مُخْتَلِفِ تكوينِ العوالم" (٦) .

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (١٠ / ١١٠) .

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد ولي الدين المَلَّوي ، ممن قرأ القرآن وتردَّدَ لمكَّة، بل جاور بها سنين، واشتغل قليلاً في المنهاج، وسمعَ بمكَّةَ أَرْبَعِينَ النَّوِي ، ومجالس من جامع الأصول ، وبعض البخاري ، وكتبت له إجازة ، ومولده (٩٥٤هـ) ، وسافر في التجارة لعدن ونحوها . انظر ترجمته في: الضوء اللامع: للسَّخاوي (٤ / ٦٢) .

(٣) الإِتقان: للسُّيوطي (٣ / ٣٧٠) .

(٤) إعراب القرآن وبيانه: لمصطفى دَرُويش (١ / ٧٦) .

(٥) الإِتقان: للسُّيوطي (٣ / ٣٧٢) .

(٦) التحرير والتنوير: لابن عَاشُور (١ / ٣٩٥) .

٣١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "إن اللّايح من قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ أن آدم لما صار حياً سجدت إليه الملائكة؛ لأنّ الفاء تدلّ على التّعقيب"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية تدلّ على أن السجود وقع بعد خلق آدم (عليه السلام) ، وهذا المعنى يدلّ عليه سياق الآية ، ويعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

﴿فَسَجَدُوا﴾ أي من غير تأخير ، فالفاء للتّرتيب والتّعقيب^(٣) ، وهي تُشير إلى مبادرة الملائكة بالامتثال ولم يصدّهم ما كان في نفوسهم من التّخوّف من أن يكون هذا المخلوق مظهر فسادٍ وسفكٍ دماء؛ لأنهم مُنزّهون عن المعاصي ، كما وصفهم - جلّ وعلا - في كتابه ، فدلّ على سرعة استجابتهم لأمر الله .

تحليل الاستنباط:

أما الطريق الذي سلكه ابن بدران هنا فهو بواسطة معرفة ما تدلّ عليه الفاء من التّرتيب والتّعقيب بلا مهلة ، أي: في عقيبهِ . قال سيبويه^(٤) (ت: ١٨٠هـ): "والفاء، وهي تضمّ الشيء إلى الشيء ، كما فعلت الواو ، غير أنّها تجعل ذلك متّسّقاً بعضه في

(١) سورة البقرة: آية (٣٤) .

(٢) جواهر الأفكار (١٧٠) .

(٣) انظر: توضيح المقاصد: للمراديّ (٢/ ٩٩٨) ، وتمعّ الهوامع: للسُّيوطي (٣/ ١٩٢) ، وضياء السّالك:

لمحمد النّجار (٣/ ١٩٠) .

(٤) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري ، ولد سنة (١٤٠هـ) ، من شيوخه: الخليل بن أحمد ، ويونس ، وعيسى بن عمر، ومن تلاميذه: الأخفش الأوسط ، وفطرب أبو محمد بن المستنير . انظر ترجمته في: الأعلام:

للزّركلي (٥/ ٨١) ، وتاريخ بغداد: للخطيب (١٢/ ١٩٠) ، ومعجم الأدباء: للحموي (٥/ ٢١٢٢) .

إثر بعض^(١) ، وهذا الذي علّل به - رحمه الله - استنباطه، كما أنه مذهب الجمهور^(٢).
 فالفاء هنا جعلت سُجُودَ الملائكة مُتَّسِقًا مع الأمر بالسُّجُود ، فدلّت على الترتيب،
 كما جعلت هناك تَقَارُظًا بين الأول وهو القول ، والثاني وهو السجود ، فدلّت على
 التعقيب، وأن الثاني حصل بعد الأول بلا مهلةٍ ولا فاصلٍ بينهما، قال المُبَرِّدُ^(٣) (ت):
 ٢٨٦هـ) : "ومنها الفاء، وهي تُوجِبُ أن الثاني بعد الأول، وأنّ الأمر بينهما قريب"^(٤)
 كما أن هذا التَّلَوُّ سريعٌ؛ فليس بينهما فاصلٌ أو ما يسمونه بالتَّرَاخِي أي التأخر
 لمدة، الموجود في "ثُمَّ" ، أما التأخر في الفاء فليس كذلك، فليس بينهما مُهْلَةٌ تُذَكِّرُ بل
 أحدهما بعد الآخر مباشرةً .

لكن هنا يحسن أن أتبّه إلى أمرٍ يُشِيرُ إليه كثير من النحويين، وهو عبارتهم المشهورة:
 "إن تَعْقِيبَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ"^(٥) ، فهذا يَرِدُ كثيراً في كتب النحو ، ومعنى ذلك أن
 التعقيب نسبي ، وأن الثاني يحصل في أقصر مدةٍ معقولة يمكن أن يحصل فيها الفعل بعد
 حصول الأول، فكلُّ فعلٍ له وقته الذي يُؤدّي فيه ، سواء أكان سريعاً أم طويلاً ، فمتى
 أُدِّي الشيء في أقصر مدةٍ ممكنةٍ فهو تَعْقِيبٌ وإن طالت هذه المدة . والتعقيب هنا كان
 سريعاً مباشراً؛ لسرعة استجابة الملائكة لأمر الله، قال الألويسي: "الفاء لإفادة مُسَارَعَتِهِمْ
 في الامتثال وعدم تَبْطُطِهِمْ فيه"^(٦) ، فهم مُنَزَّهُون عن التباطؤ في الاستجابة لأوامر الله .

(١) الكتاب: لسببوية (٢١٧/٤) وهو أقدم كتاب مطبوع في النحو، اشتهر باسم الكتاب فإذا أطلق انصرف عليه.

(٢) توضيح المقاصد: لحسن المرادي (٢/٩٩٨) .

(٣) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، من شيوخه: أبو عثمان المازني ، وأبو حاتم السجستاني وغيرهم ،
 وأخذ عنه نَفْطَوَيْه وغيره ، من كتبه: الكامل ، والمدكر والمؤنث ، والمقتضب . انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي
 (٧/١٤٤) ، وتاريخ دمشق: لابن عساکر (٥٦/٢٤٦) ، ومعجم المؤلفين: لعمركا (١٢/١١٤) .

(٤) المقتضب: للمبرّد (١/١٠) .

(٥) مغني اللبيب: لابن هشام (٢١٤) ، وشرح شذور الذهب: للجوزجري (٢/٨٠٢) ، وفتح الهوامع:

للسببوي (٣/١٩٢) ، وفتح ربّ البرية: لأحمد الحازمي (١/٤٥٤) ، والجنى الداني: لحسن المرادي (٦٢) .

(٦) روح المعاني (١/٢٢٩) .

٣٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: " والذي يلوح لي من هذا المقام أن آدم (عليه السلام) كان مظهرًا لأمر الله تعالى ، وإشارةً إلى أنه تعالى يُودِعُهُ رسالته، فكان الأمر بالسجود له إنما هو أمرٌ بالانقياد إلى أوامره تعالى " (٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح: فالآية ظاهرة الدلالة على الأمر بالسُّجود لآدم (عليه السلام)، وسُّجود الملائكة إنما هو تَنْفِيذٌ لأمرِ الله تعالى، وهذا مما دَلَّ عليه السِّياق، ويُعرف دون الحاجة إلى تأمل .

وجه الاستنباط:

جاءت آية الأمر بالسجود لآدم في سورة البقرة بعد آيات تعليم آدم الأسماء الإلهية الحسنى، فيتضح أنَّ علة السجود لآدم بيان حقيقة أنَّ عبادة الله - عز وجل - لا تتحقق إلا بتعظيم أسمائه، والانقياد لأوامره، فالله أمر الملائكة بالسجود لآدم، وهم مُلَزَمُونَ بطاعته سبحانه ، وهذه طاعةٌ لله منهم ، وقَبُولٌ للشَّرَائِعِ الكامنة في آدم (عليه السلام) ، والتي ظهرت بواسطة ذريته من الأنبياء والمرسلين، فكان أمر الله بالسجود لآدم (عليه السلام) قُرْبَةً وطاعةً لله من الملائكة، وتكرماً لآدم، وهذه واحدةٌ من مظاهر هذا الخلق وهو آدم (عليه السلام)، والذي سيأتي من صُلْبِهِ من هو سيِّدُ الكائنات، ومن هو آية الله الكبرى وكلمته التامة (ﷺ) .

تحليل الاستنباط:

والطريق الذي سلكه ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا الاستنباط كَوْنُ الأمر يقتضي الوجوب (٣) ، فالحقيقة أن السجود لا يكون إلا لله وحده ، ولكن تَنْفِيذَ أمر الله

(١) سورة البقرة: آية (٣٤) .

(٢) جواهر الأفكار (١٧٢) .

(٣) العُدَّة في أصول الفقه: لأبي يعلى القُرَّاء (١/ ٣٩) .

بالسجود لآدم (الطَّيِّبِ) يقوم مقام السجود لله تعالى، ولو أن آدم هو الذي أمر الملائكة بالسُّجود له لما نَفَّذُوا أمره ، ولكن لأن الله - عزَّ وجل - هو الذي أمرهم بالسُّجود لآدم فوجب عليهم تنفيذ أمر الله سبحانه فسارعوا بالامتثال والسُّجود . فَهُم حينما سجدوا فقد نَفَّذُوا أمر الله ، وكل أمرٍ لله - عزَّ وجل - يقتضي الوجوب .

كما أنَّ سجود الملائكة لآدم سجود اعترافٍ بالفضل؛ لما عَلِمَ من أهليَّة النوع البشري لخلافته - جلَّ وعلا- في الأرض دون الملائكة والجن ؛ للقيام بعِمارة الأرض وتبليغ رسالة الخالق، والقيام بما أمرهم الله -جلَّ وعلا- من عبادة، فدلَّ هذا على إظهار مزيَّة نوع الإنسان، وأنَّ الله سبحانه وتعالى يُخَصُّ أجناس مخلوقاته وأنواعها بما اقتضته حكمته من الخصائص والمزايا؛ لئلا يخلُو شيءٌ منها عن فائدةٍ من وجوده في هذا العالم .

ومن الأمور التي جعلت للبشر مزيدَ أهليةٍ وتمييز: العقل ، وتبليغ الرسالة ، إلى غير ذلك من الأمور التي تُعدُّ أعظم ما يُميِّزُ البشر على غيرهم ، وبها كُرِّمَ الإنسان وعُظِّمَ، قال السَّعْدِي^(١) (ت: ١٣٧٦هـ): "وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يُقدَّرُ قدره ؛ حيث كُرِّمَ بني آدم بجميع وجوه الإكرام؛ فكُرِّمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة " ^(٢) ، فدلَّ هذا على أن للبشر من بني آدم أهليةٌ تُميِّزُهُم على غيرهم، واستحقُّوا بها التكريم والتعظيم .

(١) عبدُ الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِي ، ولد سنة (١٣٠٧هـ) ، من شيوخه: إبراهيم بن حمَّد ، ومحمد الشَّيْبَل ، وصالح القاضي ، ومن مؤلفاته: تيسير اللطيف المتَّان في خلاصة تفسير القرآن ، و الدرَّةُ المختصرة في محاسن الإسلام ، و الرياض الناضرة . انظر ترجمته في: الأعلام: للزَّركلي (٣/ ٣٤٠) ، ومشاهير علماء نجد: لعبد الرحمن بن عبد اللطيف (٢٥٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن: للسَّعْدِي (١/ ٤٦٣) .

٣٣- قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ومسأق الآية يدل على أن حواء كانت موجودة حين أمره بسكنى الجنة" (٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : هذه الآية تنص على أمر آدم وحواء بسكنى الجنة ، وهذا يقتضي كونهما موجودين يسمعان الخطاب الذي سيوجه إليهما، وبهذا فإنه يفهم منه بدلالة النص أن حواء كانت موجودة؛ لكونها داخلة في الخطاب، وهذه العلة يفهمها أهل اللغة، فكل من يعرف فنون اللغة يدرك أن الخطاب موجه لآدم وحواء .

نوع الدلالة: دلالة اقتران .

التوضيح : فاستنبط ابن بدران - رحمه الله- أن حواء كانت موجودة وقت الأمر بالسكنى ؛ حيث قرن وجود حواء بوجود المخاطب آدم الموجود وقت الأمر بالسكنى ، وهذا يقتضي وجودها معه وقت الخطاب .

وجه الاستنباط:

الآية فيها أوجه عدة ، منها: أن الأمر بالسكنى كان موجهاً لآدم وحواء ، وهذا يقتضي أنهما جميعاً موجودان وقت الأمر بذلك .

والوجه الثاني: أن الآية تدل على وجود أمور تقتضي الترتيب ، فأولها: كونهما موجودين يسمعان الخطاب الذي سيوجه إليهما ، وعلى هذا فإن حواء كانت موجودة؛ لكونها داخلة في الخطاب ، إذ الخطاب لا يتوجه لغائب ؛ بل يتوجه لحاضر يسمع .
والأمر الثاني: الأمر بسكنى الجنة ، ثم الأمر الثالث وهو: النهي عن الأكل من الشجرة .

(١) سورة البقرة: آية (٣٥) .

(٢) جواهر الأفكار (١٧٢).

والوجه الثالث: أن آدم كان يعرف من قَبْلِ هذا المخلوق المذكور ؛ فقد أخبره الله تعالى عنه ، وليس لله - جلَّ وعلا - أن يذكر اسمَ مجهولٍ لا يَعْرِفُ عنه آدم شيئاً ، فدلَّ على أنه عند ذِكْرِ اسمِ حواء كان اسماً معروفاً عند آدم ، وأنها كانت موجودةً وقتها، والأمر بالسُّكْنَى كان قبل السُّكْنَى بدلالة ظاهر الآية .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران في هذا الاستنباط مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ﴾ فهو فعل أمرٍ مبنيٌّ على السكون لا محلَّ له من الإعراب^(١) ، فـ ﴿أَسْكُنْ﴾ فعل أمر يدل على طلب حصول العمل في المستقبل على وجه الاستعلاء ، فيقتضي أن السُّكْنَى ستكون بعد الأمر ؛ لأن تنفيذ الأمر يكون بعد الأمر ، وحواء داخلةٌ في الأمر بالسُّكْنَى بدليل العطف ، وبهذا تكون حواء موجودةً وقت الأمر بالسُّكْنَى ؛ لأن سُّكْنَى الجنة ستكون بعد الأمر.

وأيضاً: بنى ابنُ بَدْران -رحمه الله- استنباطه على حرف العطف في قوله تعالى: ﴿وَزَوْجُكَ﴾، فالواو حرف عطف، و (زوجك) معطوفٌ على الضمير المُسْتَكِنِّ في ﴿أَسْكُنْ﴾ ، وجاء بالضمير المنفصل ﴿أنت﴾ توكيداً للضمير المنفصل المُسْتَكِنِّ في ﴿أَسْكُنْ﴾؛ ليصحَّ العطف عليه ، وهذا يستدعي كون حواء داخلةً في الأمر بسُّكْنَى الجنة^(٢) ، مما يدلُّ على أن حواء كانت موجودةً وقت الأمر بالسُّكْنَى مع آدم ، وهو ظاهر هذه الآية .

(١) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين دَرَوَيْش (١ / ٨٥) ، والجدول في إعراب القرآن: محمود صافي (١ / ١٠٣) .
(٢) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين دَرَوَيْش (١ / ٨٥) ، والتبيان في إعراب القرآن: للْعُكْبَرِي (١ / ٥٢) ، والجدول في إعراب القرآن: محمود صافي (١ / ١٠٣) ، والمُحْتَبِي من إعراب القرآن: أحمد الحَرَّاط (١ / ١٦) .

٣٤- قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "يدلُّ قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ، على أنه لا بُدَّ من خروجهما منها ؛ لأنَّ المُخَلَّد لا يناسب أن يكون مُعْرَضاً لِلخَطَر ، بأنَّ يمتنع عليه فعل شيء ، أو يُؤمَّر بشيء ، أو يُنهي عنه ، فلما كان الأمر بالسُّكْنَى مقروناً بالنهي دلَّ على أنها لا تدوم"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية فيها الأمر بالسُّكْنَى ، ولم يدل سياقها على نوع السُّكْنَى من حيث الدوام وعدمه ، بل أنها من إشارات الآية غير المقصودة من النص أصالة ، ولكنها مرتبطة بالمعنى الذي سيُق النَّص لإفادته .

وجه الاستنباط:

لما كان دخول آدم وحواء في الجنة دخول سُكْنَى لا دخول إقامة، حيث إنَّ من علامات هذه السكنى غير الدائمة: التكليف ، والتعرُّض للمخاطر التي لا يتعرَّض لها أهل الإقامة الدائمة من أهل الجنة ، فهي دار جزاءٍ وثواب ، وليست دار تكليف ، وقد كلف الله سبحانه آدم فيها هنا بالنهي عن الشجرة ، مما يدلُّ على أن مُكُونَهُ كان للابتلاء والامتحان ، لا المكوث للاستقرار على الدوام .

تحليل الاستنباط:

أما الطريق الذي أخذ منه - رحمه الله - هذا المعنى فهو من معنى السُّكْنَى وهو المُقَام مع طول بُتِّ^(٣) ؛ فإنها تُنْبِئ عن المكوث مدَّة ثم الخروج؛ لأنَّ السُّكْنَى لا تكون مَلَكاً ولا دائمة ، بل تكون إلى مدَّة ثم تنقطع .

(١) سورة البقرة: آية (٣٥) .

(٢) جواهر الأفكار (١٧٣) .

(٣) مناهل العرفان: للزُّرْقَانِي (٢/ ٣٠٧) .

كما أنّ الجنة اتصفت بأوصافٍ ليست في هذه السُّكْنَى ؛ حيث إنّها دار جزاءٍ وثواب، وليست دار تكليف ، وقد كَلَّفَ اللهُ سبحانه آدم فيها بالنهي عن الشجرة ، مما يدلُّ على أن آدم كانت سُكْنَاهُ مُؤَقَّتَةً فيها للابتلاء والامتحان ، وليس للخلود .

ومن صفاتها أيضاً أنهم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ۗ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾^(١) ،
﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٢) ، وقد لَعَنَ إبليس فيها وكذب ، وأُخْرِجَ منها آدم

وحواء .

وبهذا فإنَّ سُكْنَى آدم وحواء لم يكن دائماً ؛ لأن السُّكْنَى الدائمة لا تكون إلا يوم القيامة ، فدخوله الجنة لم يكن على سبيل الجزاء ولا كان مرتفعاً عنه التكليف فيها، وإنما أدخله الله إياها وكَلَّفَهُ بترك الأكل من الشجرة، ثم ابتلاه بالخروج منها؛ لما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة ، والإقامة الدائمة في الجنة لا تكون إلا عند الجزاء والثواب للمؤمنين ، وليس عند مبدأ خلق آدم ، فلم يكن دخوله فيها إلا ابتلاءً وامتحاناً ، فنهاه الله عن أمورٍ وأمره بأمورٍ لا تكون للإنسان يوم الجزاء ، والخلود لا يتوافق مع هذا ، فكانت السُّكْنَى غيرُ الدائمة أقرب إليه من معنى الإقامة والخلود .

(١) انظر: سورة الواقعة: آية (٢٥ - ٢٦) .

(٢) انظر: سورة الحجر: آية (٤٨) .

٣٥- قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "في الآية إشارات: أولها: أن في قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ إشعاراً بكثرة ذرية الخلقين من آدم وإبليس، وكثرة الإحداث في أمر الديانة من الثقلين، كما وقع من أن كل فئة انتحلت نخلةً وابتدعت بدعة" (٢).
نوع الدلالة: دلالة الإشارة.

التوضيح: فهذه الدلالة غير ظاهرة في الآية، إنما أخذت من إشارة قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا﴾، مما يدل على أنها من المعنى غير المقصود بالآية قصداً أولاً، ولكنه مرتبط بالمعنى الذي سيقت الآيات لإفادته.

وجه الاستنباط:

نلاحظ هنا أن الخطاب بصيغة الجمع، وهو خطاب لإبليس ولآدم وحواء وكل ذرية آدم إلى يوم القيامة؛ لأنهم من نسل آدم، أما إن قيل إنه خطاب من الله - جلّ وعلا- لمن أهبط حينئذ من السماء إلى الأرض، فهو سنة الله في جميع خلقه، بأنهم سيكونون مع إبليس أعداء من بعد آدم، فكأن الله تعالى هنا يريد أيضاً أن يُلفتنا إلى أن هذا الهبوط يتعلق بالمنهج وتطبيقه في الأرض، وفي المنهج آدم وحواء حريصان على الطاعة، وإبليس حريص على دفعهما إلى المعصية، وذرية آدم سيكون منها الفرق والنحل.

تحليل الاستنباط:

الطريق الذي سلكه ابن بدران هنا في استخراج هذا الاستنباط هو النظر إلى أصل الشيء، فآدم هو أصل بني آدم، وسلالة البشرية جمعاء هي من صلبه، كما أن إبليس

(١) سورة البقرة: آية (٣٨).

(٢) جواهر الأفكار (١٨٥).

هو أصل الجن ، فهناك سُلالةٌ من الجنِّ تُنسبُ إلى إبليس ، قال الخطيب الشَّريبيُّ^(١) (ت: ٩٧٧هـ) عن إبليس: " وهو أصل الجنِّ كما أن آدم أصل الإنس"^(٢) .

فكما جعل الله نبيَّهُ آدم (عليه السلام) أباً للبشريَّة ورأسهم ، جعل الله إبليس أباً للجنِّ ، فالخطاب هنا للجميع: لآدم وذريته ، و إبليس وذريته^(٣) ، فكأنه - سبحانه وتعالى - يشير إلى أنَّ الأصل الأول للإنس هو آدم ، وأنَّ الأصل الأول للجنِّ هو إبليس ، وأنه سيأتي من هؤلاء ذُرِّيَّةٌ يتفرَّعون ويتفرَّقون فِرْقاً ونَحْلاً كثيرة ، ويكونون أعداءً كما هو الواقع اليوم ، فمن البشر مَنْ هو طائعٌ عابد، ومَنْ هو كافرٌ جاحد، ومَنْ هو عاصٍ، ومَنْ هو تقِيٌّ صالح، وكذلك أخبر الله عن الجنِّ^(٤) .

فمن الأصل الذي هو آدم و إبليس توصل ابنُ بَدْران إلى هذا الاستنباط ؛ حيث إنَّ الأصل يتفرَّع منه فروعٌ ، وتتولَّد منه جماعات كثيرة .

(١) هو شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشَّريبي، ومن شيوخه: نُور الدين المحلِّي، وناصر الدين اللقَّاني، وجمال الدين السنَّاني ، ومن مؤلفاته: الإقناع ، والسَّراجُ المُنير ، وشرح شواهد القطر . انظر ترجمته في: الأعلام: للزَّركلي (٦ / ٦) ، والكواكب السائرة: لنجم الدين الغزَّي (٣ / ٧٢) .

(٢) السَّراجُ المُنير (١ / ٤٩) ، وانظر: جامع البيان: للطَّبَّري (١ / ٥٠٦) ، ومعالم التنزيل: للبعوي (١ / ١٠٤) .

(٣) قال الشنقيطي في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ : " دليل على أن للشيطان ذرية، فادَّعاء أنه لاذرية له مناقضٌ لهذه الآية مناقضةٌ صريحة ... وكل ماناقض صريح القرآن فهو باطل" . أضواء البيان (٣ / ٢٩٢) .

(٤) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مَتَّاءُ الصَّالِحِينَ وَمَتَّاءُ دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا﴾^(١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نَّعْجِزَهُ هَرَبًا^(١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَءَ مَتَّاءَ بِهِ^ط فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا^(١٣) وَأَنَّا مَتَّاءُ الْمُسْلِمِينَ وَمَتَّاءُ الْقَلِيسُطُونَ^ط فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا^(١٤) وَأَمَّا الْقَلِيسُطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا^(١٥) [سورة الجن: ١١ - ١٥] ، وبهذا فلا تتجاوز ما بيَّن الله لنا في كتابه، والله أعلم .

٣٦- قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ

هُدَايَ فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "في الآية إشارات...: ثالثها: أنه قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فأضاف الهدى إلى نفسه؛ إشارة إلى أن كل ما هو في صورة هدى، ولم يكن مأخذه من الوحي المنزل على الأنبياء لا يُسمى هدى، ولا ينفي عن صاحبه الخوف والحزن يوم القيامة، وإذا كان من طريق العقل فشرطه أن يُوافق ما أتت به الرسل"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة).

التوضيح: فالحكم المنطوق هو اتباع هدى الله، والحكم المسكوت هو اتباع غير هدى الله مما لا يكون مأخذه من الوحي، وهذا المفهوم مخالف ومغاير لما يفيد اللفظ بمنطوقه.

وجه الاستنباط:

بيّن الله سبحانه وتعالى أن من اتبع هداؤه بحقه علماً وعملاً: بالإقدام على ما يلزم، والإحجام عما يحرم، فإنه يصير إلى حالٍ لا خوف فيها ولا حزن، فدل ذلك على أن الهدى ما كان من عند الله من طريق الأنبياء، ودل على ذلك إضافة الله الهدى إلى نفسه، ويدخل فيه كل دلالة وبيان، وشرطها أن تُوافق الوحي المنزل على رسل الله.

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران هنا هو ما كان من إضافة الهدى إلى الله، بياء المتكلم^(٣)، والتي تدل على أن الهدى هو ما كان من عند الله من طريق الرسل والكتب، وكل ما وافق ذلك من العقل والفطنة والمعارف الضرورية لا يخرج عن هذا ولا يتعداه، بل هو محصور فيما أوحاه الله لبني آدم وما كان على شرطه، ويخرج غير ذلك من الأدلة.

(١) سورة البقرة: آية (٣٨).

(٢) جواهر الأفكار (١٨٥).

(٣) شرح التصريح: لخالد الأزهرى (١٨٤ / ٢).

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا آنَزْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ

كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (٤١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْرانٍ : "تعريضٌ بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به ؛ لمعرفةهم به وبصِفته ، ولأنهم كانوا المبشِّرِين بزمانه ، والمستفتِحِين على الذين كفروا به ، وكانوا يَعُدُّون أنفسهم من أتباعه ، أول الناس كلِّهم ، فلما بُعث كان أمرهم بصِحِّته في غاية اللِّجاجة ، فكان عملهم في كفرهم وإن تأخَّر عمل من يُسابق شخصاً إلى شيء" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فمنطوق الآية دال على نهيه -جلَّ وعلا- لبني إسرائيل بأن لا يكون لهم الأولوية في الكفر بمحمد (ﷺ) ، ومفهوم الآية دالٌّ على أنه يجب أن يكون لهم الأولوية في الإيمان به ، كما استدللَّ بذلك ابنُ بَدْرانٍ - رحمه الله - ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

لما ذكر الله نهيه لبني إسرائيل بالألَّا تكون لهم الأولوية في الكفر بمحمد (ﷺ) ، فُهِمَ منه أنه يجب أن تكون لهم الأولوية في الإيمان به ، فالنهي يفهم منه عكسه من الأمر وذلك بطريق مفهوم المخالفة ، فلما نُهوا عن أن يكونوا أول كافر به فُهِمَ منه بأنه يجب أن يكونوا أول من يؤمن به .

تحليل الاستنباط:

أما الطريق الذي سلكه ابنُ بَدْرانٍ - رحمه الله - في استخراج هذا الاستنباط بناء على قاعدة: "النهي عن الشيء يقتضي الأمر بضده أو بأحد أضداده" ، قال الجصاص

(١) سورة البقرة: آية (٤١) .

(٢) جواهر الأفكار (١٨٩) .

(ت: ٣٧٠هـ): "قد صحَّ عندنا أن النهي عن الشيء أمرٌ بضده من جهة الدلالة"^(١) ، وقال ابنُ القُرَّاء^(٢) (ت: ٤٥٧هـ): "إذا ورد النهي عن فعل شيءٍ له ضدٌّ واحدٌ كان أمراً بضده من جهة المعنى، نحو قوله: (لا تكفر) يكون أمراً بضده ، وهو الإيمان ، وإذا كان للمنهى عنه أضدادٌ تضمَّن ذلك أمراً بضدٍّ واحد من الأضداد"^(٣) ، وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٦هـ) : "إنَّ قولنا: الأمر بالشيء نُهي عن ضده وأضداده ، والنهي عنه أمرٌ بضده أو بأحد أضداده ، من جنس قولنا: الأمر بالشيء أمرٌ بلوازمه ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والنهي عن الشيء نُهي عمَّا لا يتم اجتنابه إلا به"^(٤) ، وقال: "والأمر بالشيء نُهي عن ضده، والنهي عنه أمر بضده المعين إن لم يكن له إلا ضدٌّ واحد ، وإلا فهو أمر بأحد أضداده"^(٥) .

وهنا نُهي الله - جلَّ وعلا- بني إسرائيل أن يكونوا أول كافرٍ به ، فاقترضى النهي هنا الأمر بأن يكونوا أول مَنْ يؤمن ، فالكفر ضدُّه الإيمان ، وهو ضدٌّ واحد وليس له أضدادٌ أخرى ، وهذا ما استنبطه ابنُ بَدْران -رحمه الله- من هذه الآية بناءً على هذه القاعدة .

(١) الفُصُول في الأُصُول (٢ / ١٠١) ينظر: كلامه حول هذه القاعدة أيضاً: (٢ / ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٦) .
 (٢) محمد بن الحسين بن محمد بن القُرَّاء، ولد سنة (٣٨٠هـ)، من شيوخه: البَغَوِي، وأبو القاسم بن سُويد، ومن تلاميذه: أبو الفتح بن حلبه، وأبو الوفا بن عَقِيل، ومن كتبه: طبقات الحنابلة، والمفتاح. انظر ترجمته في: الأعلام: للزَّركَلِي (٦ / ٩٩)، ومعجم المؤلفين: لَعْمَر كَحَّالَة (٩ / ٢٥٤)، وسير أعلام النبلاء: لِلدَّهَبِي (١٤ / ٤٠٩) .
 (٣) العُدَّة في أصول الفقه (٢ / ٤٣٠) .
 (٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٣١) .
 (٥) جامع الرسائل (٢ / ١٦٥) .

٣٨- قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وفي التعبير بالبارئ ترغيبٌ لهم في طاعته بالتذكير بالإحسان ، وترهيبٌ بإيقاع الهوان"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : عُلمت هذه الدلالة من معنى البارئ في اللغة ، فمعناه الخالق^(٣) ، وهذا المعنى يعرفه كل من يعرف هذا اللسان العربي بمجرد سماع اللفظ دون تأمل ، فورود اسم الله البارئ في الآية إنما هو تذكير بالإحسان المقصود في الاستنباط ، وترهيب منه سبحانه بإيقاع الهوان ، حيث عُلم هذا من معنى البارئ لُغَةً ، وهذا من دلالة اللفظ على معنى مقصود ، سيُق اللفظ لإفادته .

وجه الاستنباط:

لما كان اسم البارئ معناه الخالق، كان ذكره في الآية تذكيراً منه تعالى بإحسانه على خلقه بالخلق والإيجاد ، فكان القادر على خلقهم قادراً على إعدامهم كما قدر على إيجادهم .

تحليل الاستنباط:

أما الطريق الذي سلكه ابنُ بَدْران - رحمه الله - في استخراج هذا الاستنباط فقد كان مأخوذاً من معنى اسم البارئ - جلَّ وعلا - ، والذي معناه: الخالق الموجد ، قال ابن سِنْدَة (ت: ٤٥٨هـ) في معنى اسم البارئ: "برأ الله الخلق يَبْرؤهم بَرءاً وُبْرؤاً: خلقهم"^(٤).

(١) سورة البقرة: آية (٥٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٠٧) .

(٣) مقاييس اللغة: لابن فارس (١ / ٢٣٦) ، النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (١ / ١١١) ، مختار الصَّحاح: للرَّازي (١ / ٣١) .

(٤) المُحْكَم والمُحِيط الأعظم: لابن سِنْدَة (١٠ / ٢٨٦) .

وقال ابن الأثير^(١) (ت: ٦٠٦هـ): "هو الذي خَلَقَ الخَلْقَ لا عن مِثَالٍ"^(٢).
فكان معنى اسمُ البارئِ مناسباً للموردِ الذي ذُكِرَ فيه؛ لأن معناه: الخالق والموجدُ
الذي برأ الخلق من العدم ، ومنه استنبط ابنُ بَدْرانٍ - رحمه الله - هذا الاستنباط .

(١) هو المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشَّيْبَانِي الجَزْرِي ، ولد سنة (٥٤٤هـ) ، من كتبه: النهاية - ط ،
وجامع الأصول في أحاديث الرسول - ط ، ومن شيوخه: يحيى بن سَعْدُون القُرْطُبِي ، وخطيب الموصِل وطائفة .
انظر ترجمته في: معجم الأدباء: لياقوت الحمَوي (٥ / ٢٢٦٨) ، ووفيات الأعيان: لابن خَلِّكان (٤ / ١٤١) .
(٢) النهاية: لابن الأثير (١ / ١١١) .

٣٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "هذه الآية تدلُّ دلالةً صريحةً على أن القوم كانوا يعتقدون التجسيم في حقِّ البارئ سبحانه وتعالى ، وعلى ذلك تدلُّ التوراة التي بأيديهم اليوم" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من طلبهم لرؤية الله أنهم يعتقدون بأنه جسم مُتَحَيِّز، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود قصداً أولاً ولكنه مرتبط بالمعنى الذي سيق اللفظ لإفادته .

وجه الاستنباط:

بعد أن تاب الله على قوم موسى بعد عبادتهم للعجل ، عادوا مرةً أخرى إلى عنادهم ومادّيّتهم ، فهم كانوا يريدون إلهاً مادياً^(٣) ، إلهاً يروّنه ، كالعجل الذي عبده سابقاً ، ولكن الإله - جلّ وعلا- من عظمته أنه غيَّب لا تدركه الأبصار؛ لقوله تعالى : ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٤).

فاليهود الذين لا يؤمنون إلا بالشيء المادّي لا تتسع عقولهم لإدراك أن الله فوق المادة وفوق الأبصار ، فكان التجسيم فيهم واضحٌ من الآية ، ومن هنا كان وجه الاستنباط .

تحليل الاستنباط:

(١) سورة البقرة: آية (٥٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٠٧) .

(٣) والمادية هنا المقصود بها المعنى الفلسفي ، وهو الإيمان بأن العالم كُله مادةٌ تتحرّك ، ويمكن تفسيره من خلال هذه الأقوال: "المادية: مذهبٌ يُسَلَّم بوجود المادة وحدها ، وبها يُفسَّر الكون والمعرفة والسلوك" المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٨) ، وقيل: " المادّية الجدليّة: الفلسفة الماركسيّة وتتلخّص في اعتبار العالم كُلاًّ مكوناً من مادة متحرّكة، وحركة المادّة فيه تصاعديّة متطوّرة ، تموت فيها ظاهرةٌ لتحيّا أخرى" معجم اللغة العربية: لأحمد مختار (١/ ٣٥٢) ، وفي (٣/ ٢٠٧٨) قال: "المادّية: مذهبٌ فلسفيٌّ يُسَلَّم بوجود المادة وحدها ، وبها يُفسَّر الكون والمعرفة والسلوك".

(٤) سورة الأنعام: آية (١٠٣) .

والطريق الذي سلكه ابنُ بَدْران -رحمه الله- في استخراج هذا الاستنباط هو ما دلَّ عليه سياق الآيات ، من طلب اليهود من موسى (عليه السلام) أن يروا رهم ، وهو ما تدلُّ عليه التوراة التي بين أيدينا اليوم ، وما فيها من النصوص الدالة على تَجْسِيمِهِمْ وتشبيهِهم لله بغيره ، فالإله في الفكر اليهوديَّ تجسيدٌ حسيٌّ في الذات وفي الصفات ، وهناك نصوصٌ صريحة في تفسير ظهور الله على صورة إنسانٍ في مواضع متعددةٍ من التوراة (١) . ولهذا كان مذهبُ أهل السنة والجماعة أنهم مع إثباتهم لله تعالى الأسماء والصفات مما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ينصُّون على أن هذا من غير تأويلٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تَكْيِيفٍ ولا تَمَثِيلٍ (٢) .

(١) في ما يلي نصوصٌ من تَوَارِثِهِم الموجودة المطبوعة باسم العهد القديم والجديد :
جاء في العهد القديم (٤٣١) : "وعادَ الرب يتراءى في شيلوه؛ لأن الربَّ استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب ، فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت ربِّ الجنود الجالس على الكرويم". فنسبوا لله الجلوس الذي لا يليق به، فشَبَّهُوه بغيره من البشر. وفي (٨٤٠): "الربُّ في هيكل قدسه، الربُّ في السماء كرسية ، عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بني آدم، الربُّ يمتحن الصديق، أما الشرير ومحبُّ الظلم فتبغضه نفسه". وفي نسخة التوراة المحرفة فيما يسمونه سفر التكوين الإصحاح (١) رقم (٢٦-٢٨) قالوا: "وقال الله: لِنَصْنَعِ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَمِثَالِنَا، وَلِيَتَسَلَّطَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ ، وَطَيْرِ السَّمَاءِ ، وَالْبَهَائِمِ وَجَمِيعِ وَحُوشِ الْأَرْضِ، وَكُلِّ مَا يَدُبُّ عَلَى الْأَرْضِ"، فجعلوه كهيئة الإنسان وصورته، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرا . وفي سفر التكوين الإصحاح (٣٣) رقم (١٠) قال اليهود: "رَأَيْتُ وَجْهَكَ فَكَأَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَ اللَّهِ". وقالت اليهود في نسخة التوراة المحرفة فيما يسمونه سفر أيوب الإصحاح رقم (٢): "فَأَسْمَعُوا هَزِيمَ صَوْتِ اللَّهِ وَالزَّيْبَرَ الْخَارِجَ مِنْ فَمِهِ"، فجعلوا له صوتاً وزيبراً وفماً تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرا .

(٢) انظر: الاعتقاد: لابن أبي يعلى (١/ ٣١) ، وتحريم النظر في كتب الكلام: لابن قدامة (١/ ٥٠) ، والتَّحْفُ في مسائل السلف: للشَّوْكَانِي (١/ ٢٣) .

٤٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ (١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وهذه الآية تقتضي أنّ القوم لما نزلت التوراة على موسى (عليه السلام)، امتنعوا عن قبولها، وعن العمل بما فيها من التكليف، وادّعوا أنّ موسى (عليه السلام) افتراها من تلقاء نفسه، فجعل الله تعالى رفع الطور فوقهم علامة على أنّها من عند الله" (٢) .

نوع الدلالة: دلالة النص.

التوضيح: فسياق الآية يدل على هذا المعنى دلالة واضحة يعرفها كل من له علم باللسان العربي بمجرد السماع، وهذه من دلالة النص التي تُعرف من غير تأمل.

وجه الاستنباط:

لما لم يلتزم اليهود بتنفيذ ما أخذ الله عليهم به من العهد، وتهاونوا في طاعته -جل- وعلا-، رفع جبل الطور (٣) فوقهم؛ تذكيراً لهم وتخويفاً وإنذاراً، وهذا التذكير مُقتضاه الإلزام؛ ليلتزموا بالميثاق، وليؤمنوا ويأخذوا ما آتاهم الله من التوراة وما فيها من أوامر ونواهٍ بجدّ واجتهاد، فلم يؤمنوا إلا حين رفع فوقهم الطور كأنه ظلّة، وظنوا أنه واقع بهم، فحينئذ آمنوا.

تحليل الاستنباط:

والطريق الذي سلكه ابن بدران -رحمه الله- هنا هو الأخذ من سياق الآية نفسها؛ حيث ذكر أخذ الميثاق أولاً، ثم رفع الطور فوقهم، ثم الأمر بأخذ ما أوتوا، وذكر ما فيه أخيراً، مما يدل على أن رفع الطور كان بسبب عدم أخذهم ما آتاهم الله تعالى من

(١) سورة البقرة: آية (٦٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٢١٨) .

(٣) "هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (عليه السلام)، وقد غلب عليه طور سيناء" انظر: العيزن: للتحليل بن أحمد (٧/ ٤٤٦)، والمُحكّم والمُحيط الأعظم: لابن سيّدة (٩/ ٢٣٢)، ومشارك الأنوار: للقاضي عياض (١/ ٣٢٧)، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي (١/ ٤٣٢) .

الميثاق - أي: التوراة التي بين أيديهم ، وعدم العمل بما فيها من أوامر ونواهٍ - ، كما كان غاية رفع الطُّور فوقهم إِرْهَابُهُمْ وتخويفهم من عَظْمَةِ القُدْرَةِ الإلهية ، دون أن يكون ذلك لإجبارهم وإكراههم على العمل بما أُوتوه في التوراة .

كما أن هناك طريقاً آخر في استخراج هذا المعنى، وهو دلالة آيةٍ أخرى تؤيد هذا المعنى ، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾^(١)، فقد كان رفع الطور فوقهم بعد ما نقضوا الميثاق الذي أُخِذَ عليهم، فلو آمنوا به قبل هذا وأخذوا بالميثاق لَسَلِمُوا من رُفْعِ الطور فوقهم، وهذه آيةٌ من آيات الله التي تُدْعِنُ لها الأنفس وتَنَقَّأُ لها القلوب .

(١) سورة النساء: آية (١٥٤) .

٤١- قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾ (٦٣) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلّ قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ (٢)

فيه (٣) على أنّ الإيمان في الجملة ليس بمنجّ ، وليس المنجّي إلا الإيمان بجميع ما أخذ عليهم الميثاق ، وهو جميع ما أتاهم في التوراة إيماناً مصحوباً بالقُوَّة" (٤).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية جاءت مُبَيِّنَةً للميثاق (٤) المأخوذ على بني إسرائيل ، وهذا الأخذ

يكون بجميع ما أخذ عليهم الميثاق بِقُوَّةٍ ، وهذا هو الإيمان المنجّي والمعني به كما نصّت عليه الآية ، وهذه من الدلالات التي دلّ عليها اللفظ من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

لما كان من الممكن ادّعاء بني إسرائيل الإيمان والعمل الصالح جاءت هذه الآية دالّة على الميثاق، الذي يُراد به أخذ الكتاب بِقُوَّةٍ وحزمٍ وهمّةٍ وامتثال، والإيمان الخالص الجازم بوجود الله ، والعمل بما في كتابهم عملاً خالصاً لله - جلّ وعلا- ، وليس إيماناً كاذباً خالياً من الإخلاص ، فهذا لا يُقبَل منهم ، ولا يَنْجُونَ به من عذاب الله - جلّ وعلا، فكانت هذه الآية مُبَيِّنَةً لهم الإيمان المطلوب الذي سمّاه الله - جلّ وعلا- الميثاق .

(١) سورة البقرة: آية (٦٣ - ٦٤) .

(٢) سورة البقرة: آية (٦٣ - ٦٤) .

(٣) جواهر الأفكار (٢١٨) .

(٤) والمراد بالميثاق هنا: العمل بأحكام التوراة، والميثاق لغة: العهد. انظر: تاج العروس: للزبيدي (٢٦ / ٤٥٠) ، ومعجم اللغة العربية: لأحمد مختار (٣ / ٢٣٩٩) ، والصّحاح: للجوهري (٤ / ١٥٦٣) ، ومشارك الأنوار: للقاضي عياض (٢ / ٢٧٩) .

تحليل الاستنباط:

والطريق الذي سلكه ابن بَدْران هنا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ الدالُّ على التكليف بِحُزْمٍ وَهَمَّةٍ وامتثالٍ و يقين، دون أخذ التكليف بتخاذُلٍ؛ فإن الأمر بأخذ الكتاب بقوة أمرٌ لهم بأن يكونوا أقوياء في دينهم، أقوياء في اعتقادهم وتمسُّكهم به، وهو قوةٌ من بعدِ ضَعْفٍ، وعِزٌّ من بعدِ مَدَلَّةٍ، وهُدْيٌ من بعدِ ضَلَالَةٍ، واستقامةٌ من بعدِ اعْجَاجٍ .

لهذا فإن الأمر بالأخذ بقوة هو أمرٌ بالأخذِ بجميع ما في التوراة من تعاليم ، يصحبها القوة في الأخذ ، وليس مجرد التصديق ، فيكون بهذا قد عُلم المراد بالقوة وبُورودها هنا .

٤٢- قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً

لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وقد أشعر هذا أن التقوى عصمة من كل محذور، وأن التَّعَمُّقَ في غيرهم وعظماً لهم" (٢).

نوع الدلالة: دلالة النص.

التوضيح: فالآية تُنصُّ على أن المتقين لم يمسسهم العقاب مع العصاة من أهل السبب بسبب التقوى، فكان ذلك عِصْمَةً لهم من كل محذور، وأن العقاب الواقع في غيرهم كان وعظماً وعبرة لهم، وهذا مما يعلمه السامع العالم باللغة من غير تأمل.

وجه الاستنباط:

من اعتصم بالله بتقواه عَصَمَهُ اللهُ، فالتقوى هم الفئة التي قبلت الموعظة، فلم يمسسهم العقاب مع العصاة من أهل السبب، فكان هذا العقاب وعظماً وعبرة لهم. قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): "وخصَّ المتقين وإن كانت موعظةً للعالمين؛ لتفرُّدهم بها" (٣).

تحليل الاستنباط:

والطريق هنا هو الأخذ من معنى النَّكَالِ؛ إذ إنه اسمٌ لما نكَّلتَ به غيرك، أي: عاقبته، قال مُصْطَفَى دَرْوَيْش (ت: ١٤٠٣هـ): "وسمِّي العقاب نكالاً لأنه يمنع غير المعاقب أن يفعل فعله، ويمنع المعاقب أن يعود إلى فعله الأول" (٤)، كما أن الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦) حرف عطفٍ، و(موعظةً) عطفٌ على (نكالاً) (٥)، فيكون المتقون داخلين مع الذين أُحِقَّ بهم العقاب من حيث الاتعاظ والعبرة فقط دون العقاب.

(١) سورة البقرة: آية (٦٦).

(٢) جواهر الأفكار (٢٢٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١/٤٤٤).

(٤) إعراب القرآن وبيانه: مصطفى درويش (١/١١٨).

(٥) إعراب القرآن: للنحاس (١/٥٩)، وإعراب القرآن وبيانه: مصطفى درويش (١/١١٩).

٤٣ - قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤) (١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "إن التشديد في السؤال والتعنت فيه موجبٌ للتشديد في التكليف ، ولهذا نحانا الله عنه بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ ﴾ (٢) ، ويبين تعالى عاقبة التشديد في السؤال والتعنت فيه في هذه الآية بما هو غني عن الإيضاح " (٣) .

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالعقاب بقسوة القلب جاء نتيجةً للتعنت في السؤال ، وهذا يُعلم من نصِّ الآية ومن سياق الآيات .

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط يظهر هنا من خلال النظر للآية في سياقها ؛ فقد جاء الحديث عن قسوة قلوبهم بعد ذكر تعنتهم وتشددهم في السؤال في قصة البقرة، فاستمرار بني إسرائيل في التعنت والتشدد في السؤال عن أوصاف البقرة التي ذكرها لهم نبيهم موسى (عليه السلام) ، وتشديد الله عليهم، أورثهم قسوة في قلوبهم حتى أصبحت كالحجارة أو أشد قسوة منها؛ فالعقاب بقسوة القلب جاء نتيجةً للتعنت في السؤال، وهو من التعنت والتشدد البغيض المورث للقسوة ، مع ما فيه من إصرارهم في الاستيضاح والاستفهام .

(١) سورة البقرة: آية (٧٤) .

(٢) سورة المائدة: آية (١٠١) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٢٧ - ٢٢٨) .

تحليل الاستنباط:

أما الطريق الذي سلكه ابنُ بَدْران - رحمه الله - هنا فهو النظر لسياق الآية ، ثم الإتيانُ بـ "ثمَّ" الدالة على الترتيب مع التراخي^(١) ، مما يدلُّ على الصِّلة بين هذه الآية وما قبلها ؛ فإنه لما ذُكرت الآيات السابقة ما كان من التَّعَنُّتِ في قصة البقرة، جاء الحديث عن قَسْوَةِ قلوب بني إسرائيل بعدها بحرف العطف (ثُمَّ) الدالُّ على الترتيب والتراخي ، فكانت قَسْوَةُ قلوبهم نتيجةً للتَّعَنُّتِ في السؤال ، قال الألويسيُّ (ت: ١٢٧٠هـ) : ﴿ ثُمَّ قَسَمَتْ ﴾ عطفًا على مضمون جميع القصص السابقة والآيات المذكورة^(٢) .

كما أنَّ للنصوص دَوْرَها في استخراج هذا الاستنباط ؛ فقد جاء عنه (ﷺ) : "ذروني ما تركتم ، فإنما هلك الذين قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نُهِيتُكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"^(٣) . فالتنطُّع في الدين والإلحاف في السؤال مما يُفْضِي إلى التشديد في الأحكام .

(١) انظر: المُوجَز في قواعد اللغة العربية: لسعيد الأَفْغَانِي (٣٩٢) ، ومختار الصَّحاح: للِرَّازِي (١/ ٥٠) ، وتاج العروس: لمرتضى الزَّيْدِي (٣١/ ٣٦١) .

(٢) روح المعاني (١/ ٢٩٥) .

(٣) صحيح البُخَارِي (٩/ ٩٤) ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله (ﷺ) ، حديث رقم (٧٢٨٨) ، وصحيح مسلم (٢/ ٩٧٥) ، كتاب الحج، باب فرض الحج مرَّةً في العمر، حديث رقم (١٣٣٧) .

٤٤ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "يبين تعالى في هذه الآية أن من الحجارة ما يتردى من الموضع العالي الذي يكون فيه، فينزل إلى أسفل ، وهؤلاء الكفار مصرّون على العناد ، فلا يهبطون من علوّ تكبرهم وعنادهم إلى الخضوع والانقياد ، فالحجارة أحسن حالاً منهم ، وكذلك من الحجارة ما يتفجّر منه الأنهار ، وإنّ منها لَمَا يَشَقُّ فيخرج منه الماء المحيي للأرض ، والمخرج منها أنواع النبات والثمرات، وقلوب هؤلاء قد طبع الله عليها بكفرهم، فلاتتفجّر منها ينابيع الهداية ، ولا تخرج منها الحكمة التي تحيي النفوس كما يحيي الماء الأرض، فلا يزالون هم ومن كان على شاكلتهم في عمى وضلالٍ وغيّ لا يُرَجى زواله" (٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالاستنباط هو توضيح وتبيين لما ورد في الآية من التشبيه والتمثيل، وهذا مما يعرفه أهل اللغة من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

وصف الله حال بني إسرائيل بعد أن رأوا من آياته التي آتاها موسى (عليه السلام) ما رأوا، كأنفجار الماء ورفع الجبل ، ومسحهم قردةً وخنازير ، وإحياء القتيل ، إلى غير ذلك ، وصفهم بقساوة القلوب، فهي كالحجارة أو أشدّ منها قسوةً، فلا أثر فيها لعبرة ولا عظة؛ فقد فقدت التأثير والانفعال ، وإنّ من الحجارة ما يتأثر فيشقه الماء الذي يسيل أنهاراً وجداول وعيوناً ، ومنها ما ينحطّ من أعلى الجبل من خشية الله ، أما هذه القلوب فلم تتأثر بالعظات والعبر، ولم تستطع تلك النذر أن تشقّها وتنقذ إلى أعماق الوجدان فيها،

(١) سورة البقرة: آية (٧٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٢٧ - ٢٢٨).

وصارت لا تمزُّها الآيات الكونية الرهيبة التي أظهرها الله على يد نبيه، فقد كانوا مع كلِّ ما يرونه لا يزدادون إلا عنادًا وعتوًّا في الأرض وفسادًا .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا كان النظر للتشبيه والتمثيل في الآية ؛ حيث إنَّ التشبيه واضحٌ بيّن، قال الألويسي (١٢٧٠هـ): "﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ القسوة في الأصل اليُبْسُ والصَّلابة ، وقد شُبِّهَتْ هنا حال قلوبهم - وهي نُبُوها عن الاعتبار- بحال قَسْوَةِ الحجارة في أنها لا يجري فيها لطف العمل، ففي ﴿قَسَتْ﴾ استعارة تبعيَّة أو تمثيلية" (١).
والتشبيه هو أسلوبٌ يدلُّ على مشاركة أمرٍ لأمرٍ آخر في صفته الواضحة (٢) ، فلما شُبِّهَتْ قلوب بني إسرائيل بالحجارة كان المعنى اشتراك المشبه وهو قلوب بني إسرائيل مع المشبه به وهو الحجارة في صفة مشتركة بينهما ، هي القسوة والغلظة .

(١) روح المعاني (١/ ٢٩٤) .

(٢) انظر تعريف التشبيه في كل من: التعريفات: للجرجاني (٥٨) ، ومعجم مقاليد العلوم: للسُّيوطي (٩٩) ، والتوقيف: للمناوي (٩٧) ، والكليات: لأبي البقاء (٢٧٠) .

٤٥ - قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) .^(١)

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ولما ذكر تعالى ما كان من قبيح من سلف من بني إسرائيل قبل نزول الكتاب العزيز، شرح هنا قبائح أفعال اليهود الذين كانوا وقت نزول القرآن العظيم، وذلك لمقاصد، منها: الدلالة بها على صحة نبوة محمد (ﷺ)؛ لكونه كان أمياً لا علم له بشيء منها إلا بطريق الوحي، ومنها: تعديد النعم على أسلافهم، ومقابلتهم كل نعمة منها بالكفران، ومنها: تحذير أهل الكتاب الموجودين حين نزول القرآن من نزول العذاب عليهم كما نزل بأسلافهم من قبل، ومنها: الاحتجاج على المشركين من العرب المنكرين للحشر والنشر"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من تعداد قبائح أفعال اليهود في الآية مقاصد ودلائل كثيرة، وهي ما ذكره ابن بدران في هذا الاستنباط، وهي من الدلائل اللازمة غير المقصودة قصداً أولاً، حيث لم يُسَقِّ الكلام من أجلها، ولكنها مرتبطة بالمعنى الذي سيقت الآية لإفادته .

وجه الاستنباط:

بعد أن بيّن الله سبحانه حال أسلاف اليهود المعاصرين لرسول الله (ﷺ) بأنهم كفروا بالله وبأنعمه، وقتلوا الأنبياء، وعصوا الله، وتجاوزوا حدوده، وقسّت قلوبهم من بعد ما رأوا الآيات، بعد ذلك يبلغ الله سبحانه رسوله (ﷺ) والمؤمنين ما كان من تحريف اليهود للتوراة، فيظهر لنا هنا الحكمة فيما رواه لنا عن بني إسرائيل وعن قصصهم، وكيف أتعبوا أنبياءهم، وكيف عصوا ربهم، وكيف قابلوا النعمة بالمعصية، والرحمة بالجحود، وكأنه يُحذّر بهذا أهل الكتاب من أن يسيروا على ما ساروا عليه، مما يدل على صحة نبوته (ﷺ) .

(١) سورة البقرة: آية (٧٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٢٨) .

تحليل الاستنباط:

والطريق الذي سلكه ابنُ بَدْران -رحمه الله- مأخوذٌ من سياق الآية؛ إذ لما انقضى المقطع السابق في السورة في تذكير بني إسرائيل بأنعم الله عليهم ، وجُحُودِهِمْ لهذا الإنعام المتواصل، واستعراض مشاهد الإنعام والجحود، بعضها باختصارٍ وبعضها بتطويل، وانتهى هذا الاستعراض بتقرير ما انتهت إليه قلوبهم في نهاية المطاف من قسوةٍ وجفّافٍ وجَدْبٍ أشدَّ من قسوة الحجارة وجفّافها وجَدْبها ، يأخذ السياق في التوجُّه بالخُطاب إلى الجماعة المُسلمة؛ يحدثها عن بني إسرائيل ووسائلهم في الكيد؛ ويجدِّرها كيدهم على ضوء تاريخهم ، فلا تنخدع بأقوالهم ودَعَاوَاهُمْ و وسائلهم الماكرة في الفتنة والتضليل ، ويُبَصِّر أهل الكتاب الموحودين وقت نزول الكتاب بما حلَّ بأسلافهم حين قابلوا نِعَمَ الله بالكفران ، ويُجدِّرُهُمْ من نزول العذاب بهم كما نزل على مَنْ قبلهم .

٤٦ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلّ ظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ باعتبار الضمير العائد إلى كلام الله، أنّ التحريف كان للفظ؛ لأنّ كلام الله إذا كان باقياً على جهته وغيروا تأويله، فإنما يكونون مغيّرين لمعناه، لا لنفس الكلام المسموع" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية لم تنصّ على نوع التحريف، لكنّها أشارت إلى التحريف اللفظي، مما يدلّ على أنّها من الإشارات الدقيقة غير المقصودة من النصّ أصالة وإنما فُصِدَتْ تبعاً، بدلالة الضمير العائد إلى كلام الله تعالى .

وجه الاستنباط:

حمّل التحريف على تغيير اللفظ هنا أولى من حملة على تغيير المعنى؛ لأنّ التحريف في الآية إنما هو لكلام الله تعالى، وكلام الله هو اللفظ المسموع؛ إذ إنّهم لو غيّرُوا تأويله وتفسيره لكانوا مغيّرين لمعناه، لا للكلام المسموع، ففي الآية إشارة إلى التحريف اللفظي، فقد كان بعض اليهود والنصارى يقومون بتبديل بعض النصوص بنصوص تتلاءم مع مصالحهم وأهوائهم، أو لأجل إخفاء بعض الحقائق، كالتبشير بنبوة النبيّ محمد (ﷺ) وبعثته .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران في هذا الاستنباط قائم على مرجع الضمير ي قوله تعالى: (يحرّفونه) فهو عائد على كلام الله، وهذا يعني أنّ التحريف كان للفظ المسموع لا لمعناه فقط .

(١) سورة البقرة: آية (٧٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣١).

فالتحريف إما أن يكون في اللفظ أو في المعنى ، فمنهم من قال: إن التبديل والتغيير وقع في المعاني ، وهذا هو ما وقع الإجماع عليه^(١) ، ولم يُنكره أحد، قال الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): "تحريفهم المعاني لا يُنكر ، بل هو موجودٌ عندهم بكثرة"^(٢) .
ومنهم من قال: إن التبديل والتغيير وقع في المعاني دون الألفاظ^(٣) ، وهو قول لا يُسَلَّم به؛ لأنه قد وُجد فيها من الألفاظ ما لا يجوز أن يكون من كلام الله، إضافةً إلى ما فيها من التناقض والتضارب في نصوصها، وقد ذكر ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) في كتابه الفصل^(٤) كثيراً من هذه التناقضات الظاهرة ، والتي تؤكد وقوع التحريف في ألفاظها .
والتحريف لفظاً لا يمكن لأحدٍ أن يجزم بنفيه ، كما يُحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها ؛ فإنهم كثيراً ما يضطربون في الترجمة ويختلفون في معناها^(٥) ، قال أحمد السَّقَا: "أما عن الفروق بين التوراة السامريّة والتوراة العبرانيّة فإنها كثيرةٌ جداً في الألفاظ والمعاني"^(٦) ، وهذا يُخرِجنا بنتيجة وهي: أن هذه الترجمة لا يمكن أن تكون مطابقةً للأصل الذي نُقلت منه، فلاشك أنّ العقل السليم يجزم بوقوع التغيير والتبديل في ألفاظها ، فالتحريف وقع في المعاني والألفاظ، وهذا قالت به طائفةٌ من العلماء^(٧) ، وهو الصحيح.

-
- (١) وهو ما حكى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع في كتابه الجواب الصحيح (٥/ ١٢٣) ، وقال أيضاً (٢/ ٤١٩): "ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير".
(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٢٤) .
(٣) وإلى هذا ذهب الإمام البخاري في صحيحه (٩/ ١٦٠)، حيث قال: (يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ، وليس أحدٌ يزِيل لفظاً كتابٍ من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحَرِّفُونَهُ: يتأولونه على غير تأويله" ، واختاره الرّازي في تفسيره (٣/ ٥٦٠) .
(٤) الفصل (١/ ٩٥)
(٥) انظر: الجواب الصحيح: لابن تيمية (٥/ ١٢٥) .
(٦) مقدمة التوراة السامرية: لأحمد السَّقَا (٣٠) ، وقد ذكر في آخر التوراة أهم الفروق (٣٤٧- ٣٩٤) .
(٧) ومن القائلين بالتحريف اللفظي: الشُّوكَايُ في فتح القدير (١/ ٥٤٨) ، والألُوسِيُّ في روح المعاني (٣/ ٤٦) .

٤٧ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَنَحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ومن الأحكام التي تستنبط من هذا الآية: أن الحِجَاجَ^(٢) والنظر كان طريقة الصحابة والمؤمنين ، وأن ذلك كان ظاهراً عند اليهود ، حتى قال بعضهم لبعضٍ ما قالوا " (٣) .

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية واضحة الدلالة على أن الحِجَاجَ كان موجوداً بين الطرفين بنصّ الآية ، وهذا ظاهر من سياق الآية .

وجه الاستنباط:

هؤلاء اليهود إذا لقوا الذين آمنوا قالوا بلسانهم: آمنا بدينكم ورسولكم المُبَشَّرَ به في التوراة ، وإذا خلا بعض هؤلاء المنافقين من اليهود إلى بعضٍ قالوا في إنكارٍ: أتحدِّثون المؤمنين بما بيّن الله لكم في التوراة من أمر محمد؛ لتكون لهم الحُجَّةُ عليكم عند ربكم يوم القيامة، مما دلَّ صراحةً على أن الحُجَّةَ معروفةً عند الطرفين ؛ بدليل قول اليهود.

تحليل الاستنباط:

طريقة ابن بَدْران - رحمه الله - في استنباط هذا المعنى مأخوذاً من صريح الآية؛ فقد صرَّح اليهود على أن الحُجَّةَ موجودةٌ ومعروفةٌ لدى الصحابة؛ بقولهم لمن أخبر بأمر محمد (ﷺ) وأن أمره موجودٌ لديهم في التوراة بأنَّ المؤمنين سيُقيَّمون عليهم الحُجَّةَ بما

(١) سورة البقرة: آية (٧٦ - ٧٧) .

(٢) مصدر احتج ، والحُجَّةُ: البرهان، وقيل: الحُجَّةُ ما دُوِّفِعَ به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّةُ: الوجه الذي يكون به الظفر عند الحُصومة، والحُجَّةُ بالصَّم: مصدر بمعنى الاحتجاج والاستدلال . انظر: لسان العرب: لابن منظور

(٢ / ٢٢٧) ، ومعجم اللغة العربية: لأحمد مُخْتَار (١ / ٤٤٥) ، وتاج العروس: للزَّيْدِي (٥ / ٤٦٨) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٣٦) .

قالته ألسنتهم ، وصيغة المفاعلة في ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ﴾ ليس المقصود بها حصول الفعل من جانبين ، بل هي لتأكيد الاحتجاج^(١)، لما للحجّة من أثر مهم ودور فعّال في إثبات المدّعى على الخصم ، وكونها معلومةً معروفةً عند كلا الطرفين واضحٌ من التأكيد .

(١) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١/ ٥٧٠) .

٤٨ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ومن الأحكام التي تُستنبط من هذا الآية: ... أَنَّ الآتي بالمعصية مع العلم بكونها معصيةً يكون أعظمَ جُرمًا ووزراً"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : حيث يلزم من فعلهم هذا أنه أعظم جرمًا ووزراً ، حيث اجتمع مع كتمان الحق العلم به ، فسياق الآية لا يدل على هذا الحكم ، وإنما هي من إشارات الآية غير المقصودة من النصّ، ولكنها مرتبطة بمعنى الآية الذي سيقت الآية لإفادته .

وجه الاستنباط:

كتمان هؤلاء المنافقين من اليهود الحقّ الذي كانوا يجدونه بين أيديهم، خشية المُحاجة والمواجهة به من قِبَل النبي (ﷺ) ومن آمن معه يُعد معصيةً وجُرمًا عظيمًا؛ لأنهم يعلمون أن ما يفعلونه كذبٌ ونفاقٌ وكتمانٌ للحق الذي يجدونه مكتوباً ومصريحاً به في كتبهم، فاجتمع مع الكتمان والكذب علمهم بصدق نبوة محمد (ﷺ) ، فيكون هذا منهم عناداً وإصراراً ، وهم يعلمون قدر ما يفعلونه من حيث البشاعة والجرم ، فيكون جُرمهم هذا مع العلم به أعظم جرمًا؛ لأن المعصية إذا وقعت من عالم كانت أقبح وأسوأ

تحليل الاستنباط:

كان طريق ابن بَدْران هنا مأخوذ من قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ، فَعِلِمَ منها أن القوم كانوا عَالِمِينَ بما صدر منهم من نَهْيٍ ولومٍ لإخوانهم، ووصفهم بأنهم لا يعقلون كما يعقلون هم مصلحة كِتْمَانِ نبوة محمد (ﷺ) ، ولذا فإنهم أشدُّ جُرمًا من الجاهلين ،

(١) سورة البقرة: آية (٧٦) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٦).

حيث إنّ العالم يترتب عليه ما لا يترتب على غيره ، قال النَّسْفِي^(١) (ت: ٧١٠هـ): "ولذا كان الذَّمُّ للعاصي العالم أشدَّ من العاصي الجاهل؛ لأن المعصية من العالم أقبَح" ^(٢) .
 كما أن معرفة الحق بعد الجهل به ثم كتمانَه يُعدُّ جُرْماً آخر للقوم الجاهلين، حيث إنّ الجهل قد زال عنهم ، وهذا يُعلِّم من قوله: ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ﴾، قال النَّسْفِي في هذا:
 "ليجادلوكم ويخاصمؤكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة، يقولون: كفرتم بعد أن وقفتم على صدقه"^(٣)، فوقفهم على صدقه بعد أن كانوا غير عالمين يُعدُّ أعظم جُرْماً وبشاعةً من الجهل بالحكم .

(١) عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، الحنفي (حافظ الدين، أبو البركات) فقيه، اصولي مفسر، متكلم ، من تصانيفه: عمدة العقائد في الكلام وشرحها وسمها الاعتماد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير، منار الانوار في اصول الفقه . انظر ترجمته: معجم المؤلفين: لعمر كحالة (٦ / ٣٢) .
 (٢) مدارك التنزيل (٣ / ٢٩) .
 (٣) المرجع السابق (١ / ١٠٣) .

٤٩ - قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا لَا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ولما ذمَّ الله تعالى من لا يعلم، عُلِمَ أنَّ المعارف كسبيةً لا ضرورية" (٢).
نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح: حيث يلزم من ذم من لا يعلم أن تكون المعارف والعلوم مكتسبة بالتعلم، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود قصداً أولياً .

وجه الاستنباط:

لما كان من أهل الكتاب أناسٌ أمِّيون لا علم لهم بما في الكتاب من أوامر ونواهٍ ، وكانت هناك طائفة ممن استثنى الله كانوا على علمٍ ومعرفةٍ بما ليس عند بعضهم ، عُلِمَ أن هذه المعارف الموجودة عند بعض اليهود دون غيرهم إنما هي مُكْتَسَبَةٌ ، اكتسبوها بالنظر والاستدلال ، فَعُلِمَ أن المعارف لا تقع ضرورة ، ولا تتولَّد اضطراراً دون تعلُّم .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران هنا هو النظر إلى أن الله تعالى أجرى العادة بحصول المعرفة عند النظر والاستدلال، كما أجرى العادة بذلك بحصول الطعم عقِبَ الذوق، ولم يجز أن يقال: إن الطعم يحصل بغير ذوق، ولأنَّ الله تعالى حثَّ على النظر والاستدلال، فلولا أن العلم إنما يقع به لما كانت فيه فائدة، فكان القول بأن المعارف كسبيةً لا ضروريةً ، تحصل بالاستدلال والنظر، ولا تتولَّد اضطراراً دون نظرٍ واستدلالٍ، هو الموافق للعقل والفتنة ، قال أبو يعلي (ت: ٤٥٧هـ): "هي كسبيةٌ مختارة للعبد ، وموهبةٌ من الله تعالى ، ولا تقع ضرورة " (٣) .

(١) سورة البقرة: آية (٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٧) .

(٣) العُدَّة في أصول الفقه (٤ / ١٢٢١) .

٥٠ - قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا لَيُظُنُّونَ﴾ (٧٨) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "يؤخذ من أحكام هذه الآية: أن الاكتفاء بالظن في أصول الدين غير جائز" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فوصف أهل الكتاب ودمهم لاتصافهم بالظن في الدين يلزم منه أن ذلك الوصف مما لا يجوز في أصول الدين ، وهذا المعنى غير مقصوداً باللفظ في الأصل ، وإنما قصد تبعاً .

وجه الاستنباط:

لما ذكر سبحانه أهل الكتاب في معرض الذم ، ووصفهم بصفات الجهل والظن في أصول الدين ، علم أن الظن وعدم اليقين في أصول الدين غير جائز؛ لأن أصول الدين لا تُبنى على أساس ظني؛ حيث إنها تتضمن وتتطلب عقد القلب وإذعانه بما يؤمن به ، وهذا ما لا يستطيع الدليل الظني توفيره، فإنما هو نظرٌ واجتهادٌ يفيد الظن ولا يفيد العلم القطعي الثبوت، والعقيدة مبنية على القطع لا على الظن، وهي منصوصٌ عليها، ولا يجوز في أصولها الاجتهاد البتة، وعلى هذا فإن الآية واضحة الدلالة في النهي عن اتباع الظن .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا هو الاعتماد على بعض النصوص الدالة على أن الظن في أصول العقيدة لا يجوز ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦) (٣) ، إلى غير ذلك من

(١) سورة البقرة آية (٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٣) سورة يونس: آية (٦٦) .

الآيات^(١) التي تُؤكِّدُ على ضرورة المعرفة والعلم اليقينيِّ ، وتنفي حُجِّيَّةَ الظنِّ مُطلقاً نفيّاً كلياً ، وتُوبِّخُ الذين يبنون عقائدهم وأفكارهم ومواقفهم على ظنونهم ، وجميعها تُرشدُ إلى حكم العقل ، الذي يدرك أن الظنَّ كالشكِّ لا قيمة له ، ولا يعني من الحق شيئاً .

يقول الجُويِّيُّ (ت: ٤٧٨هـ): "ولسنا على قطعٍ في ذلك ؛ فإننا لا نُثبِتُ أصول الشريعة إلا بمسندٍ قطعي ، فما قطعنا به أثبتناه ، وما غلب على ظنِّنا تردَّدنا فيه وألحَقناه بالمظنونات" ^(٢) .

(١) سورة الأنعام: آية (١٤٨ / ١١٦) .

(٢) البرهان في أصول الفقه (٢ / ١٨٦) .

٥١ - قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا لَآيِظُنُونَ﴾ (٧٨) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "إن التقليد لا يُعدُّ علماً؛ لأنه أخذ قول الغير بلا دليل (٢)، ومثل هذا لا يليق أن يكون متصيفاً بالعلم أصلاً؛ لأن هذه طريقة العوام" (٣).

نوع الدلالة: دلالة الإشارة.

التوضيح: فذم المقلدون في الآية يلزم منه كون التقليد بلا دليل من التقليد المخالف الذي لا يليق بالعالم أن يأخذ به، وهذه إشارة دقيقة غير مقصودة أصالة.

وجه الاستنباط:

لما ذم الله تعالى الأميين الذين لا يعلمون فقه الكتاب، ولكنهم يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم، ولا سبيل لهم إلا التقليد، تبين من هذا كون التقليد الخارج عن الضوابط الشرعية تقليداً خاطئاً، يُنبئ عن جهل المقلد، وأخذة أقوال غيره من العلماء دون دليل يستند إليه، بالإضافة لاعتماده على من لا يؤمن كذبه.

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا هو الأخذ من سياق الآيات، والتوبيخ لمن قلّد من اليهود، حيث إنّ هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم، فلا سبيل لهم إليه إلا سبيل علمائهم، فذمهم - جلّ وعلا - بتقليدهم والقبول من علمائهم، على الرغم من أن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب، وأكل الحرام، وتغيير الأحكام عن واجبها، وعرفوهم بالتعصّب الشديد، وأنهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه، فلذلك ذمهم الله لما قلدوا من عرفوه، علموا أنه لا

(١) سورة البقرة: آية (٧٨).

(٢) التقليد: أخذ قول الغير بلا دليل. انظر: الصّحاح: للقرّابي (٢/ ٥٢٧)، ومقاييس اللغة: لابن فارس (٥/

١٩)، ومعجم الفروق اللغوية: للعسكري (١/ ٣٧١)

(٣) جواهر الأفكار (٢٣٧ - ٢٣٨).

يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ﷺ) ؛ إذ كانت دلائل رسالته أوضح من أن تخفى .

إذا فالطاعة وإن كانت للعلماء إذا كانوا غير مستحقين للاتباع كما في الآية السابقة، أو إذا كانت من غير بصيرة وعلم ، ومسوّغٍ عقلي وشرعيّ تُعدُّ تقليداً سلبياً ومذموماً في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة .

فالتقليد والرجوع إلى العلماء والمراجع يعتبر تقليداً سلبياً ومذموماً لدى البعض في بعض الحالات، وما المشاكل والخلافات والحروب التي نراها بين أتباع بعض المرجعيّات الدينية إلا بسبب هذا التقليد السلبي؛ إذ لو كان التقليد يتم على أسس شرعية صحيحة، ويُمارس أيضاً بكيفية شرعية صحيحة لما حدثت بسببه كل هذه الخلافات والمشاكل، وما نراه من تعصّب بعضهم وتهكّمه على الآخرين - من المرجعيّات الأخرى أو من أتباعهم - ما هو في الحقيقة إلا نتيجة جهلٍ وتعصّبٍ أعمى وتقليدٍ مذموم؛ إذ لا يمكن أن يكون ذلك نتيجةً لتقليدٍ شرعيّ مُستندٍ إلى أسس شرعية صحيحة متينة .

فعندما لا يعرف المُقلِّد الحدود والموارد التي يجب عليه أن يقلّد فيها المجتهد؛ فلا بد أن يقع في التقليد السلبيّ المذموم؛ لأنّ هناك موارد لا يصحُّ فيها التقليد، ومَنْ يُقلِّد فيها فهو بالتأكيد سيكون داخل دائرة التقليد المذموم .

فإذا تبين أن المُقلِّد مذمومٌ كالذي يترك طاعة رسل الله تعالى ، ويتبع ساداته وكبرائه، أو يتبع الرسول ظاهراً من غير إيمانٍ في قلبه تبين أن المقلِّد ضالٌّ لنفسه ومُضِلٌّ لغيره ؛ لأنه يقلّد عن جهلٍ ، قال ابن تيميّة - رحمه الله - : "ومن ترك النقل المصدّق عن القائل المعصوم واتبع نقلاً غير مصدّقٍ عن قائلٍ غير معصومٍ فقد ضلّ ضلالاً بعيداً " (١) .

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٣٣) ، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ١٢٥) .

٥٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا لَيُظُنُّونَ﴾ (٧٨) (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وإن المُضِلَّ وإن كان مذموماً ، فالمعترُّ بإضلال المُضِلِّ أيضاً مذموماً، لأنه تعالى ذمَّهُم وإن كانوا بهذه الصفة" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : حيث يلزم من ذم المُضِلِّ ذم المعترِّ بإضلال المُضِلِّ ، وهذا مما لا يدل عليه السياق وإنما هي من إشارات الآية الدقيقة .

وجه الاستنباط:

لما ذكر سبحانه في هذه الآيات علماء أهل الكتاب وعوامِّهم ، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوامُّ مقلِّدون لهم، لا بصيرة عندهم ، عُلمَ من سياق الآية الذمُّ لكلا الطرفين ، ففي هذه الآية ذمُّ للعوامِّ من اليهود الذين يتبعون أحبارهم دون علمٍ وإطلاع على ما في الكتاب ، وهذا من قبيل أتباع الضَّالِّ المُضِلِّ .

تحليل الاستنباط:

وطريقتهُ ابنُ بدران في استنباط هذا المعنى هو دلالة سياق الآية ومعناها؛ حيث وصفهم الله تعالى بأنهم في تحرُّصهم يظنون أنهم مُحَقَّقُونَ، وهم مُبْطَلُونَ؛ لأنهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأحبارهم أموراً حَسِبُوهَا من كتاب الله، ولم تكن من كتاب الله، فوصفهم جلَّ ثناؤه بأنهم يتركون التصديق بالذي يوقنون به أنه من عند الله مما جاء به محمد (ﷺ)، ويتبعون ما هم فيه شاكُّون ومُرتَابُونَ، مما أخبرهم به كُبرائهم ورؤسائهم وأحبارهم عناداً منهم لله ولرسوله ، واغتراراً منهم بإمهال الله إيَّاهم، فحصل من هذا أنه لا عُذْرَ لمن ضلَّ بإضلال غيره له ، ولا ينفعه أنه ضلَّ بتقليده لغيره.

(١) سورة البقرة: آية (٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٨) .

٥٣- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "أشار إلى قُبْحِ هذا الكذب وبعْدِ رُتْبَتِهِ فِي الخَبْثِ بـ (ثُمَّ) المفيدة للتَّراخي"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّصِّ .

التوضيح : فنصَّت الآية على ذمِّ الكذب ، كما دلت (ثُمَّ) على قبح هذا الكذب وشدته ، وهذا يعلمه كل من يعرف هذا اللسان من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

ذكر سبحانه أنَّ الأُميين الذين وصفهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله على موسى شيئاً ، وأنهم يتخرَّصون الكذب ويتخرَّصون الأباطيل كذباً وزوراً ، ومن أكاذيبهم الكذب على الله ورسوله ، والذي هو أشدُّ أنواع الكذب ، ويدلُّ على ذلك مجيء أداة التَّراخي (ثُمَّ) إشارةً إلى قُبْحِ هذا الافتراء وشدته .

تحليل الاستنباط:

أما طريقة ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى فكانت بالنظر في أداة التراخي (ثُمَّ) ، التي إذا عطف الجمل أفادت معنى التَّراخي في الرُّتبة^(٣) ، أي: بعد مرتبة المعطوف من مرتبة المعطوف عليه ، بعد كمالٍ وارتفاع شأن .

فلما كانت الكتابة متضمنةً لقول الله وأقوال من عند أنفسهم زائدةً عليه صار تقديمها أبلغ ؛ لأنها كذبٌ باللسان وباليد ، أما القول فهو كذبٌ باللسان فقط ، ولأنَّ كلام اليد يبقى رسمه ، والقول يضمحلُّ أثره ، وفي هذا تقييحٌ لفعالهم، إذ لم يكتفوا بأن

(١) سورة البقرة: آية (٧٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٨) .

(٣) النحو الوافي: لعباس حسن (٣/ ٥٧٦) ، .

يأمرُوا بالاختلاق والتغيير، حتى كانوا هم الذين تعاطوا ذلك بأنفسهم، واجترأوه بأيديهم .

قال الطَّبْرِيُّ (ت: ٣١٠هـ) : " إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَلِي كِتَابَةَ الْكُذْبِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ بِأَيْدِيهِمْ، عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ وَعَمْدٍ لِلْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ تَنَحَّلَهُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - ، تَكْذِبًا عَلَى اللَّهِ وَافْتِرَاءً عَلَيْهِ" (١) .

(١) جامع البيان: للطَّبْرِيِّ (٢/ ٢٧٢) .

٥٤ - قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي هذه الآية بيان لما شرف به كتابنا من أنه لإعجازه لا يقدر أحد أن يأتي من عنده بما يدسه فيه ، فيلبس به ، فله تعالى الحمد والمنة" (٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو وقوع التحريف في كتب أهل الكتاب، والحكم المسكوت عنه هو حفظ الله للقرآن الكريم من التحريف ، وهذا المفهوم مغاير ومخالف لما يفيد اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

لما ذكر - جلَّ وعلا- تحريف اليهود لكتابهم في هذه الآية ، عُرف من ضده معجزة حفظ القرآن الكريم، وحماية الله له من التحريف ، وصيانته عبر الأزمان من عبث الأيدي به؛ ليبقى ما فيه حجةً لله على الناس قائمةً حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
أما التوراة فلم يتعهد الله سبحانه بحفظها ، كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم، فتطرقَّت إليها أيدي العابثين حسداً وفساداً ، كما دلَّت عليه الآية هنا .

تحليل الاستنباط:

وعليه فقد اعتمد ابن بدران - رحمه الله - في استنباطه على نكته بلاغية متعارف عليها ، وهي مفهوم المخالفة ومعناه: أن يكون المفهوم من الكلام مخالفاً للمنطوق في دلالاته ، فالحكم المنطوق في الآية هو وقوع التحريف في كتب أهل الكتاب ، والحكم

(١) سورة البقرة: آية (٧٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٨).

المسكوت عنه والمفهوم بطريق المخالفة هو حفظ الله للقرآن الكريم من التحريف والتبديل، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .
وعليه فالقرآن الكريم هو الكتاب السماويُّ الوحيد الذي تعهّدت المشيئة الإلهية ببقائه مصُوناً من تلاعب أهل الأهواء به ، ومن تحريفهم له حيثُ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة: الحجر: آية (٩) .

٥٥ - قوله: ﴿قَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبْتَ آيَاتِهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وأشارت الآية إلى أن كسبهم هذا في غاية الرداءة؛ لأنهم ضلُّوا عن الدين وأضلُّوا ، وباعوا آخرتهم بدنياهم ، فذنبهم أعظم من ذنب غيرهم ؛ فإن المعلوم أن الكذب على الغير ممَّا يضرُّ بعظمِ إثمِه ، فكيف بمن يكذب على الله ويضمُّ إلى الكذب الإضلال ، ويضمُّ إليهما حُبُّ الدنيا والاحتيال في تحصيلها ، ويضمُّ إليها أنه مهَّد طريقاً في الإضلال باقياً على وجه الدهر؟! فلذلك عَظَّمَ اللهُ تعالى ما فعلوه" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : إذ يلزم من التوعد على كسبهم أن يكون ذلك الكسب في غاية الرداءة، فمدلول الإشارة هنا لم يُسَقِ الكلام من أجله ، فهو من دلالات الآية غير المقصودة .

وجه الاستنباط:

في الآية أن اليهود حرَّفوا التوراة، وكتبوا الآيات المحرَّفة بأيديهم، ولم يكتفوا بذلك، بل ضمُّوا مع التحريف والكتابة المتاجرة والحصول على الكسب من وراء التحريف، فأخذوا بهذا الكذب أو الافتراء ثمناً دنيوياً حقيراً ، فكان هذا الكسب في غاية الرداءة والدناءة .

تحليل الاستنباط:

طريقُ ابن بدران - رحمه الله - هنا الأخذُ من تَكَرُّرِ الوعيد في الآية، فتكرُّرُ ﴿وَيْلٌ﴾

ثلاث مراتٍ في الآية، يدلُّ على شدة توبيخهم وتقريعهم وتقبيح جرماتهم، وبيان فظاعة ما أقدموا عليه ، وفي إعادة الويل في الكسب دليلٌ على أنَّ الوعيد كما يلحقهم بسبب الكتابة ، وإسناد ما كتَبُوهُ إلى الله ، فكذلك يلحقهم بسبب أخذ المال عليه ، كما دلَّ على تأكيد الزجر والوعيد على مَنْ كسب المال من وراء التحريف لكتاب الله ، وهذا في غاية الرداءة ؛ لكونه افتراءً في حق الله لا في حق البشر .

(١) سورة: البقرة آية (٧٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٨) .

٥٦ - قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لَّهْم مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩)^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي هذه الآية دليلٌ على أن أخذ المال على الباطل - وإن كان بالتراضي - فإنه محرّم؛ لأن الذي كانوا يعطونه من المال كان على محبةٍ ورضاً، ومع ذلك فقد نَبّه تعالى على تحريمه"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : إذ يلزم من توعدهم على ذلك الكسب أنه محرّم ، وهو من دلالة الإشارة غير المقصودة قصداً أولاً ولا سيقّت لها الآية ، ولكنها مرتبطة بالمعنى الذي سيق نصُّ الآية لإفادته .

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط في الآية الوعيد لمن اكتسب المال من وراء بيع التوراة المحرّفة بأيدي اليهود ، فهذه من المعاملات التي تكون بالتراضي بين الطرفين ، لكن فقدت صحّة مقاصد العقد ، فيكون الكسب هنا محرّم ؛ فحُرْمَةُ المال تكمن في كل ما يُكسب بطريق غير مشروع، والحلال والحرام مُرتبٌ بالأمر والنهي، ولا ارتباط له برضاً أو عدمه ، ويشتدُّ التحريم إن كان الغرض من هذا البيع إبطال حقّ أو إحقاق باطلٍ أو ظلمٌ لأحد كما هو القصد عند اليهود .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - مأخوذٌ من كون العبرة في الحلال والحرام مُرتبطةً بالأمر والنهي، ولا ارتباط لها برضاً أو غيره، يقول البقاعي: "فعرّف بذلك أنّ العبرة في الحلال والحرام بأمره ونهيه لا بإرادته"^(٣) ، فمؤدّي ذلك وغيره يُقرّر أنّ الرضا مع أهميته في تصحيح العقد لا يستطيع أن يُقيم عقداً لا يرضاه الشرعُ ، فالرضا ليس على إطلاقه،

(١) سورة البقرة: آية (٧٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٩) .

(٣) نظم الدرر (٧ / ٤٨٩) .

يقول الشَّاطِطِي^(١): "إِنَّ كُلَّ عَمَلٍ كَانَ الْمُتَّبِعُ فِيهِ الْهَوَى بِإِطْلَاقٍ مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ إِلَى الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ... فَهُوَ بَاطِلٌ بِاتِّفَاقٍ"^(٢) ، فَالْتَّرَاضِي عَلَى الْمَحْرَمِ لَا يَجْعَلُهُ مَبَاحًا حَلَالًا، فَلَا يَحِلُّ الرِّبَا وَلَوْ تَرَاضَى بِهِ كُلُّ النَّاسِ"^(٣) ، فَالرِّضَا لَيْسَ مَنَاطَ الْمَشْرُوعِيَّةِ وَحَدَّهُ، وَإِنْ كَانَ ضَرُورِيًّا فِي تَصْحِيحِ الْعَقْدِ الْمَشْرُوعِ ، فَالرِّضَا بِالْحَرَامِ لَا يَجْعَلُهُ وَلَا يَجْعَلُ التَّعَاقُدَ عَلَيْهِ حَلَالًا، يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "فَلَيْسَ كُلُّ مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُ صَاحِبِهِ يَخْرُجُ عَنِ الظُّلْمِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا كَرِهَهُ بِأَذَلُّهُ يَكُونُ ظُلْمًا"^(٤) ، فَالِاسْتِحْلَالُ^(٥) وَالتَّحْرِيمُ بِسُلْطَانِ الرِّضَا لَا يَجُوزُ ، وَقَدْ يَحْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِمَا أَعْطَتْهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءَ لِلنَّاسِ مِنْ حَرِيَّةٍ فِي إِنْشَاءِ عَقُودِهِمْ، وَاشْتِرَاطِ مَا شَاءُوا مِنْ شُرُوطٍ مَا تَرَاضُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَذَلِكَ مَاضٍ مَا لَمْ يَكُنْ تَعَاقُدُهُمْ أَوْ مَا تَصَالَحُوا عَلَيْهِ فِي مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ فَيَجْعَلُونَهُ حَلَالًا ، أَوْ أُجِلَّ لَهُمْ فَيَجْعَلُونَهُ بِذَلِكَ حَرَامًا، قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الرَّزْقِ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^(٦) ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ احْتِرَامَ أَمْرِ الشَّرْعِ وَاجْتِنَابَ نَهْيِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُقَدِّمًا عَلَى هَوَى النُّفُوسِ .

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللُّخْمِي الشَّاطِطِي، من شيوخه: ابنُ الفَخَّارِ البَيْرِي، وأبو جعفر الشَّقُورِي، وأبو سعيد بن لُبِّ ، ومن تلاميذه: أبو يحيى بن عاصم ، وأبو بكر بن عاصم ، وأبو عبد الله البَيَّانِي، ومن مؤلفاته: الاعتصام - ط ، والموافقات - ط ، والإفادات والإنشادات - خ . انظر ترجمته في: الأعلام: للزَّكَلِي (٧٥/١) .

(٢) الموافقات (٢/ ٢٩٥) .

(٣) انظر: الفروق: للقرَّاني (١/ ١٤١) .

(٤) مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٧٩) .

(٥) استنزال الشيء المحرَّم محلَّ الحلال . مرَّقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لمُلا على قاري (١٢/ ٤٢٠) .

(٦) سورة يونس: آية (٥٩) .

٥٧- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٠) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "هذا القول على كل حال جهلٌ منهم ، ولكن يُحتمل أن هؤلاء القوم كانوا على مذهب من سلف من الفلاسفة القائلين: "بأن الأرواح وإن صارت مكذّرة بأفعال الأشباح ، إلا أنها بعد المفارقة ورجوع العناصر إلى أصلها تصير إلى حظائر القدس ، ولا يُزاحمها شيءٌ من نتائج الأعمال ، إلا أياماً معدودةً بقدرِ فطام الأرواح عن لبان التمتعات الحيوانية ، ثم تتخلص من العذاب وترجع إلى حُسن المآب " وعلى هذا يكون الردُّ في الآية على كلِّ فريقٍ انتحل هذه النحلة ، واتّبع هذه البدعة" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح : حيث غلِمَ من قول اليهود - وهو في محل النطق - المشابهة والموافقة لقول الفلاسفة - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق في القول والاعتقاد على الفوز الأخرى وإن عُذِبَت الأرواح فإنها تكون لأيام معدودة فقط .

وجه الاستنباط:

يكشف الله تعالى فكر اليهود الذين يعتقدون أنهم كسبوا المال والجاه الدنيوي، وفازوا به، وأنهم لن يُعذَّبوا في الآخرة إلا عذاباً خفيفاً قصيراً ، ولذلك يفضح الله تبارك وتعالى معتقدَهُم الباطل ، وقد صرَّح ابن بدران رحمه الله - باحتمال أن يكون هؤلاء اليهود القائلين قد ساروا على فكر بعض الفلاسفة واعتقادهم بأن الأرواح بعد المفارقة لا يُزاحمها شيءٌ من نتائج الأعمال إلا أياماً معدودةً ، ثم ترجع إلى حسن المآب ، وهذا

(١) سورة البقرة: آية (٨٠) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٣٩) .

ليس من قول ومعتقد اليهود التي نزلت فيهم الآية ، فكلام ابن بَدْران - رحمه الله - كان تشبيهاً لقول اليهود بفكر بعض الفلاسفة .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران - رحمه الله - هنا كان إلحاقاً لقولٍ ومعتقدٍ بقولٍ ومعتقدٍ مشابهٍ له ، وقد كان قول اليهود متقدماً ، وما أخبر به ابن بَدْران - رحمه الله - عن الفلاسفة مُتأخراً ، فمن الممكن أن يكون مرتكز هذا المذهب الفلسفي وقاعدته هو قول اليهود السابق ، فمعظم المذاهب الفلسفية أو المعتقدات الفاسدة المنتشرة اليوم كان وراءها اليهود ، فابن بَدْران نبّهنا لهذه العلاقة التي نحس فيها بتدخل اليهود في بلورة هذا المذهب الفلسفي .

٥٨ - قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) .^(١)

الاستنباط:

قال ابن بدران: " ولكن لما كان من الجائز أن يُظنَّ أنَّ كلَّ سيئةٍ صغرت أو كبرت ، فحالتها سواءٌ في أنَّ فاعلها يُخلَّدُ في النار ، أزدفها بقوله: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ ؛ ليدلَّ على أن الذي يَسْتَحِقُّ به الخلود هو الذي تكون سيئته قد أحاطت به " (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح : حيث عُلمَ من إحاطة الخطيئة - وهو في محل النطق - أن استحقاق الخلود يكون لمن أحاطت به خطيئته - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق على خلود صاحبها في النار ، وعلى أنها هي حالة الكفر والشرك بالله .

وجه الاستنباط:

الإحاطة^(٣) مستعارة لعدم الخلوِّ عن الشيء واحتوائه؛ لأن ما يحيط بالمرء لا يترك له منفذاً للإقبال على غيره ، بحيث لا يوجد منفذاً للإفلات من الخطيئة ؛ لأنها محيطةٌ به، فكانت إحاطة الخطيئات هي حالة الكفر؛ لأنها تعلوا على جميع الخطايا وتحيط بها ، فلا يعتبر مع الكفر عملاً صالحاً، فلا تكون السيئة محيطةً بصاحبها إلا في حالة الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤)، فين هنا أن الشرك هو الذي لا يغفره الله تعالى، وبالتالي يستحقُّ المشرك الخلود في النار، أما مادون

(١) سورة البقرة: آية (٨١) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٤٠) .

(٣) حاط يحوط حوطاً وحياطةً ، واحتاطت الخيل بفلانٍ وأحاطت به ، أي: أخذت. وأصل الإحاطة بالشيء: الإحداق به بمنزلة الحائط الذي تحاط به الدار فتحقق به، وسمي الحائط، لأنه يحوط ما فيه ، و"أحيط" بالقوم: هلكوا، و"حاط" بالشيء حوطاً و"أحاط" به استدار به . انظر: العين: للخليل بن أحمد (٣/ ٢٧٦) ، والمحكم

والمحيط الأعظم: لابن سيده (٣/ ٤٨٤) ، وكتاب الأفعال: لابن القطاع (١/ ٢٥٥) ،

(٤) سورة النساء: آية (٤٨) .

الشرك فلا يحكم عليه بالخلود بل يكون تحت مشيئة الله تعالى، والآية قطعت بالخلود لمن أحاطت به خطيئته، وعليه فلا بُدَّ أن يكون معنى هذه الإحاطة هو الشرك دون غيره .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران في استنباط هذا المعنى كان على ما يترتب عليه من كونهم أصحاب النار في الآية ، وذلك بوجود أمرين: أحدهما: كَسْبِ السيئة، والآخر: إحاطة الخطيئة ، وما رُتّب على وجود شرطين لا يترتب على وجود أحدهما، فدل ذلك على أن من لم يكسب سيئةً فإنها تحيط به ، وهي الكبائر، ولا يكون من أصحاب النار المخلدين فيها. فلذلك لم تكن في هذه الآية حُجَّةً للزاعمين^(١) خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار؛ إذ لا يكون المسلم مُحاطاً بالخطيئات، بل إنه لا يخلو من عمل صالح، وحسبك من ذلك سلامة اعتقاده من الكفر ، وسلامة لسانه من النطق بكلمة الكفر .

وفي حديث الرسول (ﷺ) ما يؤيد أن الله يجعل مرتكبي الكبيرة تحت مشيئته، حيث جاء في صحيح البخاري^(٢): "أنَّ الرسول (ﷺ) بايع الأنصار على أمورٍ ، ثم قال في آخر كلامه : "ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له" . فدلّ دلالة قاطعة على أن المُوَحَّد مُسْتَنَى من عموم الوعيد بالخلود .

(١) هم المعتزلة .

(٢) (١٦٢ / ٨) كتاب الحدود ، باب توبة السارق ، حديث رقم (٦٨٠١) .

٥٩- قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١) .

الاستنباط: قال ابنُ بَدْران: "ومن المعلوم في فنِّ الأصول أنَّ الحكم إذا ترتَّب على وصفٍ أشعر بعليَّة ذلك الوصف ، فالآية دالَّة على أنَّ الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين ، وهذا يقتضي العُموم"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح: حيث عُلِمَ أن الإحسان إلى الوالدين لمحض كونهما والدين - وهو في محل النطق - إنما هو وصف خاص يستلزم تعظيمهما - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق على صفة كونهما (والدين) التي هي من لوازم ثبوت الطاعة لهما دون غيرها من الصفات .
وجه الاستنباط:

قوله في هذه الآية ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ غير مُقيَّد بكونهما مؤمنين أم لا ، حيث علَّق - جلَّ وعلا- الإحسان إليهما بصفة كونهما (والدين)، فالإحسان إليهما إنما يتوجَّبُ فعَّله لكونهما والدين لا غير ، ولا يجب في هذا شرطٌ ولا قيدٌ لوجوب الإحسان، فدلت هذه الآية على أنَّ الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين .

تحليل الاستنباط:

وطريقة ابنِ بَدْران هنا الاعتماد على القاعدة الأصولية: "الحكم المُترتَّب على الوصف مُشعرٌ بعليَّة ذلك الوصف"^(٣) ، فإنه تعالى رتَّب استحقاق البرِّ بهما على كونهما والدين، فالأصل عدم وجود علةٍ أخرى غير كونهما والدين، فانتفاء الحكم عمَّا عدا تلك الصفة من لوازم ثبوته لها ، فالدالُّ على ثبوت الحكم للصفة المخصوصة بالذكر مطابقةً يدلُّ على نفيه عمَّا عداها التزاماً . قال الرَّازي (ت: ٦٠٦هـ) : "أجمع أكثر العلماء على أنه يجب تعظيم الوالدين والإحسان إليهما إحساناً غير مقيَّد بكونهما مؤمنين"^(٤) .

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٤٣) .

(٣) الإبهاج: للسُّبُكِيِّ (٣/ ٤٥) .

(٤) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٨٦) بتصرف .

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَزَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "لا يخفى ما في هذا من القواعد التي يحتاج إليها العمران، وذلك لأن القرابة مظنة الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة، فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان ذلك أشق على القلب وأبلغ في الإيحاء والضرر، وكلما كان أقوى كان دفعه أوجب، فلهذا وجبت رعاية حقوق الأقارب"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من الأمر بالإحسان إلى ذوي القربى حصول الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود .

وجه الاستنباط:

هذه الآية فيها الأمر بالإحسان إلى ذوي القربى، حيث يدين الفرد لقبيلته التي هي حصيلة نسبه، حيث تعلق العلاقات القرابية فوق كل علاقة، فعلم أن القرابة تحتل مكاناً مركزياً في علم العمران البشري .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران هنا قائم على أن الاجتماع مطلوب للشارع في بقاء نظام النوع الذي إنما يتحصّل ببقاء أشخاصه، وما يتطلبه هذا البقاء من الألفة والاتحاد والرعاية فيما بينهم، فالقرابة موجبة للمودة والألفة واستمرار الحياة، فحقّ ذي القربى كالتابع لحقّ الوالدين من حيث الإحسان؛ لأن الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصّالهم بالوالدين، والاتصال بذوي القربى في المرتبة الثانية من الاتصال بالوالدين، مما يدل على أهمية صلة الأرحام، ودور هذه الصلة في بناء المجتمع، فلهذا جعله الله في مرتبة تالية للوالدين، فالصلة والقرابة تُوجبان الذكر الجميل في العاجلة ورفيع الدرجات في الآجلة .

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٤٤) .

٦١- قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "والذي يلوح من سِرِّ الآية التفصيل ، واعتبار كلِّ مَقَامٍ بِحَسَبِهِ ؛ فإنَّ كان القول للدعوة إلى الإمام فليكن بالرِّفْقِ واللِّين ، كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾ (٢) ، وقال لمحمد (ﷺ) : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣) ، وإن كان دعوة الفُسَّاق ونحوهم للطاعة ، فليكن بِحُسْنِ القول ، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٤) ، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٥) " (٦) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح : حيث عُلم من الأمر بالإحسان في القول - وهو في محل النطق - اعتبار كلِّ مَقَامٍ بِحَسَبِهِ - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق في الإحسان كلِّ على حسب حاله ومنزلته .

وجه الاستنباط:

إن للإحسان في الآية الكريمة معاني تضيء من هذه اللفظة الجامعة العامة ، فالقول لا بدَّ أن يُرَاعَى فيه الناصح حال المنصوح ومكانته، فالإمام يخاطب برفقٍ ولين، وأما الفُسَّاقُ والكفار فالإحسان بالقول مطلبٌ شرعي لهم ، ولعلَّ كثيراً من نصوص القرآن ترشدنا لذلك ، وقد أشار ابنُ بَدْران - رحمه الله - إلى شيءٍ منها .

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) سورة طه : آية (٤٤) .

(٣) سورة آل عمران: آية (١٥٩) .

(٤) سورة النحل: آية (١٢٥) .

(٥) سورة المؤمنين: آية (٩٦) .

(٦) جواهر الأفكار (٢٤٧) .

تحليل الاستنباط:

لا ينبغي أن نقف في فهم معنى النَّصِّ على مُجَرَّد التفسير الظاهر له ، فنكتفي بظاهر النَّصِّ دون النظر لأسراره و ما يُخْفِيهِ من معاني سامية، وإنما ينبغي أن نتعدى ذلك إلى اعتبار المقام الذي يكشف لنا عن ضوءٍ جديد يضيء لنا طريق تحليل المعنى ، وهذا ما سار عليه ابنُ بَدْران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى ، فالإحسان مطلوبٌ في العبادات والمعاملات، فكما أنَّ الإنسان يجب لنفسه أن يعامله غيره معاملةً حسنة، فإنه ينبغي عليه أن يُحَسِّنَ إلى غيره، ويعامله بمثل ما يحبُّ أن يعامل به هو ، وذلك بسلوك طُرُق الإحسان ، كلٌّ على حَسَبِ حاله ومنزلته ، يقول الشيخ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): "وهذا من لطفه بعباده ، حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال المُوجِبَةِ للسَّعَادَةِ في الدنيا والآخرة" (١) .

فإننا نحتاج إلى هذه القاعدة بكثرة، خاصةً وأننا في حياتنا نتعامل مع أصنافٍ مختلفة من البشر، فيهم المسلم وفيهم الكافر، وفيهم الصالح والطالح، وفيهم الصغير والكبير ، والإنسان يُعَامَلُ على حَسَبِ حاله؛ لإيصال الحقِّ إليه ، أي ينبغي أن تُسْتَعْمَلَ معه الطريقة الناجعة بِحَسَبِ حاله ، ومن المُؤَسِّفِ أن يرى الإنسان كثرة الخرق والتجاوز لهذه القاعدة القرآنية في واقع أمة القرآن .

فالإمام يَخَاطَبُ برفقٍ ولينٍ، فالنصيحة لولاة الأمر من مقتضيات البيعة ، قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): "فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمرٌ مطلوبٌ شرعاً وعقلاً وعُرفاً، ولذلك تجدد الناس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النبي (ﷺ) يخاطب رؤساء العشائر والقبائل" (٢) ، أمَّا عامَّةُ الناس من الفُسَّاق والكفار فالإحسان بالقول مطلبٌ شرعيٌّ لهم، أُسُوْتُنَا فيه سيد البشر (ﷺ) ، فكان تعامله مع الفُسَّاق وعامة الناس تعاملًا هينًا لينًا ، رقيقاً رقيقاً .

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٦٠) .

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٣٢) .

٦٢- قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ومن المعلوم أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يُعَدَلْ عنه إلى غيره ، وما دَخَلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وما دَخَلَ الْحَرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ، فثبت أنَّ جميع آداب الدين والدنيا داخلةٌ تحت قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(٢) ، وأنت إذا تأملتَها حقَّ تأمُّلِها أُرشدتُك إلى قواعد العمران، وإلى المدينة الصحيحة"^(٣).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو الأمر بالإحسان في القول ، والحكم المسكوت عنه هو إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يُعَدَلْ عنه إلى غيره ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

الشريعة الكاملة جاءت باللين في محلِّه والشِدَّة في محلِّها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضاً أن يُوضَعَ اللين في محلِّ الشِدَّة، ولا الشِدَّة في محلِّ اللين، وكُلُّما كان القول ليناً ، والتعامل هيناً كانت الاستجابة أُرجى وأكد ، ولعل الآية هنا تشير إلى هذا وتدعو إلى تقديمه .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران في استنباط هذا المعنى الاعتماد على المعنى المطلق للآية ؛ فلم يُقَيَّد -جلَّ وعلا- الآية بوقتٍ محدد ولا بحالةٍ معينة، بل تَضَمَّنَتْ مطلق الإحسان، فلولا هذا اللُطف الذي اعتمده الرسول (ﷺ) مع مَنْ أُرْسِلَ إليهم لما تمكَّنَّ من استقطاب الناس

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٤٧) .

حول رسالته؛ إذ إن الغلظة المناقضة للرفق إذا ما اعتمدت خياراً منهجياً في التبليغ والدعوة فإنَّ مردودها سيكون عكسياً ، فالناس في حاجةٍ إلى كَنَفَ رحيم ، قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ):

وهو الرَّفِيقُ يَحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ * * * يُعْطِيهِمُ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانٍ^(١) .

فاللين والرفق في الدعوة هي الأصل ، والشدة استثناء له مواضعه وشروطه ، واتباع ذلك نكون قد اتبعنا قاعدة قرآنية مهمة قبل أن تكون قاعدة من قواعد العمران .

(١) نُؤَيِّئُهُ ابْنَ الْقَيْمِ (٢٠٨) .

٦٣- قوله سبحانه و تعالى : ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ

مُعْرِضُونَ﴾ (٨٣) (١).

الاستنباط:

قال ابن بَدْران: "ولما كان الإعراض عن هذه المحاسن في غاية البعد ، ولا سيما إذا كانت بعَهْدٍ ، ولا سيما إذا كان العهد من الله ، أشار إلى ذلك بأداة التَّراخي ، فقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ، سالكاً هذا اللفظ مسلك الالتفات" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : ففي الآية وصف لحال اليهود بالإعراض عن أوامر الله وتشريعاته ، وهذا ثابت بمعنى النَّص لُغَةً ، يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع الآية دون تأمل .

وجه الاستنباط:

تفيد الآية أن اليهود قد نكثوا عهد الله ، ونقضوا ميثاقه ، وانصرفوا عن أوامر الله ، وصمّموا العزم على عدم العودة إلى ما انصرفوا عنه، وكان إعراضهم هذا في غاية البُعْد ، دلَّ على ذلك أداة التَّراخي (ثُمَّ) ، فلهذا وصف الله حالهم بكامل الانصِرَافِ والإعراض قائلاً: ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣) ، كما دلَّ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب على كون المراد بالخطاب سلف المخاطبين وخَلْفُهُمْ .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى قائم على معنى أداة التراخي (ثُمَّ) ، والتي أفادت تراخيهم في الاستجابة لأمر الله ، بل والإعراض عنه مدّة مديدة بعد الانقياد له ، وهذا أشنع من العصيان غير المسبوق بامتثال وانقياد، وأيضاً: أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، فالآية في بديع نظمها تبتدئ بالغيبة وتنتهي بالخطاب، وفائدة هذا الانتقال هي إدخال الموجودين في عهد النبي (ﷺ) مع أسلافهم من اليهود،

(١) سورة البقرة: آية (٨٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٤٨) .

فلما كان التولي والإعراض من الأحوال التي اتصف بها السلف والخلف، كان المقصود الأول منه إثبات سوء صنيع الموجودين في زمن القرآن؛ حتى لا يُظن أنه من الخطاب الذي أريد به أسلافهم دونهم بل الخطاب عامّ للأسلاف والأخلاف منهم للتشديد في توبيخهم على توليهم وإعراضهم ، فدلّ على أن ذلك من قبيل الإعراض والتوليّ، ذلك أن الإنسان قد ينصرف عن الشيء وهو عازم أن يعود إليه ويؤقّيه حقه؛ إذ ليس كل مُتولٍّ عن شيءٍ مُعرضاً عنه ومهملاً له بالكلية إلى الأبد، إلا بنو إسرائيل هنا، فقد تولوا عن الأخذ بالميثاق، وأعرضوا عن اتباع النبي (ﷺ) فاجتمع منهم الإعراض والتولي .

٦٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ

أَنفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ (١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وقد يُظنُّ في بادئ الأمر أن هذا النهي لا فائدة فيه ، ولكن متى تأمَّل الاحتمالات المتقدِّمة تلاشى ذلك الظن ، وعَلِمَ من أولها أنه نَهْيٌ عَمَّا يعتقدُه فلاسفة الهند من البراهمة وغيرهم من أنهم يُقدِّرون في قتل النفس على التخلُّص من عالم الفساد الذي هو عالم العناصر ، واللُّحوق بعالم النور والصلاح الذي هو عالم الرُّوح" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح : حيث عُلِمَ من النهي عن قتل النفس - وهو في محل النطق - المشابهة والموافقة لاعتقاد بعض الفرق أن قتل النفس جائز؛ تخليصاً لها من الفساد - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق في قتل الإنسان نفسه .

وجه الاستنباط:

لما كان ظاهر الآية يفيد النهي عن قتل الإنسان نفسه فقد يقول قائل: إن هذا لا فائدة فيه ؛ لأن الإنسان لا يقتل نفسه ، غير أن التأمل في معنى الآية يدلُّ على أنها إنما نَهت عن قتل بعضهم بعضاً (٣) ، وفيها أيضاً النهي عَمَّا تعتقده بعض الفرق الضالَّة كالبراهمة (٤) وغيرها من الفرق التي تعتقد بجواز قتل النفس تخليصاً لها من الذنوب والفساد، وانتقالاً إلى عالم النور (١) .

(١) سورة البقرة: آية (٨٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٥٠) .

(٣) فالآية تعني قتل بعضهم بعضاً ، وإنما نُسِبَ القتل إلى النفس ، لا إلى الغير لأنه لما كانت مِلَّتُهُمْ واحدةً وأمرهم واحداً وكانوا في الأمم كالشخص الواحد ، لجعل قتل بعضهم بعضاً وإخراج بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ، وقد اتفقت التفاسير على هذا المعنى ، ولم يُخْرَج عن هذا المعنى مُفسِّر .

(٤) هم قبيلة في الهند من ولد برهمني ، ملكٌ قدم من ملوكهم ، ولهم علامةٌ ينفردون بها ، وهي خيوطٌ ملونةٌ بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف ، قيل: أنهم سُموا براهمة لانتمساحهم إلى إبراهيم - عليه السلام - وذلك خطأ؛

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران هنا مُسْتَنْبَطٌ من ظاهر الآية ، حيث إنَّ السَّفْكَ للدم في ظاهر الآية منسوبٌ لقتل النفس ذاتها لا لقتل نفسٍ أخرى، كما قال القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): "وقد يجوز أن يراد به الظاهر، لا يقتل الإنسان نفسه ، ولا يخرج من داره سفهاً، كما تقتل الهند أنفسها ، أو يقتل الإنسان نفسه من جهدٍ وبلاءٍ يصيبه ، أو يهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت، جهلاً في ديانتها وسفهاً في حلمه، فهو عمومٌ في جميع ذلك"^(٢) ، فالنهي شاملٌ أيضاً لقتل الإنسان نفسه تخلصاً كما تفعله بعض الفرق الضَّالة ، أو انتحاراً ، وهذا لا يعارض كونها في الأصل سيقت للنهي عن قتل بعضهم بعضاً، قال تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٣) .

=
فإن هؤلاء انتسبوا إلى رجلٍ منهم يقال له: بَرَاهِم ، وهم ينكرون جميع الأنبياء ويقولون بحدوث العالم. انظر: المِلَل والنحل: للشَّهْرَسْتَانِي (٩٥/٣)، والفصل: لابن حَزْم (١/٦٣-٦٩)، والتبصير في الدين: للإسْفَرَايِينِي (١/١٥٠).
(١) لم أجد هذا المعتقد مدوناً في الكتب، ولعله سبق إليه الرَّازِي بقوله: "أهل الهند يُقَدَّرُونَ في قتل النفس التخلُّصَ من عالم الفساد واللُّحوق بعالم النور والصلاح ، أو كثيرٌ ممن صَعُبَ عليه الزمان، وثقلَ عليه أمرٌ من الأمور، فيقتل نفسه، فإذا انتفى كون الإنسان مَلْجأً إلى ترك قتله نفسه صحَّ كونه مُكَلَّفاً به" مفاتيح الغيب (٣/٥٩١) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن: للقُرْطُبِيُّ (٢/١٩) .
(٣) سورة المائدة: آية (٣٢) .

٦٥- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ
مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾ سرٌّ آخر ، وهو أنه أشار بالكاف والميم الدالين على الجمع إلى أنه متى
كانت الملة واحدة كان جميع المتبعين لها كرجل واحد" (٢) .
نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من توجيه الخطاب للجميع بالكاف والميم الدالة على الجمع في
الآية أنه متى كانت الملة واحدة كان جميع المتبعين لها كرجل واحد ، وهذا لا يدل عليه
السياق إنما ذلك من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود .

وجه الاستنباط:

يُخَاطَبُ اللهُ يَهُودَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، مُخَاطَباً أَسْلَافَهُمُ الَّذِينَ تَعَتَّتُوا عَلَى
مُوسَى، وَيُوجِّهُ إِلَيْهِمُ التَّوْبِيخَ وَالتَّقْرِيعَ وَالتَّسْفِيهَ وَالتَّهْدِيدَ، كَأَنَّهُمْ هُمْ بِأَشْخَاصِهِمْ،
فَالْآيَةُ إِعْلَامٌ بِوَحْدَةِ الْمِلَّةِ وَاعْتِبَارِهَا كَالشَّخْصِ الْوَاحِدِ يُصِيبُ خَلْفَهَا مَا أَصَابَ سَلْفَهَا مِنْ
خَيْرٍ وَشَرٍّ، مَا دَامَ الْخَلْفُ مُسْتَنَّاً بِسَنَةِ السَّلْفِ، وَمُرْتَبِطاً بِهِ، وَجَارِياً عَلَى طَرِيقَتِهِ، كَمَا
كَانَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ فِي إِتْبَاعِهِمْ لِسَلْفِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَالْأَمَةُ الْوَاحِدَةُ فِي الْعَقِيدَةِ يَسْتَوِي
أَوَّلُهَا مِنْذُ بَدَأَ كَيَانُهَا مَعَ آخِرِهَا، مَا دَامَ الْآخِرُ مُرْتَبِطاً بِعَقِيدَةِ الْأَوَّلِ، مُسْتَنَّاً بِسَنَتِهِ لَمْ
يُنْحَرَفْ عَنْهَا .

(١) سورة البقرة: آية (٨٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٥٠) .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى هو الاعتماد على دلالة الكاف والميم على الجمع ، حيث دل الجمع على الوحدة الإيمانية في الأمة الواحدة ، فيخطب الجماعة الإيمانية على أنها وَحْدَةٌ واحدة ، لأنهم من ملة واحدة ، وعُبر عنهم بالدم الواحد والنفس الواحدة ، ثم إنَّ الله أكَّده هذه الوحدة في جميع الكلمات من نصوص هذه الآية وغيرها ، فجعل غير الرجل كأنه نفسه، ودمه كأنه دمه، وذلك لاتحاد العقيدة ، فأمة العقيدة الواحدة متساوية في الوجدان والشعور والأحكام والمسئولية، ولذا يوجّه الله الخطاب للجميع .

٦٦- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "﴿كِتَابٌ﴾ اتفق المفسرون على أنه القرآن؛ لأن قوله: ﴿مُصَدِّقٌ﴾

﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾ يدلُّ على أنَّ هذا الكتاب غير مامعهم، وما ذلك إلا القرآن"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فهذا الكتاب هو القرآن ، يَعْرِفُ ذلك كل من يعرف هذا اللسان العربي

دون تأمل ، حيث وصفه الله بأنه مصدقٌ لما معهم ، وما ذلك إلا القرآن الكريم .

وجه الاستنباط:

من صفات القرآن في الآية السابقة كونه مصدقاً لما في التوراة من أمر النبوة ، فدَلَّ على أن المَعْنَى هو القرآن وليس كتابهم التوراة، وكلا الكتابين من عند الله، حيث قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فقد يُظَنُّ أنها التوراة؛ لكونها مُنَزَّلَةٌ على موسى (ﷺ) من عند الله ، كما أن القرآن من عند الله؛ ولهذا أعقبه بوصفٍ آخر يدلُّ على أن المقصود هنا بكتاب الله القرآن الكريم ، وهو كون القرآن مصدقاً لما جاء في التوراة المحرَّفة، حيث إنَّ التوراة حُرِّفُوهَا وكتَمَوْا بعضها وغيَّرُوا وبدَّلُوا فيها فأخَفَوْا ما يُريدُونَ إخفاءه، لذلك جاء القرآن الكريم لِيُظْهِرَ ما أخَفَوْه، ويؤكِّد ما لم يُخَفِّوه ولم يتلاعبوا فيه.

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران هنا هو الاعتماد على المفهوم من سياق الآية ؛ حيث دلَّ السياق على أن هذا الكتاب هو القرآن ، فله صفاتٌ منها كونه مُنَزَّلًا من عند الله ، و كونه مُوافقًا ومُصَدِّقًا للذي معهم من الكتاب الذي أنزله الله من قَبْلِ القرآن ، ولا يمكن أن يكون المراد به هنا التوراة ؛ إذ الشيء لا يكون مصدقاً لنفسه، بل يصدِّق غيره ، أو يصدِّقه غيره .

(١) سورة البقرة: آية (٨٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٥٨).

٦٧- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ

﴿١﴾ .

الاستنباط:

قال ابن بدران: " وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (٢) إشارة إلى أنه وإن كان الذي في التوراة والإنجيل من أوصاف النبي (ﷺ) وصفاً إجمالياً، وأن أهل الكتابين لم يعرفوا نُبُوتَهُ بمجرد تلك الأوصاف، إلا أن تلك الأوصاف صارت بظهور معجزته (ﷺ) كالمؤكدة لها ، فلذلك ذمهم الله تعالى على الإنكار " (٣) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من كون القرآن مصدق لما عند اليهود والنصارى من أوصاف الرسول (ﷺ) أن تلك الأوصاف صارت بظهور معجزات الرسول (ﷺ) كالمؤكدة لها ، وهذا إنما قُصِدَ تبعاً وليس بمقصود أصالة .

وجه الاستنباط:

لما كان القرآن مصدقاً لما في التوراة من أمر النبوة ؛ حيث إنَّ التوراة اشتملت على نعت الرسول (ﷺ) وصفاته كانت هذه الصفات قائمةً مقام الدليل المؤكّد ، لا الدليل الأصل في إثبات نبوته (ﷺ) ، حيث إنَّ الدليل الأعظم والبرهان الأوضح هو هذا القرآن الذي هو معجزة هذا الدين، وخير بُرْهانٍ على صدق نبوة محمد (ﷺ)، فتبين أن تحريفهم للتوراة وإزالة صفاته (ﷺ) من توراتهم، ليُوهموا العامة بكون الرسالة المحمدية ليست من عند الله لن يكون عذراً لعامة اليهود الذين لم يطلّعوا على هذه الصفات بعد أن حُرِّفَتْ؛ لأنها بمقام المؤكدة للنبوة فقط، حيث إنَّ هناك معجزاتٍ أخرى تدلُّ على صدقه (ﷺ) .

(١) سورة البقرة: آية (٨٩) .

(٢) سورة البقرة: آية (٨٩) .

(٣) جواهر الأفكار (٢٥٩) .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران في استنباط هذا المعنى هو الأخذ بالدليل الأكبر والبرهان الأعظم، وهو معجزة القرآن ، فقد شاء الله - جلَّ وعلا - أن يؤيِّد كلَّ رسولٍ بمعجزاتٍ تُثبِتُ صدق نبوته ، ومن أهمِّ صفات هذه المعجزات أن الجميع يعترفون بعظمتها، ولم يكن محمد (ﷺ) بدعًا من الرسل؛ ولذلك فقد أيَّده ربُّه بعدد كبير من المعجزات التي تُثبِتُ صدق نبوته، وتظلُّ شاهدةً على صدق الرسالة الخاتمة وربانيَّتها ، وأهم تلك المعجزات معجزة القرآن الكريم الخالدة .

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وسياق الآية يدلُّ على أن المراد آباء الذين كانوا زمن الرسول (ﷺ)؛ لأنهم هم الذين قتلوا الأنبياء ، وحسَّن ذلك أن الرَّاظِي بالشيء كفاعله ، وأنهم جنسٌ واحد ، و أنَّهم مُتَّبِعُونَ لهم ومعتقدون ذلك ، وأنهم يتولَّوْنَهُمْ ، فهم منهم" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : إذ يلزم من ذم الآخرين؛ لرضاهم بِفِعْلَةِ الأولين أن يكون الرَّاظِي بالشيء كفاعله ، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود .

وجه الاستنباط:

المراد بهم هنا اليهود الذين أدركوا رسول (ﷺ) (٣) ، ومن تقدَّم من أسلافهم (٤) ، فدلَّ على كون اليهود الذين كانوا زمن البعثة مُتَّبِعِينَ لسلفهم، راضين بأفعالهم من قتل الرسل، والتكذيب بما جاءوا به ، ولكون الخطاب لمن شَهِد من أهل ملة واحدةٍ ومن غاب منهم واحداً ، فإذا قُتِلَ أسلافهم الأنبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فقد شاركوهم في ذلك ، كما أنهم رَضُوا بأفعالهم ، والرَّاظِي بفعل قوم كالداخل معهم فيه .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران في استخراج هذا المعنى الاعتماد على قاعدة التَّابِعِ تَابِعٌ (٥) ، حيث

(١) سورة البقرة: آية (٩١) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٦٢) .

(٣) جامع البيان: للطَّبْرِي (٢/ ٣٤٨) .

(٤) مفاتيح الغيب: للزَّازِي (٣/ ٦٠٣) .

(٥) انظر: الوجيز: لمحمد صِدْقِي (٣٣١) ، والأشباه والنظائر: للسُّبُوطِي (١١٧) ، والأشباه والنظائر: لابن جَنِّيم

(١٠٢) ، وغمز عيون البصائر: للحموي (١/ ٣٦١) ، وشرح القواعد الفقهيَّة: لمحمد الزَّرْقَا (٢٥٣) .

ألحق التابع^(١) وهم اليهود زمن البعثة ، بالمُتَّبوع^(٢) وهم أسلافهم في الحكم بالتبعية ، وما كان تابعاً لغيره في الوجود لا يُفرد بالحكم، بل يدخل في الحكم مع مُتَّبوعه ، فالعقل يقتضي أنّ وجود أيّ ارتباطٍ بين شيئين على وجهٍ يصل إلى عدم الانفكاك بينهما يلزم منه أن يرتبط أحدهما بالآخر في الحكم .

وهذه القاعدة يمكن أن يُستدل لها بقول الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾^(٣)، فبعض العلماء استنبط هذه القاعدة من هذا الدليل العظيم، والخطاب فيها للنبي (ﷺ) فهو المُتَّبوع ، والأمة تعتبر تابعةً له، والخطاب هنا كان أولاً للمُتَّبوع ، ثم عمّ التابع، وذلك يدلُّ على أنّ التابع حكمه حكم المُتَّبوع .

(١) التابع هو الذي لم يثبت له الحكم أصالةً، وإنما ثبت تبعاً للمُتَّبوع ، وهو على غرار الفرع ، وقد عرفه الشيخ محمد صديقي بقوله: "ما لا يُوجد مُستقلاً بنفسه، بل وجوده تابعٌ لوجود غيره، فهذا لا ينفكُّ حكمه عن حكم متبوعه". الوجيز (٣٣١) .

(٢) المُتَّبوع هو الذي ثبت له الحكم أصالةً ، ثم ألحقنا به التابع في الحكم ، وهو على غرار (الأصل) .

(٣) سورة الطلاق: آية (١) .

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ

خُذُوا مَاءَ تَيْنِكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وعندي أن في الآية إشارة إلى أن أولئك القوم لم يعرفوا الله تعالى معرفةً لائقةً بجلال عظمته ؛ لأنهم لو عرفوه كذلك لما احتاجوا إلى هذا التخويف"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من رفع الجبل فوق بني إسرائيل أنهم لم يعرفوا الله تعالى معرفة لائقة؛ لأنهم لو عرفوه لما احتاجوا إلى هذا التخويف ، وهذه إشارة دقيقة غير مقصودة.

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط واضح بيّن؛ حيث إنّ مسألة رفع الجبل فوقهم كانت لتهديدهم وإرهابهم عند أخذ الميثاق، واليهود قد عرفوا صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكنهم لم ينقادوا إباءً واستكباراً، فأية رفع الجبل أوجبّت لهم البصيرة، وعرفوا الحقّ ، فتبين أنهم لم يعرفوا الله معرفةً لائقةً بجلال عظمته، وإلا لم يحتاجوا إلى هذا التّخويف.

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا هو الاعتماد على واقع اليهود وسيرتهم؛ حيث كان كفرهم عن علمٍ ويقين ، ولم يكن شكّاً واشتباهاً ، ولكن تخلف إيمانهم لوجود مانع الحسد والبغي منهم ، كما كان كفر غالب اليهود مُتعلّقاً بعمل القلب، حيث لا تعظيم لله ولا معرفة بجلاله ، قال الحكميّ: "وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عنادٍ واستكبار، ككُفّر إبليس وكُفّر غالب اليهود الذين شهدوا أنّ الرسول حقٌّ ولم يتبعوه"^(٣).

(١) سورة البقرة: آية (٩٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٦٥).

(٣) معارج القبول: للحكميّ (٢/ ٥٩٤) .

٧٠- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وعبر باليد التي بها أكثر الأفعال إشارة إلى أن أكثر أفعالهم لقباحتها كأنها خالية عن القصد"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من إسناد التقديم للأيدي أن أكثر أعمال اليهود كانت باليد وأنه لقباحتها كأنها خالية من القصد، وهذا المعنى ليس مقصود من النص ، وإنما قصد تبعاً .

وجه الاستنباط:

لما عبر تعالى باليد عن الذات في الآية عُلِمَ منه حقيقة أن اليد أهم آلات العمل ، وأن أغلب جنایات اليهود كانت باليد ، فأكثر معاصيهم وأفظعها كانت باليد كتحرير التوراة وقتل الأنبياء، وبذلك حرموا الناس من هدى عظيم، فأعمال اليهود تُعبر عن الممجيّة والبشاعة التي انطوى عليها ضميرهم، وارتكز عليها باطنهم، وهي أعمال طالحة وأفعال خبيثة لا تكشف إلا عن طوية خبيثة ، فتصدر منهم عفوية خالية عن القصد .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا هو الأخذ من إسناد التقديم للأيدي حقيقة ، فاليد كناية عن العمل ؛ لأن غالب جنایات ومعاصي الناس بها ، فهي كناية عن جميع الأعمال حقيقة أو مجازاً ، فالذنوب: إما أقوال، أو أفعال، أو أعمال من أعمال القلب، لكن الغالب مُزاولُ الذنوب بالأيدي ، فتكون غالبيتها باليد ، وتُنسب بعض الأعمال إلى اليد مجازاً ، فإذا رجعت إلى معاصي اليهود وجدت أفظعها باليد ؛ فأكثر ما صنعوه هو تحريف التوراة ووسيلته اليد، وأفظع ما اقترفوه قتل الأنبياء وآلته اليد ، لذلك أُسند التقديم لليد دون غيره من سائر الأعضاء .

(١) سورة البقرة: آية (٩٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٦٧).

٧١- قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهْمُ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "والتنكير في ال ﴿حَيَوَاتِهِمْ﴾ للإشارة إلى أنهم يحرصون على مُطْلَقِهَا، على أيِّ صفةٍ كانت، وهم قاطعون بأنه لا يخلو يومٌ منها عن كَدْرٍ، فإنهم يعلمون أن الحياة وإن كانت في غاية الكدر خيرٌ لهم مما بعد"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالتنكير في ال ﴿حَيَوَاتِهِمْ﴾ عُلِمَ منه أن اليهود يحرصون على أدنى حياة وأقلها ، وهذا مما ثبت بمعنى النَّص لغة .

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط واضحٌ وصريحٌ من الآية ، فاليهود هم أحرص الناس على (حياة) ، فاليهودي يحرص على حياته بأيِّ شكلٍ من الأشكال كانت ؛ لأنهم يخافون الموت لسوء أعمالهم السابقة ، لذلك كُلموا طالت حياتهم ظنوا أنهم بعيدين عن عذاب الآخرة، فالحياة لا تجعلهم يواجهون العذاب ، ولذلك فهم يفرحون بها ، ولا يباليون أن يعيشوا في ذلَّةٍ أو مسكنة ، أو أي نوعٍ من أنواع الحياة ، المهم أنهم يعيشون في أيِّ حياةٍ كانت .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى مأخوذٌ من التنكير في الحياة ، فنُكِّرت "حياة" هنا للإبهام والعموم ، وهو الأوجه ؛ إذ المعنى: على أي حياة مبهمة غير معلومة المقدار ، والمراد ذمُّ اليهود وتوبيخهم لحرصهم على الحياة على أي صورة كانت ، ولو كانت حياةً حقيرة ، فإن لفظ التنكير هنا يدل على الإبهام والعموم ويُشير إلى مدى حرص اليهود على الحياة المتطاولة ، سواء أكانت في عزٍّ أم في ذلٍّ ومهانة .

(١) سورة البقرة: آية (٩٦) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٦٨ - ٢٦٩).

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "أشعرَ نفي العلم عنهم بأنَّ ذلك التَّبَدُّ كان عن علمٍ ومعرفةٍ ؛ لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم ، فدلت الآية من هذه الجهة على أنَّ هذا الفريق كانوا عالمين بصحَّةِ نُبُوَّتِهِ، إلا أنهم جَحَدُوا ما يعلمون"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فنصَّت الآية على نفي العلم عن علماء اليهود ممن نبذ كتاب الله، فدلت على أنهم عالمين بصحَّة نبوته (ﷺ) ، وهذا ثابت بمعنى النَّصِّ لغة ، ودلَّ عليه سياق الآيات .

وجه الاستنباط:

شَبَّه الله - جلَّ وعلا- هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود بأنهم فعلوا فعل الجاهل ، حتى كأنهم لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتِّباع محمدٍ (ﷺ) ، فنفي العلم عنهم مشعرٌ بأن ذلك التَّبَدُّ كان عن علمٍ ومعرفةٍ ، ولكن لشدة جُحُودِهِمْ كأنهم لم يأثم علمٌ بصدق نبوته ، فدلَّ على إعراضهم عمَّا في التوراة من دلائل النبوة ، فهم مُتَيَقِّنُونَ من ذلك ، وإنما يكفُّرون به مكابرةً وعنادًا وحسدًا من عند أنفسهم .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بَدْران كان التأمُّل في لفظ كَأَنَّ في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ التي تفيد التشبيه ،

(١) سورة البقرة: آية (١٠١) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٨٠).

وأصلها عند الخليل ^(١) (ت: ١٧٠هـ) وسَيِّوِيَه (ت: ١٨٠هـ) «أَنَّ» لحقتها كاف التشبيه ^(٢) ، وصارت كلمةً واحدة ^(٣) ، فهي تشبيهٌ لهم بمن يجهل أو لا يعلم أنه كتاب الله تعالى؛ لأنهم فعلوا فعل الجاهل بكفرهم ، فكفروا بالقرآن مع رصانة علمهم به ، فلما لم يعملوا بعلمهم شبَّههم الله بمن لا علم له أصلاً .

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولد سنة (١٠٠هـ) ، ومن شيوخه: أيوب السخْتِيَانِي، وعاصم الأَحْوَل، والعوَّام بن حَوْشَب وغيرهم ، ومن تلاميذه: سَيِّوِيَه، والأَصْمَعِي، والكِسَائِي ، ومن مؤلفاته: معجم العَيْن، والتَّعْم، والعُرُوض . انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: للدَّهْبِي (٧/ ٩٧) ، والأعلام: للزُّرْكَلِي (٢/ ٣١٤) .

(٢) الكتاب لسَيِّوِيَه (٣/ ١٥١) .

(٣) انظر: شرح الكافية: للرَّضِيَّي (١/ ٤٧١) ، والمُفْتَضَب: للمُبَرِّد (٤/ ١١٤) .

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ

فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وقد ثبت أن الجمع العظيم لا يصحُّ الجَحْدُ عليهم ، فوجب القطع بأنَّ أولئك الجاحدين كانوا في القلَّة بحيث تجوز المكابرة عليهم"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو نبذ فريق من اليهود كتاب الله - القرآن - ، وهؤلاء قلة تجوز المكابرة عليهم ، والحكم المسكوت عنه هو أن الجمع العظيم لا يصح الجحد عليهم ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

لما جاء اليهود كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الذين أُوتوا التوراة كتاب الله - القرآن - ، وقد أُخِذَ منهم العَهْدُ بالإيمان بالرسول والكتب جميعاً ، لكنهم نبذوه رغم هذا العهد المأخوذ عليهم ، ولم يُعَمِّمْ - جلَّ وعلا - الخطاب لجميع اليهود في الآية ، بل كان لفريقٍ وفتيةٍ منهم وليسوا جميعاً؛ فثبت أنَّ أولئك الجاحدين كانوا من القلة بحيث تجوز المكابرة عليهم ، إذ إنَّ الجَحْدَ لا يمكن أن يتَّفَقَ عليه الجمع العظيم .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بَدْران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى هو التأمل في معنى لفظ (الفريق)^(٣) الوارد في الآية ، والذي هو الطائفة من الشيء^(٤) ، فواضحٌ أنَّ كلمة فريق

(١) سورة البقرة آية (١٠١) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٨٠) .

(٣) الفريق: الطائفة من الناس أكبر من الفرقة ، والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق ، وقال الأصبهاني: الفريق:

الجماعة المنفردة عن آخرين. انظر: المُحَكَّم والمُحِيط الأعظم: لابن سَيِّدَةَ (٦ / ٣٨٤)، وتاج العروس: للزبيدي

(٢٦ / ٢٩٠)، والمعجم الوسيط (٢ / ٦٨٦) .

(٤) لسان العرب: لابن منظور (١٠ / ٣٠٠) .

لا تعني الكلية؛ فاليهود كانوا طوائف متعددة ، وفِرَقاً متفرقة ، وكانت منهم فرقة نبذت الكُتُب المُنزَّلة من عند الله ، ونقضت عهده ، وهم القِلَّة والمقصودون في الآية ، قال الشيخ المِغَامِسي - حفظه الله - : "فاليهود كانوا أربع طوائف: أشهرهم من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر، قائماً بالكتاب على أكمل وجه، وهذا سيأتي في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾^(١) ، ومنهم علماء يعلمون أنه الحقُّ ، لكنهم أبوا الإيمان حسداً ، ومنهم جهلةٌ يُتَّبِعُونَ علماءهم، ورابعهم فسقةٌ مُتَمَرِّدُونَ حتى على شريعة موسى، قال تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾^(٢) (٣) .

فدلَّ على أن لفظة فريقٍ خصَّصَتْ فئةً محدَّدةً دون غيرها ، مما يرفع الاشتباه القائل بأنها تدلُّ على القوم بالكلية ، قال الشَّعْرَاوي (ت: ١٤١٨ هـ) : " ويريد الله تبارك وتعالى أن يفتح الباب أمام أولئك الذين يريدون الإيمان، حتى لا يقولوا لقد حَكَمَ اللهُ علينا حُكْمًا مُطْلَقًا ونحن نريد أن نؤمن ونحافظ على العهد" (٤) . وهناك قاعدة عقليةٌ استند إليها ابن بَدْران - رحمه الله - وهي: أن الجَحْدَ لا يمكن أن يتفق عليه الجمع العظيم ، فوجب القطع بأن الجاحدين كانوا قِلَّةً يصحُّ أن يُتَّصَرَ منهم الاتفاق على المكابرة .

(١) سورة البقرة: آية (١٢١) .

(٢) سورة البقرة: آية (١٠٠) .

(٣) سلسلة محاسن التأويل (٧ / ٥) .

(٤) تفسير الشَّعْرَاوي (١ / ٤٨٥) .

٧٤- قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ

سُلَيْمَنُ وَلَا كَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي هذا دليل على صحة نفي الشيء عما لا يمكن أن يقع منه ؛ لأن النبي لا يمكن أن يقع منه الكفر"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية صريحة في نفي الكفر عن سليمان (عليه السلام) لأن الرسول لا يمكن أن يقع منه الكفر ، مما يدل على صحة نفي الشيء عما لا يمكن أن يقع منه ، وهذا مما ثبت بمعنى النص لغة ويُعرف بمجرد سماع اللفظ .

وجه الاستنباط:

لما نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم ؛ ليَلْهَثُوا خلف أساطير غامضة لا تستند إلى حقيقة ثابتة ، صاروا مُتَّبِعِينَ للشيطان فيما يمليه عليهم من أمر السحر ، ونسبوا ذلك إلى سليمان (عليه السلام) فقالوا: إنه ساحر؛ ليُوْهِمُوا الناس أن منهج سليمان هو من السحر ومن عمل الشياطين ، فأراد الله - جلَّ وعلا - أن يُبْرِئَ سليمان من هذه التُّهْمَةِ^(٣) ؛ لأنَّ الرسول مما لا يمكن أن يقع منه الكفر والسحر ، فالأمر باتباع الرسول يستلزم أن تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله جميعها طاعات لا محالة، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى لحصل تناقض في واقع الحال؛ إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول

(١) سورة البقرة: آية (١٠٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٨٢) .

(٣) انظر لهذا المعنى في كل من: جامع البيان: للطبري (٢/ ٤١٣) ، ومفاتيح الغيب: للرازي (٣/ ٦١٨) ،

وأنوار التنزيل: للبيضاوي (١/ ٩٧) .

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصيةً مَنْهِيًا عنها، وهذا تناقض ، فلا يمكن أن يأمر الله عبداً بشيءٍ في حال أنه ينهاه عنه .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا الاعتماد على ما ثبت من عِصْمَةِ الأنبياء، فالأنبياء معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخِسَّة قبل النُبُوَّة وبعدها، فالأنبياء والرُّسل لا شكَّ أنهم معصومون من الوقوع في الكفر والشرك ، وقد نقل الإيجي^(١) (ت: ٧٥٦هـ) إجماع الأمة على عِصْمَةِ الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعدها، حيث قال: "وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، ولا خلاف لأحدٍ منهم في ذلك"^(٢) . وقال الرَّازي (ت: ٦٠٦هـ): "وأجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة"^(٣) . وقال ابن تَيْمِيَّة (ت: ٧٢٨هـ): "ففي الجُملة كلُّ ما يقدر في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهُم متفقون على تنزيههم عنه"^(٤) . وقال الأَمَدِيُّ (ت: ٦٣١هـ) : "فما كان منها كفرًا فلا نعرف خلافاً بين أهل الشرائع في عصمتهم عنه"^(٥) .

وجواب القرآن الكريم لليهود عندما اتَّهَمُوا نبي الله سليمان بالسَّحر يعتبر رداً عليهم بأنه نبي ولا يعمل بالسحر ، إذ السحر كفر ، والأنبياء معصومون من الكفر ، وقد نزه الله سليمان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الكفر والفسق ؛ لأن العِصْمَةَ تمنع عن المعاصي فضلاً عن الكفر ، ولأنه نبي مَعْصُومٌ من الكفر؛ لأن السحر الذي يصل إلى هذا الحدِّ لا شك في كُفْر صاحبه، ولكن الله وهب لسليمان هذه المواهب كمعجزاتٍ باهراتٍ قاهرات .

(١) هو أبو الفضل عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشَّيرازي ، وُلد في بلدة إِيَّج سنة (٦٨٠هـ) ، من شيوخه: زين الدين الهُنْكَي ، وفخر الدين الجَزَارِي ، ومن تلاميذه: شمس الدين محمد الكَرَمَائِي ، وسعد الدين مسعود التَّفْتَارِي ، وضياء الدين القُرْمِي ، ومن مؤلفاته: الرسالة العضدية، والفوائد العِيَاثِيَّة، والمواقف . انظر ترجمته في: معجم المؤلفين: لِعُمَر كَحَّالَة (٥ / ١١٩) ، وطبقات الشافعية: للسُّبْكِي (١٠ / ٤٦) .

(٢) المواقف (٣ / ٤٢٦) .

(٣) عِصْمَةُ الأنبياء (١ / ٧) .

(٤) منهاج السنة (١ / ٤٧٢) .

(٥) الأحكام: للأَمَدِيِّ (١ / ١٧٠) .

٧٥- قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿١﴾ .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وظاهر الآية يقتضي أنهم إنما كفروا لأجل أنهم كانوا يُعَلِّمُونَ الناس السحر ؛ لأن ترتيب الحُكْم على الوصف مُشْعِرٌ بِالْعِلِّيَّة ، وتعليم ما لا يكون كُفْرًا لا يُوجِب الكفر ، فصارت الآية دالَّةً على أن تعليم السِّحْر كُفْرٌ ، وعلى أن السحر أيضاً كُفْرٌ" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو أن السحر وتعليم السحر كفر ، والحكم المسكوت عنه هو أن تعليم ما لا يكون كُفْرًا لا يُوجِب الكفر ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

الآية تدلُّ على أن تعليم كُلِّ ما يصدق عليه سحر مُوجِبٌ للكفر ، لأن تعليم ما ليس سحراً لا يعتبر كُفْرًا ، كالأمر السحرية التي هي من قدرات الخلق ، ولا يصدق عليها لفظ السِّحْر ، فَعُلِمَ أن تعليم السِّحْر المعروف يترتب عليه كفر معلّمه ، وكفر المعلّم للسِّحْر يدلُّ على أن الأمر الذي يُعَلِّمُهُ للناس كُفْرٌ في ذاته ، فدَلَّ هذا على أنَّ كُلَّ سحرٍ كُفْرٌ ، وكلُّ تعليمٍ له كُفْرٌ، ولو لم يكن ذلك كذلك لما حَصَلَت التبرئة التامة لسليمان عليه السلام، وهذا مُحَالٌ في كلام الله تعالى، قال القُرْطُبي (ت: ٦٧١هـ) : "ولم يتقدَّم في الآية أن أحداً نسبه إلى الكفر، ولكنَّ اليهود نسبتُهُ إلى السِّحْر" (٣) .

(١) سورة البقرة: آية (١٠٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٨٣) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٣ / ٢) .

تحليل الاستنباط:

وطريقة ابن بدران هنا الاعتماد على القاعدة التي تقول: "الحكم المترتب على الوصف مُشْعَرٌ بَعْلِيَّةٌ ذلك الوصف" (١) ؛ فإن تعالى رَبَّ استحقاق كفرهم على تعليم السَّحَر ؛ فإن الأصل عدم وجود علةٍ أخرى تَكْفُرُهُمْ غير تعليم السَّحَر ، فالدَّالُّ على ثبوت الحكم للصفة المخصوصة بالذكر مطابقةً يدلُّ على نفيه عمَّا عداها التزاماً .

(١) الإجماع: للسُّبُكِي (٣ / ٤٥) .

٧٦- قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَزَوْجِهِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "والآية لا تدلُّ على أنَّ الذي يتعلَّمونه منهما ليس إلا هذا القدر ، لكن ذُكرت هذه الصورة تنبيهاً على سائر الصور ؛ فإن استكانة المرء إلى زوجته وركونه إليها معروفٌ زائدٌ على كل مودة ، فنَبَّه تعالى بذكر ذلك على أنَّ السَّحر إذا أمكن به هذا الأمر على شدَّته فغيره به أولى"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح : حيث عُلمَ من أن السحر الذي يحصل به التفرقة بين الزوجين على شدته - وهو في محل النطق - أن غيره من صور السحر أولى - وهو غير محل النطق - مع الاتفاق على أنها جميعاً من صور تعليم السحر المحرم .

وجه الاستنباط:

ذكرت الآية صورةً من صور السَّحر، والتي تعتبر أعظمها وأقواها ، ألا وهي التفرقة بين الزوجين ، وغيرها من باب أولى ؛ حيث إنَّ الساحر تهون عنده بقية الصور الأقل تأثيراً ، والأهون عملاً ، فدِكرُ التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنصٍّ ثابتٍ يمنع الزيادة؛ لأنَّ ذلك خرج مخرج الأهم ، فتنبيه الله تعالى على هذه الصورة لأنَّ السحر إذا أمكن به هذا الأمر على شدَّته فغيره من باب أولى ، فدكره لأنه من أعلى مراتب السحر وأقواها، لا لأنَّهم لا يتعلَّمون إلا هذا القدر .

تحليل الاستنباط:

طريق ابنِ بَدْران - رحمه الله - هنا أنه إذا كان النصُّ على الأشدِّ فالنصُّ على ما دونه من باب أولى ، فتنبيه الله تعالى على هذه الصورة حصل لأنَّ السحر إذا أمكن به

(١) سورة البقرة آية (١٠٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٨٣).

هذا الأمر على شدته فغيره به أولى ، فذكره لأنه من أعلى مراتبه ، لا لأنهم لا يتعلمون إلا هذا القدر ، فالسحر منه ما يقتل ، ومنه ما يمرض ، ومنه ما يفرق بين المرء وأقاربه ، وإذا جاز خرق العادة على يد السّاحر بما ليس في مقدور البشر ، جاز ما هو فوق التفريق بين الزوجين وأدنى من ذلك، وقد يتضح هذا المفهوم من خلال أقوال أهل العلم، فقال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) : "قال المازري: والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك ، قال: والآية ليست نصاً في منع الزيادة"^(١) . وقال النّوّي (ت: ٦٧٦هـ): "ومذهب الأشعرية أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك. قال : وهذا هو الصحيح ، وذكّر التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنصّ في منع الزيادة، وإنما النظر في أنه ظاهرٌ أم لا"^(٢).

كما أنه خرج مخرج الأغلب^(٣)، من باب أن غالب الناس إنما يطلب السحر لهذا المعنى ، فذكر التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنصّ في منع الزيادة ، فالله تعالى ذكر هذه الصورة تنبيهاً على سائر الصور ، خروجاً بها مخرج الغالب .

(١) فتح الباري (١٠ / ٢٢٣) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النّوّي (١٤ / ١٧٥) .

(٣) الفروق: للقرافي (٢ / ٣٨) ، والتقرير والتحبير: لابن أمير حاج (١ / ١١٥) ، ومختصر التحرير: لابن النّجّار

(٣ / ٤٩٠) ، والتيسير: لعبد الله بن يوسف (١ / ٣٢٤) .

٧٧- قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٢٢) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "إشارة إلى أن هذا لا يُقدِّمُ عليه مَنْ له أدنى علم، فعلمُهُم الذي أُوجِبَ لهم الجرأة على هذا عدمٌ، بل العدم خيراً منه" (٢).

نوع الدلالة: دلالة النَّص.

التوضيح: فنصت الآية على جهل السحرة وعدم علمهم بعواقب السحر، حيث شروا السحر مقابل أنفسهم وخسرانها في الدنيا والآخرة، وهذا ظاهر من نص الآية لغة.

وجه الاستنباط:

صاحب العلم الذي يَنْتَفِعُ بعلمه هو الذي يحذر مثل هذه الأمور، فالسحرة لو كانوا ذوي علمٍ نافع ما اشتروا السحر الذي يضرُّهم ولا ينفعهم، ولا أقدم عليه مَنْ له أدنى علم منهم، فمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق، خسر الدنيا والآخرة. واليهود من صفاتهم: قلة العلم بالعواقب، والجهل بها، فقد ارتكبوا المحرمات، وعوقبوا عليها، ومع ذلك لم يتعظوا، فلو أن اليهود آمنوا وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوه به، وأن ما يحصل بالإيمان والتقوى من الثواب هو العلم الحقيقي.

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - مأخوذٌ من التعرُّفِ على عامل الجهل، الذي يكون مؤثراً في إيجاد الأرضية لارتكاب الذنب، فالجهل بالله جهلٌ بالهدف الأساسي من خلقه، و جهلٌ بالآثار الناتجة عن الذنب، والجهل يؤدي إلى انتشار الباطل، وكثرة الدَّجَل، وقلة العلم، فمن يُقدِّمُ على السحر ليس عنده أدنى علم، وإن زعم أن عنده علماً فهذا العلم كعدمه، بل عدمه خير منه، فكل علم لا يقود إلى تحقيق خلافة الله في الأرض فهو في الحقيقة ليس بعلم، كما أن السحر والشعوذة يُكْرِسان التخلف الحضاري والجهل.

(١) سورة البقرة: آية (١٠٢).

(٢) جواهر الأفكار (٢٨٧).

٧٨- قوله تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: " والآية تُشير من الوجهة العمرانية إلى أنه يجب على المؤمنين أن يعتمدوا على الله ثم على أنفسهم في أسباب معاشهم، فيسابقون أهل الكتاب والمشركين إلى العلوم النافعة لهم ، وإلى فنون الصنائع التي يُظهرها الله على أيدي من يشاء ، آناً ، حتى يبرزوا عليهم ، فلا يحتاجون إلى أعدائهم ؛ لأنهم إذا تكاسلوا احتاجوا إليهم، فاختلطوا بهم ، فأفسدوا عليهم أمر معاشهم كما أفسدوا عليهم دينهم ، وجعلوهم خدمةً لهم ، وامتلكوا بلادهم وأذلُّوهم واستعبدوهم " (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم مما تُكِنُّه صدور اليهود والمشركين من الشر والعداء للمسلمين أن يعتمد المسلمون على الله ثم على أنفسهم فيسابقوهم إلى العلوم والصنائع النافعة لهم؛ حتى لا يحتاجوا إلى أعدائهم، وهذا من دلالة اللفظ على لازم لم يُسَقِ الكلام من أجله .

وجه الاستنباط:

كشف الحقُّ سبحانه للمؤمنين العداوة التي يُكِنُّها لهم أهل الكتاب من اليهود والمشركين ، فبيَّن لهم أن اليهود والمشركين يكرهون الخير لهم ، بالإضافة إلى ما تُكِنُّه لهم صدور اليهود من الشرِّ والعداء ، وما تمتلئ به قلوبهم من الحقد والحسد ، بسبب ما اختصهم الله به من الفضل بالرسالة الخاتمة ، فيجب علينا نحن المسلمين أن نتنبه لهذا، ونحذر منهم ، ولا يكون هذا إلا بالرُّقي بالمتجمع المسلم في كلِّ المجالات، وخاصةً مجالات الصناعة ، حتى لا نحتاج إليهم في أي مجال .

(١) سورة البقرة: آية (١٠٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٢٩٩).

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى كان أخذاً مما يسمّى فروض الكفايات ، فنحن نعتبر هذه العلوم الصناعية من فروض الكفاية ، التي يجب على الأمة في مجموعها أن تسدّ ثغراتها، وأن تلبي حاجاتها، فإذا قام بها عددٌ معين سقطت عن الباقيين ، فننون الصناعات من فروض الكفايات، التي تقصد إلى إنشاء أمةٍ قويةٍ مكتفية بذاتها، قادرةٍ على التصدي لأعدائها، وهذا يوجب عليها بالتضامن أن تتفوق أمة الإسلام في كل العلوم الطبيعية، والصناعات التي تحتاج إليها الأمم في عصرنا لتتقدم عليهم ، ولا تختلط بهم بسبب عجزٍ أو تخلف .

٧٩- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "فيه ردٌّ على القائلين بأن النسخ^(٢) يلزم منه البداء^(٣)، وهو ظهور الشيء بعد أن كان خفياً؛ لأن البداء ينافي كمال العلم؛ لأنه يستلزم الجهل المحض، وهو مستحيلٌ على الله تعالى، فالبداء مستحيلٌ على مَنْ له ملك السموات والأرض"^(٤).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من كون السموات والأرض ملك لله سبحانه استحالة البداء في حقه - جلَّ وعلا- والذي هو من لوازم النسخ الذي قال به اليهود ، وهذه من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود .

وجه الاستنباط:

اليهود من أعظم الأمم إغراضاً عن الحق ، ولكنهم - وخشيةً من أن يظهروا في أعين متبعيهم بهذا الوصف - فقد اخترعوا لأنفسهم حجةً يتمسكون بها، ويظهرونها لأتباعهم، ويدفعون بها عن أنفسهم صفة الإغراض والاستكبار عن قبول الحق ، حيث عللوا موقفهم من شريعة الإسلام بأن ما جاء به محمد (ﷺ) من الشريعة الربانية ينسخ شريعة

(١) سورة البقرة: آية (١٠٧) .

(٢) النسخ لغة: يُطلق بمعنى الإزالة، ومعنى: نقل الشيء من موضعٍ إلى موضع، ومنه نَسَخْتُ الكتاب: إذا نقلت ما فيه، وفي الاصطلاح: أن تزيل أمراً كان من قبل يُعملُ به، ثم تنسخه بمحدثٍ غيره، كالأية تنزل بأمرٍ ثم تُنسخُ بأخرى. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٨٤)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٢٤)، ومجمل اللغة له أيضاً (١/ ٨٦٦) . وقيل: اصطلاحاً هو: رفع الحكم الشرعيِّ بخطابٍ شرعي. انظر: مباحث في علوم القرآن: للقطان (٢٣٨) ، ودراسات في علوم القرآن: لمحمد بكر (٢٤٥) ، والحديث في علوم القرآن: لمحمد أيوب (١٢٠) ، والمنار: لمحمد الحسن (١٨٦) .

(٣) البداء هو الظهور بعد الخفاء، قال الراغب: "بدأ الشيء بُدوءاً وبداءً : ظهر ظهوراً بيّناً"، والبداء بهذا المعنى لا يطلق على الله سبحانه بتاتاً؛ لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشيءٍ بعد جهله. انظر: تاج العروس: للزبيدي (١/ ١٤١) ، ولسان العرب: لابن منظور (٣/ ٧٩)، والمفردات: للأصمغاني (١١٣) .

(٤) جواهر الأفكار (٣٠٦) .

التوراة ، والنسخ على الله محال؛ لأنه بداءٌ ، فالقائل به متهمٌ لله بالجهل تعالى الله عن ذلك ، لأن حكمه الأول مصلحة ، فإذا نسخه وقضى بخلافه ، فهذا يدل على أن الله بدا وظهر له فساد الحكم الأول ، وهذا اتهامٌ لله بالجهل ، وهو ممتنع ، فردَّ الله عليهم في هذه الآية بأن كلَّ شيءٍ في الوجود هو ملكٌ لله ، فينسخ ما شاء ، ويحكم في ملكه بما يشاء .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا مأخوذٌ مما تقرَّر في علم الأصول: أن النسخ لا يلزم منه خلاف الحكمة ، كما لا يلزم منه البداء المحال في حقه تعالى؛ بل إنه قد يكون الحكم الأول مقيّداً بزمان معلومٍ عند الله ، ويكون ارتفاعه بعد انتهاء ذلك الزمان لأجل انتهاء أمدّه الذي قيّد به ، فمن المعلوم أن للزمان صلةً بمناطات الأحكام ، فيمكن أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحةٍ في سنين ثمَّ يخلو عن تلك المصلحة بعد انتهائها ، فدلَّ ذلك على أن النسخ لا يلزم منه البداء ، قال العسكري^(١) (ت: ٤١١ - ٤٢٠ هـ)^(٢) : "ولا يجوز على الله البداء؛ لكونه عالماً لنفسه ، وما ينسخه من الأحكام ويشبته إنما هو على قدر المصالح ، لا أنه يبدوا له من الأحوال ما لم يكن بادياً " ^(٣) .

فاختلاف الحكم هنا ليس سببه أن الله قد ظهر له فساد ما كان يعلمه صالحاً ، فيلزم من القول به تجهيل الله تعالى ، كلا ، ولكنَّ الحكم كان مصلحةً في زمنٍ ضمن ظروفٍ وملابساتٍ معينة ، فلما انتفت تلك الظروف لم تبق مصلحةً في بقاء الحكم السابق ، فينسخه الله تعالى بحكمٍ آخر يناسب ظروف ذلك الزمن ، وهو تعالى يعلم المدة التي يستمرُّ بها الحكم والحكمة التي تقتضي رفعه ، وهذا من تمام حكمة الله تعالى ، وكمال علمه ، وليس في القول به انتقاصٌ للخالق سبحانه ، ولا وصفٌ له بالجهل .

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، من شيوخه: خاله أبو أحمد العسكري ، ومن تلاميذه: أبو سعد السَّمَّان ، وأبو الغنائم المُقَرِّي ، ومن مؤلفاته: المحاسن ، وجمهرة الأمثال ، ومعاني الأدب . انظر ترجمته: معجم المؤلفين: لُعمَر كَحَالَة (٣/٢٤٠) ، وطبقات المفسرين: للسُّيُوطِي (٤٤) ، وطبقات المفسرين: للدَّوُّودِي (١/١٣٨) .

(٢) ممن اختلف في تاريخ وفاته ، إلا أنه قيل: إنه مات بعد الأربعمئة . انظر: معجم الأدباء: للحموي (٢/٩٢١) ، والوافي بالوفيات: للصَّفَّارِي (١٢/٥١) .

(٣) الفروق اللغوية (٦٠) ، ومعجم الفروق (٥٣٨) بتصرف .

٨٠- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ

قَبْلُ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وإضافة الرسول على حَسَبِ الأمر في نفسه، لاعلى إقرارهم به"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية تُثَبِّتُ بمعنى النَّصُّ لغة إضافة الرسول محمد (ﷺ) لليهود؛ لكونه

مرسل لكافة الناس ، وهذه الدلالة تُعَرَّفُ من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

على قول مَنْ قال إِنَّ الخطاب لليهود^(٣) ، فإن إضافة الرسول لليهود في الآية تعني أنه

رسول الله للناس كافة، اليهود والمسلمين وغيرهم، فدَلَّتْ بهذه الإضافة على كون الشريعة

المحمدية ناسخةً لما قبلها ، لا لكونها كنايةً عن إقرار اليهود بنبوته ورسالته (ﷺ) ، فاليهود

لم يُقِرُّوا به كنبِيِّ ورسولٍ مُوحى إليه من عند الله ، بل كذَّبُوهُ وكفروا به فكانوا معاندين له.

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بَدْران -رحمه الله- هنا مأخوذٌ من الضمير المضاف إلى لفظ الرسول ،

وهو كاف الخطاب المقرون بميم الجمع ، حيث دَلَّ على كون النبي (ﷺ) رسولاً لليهود

لكونه مُرسلاً للناس كافة ، وإضافته لهم نسبةً مفروضة من الخالق ، وهي فوق إرادة كلِّ

أحد ، لا يمكن أن تُزَالَ ولا أن تُرْفَعَ من قِبَلِ اليهود ، آمنوا به أو لم يؤمنوا ، فالرسول نبِيٌّ

مرسلٌ لجميع الخلق .

(١) سورة البقرة: آية (١٠٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٠٩) .

(٣) مفاتيح الغيب (٣/ ٦٤٤) .

٨١- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ

قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٧٨﴾﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وفيه إشارةٌ إلى تأكيد النَّسخ ، فكأنَّ الإضافة تشير إلى أنه قد نسخ شرع موسى وعددٍ من الأنبياء بشرع محمد (ﷺ)"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من الإضافة في (رسولكم) أن الشريعة المحمدية ناسخة للشرائع السابقة ، وهذه الدلالة ليست مقصودة باللفظ في الأصل ، وإنما قُصِدَتْ تبعاً .

وجه الاستنباط:

دَلَّت الإضافة في كاف الخطاب المقرونة بميم الجمع في لفظة رسولكم على أن الإضافة لهم؛ لكون الشريعة المحمدية ناسخةً للشرائع السابقة ، حيث إنَّ الرسول مرسلٌ للمسلمين واليهود وغيرهم، ولذلك أُضيف إليهم، فيتَّضح من ذلك أن الشريعة الإسلامية المحمدية شريعةٌ عالميةٌ عامةٌ وناسخةٌ لجميع الشرائع ، بدلالة الإضافة إلى الضمير في الآية .

تحليل الاستنباط:

توصَّل ابنُ بَدْران - رحمه الله - إلى استخراج هذا المعنى من الإضافة في (رسولكم) ، فخرج بنظرية النسخ في الشرائع السماوية^(٣) ، وليس النسخ للكتب بكلِّ ما فيها ، بل النسخ في الشرائع دون غيرها كما ذكر ابنُ بَدْران هنا ، إذن فالنسخ الواقع في الكتب المتقدِّمة يكاد ينحصر في موضوعٍ واحد من موضوعاتها، وهو: الأحكام التشريعية^(٤)،

(١) سورة البقرة: آية (١٠٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٠٩) .

(٣) انظر: نظرية النسخ في الشرائع السماوية: لشعْبَان محمد إسماعيل .

(٤) انظر: شرح مختصر الرُّوضَةِ: للطُّوبِي (٢٧١/٢) .

وعليه فإن إطلاق القول بنسخ الكتب المتقدمة بالقرآن محل نظر، وفيه إجمال غير مناسب، والصواب أن يقال: هو مُهَيِّمٌ عليها^(١) ، وليس مُزِيلًا أو مُبْطِلًا لها ، قال القرطبي: "ولا خلاف أن الله تعالى لم يُغَايِرْ بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينها في الفروع ، حَسَبَما عَلِمَهُ سبحانه"^(٢) .

فالأصل في الديانات أنها دينٌ واحد هو الإسلام ، فإذا كان دين الأنبياء واحداً هو الإسلام، فهل يقال: إن الإسلام ناسخٌ لذلك الدين السابق! فالقول بأن الأديان السماوية السابقة قد نُسخَتْ بالإسلام فيه تعميمٌ يفتقدُ الدقة أيضاً؛ لأن دين الأنبياء واحدٌ هو الإسلام ، كما أن القرآن جاء مصدقاً لها، فلا يسوغ القول بأنه نسخها وأزالتها؛ إذ لا يمكن الجمع بين التصديق والإزالة ، ولكن يجوز القول بأن شريعة الإسلام نَسَخَتْ الشرائع السابقة .

ولا يمنع هذا الإطلاق وجود بعض التشريعات القديمة التي أقرّها الإسلام، قال الطُّوفِي^(٣) (ت: ٧١٦هـ): "لا يشترط في نسخ الشريعة نسخ جميعها، بل يكفي في تسميتها منسوخةً نسخ بعض أحكامها، بدليل أن شريعة محمدٍ (ﷺ) نسخت كلَّ شريعةٍ قبلها ، مع أنها قرّرت بعض الأحكام فلم تُنسخ"^(٤) ، والله أعلم .

(١) أي: حافظٌ وأمينٌ وورقيبٌ عليها . انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (٦/ ١٧٧) ، والمُخَكَّم والمُحِيط الأعظم: لابن سيّدة (٤/ ٣٣٥) ، وشمس العلوم: للجَمَيرِيّ (١٠/ ٦٩٨٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٦/ ١٦٤) .

(٣) هو سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفِي، ولد في طُوفَا سنة (٦٥٧هـ)، من شيوخه: الزَّيْنُ علي الصَّرَصَرِي، والتقيُّ الزريراني، ومحمد بن الحسين الموصلي، ومن مؤلفاته: بغية السائل في أمهات المسائل، والإكسير، ومعراج الوصول. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٣/ ١٢٧)، ومعجم المؤلفين: لعمركحالّة (٤/ ٢٦٦) .

(٤) شرح مختصر الروضة: للطُّوفِي (٣/ ١٨٣) .

٨٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ

قَبْلُ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وعندي أن الآية في حق اليهود ، وكما اختاره الفخر^(٢) ، وأن المراد بالرسول هو محمد (ﷺ) ؛ لأنه مرسلٌ إليهم قطعاً ، وأنها في حق المؤمنين على سبيل الوعظ"^(٣) .

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية نزلت في حق اليهود ، والإضافة في (رسولكم) دلّت على أن المراد بالرسول هو محمد (ﷺ) ، وسياق الآية يدلُّ على ذلك .

وجه الاستنباط:

الخطاب في الآية لليهود على أصحِّ الأقوال^(٤) ؛ لكون الرسول (ﷺ) مرسلٌ إلى الناس كافة ، ولأن هذه السورة حكايةٌ عن اليهود وليس غيرهم ، ولأن الآية مدنيةٌ ، واليهود ممن سكنوا المدينة ، فدلَّ على أن المعنيَّ في الآية هم اليهود ، وأن النبي المرسل محمدٌ (ﷺ) .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى المُستنبط كان من عدّة طرق منها:

أولاً: كون الرسالة المحمدية شاملةً وعمامةً للجميع ، فيدخل فيها اليهود وغيرهم .

(١) سورة البقرة: آية (١٠٨) .

(٢) مفاتيح الغيب (٣/ ٦٤٤) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٠٩) .

(٤) معالم التنزيل: للبغوي (١/ ١٥٤) ، ومفاتيح الغيب (٣/ ٦٤٤) ، والكشف والبيان: للتعليبي (١/ ٢٥٧) .

ثانياً: لأن السياق في الآيات قبلها كان عن بني إسرائيل ، فدلَّ على أن الآية في حقِّ اليهود ، وقد اختلفَ في المُخاطَب على وجوه (١) ، لكن أقواها وأصحَّها أنهم اليهود ؛ إذ الدلائل عليهم أقوى من كونها لغيرهم، وتصديق هذا القول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (٢) .

(١) أحدها: أنهم المسلمون، وهو قول الأصمِّ والجبائي وأبي مُسلم . والقول الثاني: أنه خطابٌ لأهل مكة، وقد رُوِيَ عن ابن عباس ومُجاهد . والقول الثالث: أنهم اليهود ، وهذا القول أصح . انظر: غرائب القرآن: للنيسابوري (٣٦١/١)، والجواهر الحسان: للشَّعَلِي (٣٠٠/١)، والمحزُّر الوجيز: لابن عطية (١٩٥/١)، ومفاتيح الغيب: للرزاي (٦٤٣/٣).

(٢) سورة النساء: آية (١٥٣) ، وانظر الدليل في: الكشف والبيان: للشَّعَلِي (٢٥٧ /١) .

٨٣- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ

قَبْلُ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وظاهر الآية يدلُّ على أنَّ السؤال لم يقع منهم؛ ألا ترى أنه قال: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا﴾ فوجَّههم على تعلق إرادتهم بالسؤال؛ إذ لو كان السؤال قد وقع لكان التوبيخ عليه لا على إرادته"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة النص.

التوضيح: فظاهر الآية على أن السؤال لم يقع، فالتوبيخ وقع لإرادتهم لا على السؤال، مما يدلُّ على أنه لم يقع السؤال منهم بعد، وهذا هو ما نصَّت عليه الآية، وهو مما يعرفه العالم باللغة دون تأمل.

وجه الاستنباط:

قوله: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ﴾ يُؤدِّن بأن السؤال لم يقع بعد منهم، فقد يكون جاش في نفوس بعض المسلمين، أو ربما أثارته في نفوسهم شبهة اليهود في إنكارهم النَّسَخَ، وإلقائهم شبهة البداء، ونحو ذلك، فدلَّ على أن التوبيخ لما تُكِنُّه نفوسهم من إرادة السؤال، وأما السؤال فلم يقع؛ إذ لو كان السؤال قد وقع لكان التوبيخ عليه لا على إرادته، وكان يكون اللفظ: "أتسألون رسولكم؟" أو ما أشبه ذلك، مما يؤدي معنى وقوع السؤال.

تحليل الاستنباط:

توصَّل ابنُ بَدْران - رحمه الله - إلى هذا المعنى من ظاهر الآية؛ إذ إنَّ الآية إشارةٌ مباشرة إلى الذين طلبوا أو فكروا في طرح هذا السؤال إلى الرسول (ﷺ)؛ إذ إنَّ الأصل في دلالة الألفاظ على المعاني هو المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن، وأنَّ الأصل في كلام

(١) سورة البقرة: آية (١٠٨).

(٢) جواهر الأفكار (٣٠٩).

الشارع ونصوص أحكامه أنها قوالب مدلولاتها الظاهرة ، يقول ابنُ القَيِّم (ت: ٧٥١هـ):
"إذا ظهر قصد المتكلم لمعنى الكلام ، أو لم يظهر قصدٌ يخالف كلامهُ وجب حمل كلامه
على ظاهره" (١) .

(١) إعلام المُوقَّعين (٣ / ١٩) .

٨٤ - قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلّ قوله تعالى: ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ على أن تلك الودادة ابتدأت من زمن وضوح الحقّ وتبينه لهم ، فليسوا من أهل الغباوة الذين قد يغرب عنهم وضوح الحق، بل ذلك على سبيل الحسد والعناد، وهكذا شأنهم إلى الآن" (٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية تنصُّ على أن اليهود ودوا أن يرتد المسلمون عن دينهم حسداً منهم حيث تبين لهم حقيقة دينهم ، وهذا مما يفهم من معنى النصّ نفسه دون تأمل .

وجه الاستنباط:

اليهود لم يحسدوا المسلمين إلا بعد أن تبينت لهم حقيقة دينهم؛ إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطلٌ ، وفي أيديهم ما يزعمون أنه خيرٌ منه، فدلّ على أن الحسد لا يأتي إلا بعد العلم، فهم ما حسدوه إلا بعد تبين الحقّ، ولكنّ الحسد حملهم على الجحود بالمعجزات الدالات على صدق محمدٍ (ﷺ) ، وبالنعوت المذكورة في التوراة.

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا هو الاعتماد على دلالة كون الفضل الذي يُحسدُ عليه إنما يقع بعد ظهور كونه فضلاً ، فهذا وقع منهم بعد أن تبين لهم ذلك ، فكثيرٌ من أهل الكتاب وخاصةً اليهود لم يكتفوا بإعراضهم عن الدين المبين، بل كانوا يودون أن يرتدّ المسلمون عن دينهم، ولم يكن ذلك إلا عن حسدٍ يَشُبُّ في أنفسهم على نعمة الإيمان التي وهبها - جلّ وعلا - للمسلمين ، فكانوا يتمنون زوال هذه النعمة .

(١) سورة البقرة: آية (١٠٩) .

(٢) جواهر الأفكار (٣١٢).

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ و

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ففيه بشارَة المؤمنين وأهل الحق بعلو كلمة الإسلام والحق ، وقهر مَنْ عاداه"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو الوعيد للمتعدّي بالدخول للمساجد ورجلاً خائفاً ، والحكم المسكوت عنه هو البشارة للمؤمنين بعلو كلمة الإسلام والحق وقهر من عاداهم، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

ختم الله الآية - بعد ذكر مَنْ يسعى في خراب مساجد الله - بالوعيد لهم ، وعقاب المتعدّي عليها بالدخول إليها ورجلاً خائفاً ، وما هذا إلا لعلو كلمة الإسلام ، وقهر أعداء الله، وعدم المساس بشيءٍ من الأمور المقدّسة عند المسلمين . والتحذير من هذا فيه بشارَة للمسلمين وأهل الحق بمكانة الإسلام وعظيم التّعدي على أمرٍ من أموره، والعمل على الحفاظ على مقدساته ، فكون المساجد مضافةً لله فهذا دليل شرفها وكونها طاهرةً عالية، فلا يكون فيها شيءٌ مما يُدنّسها .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بَدْران - رحمه الله - كان أخذاً من الوعيد بالغلبة والخوف للمتعدّي في الآية ، حيث علّم من الوعيد بشارَة المؤمن بالنصر؛ إذ لا يستطيع أعداء الإسلام التّعدي على مقدّساتهم ، وإن فعلوا فالعقاب مصيرهم ، قال الحافظ ابن كَثِير (ت: ٧٧٤هـ) : "وفي هذا بشارَة من الله للمسلمين بأنه سيُظهرهم على المسجد الحرام ، ويُذلّ لهم

(١) سورة البقرة: آية (١١٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٢١).

المشركين حتى لا يدخل المسجد الحرام واحداً منهم إلا وجللاً يخاف أن يؤخذَ فيعاقب ، أو يُقتلَ إن لم يُسلم ، وقد أنجز الله هذا الوعد، فمنع المشركين من دخول المسجد الحرام، وذلك أنه بعد أن تمَّ فتح مكة للمسلمين أمر النبي (ﷺ) من العام القابل منادياً ينادي برحاب منى : "ألا لا يحجَّن بعد العام مشرك ، ولا يطوفنَّ بالبيت عُريان، ومن كان له أجلٌ فأجله إلى مُدَّتِه" (١) " (٢) .

(١) صحيح البخاري (٦ / ٦٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤]، حديث رقم (٤٦٥٧) . وصحيح مسلم (٢ / ٩٨٢) ، كتاب الحج ، باب: لا يحجُّ البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، وبيان يوم الحجِّ الأكبر ، حديث رقم (١٣٤٧) .
(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٨٩) .

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ويدلُّ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ أَنَّ الكافر لا يحل له دخول المسجد ، لكن عندي في هذه الدلالة نظر ؛ لأنَّ أول الآية يخصُّ من ﴿مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾^(٢) ، فيجب أن يُخصَّ تحريم الدخول بمن كانت هذه صفة مطلقاً ، سواءً كان كافراً أو غير كافر ، وعليه فمن اغتصب مسجداً أو مسجداً مدرسة ، وجعله داراً أو غيرها ، أو تحيّل لاغتصاب وقف مسجداً بأي حيلة كانت ، لا يجوز له دخول ذلك ، وبمنع منه ، وإن نزع الحاكم ذلك من يده وأعاد له لأصله كان قد فعل قرينةً إلى الله تعالى"^(٣).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية صريحة بالوعيد للمتعدّي فقط دون غيره ، وهذا مما ثبت بمعنى النَّص لغة ، يفهم ذلك كل من يعرف هذا اللسان .

وجه الاستنباط:

لما كان منع مساجد الله له أسباب؛ فتارة تُمنع المساجد من أن تُتمتهن فُرُشها، أو أرضها، أو كتبها، أو مصاحفها ، أو كلُّ ما يُفضي إلى خرابها ، كان الوعيد والتهديد لمن يفعل ذلك بالخوف عند دخولها ، فتبيّن من سياق الآية كون الوعيد لمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسم الله ، أو سعى في خرابها بأيّ خرابٍ حسّي أو معنوي ، وليس في سياق الآية دلالة على أنّ الكافر لا يجوز دخوله المساجد ؛ إذ إنّ الآية صريحة بالوعيد للمتعدّي فقط دون غيره .

(١) سورة البقرة: آية (١١٤) .

(٢) سورة البقرة: آية (١١٤) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٢٣-٣٢٤).

تحليل الاستنباط:

توصَّلَ ابنُ بَدْران - رحمه الله - لهذا المعنى بناءً على ظاهر الآية في تخصيصها للحكم، فالوعيد كان لمن منع مساجد الله أن يُذكَرَ فيها اسمه وسعى في خرابها، وهذا تخصيصٌ يُخْرِجُ كلَّ ما عدا ذلك من الاستدلالات غير الظاهرة في الآية، والتي لا تستند إلى دلائل وإشارات، فتخصيصها ببعض الأشخاص ضعيف^(١).

ويظهر مما تقدَّم خطأ القول بأنَّ الكافر لا يَحِلُّ له دخول المسجد؛ إذ إنَّ الآية لاتدلُّ عليه، كما أنَّ الجمهور على خلاف هذا الحكم، فقد جَوَّزَه الأحناف^(٢) مطلقاً، وهو قول الشافعية^(٣)، والحنابلة على الصحيح^(٤)، إلا أنهم قيَّدوا ذلك بإذن المسلم له، وذهب المالكية^(٥)، والحنابلة في قول^(٦) إلى المنع مطلقاً إلا لضرورة عملٍ ونحوه. أما مسألة دخول الكافر المسجد الحرام فقد فرغ الفقهاء من بحثها تأصيلاً وتفريعاً، فذهب جمهور الأمة إلى حرمة دخول غير المسلمين المسجد الحرام^(٧).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٧٧ / ٢).

(٢) الدرُّ المُختار: لابن عابدين (٢٠٩ / ٤)، وشرح السَّير الكبير: للسرخسي (١٣٤ / ١)، والأشباه والنظائر لابن نجيم (٢٨٠ / ١)، وغيرها.

(٣) مُعْنَى المحتاج: للخطيب الشَّريفي (٢١٦ / ١)، وروضة الطالبين: للنَّووي (٢٩٦ / ١)، والإقناع في حلِّ ألفاظ أبي شجاع: للخطيب (٦٧ / ١)، وغيرها.

(٤) المغني: لابن قدامة (٣٥٩ / ٩)، والمبدع: لابن مُفلح (٣٨٠ / ٣).

(٥) حاشية الصاوي على الشرح الصغير (١٧٨ / ١)، حاشية الدُّسوقي على الشرح الكبير (١٣٩ / ١).

(٦) الإنصاف: للمزداوي (٢٤٠ / ٤).

(٧) والأدلة واضحة في هذا وكثيرة، أذكر منها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّتَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ سورة التوبة: آية (٢٨)، فقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ يفيد النهي عن قرب المسجد الحرام، فهو عامٌّ في المشركين، خاصٌّ بالمسجد الحرام.

٨٧- قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

مِلَّتَهُمْ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وهذا الخطاب وإن كان للنبي (ﷺ)، لكنه في ضمنه التأديب لأمتة؛ فإنهم يعلمون قدره عند ربه، وإنما ذلك ليتأدَّب به المؤمنون ، فلا يُوالون الكافرين؛ فإنهم لا يرضيهم منهم إلا اتباع دينهم"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من كون الخطاب للنبي (ﷺ) أنه خطابٌ لأمتة وتأديبٌ لهم ، وهذه دلالة غير مقصودة من النص أصالة ، وإنما فُصِدَتْ تبعاً .

وجه الاستنباط:

لما كان الخطاب في الآية للرسول (ﷺ) ، على الرغم من كون رسول الله (ﷺ) مُصْطَفَىٍّ وَمَعْصُومٌ من أن يتبعهم ، عُلِمَ منه التحذير لأمتة والتأديب لهم ، وهم الذين يمكن أن تميل قلوبهم إلى اليهود والنصارى ، أما الرسول (ﷺ) فقد عصمه الله من أن يتبع مِلَّتَهُمْ ، فالله - جلَّ وعلا - يريدنا أن نعلم يقيناً أن ما لم يَقْبَلْهُ من رسوله (ﷺ) لا يمكن أن يقبله من أحدٍ من أمتة مهما علا شأنه ، وذلك حتى لا يأتي بعد رسول الله (ﷺ) مَنْ يَدْعِي العلم والدين ، ويقول: نتبع مِلَّةَ اليهود أو النصارى لنجذبهم إلينا ، فما لم يَقْبَلْهُ الله - جلَّ وعلا- من حبيبه ورسوله (ﷺ) لا يَقْبَلْهُ من أحد ، فاتَّبَعَ مِلَّةَ اليهود أو النصارى مرفوضٌ تماماً، تحت أي ظرفٍ من الظروف أو لأيِّ سببٍ من الأسباب، فَضَرَبَ اللهُ سبحانه المثل برسوله حتى يقطع على أمتة أيَّ طريقٍ للبعث بهذا الدين بِحُجَّةٍ التقارب مع اليهود والنصارى .

(١) سورة البقرة: آية (١٢٠) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٣٣).

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى هو الاعتماد على قاعدة:
التَّابِعُ تَابِعٌ^(١) ، حيث ألحق التَّابِعُ^(٢) - وهم أمة محمد (ﷺ) - بالْمَتَّبُوعِ^(٣) - وهو الرسول (ﷺ) - في الحكم بالتَّبَعِيَّةِ، فكلاهما مُنْعٍ من إِتِّبَاعِ ملة اليهود والنصارى .

فما كان تابعاً لغيره في الوجود لا يُفْرَدُ بالحكم، بل يدخل في الحكم مع مَتَّبُوعِهِ ،
فالعقل يقتضي أنَّ وجود أيِّ ارتباطٍ بين شيئين على وجهٍ يصل إلى عدم الانفكاك
بينهما يلزم منه أن يرتبط أحدهما بالآخر في الحكم .

وهذه القاعدة يمكن أن يُسْتَدَلَّ لها بقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾^(٤)، فبعض العلماء استنبط هذه القاعدة من هذا
الدليل العظيم، والخطاب فيها للنبي (ﷺ) ، فهو المتبوع والأمة تعتبر تابعةً له،
والخطاب هنا كان أولاً للمتبوع ثم عُمِّمَ على التابع، وذلك يدلُّ على أن التابع
حكمه حكم المتبوع ، ومثله هذا الحكم ، فالخطاب للنبي (ﷺ) ؛ فهو المتبوع،
والأمة تابعة له ، وإن كان المراد منه التأديب لأُمَّتِهِ لا الأمر للرسول (ﷺ) ؛ إذ
منزلتهم دون منزلته .

(١) الوجيز: محمد صِدْقِي (٣٣١) ، والأشباه والنظائر: للسُّيُوطِي (١١٧) ، والأشباه والنظائر: لابن نُجَيْم
(١٠٢) ، وغمز عيون البصائر: للحَمَوِي (١ / ٣٦١) ، وشرح القواعد الفقهيَّة: لمحمد الرُّزْقَا (٢٥٣) .
(٢) هو الذي لم يثبت له الحكم أصالةً ، وإنما ثبت تبعاً للمتَّبُوعِ ، وهو على غرار (الفرع) ، وقد عرَّفَهُ الشيخ
محمد صِدْقِي: "ما لا يوجد مستقلاً بنفسه، بل وجوده تابعٌ لوجود غيره، فهذا لا ينفكُّ حكمه عن حكم
متبوعه." الوجيز (٣٣١) .
(٣) هو الذي ثبت له الحكم أصالةً ، ثم ألحقنا به التَّابِعِ في الحكم ، وهو على غرار (الأصل) .
(٤) سورة الطلاق: آية (١) .

٨٨ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي هذا الدعاء دليل على أن بنائهما ذلك لم يكن مسكناً يسكنانه، ولا منزلاً ينزلانه، بل هو دليل على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن يعبد الله، تقرباً منهما إلى الله بذلك"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من دعائهما بالقبول أن يكون البناء طاعة وقربة لله - جل وعلا-، إذ أنه يستحيل الدعاء منهما بالقبول في مالا قرية فيه إليه، وهذه الدلالة لا يدل عليها السياق وإنما هي من إشارات الآية الدقيقة .

وجه الاستنباط:

لما كان بناء البيت الحرام قربة لله وطاعة يتقربان بها إلى الله - جل وعلا - كان لدعائهما وجه مفهوم، وسبب واضح؛ فكان دعاؤهما دليلاً على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن يعبد الله، تقرباً منهما إلى الله بذلك .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا كان استنباطاً من دعائهما، فالدعاء قد يكون طريقاً لقبول العمل من العبد؛ فدعاء إبراهيم وإسماعيل كان على أنهما يُقدّمان قربة وطاعة لله - جل وعلا-، فيستحيل أن يكون الدعاء لما ليس قربة؛ إذ لو كان عملهم منزلاً وسكناً يسكنانه لما كان للدعاء وجه يذكر، كما أن القرية لا يمكن أن تكون سكناً أو ما في حكمه مما يمكن أن ينتفع به الإنسان وحده دون غيره، بل لا بُدَّ أن يكون عملاً ذا فائدة للخلق، ويكون مما يمكن أن يطلق عليه قربة لله، فتبين من هذا أنهما بنياه هذا البيت قربة لله تعالى لكل من أراد أن يتعبد فيه .

(١) سورة البقرة: آية (١٢٧) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٤٦) .

٨٩- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٩﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ودلَّت الآية على أنه سيكون في تلك الذرية الإبراهيمية الإسماعيلية جُهَّال لاحكمة فيهم، ولاكتاب، وأن الشرك يُنَجِّسهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٢)، وأنه تعالى يبعث فيهم رسولاً منهم يُطَهِّرُهُمْ، ويجعلهم حكماء الأرض"^(٣).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فثبت بمعنى النَّصِّ لغة أن القوم فيهم جُهَّال حيث كان الدعاء بتعليمهم الكتاب ، وأنه لا حكمة فيهم حيث كان الدعاء بتعليمهم الحكمة ، وأنهم رجس حيث كان الدعاء بتزكيتهم بأنهم على الشرك ، فالشرك نجس .

وجه الاستنباط:

لما كانت دعوة إبراهيم وإسماعيل بأن يبعث الله في ذريته رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، عُلِّمَ من دعائه بتعليمهم الكتاب أَنَّهُ لَاعِلْمٌ لَدَيْهِم بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ السَّابِقَةِ، وَعُلِّمَ من دعائه بتعليمهم الحكمة أَنَّهُ لَاحِكْمَةٌ فِيهِمْ، وَأَنْ فِيهِمْ جُهْلَاءٌ، وَعُلِّمَ من دعائه بتزكيتهم أَنَّهُمْ عَلَى الشَّرْكِ، حَيْثُ أَنَّ الشَّرْكَ يَنْجَسُ أَصْحَابَهُ، فَوَجِبَ تَطْهِيرُهُمْ.

تحليل الاستنباط:

وطريق ابنِ بَدْران في استنباط هذا المعنى هنا هو الاعتماد على أَنَّ طلب تعليم شيءٍ يقتضي الجهل به مسبقاً؛ إذ لو لم يكن الجهل موجوداً مسبقاً لما طُلِبَ التعلُّم والهداية، ومثله ما ورد هنا ، حيث إنَّ طلب إبراهيم من ربه العلم والحكمة والتزكية لذريته دليلٌ على عدم وجود هذه الأمور فيهم ؛ إذ لو كانت موجودةً لما طلب ذلك في دعائه .

(١) سورة: البقرة آية (١٢٩) .

(٢) سورة التوبة: آية (٢٨) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٤٩).

٩٠- قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وهذا السؤال يدلّان على أن شفقة الأنبياء على أولادهم كانت في باب الدين ، وهمّتهم مصروفةٌ إليه دون غيره" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فهذه الآية تُنصُّ على موقف تربوي يحمل بين طياته حُسن الخطاب والتودد واللين الذي صدر من يعقوب (عليه السلام) ، وهو في حالة الموت ؛ حيث استغل ذلك الموقف عندما لانت قلوب الأبناء، ومُليّت شفقة على الوالد الذي يصارع الموت ، فضرب لنا أعظم مَثَل في سعي الأنبياء المستمر لتأديب أبنائهم ، فكانت تربية الأولاد على الإيمان بالله - جلَّ وعلا - دأب المرسلين، ونهج الأنبياء، وهو النهج القويم ، والصراط المستقيم .

وجه الاستنباط:

إنَّ من أعظم ما افترضه الله علينا تجاه نعمة الدُّرية أن نقوم على أمر تربيتهم، وتعهدهم بما يصلح لهم أمور دنياهم وأُخراهم، والأنبياء أولى بأن يأخذوا بهذا الأمر من غيرهم، بل هم أحقُّ به ؛ إذ إنَّهم قدوةٌ لغيرهم ، ومسؤولون أكثر من غيرهم عن أولادهم، كما أن الدعوة في الأقربين أحقُّ من غيرهم ، فكانت همّة الأنبياء مصروفةً لهذا أكثر من غيره، وهذه من أكد الواجبات والأمانات المثلّقات على عواتق الأنبياء - عليهم السلام-، ولعل في نصيحة يعقوب لبنيه أعظم دليلٍ على همّته في أن يكون أولاده من بعده على دينه ، كما تدلُّ هذه الآية على أنّ يعقوب (عليه السلام) كان حريصاً أشدَّ الحرص

(١) سورة البقرة: آية (١٣٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٥٤).

على تربية أولاده؛ لأنه يُوصي أولاده في اللحظة الأخيرة بتوحيد الله ، ولم يُوصِ بماله ولا بشيءٍ آخر .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا هو الاعتماد على الإشارة لحقوق الأبناء على الآباء ، وكونها في حقّ الأنبياء أحقُّ وأوجب من غيرهم ، فلا شك أن هناك حقوقاً متبادلةً بين الآباء والأبناء، فكما أنه يجب على الأبناء الإحسان إلى الآباء، وطاعتهم وبرّهم ، فكذلك للأبناء على الآباء حقوقٌ؛ منها: حسن تربيتهم ، وتعليمهم أمور دينهم ، والرفق بهم ، والعدل بينهم في المعاملة والعطيّة .

وإذا وجّه الأب طفله لتعلّم الأمور الدينية وجد فراغاً في قلبه ، ومكاناً في فكره ، وقبلها من عقله؛ إذ هي مرحلة تتوقّد فيها ملكات الحفظ والذكاء ، فوجب استغلال هذه الملكات وتوجيهها الوجهة الصحيحة، كما أنّها مرحلة طهرٍ وبراءة، لم يتلبّس الطفل فيها بأفكارٍ هدّامة ، ولم تلوث عقله الميول الفكرية الفاسدة ، التي تصدّه عن الاهتمام بالناحية الدينية ، بخلاف ما لو بدأ التوجيه في مراحل متأخرة قليلاً .

ولهذا فالتربية التي لا تقوم على أسس دينية تُعتبر أمراً خطيراً ، فإذا فقدت التربية عنصر الدين فقدت قوامها ، بل كان فقدانها سبباً لانحلال التربية تلقائياً ، وكلّما كانت التربية واجبةً في حقوق البشر كانت أوجبُ في حقوق البعض أكثر من غيرهم كالأنبياء؛ فهم أولى من غيرهم في القيام بحقوق أبنائهم ؛ إذ الدعوة في الأقربين مطلبٌ ضروري، وهي واجبةٌ عليهم أكثر من كونها واجبةً في بقية الناس .

٩١- قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وأنت إذا تأملت هذه الآية والتي قبلها وجدتهما يشيران إشارة من اللطف الإشارات، ويُلفَتان إلى معنى من أدق المعاني، ويُلوَّحان إلى أن النَّصاري واليهود وأمثالهما يدعون إلى دينهما، فلا تطعهما في دعواهما، وأتبع دين الفطرة والاستدلال الذي هو دين إبراهيم عليه السلام، حيث استدلل بالمصنوعات على الصَّانع، وذلك مما فطر كلُّ كامل العقل عليه، فأفرد الحقَّ تعالى بالوحدانية، وذلك دين لا يتغيَّر بتغير الأزمان، ولا يختلف بتبدُّل الأمم واختلاف ألسنتها، ومجيء أمة بعد أمة، وهو الإيمان بالله تعالى إيماناً خالياً مما دسَّه المبتدعون"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية جوابٌ لمن عُرضَ عليه ديناً غير الإسلام من قبل اليهود أو النَّصاري، وهذا مما ثبت بمعنى النَّصِّ، يَعْرِفُهُ العالم باللُّغة دون تأمل .

وجه الاستنباط:

هذه الآية جوابٌ للآية السابقة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾^(٣)، وهي تُخَبِّرُ الأمة بالجواب الشافي لمن عُرضَ عليه دينٌ غير دين الإسلام، وهي جوابٌ لليهود والنَّصاري ومن على شاكلتهم ممن يدعون إلى دينهم، وتخبرهم بأنَّ الهداية ليست إلا في الإيمان بالله تعالى، وما عدا ذلك فليست هداية تستحقُّ السير عليها، كما أنَّ هذه الآية تعطينا تفسيراً لقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مَلَّةَٰ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٤)، فالبلاغ الصحيح عن

(١) سورة البقرة: آية (١٣٦).

(٢) جواهر الأفكار (٣٥٩).

(٣) سورة البقرة: آية (١٣٥).

(٤) سورة البقرة: آية (١٣٥).

الله منذ عهد آدم حتى الآن هو وَحْدَهُ العقيدة بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو دين الإسلام، وكلُّ شيءٍ يخرج عن ذلك يكون من تحريف الديانات السابقة، وهو افتراءٌ على الله سبحانه لا يقبله ولا تتَّخذه منهجاً .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - هنا الاعتماد على الربط بين تلك الآية والآية قبلها؛ حيث إنها جوابٌ لقول القائل قبلها: "كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا"، وهي من قبيل ما يُعرَفُ بعلم المناسبة، وهو علمٌ شريفٌ غزير الفائدة، قلَّما يخلو من فوائد لطيفة، واستنباطاتٍ دقيقة، وفي هذه الآية ارتباطٌ واضحٌ، وليس من قبيل التكلُّف الممقوت .

قال عزُّ الدين بن عبد السلام^(١) (ت: ٦٦٠هـ): "المناسبة علمٌ حسنٌ، لكن يشترط في حُسن ارتباط الكلام أن يقع في أمرٍ مُتَّحدٍ مرتبٍ أوله بآخره، فإن وقع على أسبابٍ مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلِّف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يسان عن مثله حسنُ الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيفٍ وعشرين سنةً في أحكامٍ مختلفة، شُرِعت لأَسبابٍ مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتَّى ربط بعضه ببعض"^(٢).

والمناسبة مظهرٌ من مظاهر الإعجاز القرآني الذي يُؤكِّد الترابط بين الآيات، مما يُؤكِّد وجود نسقٍ قرآني مترابطٍ متلاحمٍ، يسعى بعضه في تأكيد بعض وتوضيحه؛ للوصول إلى معنى مقصودٍ وحكمةٍ مُبتَغاةٍ، وغايةٍ مرجوةٍ . قال الإمام الرَّازي (ت: ٦٠٦هـ) في سورة البقرة: "ومن تأمَّل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها عَلِمَ أن القرآن كما أنه مُعْجِزٌ بحسب فصاحة ألفاظه، وشرفٍ معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه مُعْجِزٌ بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"^(٣).

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مُهَدَّب السُّلَمي، يُعرَفُ بالعرَّ بن عبد السلام، وُلِد في دمشق عام (٥٧٧هـ)، من شيوخه: ابن عَسَاكِر، والأَمِدِي، و القاسم بن عَسَاكِر، ومن تلاميذه: ابن دقِيق العيد، والقَرَّافِي، و أبو شامة النَّحوي، ومن مؤلفاته: الفوائد، وتفسير القرآن، انظر ترجمته في: طبقات المفسرين: للدَّوودي (١/ ٣١٥).

(٢) البُرْهَان: لِلزَّرْكَشِي (١/ ٣٧)، والإِتْقَان: لِلسُّيُوطِي (٣/ ٣٧٠).

(٣) مفاتيح الغيب: لِلرَّازِي (٧/ ١٠٦).

إلا الله وحده لا شريك له، وهو دين الإسلام ، والتصديق بجميع الرسل والكتب يجعل هناك اتحاداً واتفاقاً مع بقيّة الأديان ؛ حيث إنّ الأصل واحدٌ وإن اختلفت الشرائع ، وهذا يؤدّي إلى الترابط والتآلف بين الأديان ، وتبادل المصالح التجاريّة فيما بينها ، وما ذلك إلا بناءً على الأصل الأعظم وهو الإيمان بالله - جلّ وعلا - .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله- في استنباط هذا المعنى كان بناءً على كون الأديان كلّها مبنيةً على أصلٍ واحد، هو أصل التوحيد أو وحدانية الله، حيث جاء الأنبياء بنياً مفاده أن الله واحدٌ ، فإذا كانت هناك حقيقةً واحدةً وإلهٌ واحدٌ فمن غير الممكن أن يكون هناك أكثر من دينٍ واحد، فأقوال وتعاليم الأنبياء في جوهرها متوافقةٌ مع بعضها لا تغاير فيها، فكلها ترشد إلى معرفة الله ، فليس هناك اختلافٌ بين أصول الأديان ، وهذه الآية تُعلّمنا بالأصل الأصيل الموجود في كل الأديان ، وهو وحدانية الخالق - جلّ وعلا- .

ومن أبرز مظاهر التعايش التي سادت الحضارة الإسلامية عبر العصور، أن الإسلام يعتبر اليهود والنصارى أهل ديانة سماويةً ، وعلى الرغم من أن عدم الإيمان بنبوّة محمد (ﷺ) ، عندنا أمرٌ خطير ، وذنوب لا يغتفر ، فإن الإسلام قد استوعب هذا الخلاف، لابلتهوين من أمره ، ولكنه بما رسمه في باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم خلاف المعتقد؛ فإنه ينبغي أن ينطلق هذا التعايش ابتداءً من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمسُّ حياة الإنسان من قريبٍ، وليس فيما لا نفع فيه، ولا طائل تحته^(١) .
فهذه الآية هي قاعدة للتعايش بين الأديان؛ لأنها تدعو إلى إفراد الله بالعبودية، فليكن التعايش بين الأديان إذن، من أجل الله وحده لا شريك له، ومن أجل الحياة الإنسانية الحرّة الكريمة، في ظلّ الإيمان والخير والفضيلة وما فيه مصلحة الإنسان .

(١) ينظر- لمن أراد- كُتِبَ الولاء و البراء ؛ حيث إنّ هذا موضوعٌ متفرّعٌ ، وليس هنا موضع تفصيله لتحاشي الإطالة ، فمنها: مفهوم الولاء و البراء في القرآن والسنة: لعلي الشُّخود ، والولاء و البراء في الإسلام: للبركاتي ، والولاء و البراء في الإسلام: لمحمد المَحطّاني ، وغيرها .

٩٣- قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ^ص﴾

وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وفي الآية زجرٌ عظيم لمن جعل التقليد مذهبه ، وسار مع قول مقلِّده كيفما كان ، ثم إن أتاه الحقُّ وظهر له الدليل أعرض عنه جانباً ، وراغ عنه ، وأخذ يُؤوِّله حَسَبَما يريد ، ويختار له هواه ، ويسلك مسالك أولئك المعاندين ، الذين قلَّدوا أحبارهم ورُهبانهم فيما ابتدعوه لهم من الدين ، ورَتَّبُوهُ لهم من المفتریات" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من النهي عن السؤال عن الأمم السابقة قطع التعلق بالمخلوقين ، الذي هو بابٌ من أبواب التقليد المذموم ، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود، وإنما قُصِدَ تبعاً .

وجه الاستنباط:

أخبر الله - جلَّ وعلا- في هذه الآية بأنَّ تلك الأُمَّة من أسلافكم قد مضت، لهم أعمالهم ولكم أعمالكم ، ولا تُسألون عن أعمالهم ، وهم لا يُسألون عن أعمالكم، فدلت الآية على قطع التعلُّق بالمخلوقين ، وعدم الاغترار بالانتساب إليهم ، وأنَّ العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده ، فتبيَّن من الآية أن التقليد مذمومٌ ؛ إذ لا عِصْمَةَ إلا لني .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابنِ بَدْران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى هو الاعتماد على كراهيته للتقليد الذي وقف فيه للمُقلِّدين بالمرصاد ، وذكرهم في كل آيةٍ تشير له في تفسيره ، وعاب عليهم تقليدِهم الأعمى ، حيث إنهم يسرون وراء مقلِّديهم دون حُجَّةٍ أو دليل .

(١) سورة البقرة: آية (١٤١) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٦٥).

ولقد ذمَّ التقليد أكثر من عالمٍ و إمام ، ومن المفيد أن أسوق ما وقفتُ عليه من أقوالهم أو بعضها في ذمِّ التقليد وأهله ، منها قول الشَّافِعِيِّ (ت: ٢٠٤هـ): "مثل الذي يطلب العلم بلا حُجَّةٍ كمثل حاطب ليل ، يحمل حِزْمَةَ حطبٍ وفيه أفعى تَلدَعُهُ ، وهو لا يدري"^(١) ، وقال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): "لا تُقلِّدني ولا تُقلِّد مالِكاً ولا الثَّورِيَّ ولا الأوزاعيَّ وخذ من حيث أخذوا"^(٢) ، وقال: "من قلة فقه الرجل أن يُقلِّد دينه الرجال"^(٣) ، وقال الإمام ابن القَيِّم (ت: ٧٥١هـ) : "ولا وليجةً أعظم ممن جعل رجلاً بعينه مختاراً على كلام الله تعالى وكلام رسوله (ﷺ) وكلام سائر الأمة ، يقدِّمه على ذلك كله، ويعرض كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة على قوله، فما وافقه منها فبِلهُ لموافقته لقوله، وما خالفه منها تلطف في ردِّه وتطلب له وجوه الحيل، فإن لم تكن هذه وليجةً فلا ندري ما الوليجة؟! "^(٤) ، وقال ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) : "كلُّ من قلَّد صحابياً أو تابعياً أو مالِكاً أو أبا حنيفةً أو الشَّافِعِيَّ أو أحمدَ يبرءون منه في الدنيا والآخرة ، فإنَّ هؤلاء الفقهاء قد نَهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم، فقد خالفهم من قلَّدهم"^(٥) .

وقد أفرد كثيرٌ من العلماء والباحثين هذا الموضوع بالدراسة^(٦) ؛ لشدَّة خطورته على المجتمعات ، وكونه داءً عُضالاً يفتك بالبشرية جمعاء ، ويزرع نار التعصُّب والفتن .

(١) فتح المغيث: للسَّخَاوِي (٣ / ٣٣١) ، و إرشادُ النُّقَّاد: للأمير الصَّنْعَانِي (١ / ١٤٣) ، والإيقاظ: للفلَّانِي (١٢٧) .

(٢) إرشاد النُّقَّاد: للأمير الصَّنْعَانِي (١ / ١٤٣) .

(٣) المرجع السابق: (١ / ١٤٣) .

(٤) إعلام الموقعين (٢ / ١٣٠) .

(٥) النُّبذة الكافية (٧٢) .

(٦) ومن هذه الكتب: الاتِّباع: لابن أبي العزِّ ، وإرشاد النُّقَّاد: للأمير الصَّنْعَانِي ، والقول المفيد في أدلَّة الاجتهاد والتقليد: للشُّوكَّانِي ، وأدب الطُّلُب: للشُّوكَّانِي ، والقول السديد في أدلَّة الاجتهاد والتقليد: للفتوحي .

٩٤- قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ^ص﴾

وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وتكرير هذه الآية يدلُّ والله أعلم على أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن ، لم يكن التَّكْرَارُ عبثاً"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فيلزم من تكرار الآية الاختلاف في الحكمة منها ، فالمعنى يختلف في كلتا الآيتين باختلاف السِّيَاق الذي وردت فيه الآية ، وهنا اختلف السِّيَاق فاختلقت الحكمة في كل موضع ، وهذه الحكمة تُعَلِّم من السِّيَاق ويعلمها العالم باللُّغَة من النَّصِّ من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

تكرار الألفاظ والآيات في القرآن الكريم لم يأتِ عبثاً، فالله سبحانه مُنَزَّهٌ عن العبث، وهذه الآية مما تَكَرَّرَ مرتين بين آياتٍ متقاربة^(٣) ، و التَّكْرَارُ هنا لم يكن عبثاً ؛ حيث إنَّ له أغراضاً ولطائف ، فالمعنى يختلف في كلتا الآيتين باختلاف السِّيَاق الذي جيء بالآية فيه، ففي المرة الأولى وَرَدَّتِ الآية على أهل الكتاب بأنه لا شفاعة لهم يوم القيامة في نسبتهم إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وأنَّ النسب لا يُفِيد ، وفي المرة الثانية: رَدَّتْ عليهم من جِهَة ادعائهم النسبة الدينية، وقولهم: إنهم يهود ونصارى ، فهو يقول لهم: لن ينفعكم الانتساب إلى الدِّيانة اليهودية أو النَّصرانية، وأنَّ إبراهيم كان مسلماً حنيفاً ، مما يدلُّ على أن التَّكْرَارَ في القرآن له فوائده ولطائفه المعنوية التي لا تحصل إلا به .

(١) سورة البقرة: آية (١٤١) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٦٦) .

(٣) تَكَرَّرَتْ قبلها بآياتٍ ، حيث دُكِّرَتْ في الآية (١٣٤) من هذه السُّورَة الكريمة .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا الاعتماد على قاعدة التكرار ، فهذا التكرار وجه من وجوه البلاغة القرآنية ، وهو ظاهرة بلاغية لا يَفْطِنُ إليها إلا كلُّ مَنْ له بَصَرٌ بفنون القول ، فالقصة في القرآن قد تتكرَّرُ ألفاظها في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرَّرُ، ولكن يَعْرض في كل موطنٍ جانباً منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد ، ولهذا فإنَّ من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صورٍ مختلفة، والقصة المتكرَّرة تَرِدُ في كل موضعٍ بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالبٍ غير القالب الأول، ولا يملُّ الإنسان من تَكَرُّرها ، بل تتجدَّدُ في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

فؤُود الآية نفسها في الموضعين هنا ليس بتكرار ؛ حيث إنها جاءت على حسب ما يقتضيه السِّياق ، قال أبو حَيَّان (ت: ٧٤٥هـ) : " وليس ذلك بتكرار؛ لأن ذلك ورد إثر شيءٍ مُخَالِفٍ لما وردت الجملة الأولى بِإِثْرِهِ ، وإذا كان كذلك فقد اختلف السِّياق ، فلا تَكَرُّرٌ " (١) ، فالتكرار هنا مُنتَفٍ؛ لاختلاف السياق الذي وردت فيه كلٌّ من الآيتين .

(١) البحر المحيط (١/ ٦٦٣) .

٩٥- قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عُدُولاً ، يشير إلى أن إجماع الفاسقين والمبتدعين لا يُعدُّ إجماعاً، ولا يعتبر في الإجماع إلا العدل العارف بما جاء به الرسول" ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو وصف هذه الأمة بالعدل ، وهذا يقتضي كون إجماعهم حجة؛ لتوفر شرط العدالة فيهم ، والحكم المسكوت عنه هو أن إجماع الفاسقين والمبتدعين لا يُعدُّ إجماعاً؛ لاختلال شرط العدالة فيهم ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

وصَفَ اللهُ تعالى الأُمَّةَ في الآية بالوَسَطِ وهو العَدْلُ ، وفي هذا تركيئةٌ لهم ، فافتضى ذلك قبول قولها ، وصحة مذهبها ، كما نصَّبهم اللهُ شهوداً وقيل شهادتهم على غيرهم، وجعلهم حُجَّةً على الناس في قبول أقوالهم ، ولا يستحقُّون هذه الصفة إلا وقولهم حُجَّةً، وشهادتهم مقبولة ، فعَدَّهم اللهُ بقبول شهادتهم ، ولو كانوا يشهدون بباطلٍ أو خطأٍ لم يكونوا شهداء الله في الأرض ، فدلَّت هذه الآية على حُجِّيَّة الإجماع ، وكون العدل هو المعتبر في الإجماع دون غيره ، حيث إنَّ مَنْ ظهر كفره لا يُعتدُّ به في الإجماع ، وكذلك من ظهر فسقه لا يُعتدُّ به في الإجماع من نحو: الخَوارج والرِّوافض ؛ لأنَّ الله تعالى إنما جعل الشهداء مَنْ وصفهم بالعدالة والخيريَّة ، وهذه الصفة لا توجد في الكفار ولا الفُسَّاق .

(١) سورة البقرة: آية (١٤٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٧٤).

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - قائم على استدلال الأصوليين بهذه الآية على أنّ إجماع علماء الأمة أي المجتهدين حُجَّةٌ شرعيةٌ فيما أجمعوا عليه^(١) ، فالله - جلّ وعلا- أخبر عن عدالة الأمة ، وإذا ثبتت عدالتهم وجب كون قولهم حجةً ، فلو كان فيما اتفقوا عليه أمر باطلٍ لانتكمت عدالتهم ، فخرج من ذلك إجماع الفاسقين والمبتدعين ، فالآية اقتضت العدالة الكاملة لإجماع الأمة .

(١) انظر: الفُصُولُ فِي الْأُصُولِ: لِلْحَصَّاصِ (٣/ ٢٥٧) ، والمعتمد: لأبي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ (٢/ ٤) ، والفقهاء والمُتَّفَعَّة: لِلخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ (١/ ٤٢٧) ، وأصول السَّرْحَسِيِّ (١/ ٢٩٧) .

٩٦- قوله: ﴿قَدَرْنِي تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ إذن في ذلك، ودرجة في جملة محاسن هذه الشريعة الغراء، فمن يرغب في ضرر وطنه، فهو من المخدوعين الذين لم يعلموا أسرار ما جاء به محمد (ﷺ)"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو حبّ الوطن بناء على إرادة رسول الله (ﷺ) بأن تكون قبلة المسلمين بمكة حيث مولده ووطنه ، والحكم المسكوت عنه هو الإضرار بالوطن ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

استمر حنين الرسول (ﷺ) إلى وطنه مكة طوَّالَ فترة مكوثه في المدينة المنورة، فقد كان دائم الشوق إليها، وكانت قبلة المسلمين في الصلاة لا تزال إلى جهة بيت المقدس، فأحبَّ أن يكون الشرفُ للمسجد الذي في بلده، وفي البلد الذي شهدَ ممشاهُ وترعرعَ عُودُه فيه ، فأجابه الله تعالى بتحويل القبلة للمكان الذي أحبه، فعُلمَ من ذلك أن كلَّ فردٍ لا بد له أن يفكر فيما يعود على وطنه بالخير، مما يدلُّ على أن حبَّ الوطن وحمانيته واجبٌ شرعي ، وأنَّ ضده من الإضرار بالوطن لا ينبغي صدوره من مسلم .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران هنا هو البناء على قاعدة مفهوم المخالفة^(٣)، حيث إنَّه أثبت للمنطوق ضده، فالإضرار بالوطن هو ضدُّ المنطوق به وهو حبُّ الوطن، فإذا كان حبُّ الوطن واجبٌ شرعي، فإن الرغبة والسعي في إلحاق الضرر بالوطن أوبأهله محرَّمٌ شرعاً .

(١) سورة البقرة: آية (١٤٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨١) .

(٣) هو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محلّ النطق . انظر تعريفه: المَحْصُول: لابن

٩٧- قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وَذَكَرُ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ دون الكعبة ، دليلٌ على أنَّ الواجب مراعاة الجهة دون العَيْن" ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية نصٌّ على أن التوجه يكون للمسجد الحرام لمن هو خارجه لا لعين الكعبة ، وهذا مما ثبت بمعنى النَّصِّ لغة ، يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل .

وجه الاستنباط:

لما كان البعيد لا يستطيع تعيين اتجاه القبلة، لزم منه التوجه لجهة الكعبة لا لعينها، فقولته تعالى: ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فيه إثبات أنَّ التكليف إلى جِهَةِ الكعبة ، لا إلى خصوصية الكعبة لمن كان خارج المسجد الحرام، وإلا لم يكن لكلمة (شَطْر) فائدة، وكان لفظ ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ دون كلمة شطر يُغني عنه .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله- في هذا الاستنباط الاعتماد على كون التكليف بحسب الوُسْعِ والطاقة، فلم يُشَدَّدَ جَلًّا وعلا عليهم في التوجُّه لعَيْنِ الكعبة ، بل جعل في ذلك الجِهَةَ دون العَيْنِ؛ لأن التوجُّه لعين الكعبة للبعيد الذي لا يستطيع مشاهدتها يعتبر من التكليف بما لا يُطَاق، والله لا يكلف عباده فوق المستطاع، كما أنَّ البعيد الذي يُرَخِّص في حقِّه، هو من لم يقدر على معاينة الكعبة أو اجتهاد في التقصِّي ولم يستطع . قال ابن

=
العَرَبِي (١/ ١٠٥) ، والإحكام: للآمِدِيّ (٣/ ٦٩) .

(١) سورة البقرة آية (١٤٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨١) .

مُفْلِح^(١) (ت: ٨٨٤هـ): "البُعد هنا هو بحيث لا يُقَدَّرُ على المعاينة، ولا عن من يخبره بعلم"^(٢)، فإن تعدُّر تحديد العين للبعيد فالمعتبر ما يصدق عليه أنه مستقبلٌ لجهة الكعبة، وقد وسَّع الله على عباده في هذا، فلم يشقَّ عليهم، ولم يجعل عليهم في دينهم من حرج، فيكفي في ذلك الجهة دون العين .

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مُفْلِح، ولد سنة (٨١٦هـ)، ومن مؤلفاته: الآداب الشرعية لمصالح الرعية، والفروع، والدرر المنتقى. انظر ترجمته: الأعلام: للزركلي (٦٥/١)، ومعجم المؤلفين: لعمَرَ كَحَالَة (١٠٠/١).
(٢) المُبْدِع (٣٥٧ / ١) .

٩٨ - قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "إنَّ قوله تعالى : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١) يوجب الاستقبال، وقد ثبت عقلاً أنه لا سبيل إلى الاستقبال إلى الجهات إلا بالاجتهاد، وثبت بالعقل أن ما لا يتم الوجوب إلا به فهو واجب ، ولزِمَ القطع بوجوب الاجتهاد، والاجتهاد لا بُدَّ أن يكون مبنياً على الظنِّ ، فكانت الآية دالةً على التكليف بالظنِّ " ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من الأمر بالاستقبال الوجوب ، والسبيل إلى الاستقبال يكون بالاجتهاد المبني على الظن ، وهذه الإشارة دقيقة غير مقصودة من النصِّ أصالة .

وجه الاستنباط:

لما كان استقبال القبلة شرطاً من شروط صحّة الصلاة ، أمر الله في الآية باستقبال القبلة، مما يدلُّ على وجوب الاستقبال، ولا سبيل إلى الاستقبال إلا بالاجتهاد، والاجتهاد مبنيٌّ على الظنِّ ، مما يدل على التكليف بالظن ، وكلُّ هذا يكون في حقِّ البعيد .

تحليل الاستنباط:

والطريق هنا مأخوذٌ من قاعدة: "ما لا يتمُّ الوجوب إلا به فهو واجبٌ" ، فالاجتهاد من مقدور الشخص، لذلك فهو واجبٌ؛ لتوقُّف الواجب عليه -وهو الاستقبال- . قال القرافي: "وعندنا وعند الجمهور: ما لا يتمُّ الواجب المطلق إلا به وهو مقدورٌ للمكلف فهو واجبٌ ؛ لتوقُّف الواجب عليه"^(٣) . وقال ابن تيميَّة: "ما لا يتمُّ الواجب إلا به ... فعلى المكلف فعله باتِّفاق المسلمين"^(٤) ، والاجتهاد لا بدَّ أن يكون مبنياً على الظنِّ .

(١) سورة البقرة: آية (١٤٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨٤) .

(٣) شرح تنقيح الفصول (١٦٠) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٢١٣/١)، وانظر: مجموع الفتاوى : له (١٦٠/١٠)، والمنتخب: للسَّخَّاف (٢٣٨) .

٩٩ - قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

قُولُوا أَوْجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ودلَّت الآية أيضاً على وجوب تَعَلُّم أدلة القبلة ، وتلك الأدلة المذكورة في كتب أعمال الأُسْطُرْلَاب^(٢)، والرُّبْع المُقَنْطَر^(٣)، والرُّبْع المُجِيب^(٤)، والأعمال الهندسيَّة ، وأقرب الكلِّ الآلة المعروفة ببيت الإبرة^(٥) ، فإنها كيفما وُضِعَتْ انجذب طرف إبرتها على القطب الجنوبيِّ والآخر إلى القطب الشمالي، فيحصل من ذلك معرفة الجهات الأربع ، هذا إذا كانت غير معروفةٍ بالخطأ ، وهذه الطريقة يدركها العالمُ والجاهل " ^(٦) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من الأمر بوجوب استقبال القبلة وجوب تعلم أدلة القبلة ، لتوقف الواجب عليه ، وهذه من إشارات الآية غير المقصودة من النَّصِّ قصداً أولاً .

(١) سورة البقرة: آية (١٤٤) .

(٢) هو جهازٌ استعمله المتقدِّمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السَّمَاوِيَّة ، ومعرفة الوقت والجهات الأصليَّة . انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧) . ومن كُتِبَ هذا العلم: كتاب العمل بالأُسْطُرْلَاب: للبابليِّ، وكتاب عمل الأُسْطُرْلَاب: للخوارزمي، ورسالة في الأُسْطُرْلَاب: لأبي إسحاق الحَرَّاني ، ورسالة في الأُسْطُرْلَاب: لابن الصَّقَّار، وكتاب الأُسْطُرْلَاب: لأصبغ المهري .

(٣) وهو من كتب ابن بَدْران ، وقد ذكره البيطَّار في تقديمه المُنادمة، وانظر: مقدِّمة جواهر الأفكار (٢١) ، ومن كتب هذا العلم: شرح رسالة الربع المُقَنْطَر: لسبسط المَارِدِينِي .

(٤) وهو نصف وَتَرٍ ضعف القوس. انظر: دَسْتُور العلماء: للقاضي (١/ ٢٩٢) . وكتاب الربع المُقَنْطَر هو من كتب ابن بَدْران ، وقد ذكره البيطَّار في تقديمه لمنادمة الأطلال ، ومن كتب هذا العلم: كتاب الرُّبْع المُجِيب: لإسماعيل الحنفي ، ورسالة في الربع المُجِيب: لإبراهيم النَّقِيب ، وشرح رسالة الرُّبْع المُجِيب: لسبسط المَارِدِينِي .

(٥) وهي علبَةٌ صغيرةٌ بها إبرةٌ مِغْنَاطِيَّيَّةٌ تدور على محورٍ دقيقٍ يَتَّجِهُ رأسها نحو الشمال دائماً تُعرفُ بها الجهات. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢) . وتُسَمَّى كذلك بيت الإبرة: البُوصَلَة. معجم اللغة العربية: لأحمد مختار (١/ ٥٢) . ومعجم الصَّوَابِ اللُّغَوِيِّ: لأحمد مختار (١/ ١٣٧) .

(٦) جواهر الأفكار (٣٨٤) .

وجه الاستنباط:

لما كان الغائب عن القبلة لا سبيل له إلى تحصيل اليقين بجهة القبلة إلا بالدلائل التي تساعده على معرفة الجهة، وما لا سبيل إلى أداء الواجب إلا به فهو واجب، فيلزم من هذا أن يكون تَعَلُّمُ الدلائل فرض عين، لأنها من الأمور المُساعِدة في معرفة جهة الاستقبال، والدلائل كثيرة ومختلفة منها ما ذكره ابن بدران - رحمه الله - هنا .

تحليل الاستنباط:

طريقة ابن بدران الاعتماد على قاعدة: "مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب" ، وهي قاعدة في بيان وجوب الاجتهاد، والاجتهاد في التَّحَرِّيِّ والبحث عن الدلائل من مقدور الشخص غالباً، لذلك فهو واجب؛ لتوقُّف الواجب عليه ، قال القَرَّافِيُّ (ت: ٦٨٤هـ): "وعندنا وعند الجمهور: ما لا يتم الواجب المطلق إلا به وهو مقدورٌ للمكلف فهو واجب؛ لتوقُّف الواجب عليه"^(١)، وينبغي أخذ الدلائل المُجمَع عليها أولاً ، وهي الأدلَّة الكونية^(٢)، ثم بقيَّة الدلائل الحديثة^(٣) التي ثبت لدى أهل الخبرة الثقات من المسلمين أنها تُبَيِّن القبلة عيناً، فلم يمنع الشرع من الاستعانة بها، بل قد يجب العمل بها في معرفة القبلة إذا لم يجد مَنْ يريد الصلاة دليلاً سواها، قال النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦هـ) : "ولا يصحُّ الاجتهاد إلا بأدلة القبلة، وهي كثيرة ، وفيها كتبٌ مُصَنَّفَةٌ ، وأضعفها الرياح لاختلافها، وأقواها القُطْبُ"^(٤)، وقال ابن قدامة: "وأوثق أدلَّتْها النجوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَتِ

(١) شرح تنقيح الفُصُول (١٦٠) .

(٢) كالنجوم والقُطْبِ والشمس والقمر والرياح والجهات ونحوها مما أجمع العلماء على الأخذ به منها .

(٣) من الآلات الحديثة: البُوصْلَةُ وقُوقِل - جوجل - ونحوها من البرامج والمواقع، ولا ينبغي استخدام هذه الآلات الحديثة مادامت علامات القبلة الكونية مُيسِّرة ، فلا يجوز إلغاء العلامات الكونية ولا التقليل من شأنها استغناءً بالأدلة الحديثة؛ لأنَّ هذه العلامات باقيةٌ إلى قيام الساعة وميسِّرةٌ لعموم المسلمين في كلِّ مكانٍ وزمان، وكون الدلالات الحديثة قد يكون فيها دِقَّةٌ لا يُوجِبُ اعتمادها إلا إذا عَجَزَ الناس عن معرفة علامات القبلة المجمع عليها

(٤) الإيضاح: للنَّوَوِيِّ (١/ ٨٢) .

وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾^(١)، وأكدها القطب"^(٢)، وقال الفؤزان: "ويُستدلُّ على القبلة بأشياء كثيرة منها: الإخبار، فإذا أخبره بالقبلة مكلف ثقةً عدلٌ عمل بحبره، إذا كان المُخبرُ متيقناً القبلة؛ وكذا إذا وجد محارب إسلامية؛ عمل بها، واستدلَّ بها على القبلة؛ لأنَّ دوام التوجُّه إلى جهة تلك المحارب يدلُّ على صحَّة اتجاهها، وكذلك يُستدلُّ على القبلة بالنجوم"^(٣).

(١) سورة النحل: آية (١٦) .

(٢) الكافي: لابن قدامة (١/ ٢٣٦) ، والمغني: له (١/ ٣١٩) ، والشرح الكبير: له (١/ ٤٨٧) .

(٣) الملخص الفقهية: للفؤزان (١/ ١١٧) .

١٠٠ - قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا

قِبَلَتِكَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ تدلُّ على أن تَوَجُّهَكَ إلى الكعبة هو الحق"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من الإتيان بالحجج أن يكون صاحبها على حق ، فدلَّ اللفظ على

معنى غير مقصود وهو أن التوجه إلى الكعبة حق، وهي دلالة غير ظاهرة .

وجه الاستنباط:

لما بيّن - جلَّ وعلا- في الآية قبلها أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذه القبلة حق ، بيّن بعد ذلك أن صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة ، فلو جاء الرسول ﷺ بكل حجة وبرهان وآية على أن توجُّهه إلى الكعبة في الصلاة هو الحق من عند الله ما تبعوا قبلته عناداً واستكباراً ، وقد تكرر قوله: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) مرتين، والقصد من ذلك كله التنويه بشأن استقبال الكعبة ، وتقرير كونه حقاً من عند الله، والتحذير من تطرُق التساهل في ذلك؛ تقريراً للحق في نفوس المسلمين، وزيادة في الرد على المنكرين .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران هنا هو الاعتماد على كون الآتي بالأدلة والحجة على حق ، فالذي ليس لديه حجج وبراهين على قوله وعمله ليس على حق، ولقد أخبر الله تعالى بما سيقوله اليهود عند تحوُّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، قبل وقوع الأمر بالتحويل، ولهذا دلالته، فهو يدلُّ على نبوة رسول الله ﷺ وصدق خبره، إذ هو أمر غيبي، وأهل الكتاب يعلمون أنه في ذلك على حق؛ لما يجدونه في كتبهم، فيعتزُّون عناداً وبغياً .

(١) سورة البقرة: آية (١٤٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٣٨٦) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٤٤ ، ١٤٩) .

١٠١ - قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا

قِبَلَتِكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْرانٍ : " أشارت الآية إلى أنهم وإن لم يؤمنوا بك ، فإنَّ كل طائفة منهم لا تتبع دين الطائفة الأخرى ، فاليهوديُّ لا ينتصرُ ، والنَّصراني لا يتهوِّدُ ، فكلُّ منهم إذا ترك دينه إما أن ينتقل منه إلى الإسلام ، وإما إلى الزَّنْدَقَةِ^(٢) وطَرِحَ الأديان بالكلية ، كما جرى منهم سابقاً ، ونشاهده الآن في زَمَنِنَا"^(٣) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية تُنصُّ على أن كل طائفة منهم لا تتبع دين الطائفة الأخرى ، وهذا المعنى يَعْلَمُهُ كل مَنْ يَعْرِفُ هذا اللسان العربي بمجرد سماع النَّص دون تأمل .

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط هنا واضحٌ من كلام المستنبط ، فقد أخبر - جلَّ وعلا - رسوله ﷺ بأنَّ اليهود والنَّصارى لا تجتمع على قبلة واحدة، فهذا دأبهم منذ زمن، فالاختلاف بينهم سائدٌ قائمٌ لا يزول، ولأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل إلى إرضاء كلِّ حزبٍ منهم، فإن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النَّصارى، وإن اتبعت قبلة النَّصارى أسخطت اليهود، فدع ما لا سبيل إليه، وادعهم إلى الاجتماع على ملَّتِكَ المسلمة ، وقبَلَتِكَ قبلة إبراهيم والأنبياء .

(١) سورة البقرة: آية (١٤٥) .

(٢) هو الذي لا يتمسكُ بشريعةٍ ، والعرب تعبر عن هذا بقولهم مُلحد أي: طاعنٌ في الأديان، وزندقتهُ أنه لا يؤمن بالآخرة ولا الربوبية، أو من يُبطنُ الكفر ويظهر الإيمان. انظر: القاموس المحيط: للفيروز آبادي (١ / ٨٩١)، تاج العروس: للزبيدي (٢٥ / ٤١٨) ، والمصباح المنير: للفيومي (١ / ٢٥٦) ، والمُعرب: للخوارزمي (٢١١) .

(٣) جواهر الأفكار (٣٨٧).

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في هذا الاستنباط هو الاعتماد على واقع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فلا يتبع بعضهم بعضاً؛ بل يُضلل بعضهم بعضاً؛ فاليهود يرون النصارى ليسوا على شيء من الدين الصحيح في نظرهم، والنصارى يرون اليهود ليسوا على شيء من الدين الصحيح في نظرهم أيضاً؛ كلُّ منهم يُضلل الآخر فيما بينهم؛ لأنَّ كلَّ فريق منهم يرى أن الآخر ليس على ملة صحيحة، فهذا دأبهم وشأنهم منذ القدم وحتى اليوم.

١٠٢ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ولنذكر الأحكام التي تُسْتَنْبَط من هذه الآية فنقول: أولها: أن ظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١٥٨) ، يُشير إلى أن الطواف، أي: السعي بين الصفا والمروة سنة"^(٢). وقال: "وعندي: أن الآية تدلُّ على أن السَّعْيَ تطوعٌ في الحج"^(٣).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية تُنصُّ على كونه سنةً وتطوع ، دلَّ على ذلك رفع الحرج والجناح في السعي في الحج والعمرة ، وهذا المعنى ظاهر يُعَلِّم من سياق الآية دون تأمل .

وجه الاستنباط:

لما كان ظاهر الآية يُشير إلى رفع الجناح في السَّعْيِ في الحجِّ والعمرة ، وكذلك يشير إلى كون التطُّوع بالسعي خيراً من تركه ؛ عُلِّم من ذلك كون السعي سنةً وتطُّوعاً لا يأثم تاركه في الحجِّ والعمرة ، كما هو ظاهر الآية ، فلو كان السعي ركناً أو واجباً لتوعَّد الله على تركه .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران - رحمه الله - هنا الاعتماد على ظاهر النَّص ، فالآيات تُشير إلى سُنِّيَّة السعي وكونه تطُّوعاً، إذ إنَّ الله تعالى رفع الحرج عن تركه، وقال تعالى بعد ذلك: وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَعَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُهُ ، والصحيح - والله أعلم - أنه لم يأتِ هذا اللفظ لإباحة ترك السعي، وليس فيه دليلٌ عليه، وإنما جاء لإفادة إباحة السعي لمن كان يَتَحَرَّج

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٠٧) .

(٣) جواهر الأفكار (٤٠٨) .

منه في الجاهلية ، أو لمن كان يَطُوف به في الجاهلية قصداً للأصنام التي كانت فيه^(١)؛ فأعلمهم الله تعالى أن السعي ليس بمحظورٍ إذا لم يَقْصِد الطائف قصداً باطلاً ، فدلت الآية على إباحة السَّعي ، ورفعت الحرج الذي كان في صدور المسلمين منه .

ولعلي أذكر في عُجالةٍ دون تفصيل اختلاف العلماء في حكم السَّعي بين الصفا والمروة ، ثم أبين الرأي الراجح فيها إن شاء الله ، والأقوال كما يلي:

القول الأول: أنه ركنٌ من أركان الحج لا يصحُّ ولا يَتِمُّ بدونه، وهو قول الجمهور^(٢) ، ويستدلُّ لهذا القول بما رُوِيَ عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "ما أتمَّ الله حجَّ امرئٍ ولا عمرته ما لم يَطُفْ بين الصَّفا والمروة"^(٣) .

القول الثاني: أنه واجبٌ وليس فرضاً، و يجب في تركه دم^(٤) ، وهو ما رجَّحه ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) في المغني^(٥) ، ويستدلُّ لهذا القول بأنه لا دليل على أن السعي فرضٌ حتى يُعدَّ ركنًا ، وحديث عائشة السابق: "ما أتمَّ الله حجَّ امرئٍ ولا عمرته ما لم يَطُفْ بين الصَّفا والمروة" فيه إشارةٌ إلى أنه واجبٌ وليس بركنٍ؛ لأنها وصفت الحجَّ بدونه بالنقصان لا بالبطلان، وفوتُّ الواجب هو الذي يُوجب النُقْصان، بينما فوتُّ الفرض -الركن- يُوجب الفساد أو البطلان .

القول الثالث: أنه سنةٌ وليس بركنٍ ولا واجب^(٦)، ويُستدلُّ لهذا: بقول ابن عباس (ت: ٦٨هـ) وأنسٍ (ت: ٩٣هـ) وابن الزُّبَيْر (ت: ٧٣هـ) وابن سيرين (ت: ١١٠هـ)

(١) انظر القصة: صحيح البخاري (٦/٣) أبواب العمرة ، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج ، حديث رقم (١٧٩٠) ، وجامع البيان: للطَّبْرِي (٣/٢٣٠) ، وأسباب النزول: للوَّاحِدِي (٤٥) ، والصحيح المسند من أسباب النزول: للهَمْدَانِي الوَادِعِي (٢٥) .

(٢) وهو قول المالكية والشَّافعية وزُوي عن أحمد. انظر: الكافي(١/٥١٧)، وفقه السنة: للسَّيِّد سابق (١/٧١٠).

(٣) صحيح البخاري (٦/٣)، كتاب أبواب العمرة، باب: (يُفْعَلُ في العمرة ما يُفْعَلُ في الحج)، حديث (١٧٩٠)، وصحيح مُسْلِم (٢/٩٢٨)، كتاب الحج ، باب السعي بين الصفا والمروة ركنٌ لا يصحُّ الحجُّ إلَّا به ، (١٢٧٧) .

(٤) وهذا قول الحَسَن، وأبي حنيفة، والثَّوْرِي، والقاضي أبي يَعْلَى الحنبلي . انظر: المغني: لابن قدامة (٣/٣٥٢).

(٥) (٣/٣٥١-٣٥٢) .

(٦) وهو إحدى الروايات عن أحمد . انظر: الكافي: لابن قدامة (١/٥١٨) .

لقول الله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ، ونفي الحرج عن فاعله دليلٌ على عدم وجوبه؛ فإن هذا رتبة المباح^(١) ، ويُردُّ على هذا القول^(٢) بما رَدَّتْ به عائِشةُ على عُروَةَ ورواه عنها مُسْلِمٌ في صحيحه^(٣) عن هشام بن عُروَةَ قال: أخبرني أبي، قال: قلت لعائِشة: ما أرى عليَّ جُنَاحاً ألاَّ أتطوف بين الصفا والمروة، قالت: «لم؟» قلت: لأنَّ الله يقول: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٤)، فقالت: "لو كان كما تقول لكان: فلا جناح عليه ألاَّ يطَّوفَ بهما، إنما أنزل هذا في أناسٍ من الأنصار كانوا إذا أهلوا أهلوا لمناة في الجاهلية، فلا يحلُّ لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما قدِموا مع النبي (ﷺ) للحجِّ ذكروا ذلك له، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلعمري ما أتمَّ الله حجَّ من لم يطُف بين الصفا والمروة"، فبيَّنت ما ذكرناه سابقاً من معنى الآية وسبب نزولها، وأنها دلَّت على رفع الجناح عمَّن يطَّوفُ بهما ، قال الإمام النَّوَوِي (ت: ٦٧٦هـ) في تعليقه على هذا الخبر: "قال العلماء هذا من دقيق عِلْمِهَا وفِهْمِهَا الثَّاقِب، ومعرفتها بدقائق الألفاظ؛ لأنَّ الآية الكريمة إنما دَلَّ لفظها على رفع الجناح عمَّن يطَّوفُ بهما ... وقد يكون الفعل واجباً، ويعتقد إنسانٌ أنه يُمنَعُ إيقاعه على صفةٍ مخصوصة ، وذلك كمنُّ عليه صلاة الظهر، وظنُّ أنه لا يجوز فعلها عند غروب الشمس فسأل عن ذلك، فقيل: لا جناح عليك إن صليتَها في هذا الوقت، فيكون وجوباً صحيحاً ولا يقتضي نفي وجوب صلاة الظهر"^(٥).

الظهر"^(٥).

والرَّاجِحُ - والله أعلم - أن السَّعْيَ بين الصفا والمروة ركنٌ وليس بواجبٍ ولا سنَّة، أخذاً بقول الأغلب ، وهو ما اتَّفَقَ عليه الجمهور .

(١) مَرْعَاهُ المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للمُبَارَكْفُورِي (٩/ ٩٣) ، والشرح الكبير: لابن قُدَّامة (٣/ ٥٠٤) .

(٢) عَمَدَتُ إِلَى الرَّدِّ على هذا القول دون ما قبله من الأقوال؛ لَأُثِبَتْ مُجَانِبَةُ المُسْتَنْبِطِ هنا لِلصَّوَابِ .

(٣) (٢/ ٩٢٨) ، كتاب الحج ، باب بيان أن السَّعْيَ بين الصفا والمروة ركنٌ لا يصحُّ الحجُّ إلاَّ به ، حديث رقم:

(١٢٧٧) ، والمقصود بمَنَّة: صنمٌ كانوا يعبدونه في الجاهلية .

(٤) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٥) المِنْهَاج: لِلنَّوَوِي (٩/ ٢١) ، بتصرف .

١٠٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

(١)

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "ولنذكر الأحكام التي تُسْتَنْبَط من هذه الآية فنقول: ... والحكم الثاني المستنبط من هذه الآية: أن العقل وحده لا يُدرك جميع ما هو حَسَن أو قبيح إلا بواسطة الشَّرْع ؛ ألا ترى أن أفعال الحجِّ يراها العقل كالعيب الخالي عن المنفعة والمضرة ، ومنها السَّعْيُ، وقد دَلَّت الآية على أن مَنْ فعلها كان الله له شاكرًا لما يفعله الساعي، علمًا به ، فَيَجْزِيهِ أحسن الجزاء على ما فعله، وهذا هو المقصود من النفع شرعاً" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية جاءت لإفادة إباحة السعي لمن كان يَتَحَرَّج منه في الجاهلية ومن هذا يلزم أن هذه الأفعال يراها العقل كالعيب ، ولا تدرك إلا بواسطة الشرع ، وهذا المعنى غير مقصود ولا يدلُّ عليه السياق وإنما هو من إشارات الآية .

وجه الاستنباط:

وجه هذا الاستنباط واضحٌ جليٌّ، فقد ذكره ابنُ بَدْران - رحمه الله - في استنباطه أن أفعال الحجِّ يراها العقل كالعيب الخالي من المنفعة، بل قد يُعْتَقَدُ فيها أنها عبادة الأصنام، وأنها جهلٌ وضلالٌ كما يَهْتَف به الغرب، وكما اعتقده الأنصار في القصة السابق ذكرها، حيث كانوا يتحرَّجون من السَّعْي، لِمَا كانوا يفعلونه في جاهليتهم من سَعْيٍ أثناء عبادتهم الأصنام، فلما أنزل الله هذه الآية عَلِمَ منها أنها شعيرةٌ من شعائر الدين ، وأنها قُرْبَةٌ وطاعة يتقَرَّبُ بها العبد إلى الله تعالى ، وأنها أماكن مقدسة تُقْصَدُ

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠).

للعبد لله تعالى فيها ، لا لذاتها ، فكان الشرع بهذا طريقاً للتبصير بالعقائد والأعمال التي لا يَسْعُ العقل إدراك محاسنها إلا به .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى هو البناء على قاعدة: "الحسنُ ما حسَّنه الشرع ولو قَبَّحَهُ العقل، والقبيح ما قَبَّحَهُ الشرع ولو حَسَّنَهُ العقل" (١) ، والعقل مَعْرِضٌ للأهواء، وهو أيضاً قاصِرٌ عن إدراك مقاصد الشريعة، وقاصِرٌ عن معرفة صالحه، لكنَّ الله - جلَّ وعلا- الخبير به ، الذي خلقه ، هو الذي يعرف صالحه، فمهما أراك عقلك أنَّ هذا العمل فيه خير، فما لم يكن متوافقاً مع الشرع، فلا بُدَّ أن تكتشف بعد حين أنك كنت مخطئاً، وأنَّ الشرع هو المصيب ، والقول بحُسنِ ما حسَّنه العقل وقبح ما قَبَّحَهُ العقل (٢) قولٌ لا يمكن أن يَقْبَلَهُ العقل ذاته؛ لأنَّه لا يعلم بكل محاسن الأمور، ومن الأمثلة على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

فالعقل وحده غير كافٍ لإدراك كلِّ المحاسن، وهذه الآية تُدَلِّلُ على أنَّ القتال مكروهٌ لهم لهم ولكن بحقيقته حخير وبركةٌ لهم، فعقل الإنسان يكره القتال مجملاً، ولكن قد يكون هذا القتال خيراً للإنسان؛ فالحسُنُ ما حسَّنه الشرع والقبيح ما قَبَّحَهُ الشرع . وقد كان سلفنا الصالح يأخذون بالشرع حتى في أدقِّ أمورهم ، فقد أخرج البخاريُّ في صحيحه (٤) عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) : "أنه رأى في يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خاتماً من ورقٍ يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورقٍ ولبسوها، فطرح رسول

(١) قواطع الأدلة: للشمعاني (٤٣٥/١)، وإرشاد الفحول: للشوكاني (١٨٣/٢)، والمدخل: لابن بدران (٢٩٢).

(٢) قال به المعتزلة . انظر: مجموع الفتاوى : لابن تيمية (٤٢٨ - ٤٣٦) .

(٣) سورة البقرة: آية (٢١٦) .

(٤) (١٥٦ / ٧) ، كتاب اللباس ، باب خاتم الفضة ، حديث رقم (٥٨٦٨) .

الله (ﷺ) خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم" ، وهذا يُؤيّد أنّ الحسن والتبحيح عند الصحابة يُوزن حسب الشرع .

فإطلاق التحسين والتبحيح على كلّ فعلٍ من جهة العقل وحده دون الشرع، أو نفي أيّ دورٍ للعقل في تحسين الأفعال أو تبحيحها غير صحيح، وقد أوضح ابنُ تيميّة مذهب السلف في هذا توضيحاً كاملاً يُحسّن الرجوع إليه ^(١) .

(١) مجموع الفتاوى : لابن تيميّة (٨ / ٤٣٤) .

١٠٤ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ ط فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ
 اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ
 عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: " قوله تعالى: ﴿حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ ، يدلُّ على أنَّ السعي ليس
 عبادةً تامَّةً في نفسه ، وإنما يصير عبادةً إذا صار بعضاً من أبعاض الحجِّ ، ولهذا السِّرُّ
 بيَّن الله الموضوع الذي يصير فيه السعي عبادةً"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : تَنصُّ الآية على أن السعي من أحكام الحج والعمرة ، وأنه لا ينفصل
 عنه ولا ينفرد ، دلَّ على ذلك سياق الآية ومعناها دون تأمل .

وجه الاستنباط:

لما افتتح - جلَّ وعلا- الآية بالحجِّ والعمرة ، علِّم أن ما بعدهما تابعٌ لهما ، ومن
 أحكامهما المتعلقة بهما ، فدل بيان حكم السعي بعدهما على أنه من أحكامهما الخاصَّة
 التي لا يُشرع فيها السعي مُفرداً، بل لا بد أن يكون مُقترباً بكون العبد حجَّ البيت أو
 اعتمر .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران - رحمه الله- هنا الاعتماد على قاعدة: "التَّابِعُ لَا يُفْرَدُ بِالْحُكْمِ"^(٣)،
 والمراد من التَّابِعِ هنا التَّابِعُ الَّذِي هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْجُزْءِ، أَوْ كَالْجُزْءِ مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ حَيْثُ
 تَعَلَّقَ الْأَحْكَامُ بِنِزْلِ التَّابِعِ مِنْزِلَةَ الْمَعْدُومِ فِي عَدَمِ جُوزِ إِفْرَادِهِ بِالْحُكْمِ، فَثَبُوتُ الْفَرْعِ

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠).

(٣) انظر هذه القاعدة في: الأشباه والنظائر: للسُّبُوْطِي (١١٧) ، وشرح القواعد الفقهية: لمحمد الرَّزْزَقَا (٢٥٧) ،

والوجيز: لمحمد صِدْقِي (٣٣٣) ، والقواعد الفقهية: للرُّحَيْلِي (١ / ٤٤١) .

بدون أصله مُتَمَتِّعٌ^(١)، فلا يثبت السعي الذي هو الفرع كعبادةٍ تامة مفرداً عن الحجِّ والعمرة اللذين هما الأصل ، فهذا مُتَمَتِّعٌ لتعلُّق الفرع بالأصل، وكونه جزءاً منه ، فالتابع لا يُفَرِّد بالحكم؛ لأنه إنما جُعِلَ تبعاً ، فما لا يوجد مستقلاً بنفسه ، بل وجوده تابعٌ لوجود غيره يُنَزَّلُ منزلة المعدوم من حيث تَعَلُّق الأحكام، فلا يجوز إفراده بالحكم .

(١) انظر هذه القاعدة في: أعلام المُوقَّعين: لابن القَيِّم (٤ / ٣٣) .

١٠٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨).^(١)

الاستنباط:

قال ابن بدران: " قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) يدلُّ على أن طاعة العبد مقبولة عند الله تعالى ، وواقعة موقع القبول في أقصى الدرجات " (٢) .
نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : ذكر الله - جلَّ وعلا - فريضة الحج والعمرة فعقبها باسمه الشاكر والذي يدلُّ على أنه تعالى يجازي بالإحسان على هذه الطاعة وأنها مقبولة عنده - جلَّ وعلا - فهو يشكر عباده ويشبههم عليها أعلى الدرجات ، وهذا يفهمه أهل اللغة من معنى اسم الله الشاكر دون تأمل .

وجه الاستنباط:

الشاكر من أسماء الله تعالى، الذي يعني مقابلة مَنْ أحسن إليه بالإحسان والثواب، فيقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، فما من إحسانٍ يُقدَّم لله إلا سيُكافئُ صاحبه بالإحسان، والحجُّ والعمرة طاعةٌ لله، والجزاء عليها واقعٌ موقع القبول إن أقامها العبد كاملةً بالسعي بين الصفا والمروة ، وغيرها من الأركان والواجبات ، فلا يضيع عند الله شيء .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى هو الاعتماد على كون الإحسان لا يضيع عند الله ، وهو محفوظٌ عند الله، يُكافئُ عليه ، فهو شاكرٌ يجازي بالإحسان، وعليهم بمن يستحقُّ الجزاء، فلا يُضَيِّعُ شيئاً من عمل العاملين ولا سعي

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠) .

المتطوعين، بل يضاعفه أضعافاً كثيرةً حَسَبَ قوة إخلاص أصحابه، وحَسَبَ مَبْلَغِهِمْ من الجُهد، وحَسَبَ قوتهم في العمل، وحسب احتسابهم وحرصهم على إخفاء أعمالهم، وحَسَبَ مواقع أعمالهم من المنفعة، وحَسَبَ انشراح صدورهم بها، وانعدام الإعجاب عليها أو الفرح بمدحهم من أجلها، إلى غير ذلك من توابع الأعمال المُضَاعَفَةِ للأجور.

١٠٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلَّ قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ على أنَّ العمل لا بُدَّ من الإخلاص فيه ؛ فإنَّ الله عَلِيمٌ بفعل العبد ، إن أخلص العمل له أثابه عليه ، وإلا وكَّله لمن عمِل له من الأغيار" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : ذكر الله - جلَّ وعلا - فريضة الحجِّ والعمرة ، فعَقَّبَهَا باسمه العليم الدال على أنه - جلَّ وعلا- عليم بمن يستحق الثواب والجزاء ، وهذا يفهمه أهل اللغة من معنى اسم الله الشاكر دون تأمل .

وجه الاستنباط:

في الآية ذُكِرَ اسم الله العليم عَقِبَ توضيح فريضة الحجِّ والعمرة ، مما يدلُّ على أنه - جلَّ وعلا- عليمٌ بمن يستحقُّ الثواب الكامل ، بحسب نيته وإيمانه وتقواه ، وقيامه بما افترضه الله عليه قياماً كاملاً ، عليمٌ بأعمال العباد، فلا يضيِّعُها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حَسَبِ نِيَّتِهِم التي اطلَّع عليها العليم الحكيم .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى التأمُّل في اسم الله العليم ، والذي هو صيغة مبالغة تدلُّ على كمال العلم وسعته ، فعلمه - جلَّ وعلا- شاملٌ كامل ، يعلم كلَّ شيء ، علمُهُ مُتَّسِعٌ لكل شيء ، ومتضمَّنٌ للعلم الكامل الذي لم يسبقه جهلٌ ولا يلحقه نسيان، وهو الذي يعلم تفاصيل الأمور ودقائق الأشياء ،

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠).

وخفايا الضمير والنفوس ، ولا يَعزُبُ - لا يغيب - عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ فَعِلْمُهُ مَحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ: ظاهرها وباطنها، دقيقها و جليلها، عِلْمٌ بما كان، وما هو كائِنٌ، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا ، فهو - جَلٌّ وعلا- عليمٌ بالنيات ، يجازي العبد على العمل على وفَّقها، فإن أخلص قَبْلَ عمله وأثابه عليه ، وإلا وَكَلَهُ مَنْ عَمِلَ العمل، غير مُبْتَغٍ به وجه الله .

١٠٧ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٥٨) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "دلت الآية على أنَّ الطواف إنما يكون بالصفا والمروة ، فمن سعى بينهما من غير صعودٍ عليهما لم يُعدَّ طائفاً" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو أن الطواف يكون بالصفا والمروة، والحكم المسكوت عنه هو أن الطواف بين الصفا والمروة من غير صعود لا يعد طوافاً ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

لما ذُكِرَ في الآية الطواف بالصفا والمروة لا السَّعيَ فيهما ، ذلَّ على أن السَّعيَ بينهما دون طوافٍ ودون صعودٍ على جبل الصفا والمروة لا يُعدُّ طوافاً ، وليس قياماً بفريضة السعي قياماً تاماً كاملاً ، فالطواف يقتضي الإحاطة بالأمر ، وطاف بهم إذا دار بهم (٣) ، فإذا طاف المسلم وأحاط بالصفا والمروة فلا بد أن يكون صاعداً على قلب الجبلين ؛ لأنَّ الإحاطة تستلزم المرور على الجبلين ؛ لذلك ذُكِرَ الطَّوَّافُ دون السَّعي .

تحليل الاستنباط:

والطريق كان أخذاً من باب الإتمام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٤) ، وهو أمرٌ بإتمام الحجِّ والعمرة ، وذلك بأداء مناسكهما كما أمر الله ورسوله (ﷺ) ، قال

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١٠) .

(٣) انظر معنى الطواف في: العين: للخليل (٧/ ٤٥٨) ، ومختار الصحاح: للزَّازي (١٩٣) .

(٤) سورة البقرة: آية (١٩٦) .

أبو حفص بن الوكيل^(١): "الصُّعُودُ عليهما واجبٌ؛ لأنه لا يمكنه أن يستوفي الصُّعُودَ بينهما إلا بالصعود عليهما ، كما لا يمكنه استيفاء غَسَلِ الوجه إلا بغسل شيءٍ من غير الوجه، ولا يستر العورة إلا بستر ما ليس بعورة"^(٢) ، وروى مُسَلِّمٌ من حديث جابرٍ فيما جاء عن حَجَّةِ رسول (ﷺ) ، قال: "فبدأ بالصفاء، فرَقَى عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة"^(٣) ، فالصعود على الصَّفَا ليصير البيت بمرأى العين منه ، فإنما يصعد بقدر ما يحصل به هذا المقصود، فالنبي (ﷺ) صعد عليهما، وأمرنا بالاعتداء به بقوله: "لتأخذوا عني مناسككم، فإنني لا أدري لعلي لا أحجُّ بعد حجتي هذه"^(٤)، وكذلك الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعين ، ومن بعدهم توارثوا الصُّعُودَ على الصَّفَا والمروة بقدر ما يصير البيت بمرأى العين منهم .

هذا يوافق كلام ابن بَدْران -رحمه الله- ، وهذا الذي ذهب إليه يخالف إجماع الصحابة -رضي الله عنهم- وهو خلاف قول الجمهور ، فقد ترك الصعود بعض الصحابة ، قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): "فما رواه الشافعي عن سُفْيَانَ عن ابنِ أبي بَجِيح عن أبيه قال: أخبرني مَنْ رأى عُثْمَانَ بن عفان يقوم في فرضٍ في أسفل الصفا ولا يظهر عليه، فلم ينكر ذلك أحدٌ من الصحابة فثبت أنه إجماع"^(٥)، فالصعود ليس واجباً، لكن يجب أن يستوعب ما بينهما، فَيُلصِقُ قدمه بهما في الذهاب والإياب، فإن ترك شيئاً لم يستوعبه، لم يجزئه حتى يأتي به، وهو مذهب الحنابلة^(٦)، وأما الصعود فذهب

(١) عمر بن عبد الله بن موسى ، فقيهٌ جليلٌ ، من كبار المحدثين والرواة وأعيان النقلة، وحضر مجلس السَّراج البُلْقيني، انظر ترجمته في: طبقات الشافعية: للسُّبكي (٣/ ٤٧٠) ، وطبقات الشافعية: لشُهْبَةَ (١/ ٩٧) .

(٢) الحاوي الكبير: للماوردي (٤/ ١٥٩). وانظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي: لابن أبي الخير (٤/ ٣٠٨) .

(٣) صحيح مُسَلِّم (٢/ ٨٨٦) ، كتاب الحج ، باب حجة النبي (ﷺ) ، حديث رقم (١٢١٨) .

(٤) صحيح مُسَلِّم (٢/ ٩٤٣) ، كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً، وبيان قوله (ﷺ): "لتأخذوا عني مناسككم" ، حديث رقم (١٢٩٧) .

(٥) الحاوي الكبير: للماوردي (٤/ ١٥٩) .

(٦) قال ابن قُدَّامة: "والواجب من هذا ثلاثة أشياء ، استيفاء السَّبع، فإن ترك منها شيئاً وإن قلَّ لم يُجزئه، وإن لم يَرَقْ على الصَّفَا والمروة، وجب استيعاب ما بينهما، بأن يُلصِقَ عقبيه بأسفل الصَّفَا، ثم يُلصِقُ أصابع رجليه

الجمهور إلى أنه سنة^(١)، ولا شيء على تاركه، وليس في تركه إثمٌ، ولا إبطال للسعيِّ ؛ لأن الصعود إلى أعلى الصَّفَا وأعلى المروة فيه تعبٌ ومشقةٌ، قال الكِرْمَانِي - رحمه الله -: "فإن لم يصعد على الصَّفَا والمروة في السَّعي الذي ذكرنا يجوز عندنا ويُكره ؛ لما فيه من ترك السنة ، ولا يجب بتركه شيء؛ لأنه من السنة"^(٢) .

=
 بالمروة، ليأتي بالواجب" الكافي (١/٥١٦)، وانظر: فقه السنة: للسيد سابق (١/٧١٢)، والمبسوط: للسرخسي (٤/٥٢).
 (١) انظر: الكافي: لابن قدامة (١/٥١٦) ، وفتح القدير: لابن الهمام (٢/٤٥٩) ، والأصل المعروف بالمبسوط: لمحمد بن الحسن (٢/٤٠٨) ، وبدائع الصنائع: للكاساني (٢/١٣٤) .
 (٢) تبين الحقائق: للزَّيْلَعِي (٢/١٩) .

١٠٨ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلت الآية على مُطلق الطَّوَّافِ، لا على كيفية ولا عدد، غير أن الأحاديث الصحيحة هي التي تعيَّن ذلك، ولها محلُّ تُدَكَّرُ فيه، وليس هنا محلُّ استقصائها" (٢).

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية تُنصُّ على مُطلق الطَّوَّافِ دون ذكر شيء عن كيفية الطَّوَّافِ أو عدد معين ، وهذا المعنى مفهوم من نصِّ الآية دون تأمل .

وجه الاستنباط:

لما ذُكِرَ الطَّوَّافِ في الآية مُطلقاً بدون تعيين عددٍ معينٍ ولا كيفيةٍ خاصة ، دلَّ على أن هناك مصدراً آخر في أخذ الأحكام الجملة ، وهذا المصدر هو السنة النبوية ؛ فقد جاءت مفصَّلةً ومبيَّنة للأحكام الجملة في آياتٍ عديدةٍ من القرآن الكريم ، ويكون التفصيل ببيان كيفية العمل أو أسبابه أو شروطه أو موانعه أو لواحقه وما أشبه ذلك ، كلُّ ذلك بيان لما وقع مجملاً في القرآن الكريم، وهو الذي يظهر دخوله تحت قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٣) .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى هو الاعتماد على قاعدة تفصيل السُّنة للمُجْمَلِ في القرآن الكريم ، بمعنى أن يأتي الشيء في القرآن الكريم مجملاً

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤١١) .

(٣) سورة النحل: آية (٤٤) .

وَمَوْجِزاً ، لا نستطيع أن نفهم المراد منه إلا بعد تفصيله، فتتولى السُّنَّة ذلك التفصيل ، ومن ذلك مثلاً ما ورد في القرآن الكريم عن الحجِّ والصلاة وغيرها ، يقول الإمام النَّوَوِي (ت: ٦٧٦هـ) في هذا الصَّدَد: "على السُّنن مدار أكثر الأحكام الفقهيَّات، فإنَّ أكثر الآيات الفروعيات مُجْمَلات، وبيانها في السنن المُحَكَّمات، وقد اتفق العلماء أنَّ على القاضي والمُفتي أن يكون عالماً بالأحاديث الحُكْمِيَّات" (١) .

(١) المِنْهَاج: لِلنَّوَوِي (١ / ٤) .

١٠٩ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ (١) .

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وقد دلَّت هذه الآية بظاهرها على استحقاق اللعنة على مَنْ كتم ما أنزل الله ، وإن لم يُسأل عنه ، بل يجب التعليم والتبيين ، وإن لم يُسألوا ﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (٢) " (٣) .

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فظاهر الآية ونصها يدلُّ على استحقاق اللعنة على من كتم ما أنزل الله تعالى ، وهذه الدلالة تُعلم من النصِّ دون تأمل .

وجه الاستنباط:

نزلت الآية في علماء اليهود؛ كتموا صفة محمد (ﷺ) وآية الرجم، وغيرهما من الأحكام التي كانت في التوراة، وهي وإن كانت في اليهود والنصارى وغيرهم من طوائف الكفر إلا أنها تنطبق على كلِّ من كتم الحق مع العلم به، وهذا يظهر في أهل الكتاب من اليهود والنصارى أكثر؛ فإنهم يعلمون الحق، ولكنهم يكتُمونه، ولا يبيِّنونه للناس؛ من أجل مصالحهم الدنيوية ، أو حسداً ، وأعظم الكتمان أنهم علموا أوصاف محمد (ﷺ) في التوراة والإنجيل، وعلموا صحَّة رسالته وما جاء به، ومع هذا كتموا ذلك ، وأنكروه ، فدلَّ ذلك على وجوب البيان وإن لم يسأل مَنْ عنده علم .

تحليل الاستنباط:

والطريق هنا مأخوذٌ من قاعدة: "العبرة بعُمووم اللفظ لا بِخُصُوص السبب" (١) ، فأصل هذه الآية نزلت في أحبار أهل الكتاب، ولكن العبرة بعموم اللفظ ، فتشمل كلَّ مَنْ كتم

(١) سورة البقرة: آية (١٥٩) .

(٢) سورة آل عمران: آية (١٨٧) .

(٣) جواهر الأفكار (٤١٣) .

علماء ، وقد فهم الصحابة الكرام من هذه الآية العُموْم ، فإذا ورد اللفظ العام على سببٍ خاص فهو على عُمومه ، حتى يدلّ دليلٌ على إرادة القَصْرِ على السَّبب .

فالآية فيها وعيدٌ شديد لكل من كتم علم الكتاب العظيم ابتغاءَ عرضٍ من الدنيا، وهي عامة لكلِّ مَنْ يكتُم العلم إلى يوم القيامة، فكلُّ عالمٍ يعرف الحكم الشرعي ويكتمه خوفاً أو طمعاً تنطبق عليه هذه الآية، سواءٌ سُئِلَ أم لم يُسأل ، فأمانة العلم إظهاره ، وكتمانه دمارٌ لأمة الإسلام ووَبالٌ على أصحابه .

(١) انظر هذه القاعدة في: روضة الناظر: لابن قُدّامة (٢/ ٣٥) ، والفروق: للقرّافي (١/ ١١٤) ، والأشباه والنظائر: للسبكي (٢/ ١٣٤) .

١١٠ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "تدلُّ الآية على أنه لا بدَّ من الاستدلال على وجود الصانع بالدلائل العقلية ، وأنَّ التقليد ليس طريقاً البتة إلى تحصيل هذا الغرض ، وكم في القرآن من آياتٍ تدلُّ على ذلك ، وتشير إليه" (٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو فيه الأمر لأصحاب العقول بالاعتبار والتفكير في مخلوقاته تعالى ، والحكم المسكوت عنه هو أن التقليد ليس طريقاً إلى هذا الاعتبار والتفكير ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

الله - جلَّ وعلا- أمر في الآية أصحاب العقول بالاعتبار والتفكير في خلق الكون والتأمل في ملكوته - جلَّ وعلا - ، والمجتهد يعتبر من أصحاب العقول ، فهو مأمورٌ بالاعتبار والتفكير في آياته سبحانه، وتقليد العالم للعالم يلزم منه تركُّ الاعتبار، فيكون غير جائزٍ ، ويفضي إلى التقليد الأعمى القائم على غير دليل .

تحليل الاستنباط:

طريق ابنِ بَدْران - رحمه الله- في استنباط هذا المعنى هو الاعتماد على أنَّ معرفة الله واجبة ؛ إذ هي من الأمور التي تصل العقول إليها بالتفكير والتدبر في مخلوقاته، فوجوب معرفة الله تعالى ثابتٌ بالعقل والتأمل ، والقرآن على هذا يدل ، فإنه يذكر الأدلة والبراهين العقلية على التوحيد، ويبين حسنه وقبح الشرك عقلاً وفطرةً ، ولهذا ضرب الله سبحانه الأمثال وهي الأدلة العقلية ، والتقليد يُبطل كل هذا، وهو من الأسباب المانعة

(١) سورة البقرة: آية (١٩٠) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٢١).

من التفكُّر والتدبُّر في مخلوقات الله ، وكم جرَّ هذا التقليد الأعمى من وِيَالَاتٍ وَنَكَبَاتٍ
على الأمة بأسرها، ولو لم يكن من ذلك إلا الجهل، وتبُّدُّ العقل ، وتحجُّر التفكير ،
لكفى بذلك من مصيبةٍ وبليّةٍ وخسارةٍ وذُلٍّ وهَوَانٍ .

١١١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْرانٍ : " إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرَضٌ عَلَيْنَا ، وَإِقَامَةُ ذَلِكَ الْفَرَضِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْإِمَامِ ، أَوْ مَنْ يَجْرِي بِجَرَاهُ ؛ لِأَنَّهُ مَتَى حَصَلَتْ شَرَائِطُ وَجُوبِ الْقَوْدِ ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَتْرَكَ الْقَوْدَ لِأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا إِذَا أَرَادَ وَلِيُّ الدَّمِ الْعَفْوَ"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإقتران .

التوضيح : قَرَنَ ابْنُ بَدْرانٍ - رَحِمَهُ اللهُ - فَرَضِيَّةَ إِقَامَةِ الْقِصَاصِ عَلَى الْإِمَامِ أَوْ مَنْ يَجْرِي بِجَرَاهُ ، بِفَرَضِيَّةِ إِقَامَةِ الْقِصَاصِ عَلَى جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخَاطَبِينَ بِالْآيَةِ ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ مِنْ جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِقَامَةُ الْحَقُوقِ تَكُونُ بِيَدِهِ .

وجه الاستنباط:

فَرِيضَةُ الْقِصَاصِ فَرِيضَةٌ لَازِمَةٌ ، وَحَتْمٌ وَاجِبٌ لَا بَدَّ مِنْهُ ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : " كُتِبَ " وَقَوْلُهُ : " عَلَيْكُمْ " فَإِنَّهَا مُشْعِرَةٌ بِالْوَجُوبِ ، فَلَمَّا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا وَفَرَضَهُ عَلَى الْأُمَّةِ كَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْإِمَامِ أَوْ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ إِقَامَةُ الْحَدِّ إِذَا وَجِبَ الْقَوْدُ .

تحليل الاستنباط:

وَطَرِيقُ ابْنِ بَدْرانٍ - رَحِمَهُ اللهُ - هُنَا هُوَ الْأَخْذُ مِنْ لَفْظِ : ﴿ كُتِبَ ﴾ ، وَالَّذِي بِمَعْنَى : فَرَضَ^(٣) ، وَالْمُرَادُ إِجْبَابَ إِقَامَةِ الْقِصَاصِ عَلَى الْإِمَامِ أَوْ مَنْ يَنْوِبُ عَنِ الْإِمَامِ ؛ لِأَنَّهُ مَتَى حَصَلَتْ شَرَائِطُ وَجُوبِ الْقَوْدِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَتْرُكَهُ وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَالتَّقْدِيرُ : يَا أَيُّهَا الْأُمَّةُ كُتِبَ عَلَيْكُمْ اسْتِيفَاءُ الْقِصَاصِ إِنْ أَرَادَ أَوْلِيَاءُ الدَّمِ اسْتِيفَاءَهُ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَائِمٍ ذِي بَصِيرَةٍ وَحَاكِمٍ يَقُومُ بِهِ ؛ إِذْ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْتَصَّ

(١) سورة البقرة: آية (١٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٧٤ - ٤٧٥) .

(٣) تهذيب اللغة: للأزهري (١٠ / ٨٨) .

من أحدٍ دون السلطان، وليس للناس أن يقتصَّ بعضهم من بعض، وإنما ذلك للسلطان، أو مَنْ نصَّبه السلطان لذلك، ولهذا جعل الله السلطان ليكفَّ أيدي الناس بعضهم عن بعض؛ صيانةً لدماء الناس، ومحافظَةً على أرواح الأبرياء، وقضاءً على الفتنة في مهدها؛ ذلك لأنَّ أخذ الجاني بجنائته يكون زاجرًا له ولغيره، ورادعًا لأهل البغي والغدوان .

١١٢ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "تدلُّ الآيةُ أيضاً على أنَّ القاتلَ كُتِبَ عليه تسليم نفسه عند مطالبة الوليِّ بالقصاص، وليس له أن يمتنع، ولا أن يُنكر؛ لأنَّ القصاص حقُّ الآدمي"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة).

التوضيح: فالحكم المنطوق هو أن القاتل كتب عليه تسليم نفسه عند مطالبة الوليِّ بالقصاص، والحكم المسكوت عنه هو أن القاتل لا يمتنع ولا ينكر عند مطالبة النبي فيها، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه.

وجه الاستنباط:

لما كان الخطاب مع القاتل، والتقدير: "يا أيها القاتلون كُتِبَ عليكم تسليم أنفسكم عند مطالبة الوليِّ بالقصاص" كما ذكر ذلك الرَّازي^(٣) (ت: ٦٠٦هـ)، كان لزاماً على القاتل تسليم النفس، وليس له أن ينكر؛ لأنه حقُّ للآدميِّ يجب أن يقام ولا يُعْتَفَرُ له.

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران هنا من كون الاعتماد على حقِّ الآدمي لا يَسْقُطُ بالتوبة؛ لتعلق حقِّ المقتول به، ولكنَّ القاتل إذا تاب إلى الله توبةً نصوحاً وعمل عملاً صالحاً تقبل الله توبته وغفر ذنبه، ومن توبته أن يمكِّن أولياء الدَّم من استيفاء ما لهم، قال ابن القَيِّم (ت: ٧٥١هـ)^(٤): "إذا تاب القاتل من حق الله، وسلَّم نفسه طوعاً إلى الوارث ليستوفي منه حقَّ مُورِثِهِ سقط عنه حقُّ الله بالتوبة، وحقُّ الأولياء بالاستيفاء، أو الصلح، أو العفو، وبقي حقُّ المقتول يُعَوِّضُهُ اللهُ تعالى عنه يوم القيامة عن عبده التائب المحسن، ويصلح بينه وبينه، فلا يذهب حقُّ هذا ولا تبطل توبة هذا".

(١) سورة البقرة: آية (١٧٨).

(٢) جواهر الأفكار (٤٧٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٥/ ٢٢٢).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٠٢).

١١٣ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وفي الآية دليلٌ على إيجاب القتل ؛ لأنها تدلُّ على إيجاب التسوية فيه بين الأحرار والعبيد وغيرهم ، والتسوية في القتل صفة القتل ، وإيجاب الصفة يقتضي إيجاب الذات ، وأيضاً: فإنه لو لم تدلَّ الآية على وجوب القصاص لما كان لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ معنى مفهومٌ ؛ لأنه لا عفو بعد القصاص " ^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالآية ظاهرة الدلالة على وجوب القتل المقتضي لوجوب التسوية ، وهذا يُعَلِّم من النَّص بمجرد السماع دون تأمل .

وجه الاستنباط:

دلَّ ظاهر الآية على التسوية في القتل من حيث الأشخاص والأوصاف ، فيكون الجاني مكافئاً للمجني عليه في الدين والحرية أو الرِّق ، فمراعاة أوصاف القتاتين في القصاص أمر محتتم لا هوادة فيه ولا جَوْر، فكان هذا دليلاً ظاهراً على وجوب القصاص، إذ إنَّ وجوب المساواة يعتبر صفةً لوجوب القصاص ، كما أنَّ ذكر الخيار الثاني لأولياء الدم -وهو العفو- والتخيير بينه وبين القصاص دلَّ على وجوب القصاص ، إذ لا بُدَّ من الأول - وهو القصاص - إنَّ لم يقع الاختيار على الثاني - وهو العفو - .

تحليل الاستنباط:

طريق ابنِ بَدْران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى مأخوذاً من قوله: إيجاب الصفة يقتضي إيجاب الذات ، فالتسوية بين الأحرار والعبيد وغيرهم في القصاص واجبة، وهي صفةٌ للقتل ، فإذا كانت هذه الصفة في القصاص واجبةً دلَّ هذا على وجوب القصاص ذاته، إذ إنَّ إيجاب الصفة يقتضي إيجاب الذات .

(١) سورة البقرة: آية (١٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٧٥).

١١٤ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وأفادت الآية أيضا المكافأة ، بأن لا يُفْضَلُ الْقَاتِلُ الْمَقْتُولَ حال الجناية بالإسلام ، أو الحرية ، أو الملك ، فلا يُقتل المسلم ولو عبداً بالكافر ولو حُرّاً ، ولا ذِمِّياً بالعبد ولو مسلماً ، ولا المكاتب بعبده ولو كان ذا رحمٍ محرم له"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة النَّص .

التوضيح : فالمكافأة ظاهرة من النَّص ، فالآية أصل في اشتراط المماثلة في القصاص .

وجه الاستنباط:

دلَّت المقابلة الواردة في الآية على أَنَّ الْحُرَّ لَا يُقْتَلُ إِلَّا بِالْحُرِّ ، والعبد لا يقتل إلا بالعبد، وهذا ما يسمَّى بالمكافأة والمماثلة، فمتى وجدت هذه المكافأة وَجَبَ القصاص ، ويفهم من هذا أنها لو لم تجتمع فإنه يختلف الحكم هنا، فيُقْتَلُ الْمَفْضُولُ بِالْفَاضِلِ ، ولاعكس .

تحليل الاستنباط:

طريق ابنِ بَدْران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى كسابقه ، مأخوذاً من أصل القصاص ، والذي أصله من القَصِّ الذي هو المساواة ؛ لأن مَنْ قَصَّ شيئاً من شيء بقي بينهما سواءً من الجانبين ، وبالتالي فالتساوي واقعٌ عند القَصِّ ، وكذلك عند القصاص يتعيَّنُ التساوي بين الجانبين ، فلا يُقْتَلُ الْأَدْنَى بِالْأَعْلَى ، فالتساوي شرطٌ واجبٌ توافره في القصاص ، وعدم وجوده يؤدِّي إلى تَعْطِيلِ القصاص وسقوطه .

فالمكافأة والمماثلة في القصاص مما اجتمع عليه أهل العلم والجمهور^(٣) ، والآية المذكورة أصلٌ في اشتراط التكافؤ في القصاص ، بأن يكون المقتول مكافئاً للقاتل حال الجناية .

(١) سورة البقرة: آية (١٧٨) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٧٥) .

(٣) انظر: عمدة الفقه: لابن قدامة (١/ ١٢٨) ، وبداية المُحْتَمَد: لابن رُشد (٤/ ١٨٠) ، وروضة الطالبين:

للنَّوَوِيِّ (٩/ ١٥٠) .

١١٥ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ودلت الآية على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بارتكابها عن الإيمان، لأنه تعالى قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ، فسماه أحماً ، ولا شك أن هذه الأخوة تكون بسبب الدين ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢). فلولا أن الإيمان باقٍ مع الفسق لما بقيت الأخوة الحاصلة بسبب الإيمان" (٣).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالأخوة في الآية هي أخوة الإيمان والدين ، ويلزم من هذا بقاء الأخوة وبقاء الإيمان ، فدل على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بارتكابها عن الإيمان ، وهذا من دلالة اللفظ على لازم غير مقصود ، وإنما قصد تبعاً .

وجه الاستنباط:

في الآية دلالة على أن القاتل لا يكفر؛ لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان والإسلام، فلم يخرج الجاني بالقتل من الإيمان ، ولكن ينقص إيمانه ، ومما يدل على إيمان القاتل في الآية: أنه تعالى سماه مؤمناً في حال وجوب القصاص عليه ، وأنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل و وليّ الدم، ولا شك أن هذه الأخوة تكون بسبب الدين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٤) والمراد هنا: أخوة الدين بلا ريب ، كما أنه تعالى ندب إلى العفو

(١) سورة البقرة آية (١٧٨) .

(٢) سورة الحجرات: آية (١٠) .

(٣) جواهر الأفكار (٤٧٦) .

(٤) سورة الحجرات: آية (١٠) .

عن القاتل ، والندب إلى العفو إنما يليق بالمؤمن ، وهذه الوجوه تقتضي كون الأخوة باقيةً والإيمان باقياً مع القتل .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - في استنباط هذا المعنى مأخوذٌ من قاعدةٍ جليلةٍ عند أهل السنة وهي: أنَّ المعاصي لا تُخْرِجُ صاحبها من عبادة الإيمان ، مهما بلغت ، ولو كانت قتلاً عمداً ، يقول الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): "ولا نشهد على أحدٍ من أهل القبلة أنه في النار لذنْبِ عَمَلِهِ ، ولا لكبيرةٍ أتاها"^(١) . ويقول ابن تيمية (ت: ٧٢٦هـ): "وقد صرَّحَ أحمد في غير موضع أنَّ أهل الكبائر معهم إيمانٌ يخرجون به من النار"^(٢) .

وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله - باباً في صحيحه^(٣) قطع فيه بأنَّ المعاصي لا يكفر مرتكبها، قال: باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك؛ لقول النبي (ﷺ): "إنك امرؤ فيك جاهلية" . وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) .

فمرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكليّة؛ إذ لو كَفَرَ كُفْرًا ينقل عن الملة لكان مُرْتَدًّا يُقْتَلُ على كل حال، ولا يقبل عفو وليِّ القصاص عنه، وهذا القول معلومٌ بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام ، كما دلَّت عليه الأقوال السابقة .

(١) مختصر الصواعق: لابن القيم (٥٥٩) ، والدُرُّ السنيّة: مجموعة من العلماء (١/ ٣٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٧/ ٢٥٧) .

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٥) ، كتاب الإيمان .

(٤) سورة النساء: آية (٤٨) .

١١٦ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ويؤخذ من هذا أنه إذا ظهرت وصية من رجل ، قد جعلها على مُقْتَضَى ما يُتَصَوَّر ، وجعل فيها شيئاً مخالفاً للشرع ، لا يجوز إسقاط الوصية من أصلها، وإنما يجوز إثباتها وإصلاحها ، فما وافق فيه الشرع أثبتته الحاكم أو الوصي ونحوهما ، وما لم يوافق الموصي فيه الشرع رُدَّ إلى الشرع ، وأن من فعل ذلك لا يكون داخلاً تحت قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ الآية" (٢).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من الإصلاح الوارد في الآية أن يُقيم الوصية دون أن يسقط منها شيء ، حيث تُثَبَّتْ ثم يتم إصلاحها ، لا أن تُسْقَطْ بالكلية ، وهذا المعنى غير مقصود أصالة لكنه تابع لمعنى الإصلاح .

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط من الآية بيّن واضح ، حيث أنّ الإصلاح في الآية يعني تقويم الوصية ، وجعلها مُوَافِقَةً لشرع الله دون إسقاطها بالكلية ، ويتّضح هذا عند النظر في التبديل في هذه الآية والآية السابقة ، فالتبديل في الآية السابقة هو: أن يبدل من الحقّ إلى الباطل ، أما التبديل هنا هو أن يبدل من الباطل إلى الحقّ على طريق الإصلاح ، والإصلاح يقتضي ضرباً من التبديل والتغيير ، حيث يُزْحِجُ باطلاً لِيُؤَسِّسَ حقاً، فأوجب - جلّ وعلا- الإثم في الأول ، وأزاله عن الثاني بعد اشتراكهما في كونهما تبدلين وتغييرين ؛ لئلا يُظَنَّ أن حكمهما واحد في هذا الباب .

(١) سورة البقرة: آية (١٨٢) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٨٩).

تحليل الاستنباط:

طريق المستنبط هنا كان الأخذ من قاعدة "الضَّرُّ يُرَال" ^(١)، ودليلها: قول النبي (ﷺ): " لا ضَرُّ ولا ضِرار" ^(٢)، فالأحكام إما لجلب المنافع أو لدفع المضار، فيدخل تحت هذه القاعدة دفع الضروريات الخمس، التي هي: حفظ الدين، والنفس، والنَّسَب، والمال، والعِرْض، وإصلاح الوصية فيه حفظٌ للمال، والنفس، والدين، كما أنَّ هذه القاعدة ترجع إلى تحصيل المقاصد وتقريرها، بدفع المفسد أو تخفيفها، وإصلاح الوصية فيه دفع مفسدةٍ وتحصيل منفعة، كما تفيد القاعدة وجوب إزالة الضَّرِّ ورفعته بعد وقوعه، كما هو الحال في الأمر بالإصلاح عند الإضرار بالوصية.

قال ابنُ القَيِّم (ت: ٧٥١هـ) ^(٣): "فإنَّ حكمة الشارع اقتضت رفع الضرر عن المكلفين ما أمكن، فإن لم يمكن رفعه إلا بضَرِّ أعظم منه أبقاه على حاله، وإن أمكن رفعه بالتزام ضررٍ دونه رفعه به"، فيدخل تحت هذه القاعدة كلُّ ما يكون ضرراً وتعارف عليه الناس أو حكم به الشرع، سواء كان قولاً أو فعلاً أو تركاً.

(١) انظر: الأشباه والنظائر: للسُّبكي (١ / ٤١)، والأشباه والنظائر: للسُّيوطي (٨٣)، والأشباه والنظائر: لابن بُجَيِّم (٧٢). ولفظ: "لا ضَرُّ ولا ضِرار" أشمل وأعمُّ من لفظ: "الضَّرُّ يُرَال"؛ لأنه يشمل نفي الضَّرِّ ورفعته، سواء كان ذلك قبل وقوع الإضرار أو بعد الوقوع، فإن كان الضرر لم يقع فإن هذه القاعدة تدلُّ على نفيه، وإن كان الضرر قد وقع فإنَّ هذه القاعدة تدلُّ على رفعه، أما لفظ (الضَّرُّ يُرَال) فهو مقتصرٌ على إزالة الضَّرِّ بعد وقوعه، ولعل الأولى تُناسِبنا هنا؛ لكون الإصلاح مطلوبٌ قبل وقوع الإضرار وبعده، ولكنني اخترت اللفظ الثاني؛ لكونه هو المنتشر والمشتهر عند المتقدمين، كما ورد في الكتب السابقة.

(٢) "صحيحٌ لغيره" قاله الألبانيُّ في سنن ابنِ ماجَّة (٢ / ٧٨٤) حديث رقم (٢٣٤١) بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وانظر: مسند أحمد (٥ / ٥٥) حديث رقم (٢٨٦٥). وقال الدَّهْيُ: "على شرط مُسَلِّم"، المُسْتَدْرَك: للحاكم (٢ / ٦٦) حديث رقم (٢٣٤٥).

(٣) أعلام المُوقَّعين (٢ / ٩٢).

١١٧ - قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وظاهر الآية اعتبار مطلق المرض ، بحيث يصدق عليه الاسم ، وإلى هذا ذهب جمعٌ من السلف^(٢)"^(٣).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فظاهر الآية يدل على أن المرض في نهار رمضان يُبيح الإفطار ، ولم يُقيد المرض أو يخصصه بل كان اللفظ دال على العموم في كل مرض ، وهذه من الدلالات الظاهرة التي تفهم من النص لغة .

وجه الاستنباط:

ظاهر الآية يدلُّ على اعتبار مطلق المرض بلا تقييد ولا تعيين ، فلم يُقيد المرض في الآية ، فدُلَّ على العموم في كل مرض ، سواء كان شديداً أو بسيطاً ، فلما كان الإطلاق وارداً في الآية كان الأخذ بالرخص التي منحها الله لنا باباً من أبواب التيسير والتسهيل والتخفيف ، وهذه من باب التعبد بالرخص .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هو الأخذ من عموم الآية الكريمة وظاهرها ، حيث أُطلق اللفظ ولم يُقيد المرض بالشديد ، فمطلق المرض والسفر يبيح الإفطار . وجمهور الفقهاء على أن المرض اليسير الذي لا كُلفه معه لا يبيح الإفطار^(٤) ، وما ذهب إليه الجمهور هو الصحيح ؛ فإنَّ الحكمة التي من أجلها رُخص للمريض في الإفطار هي إرادة اليسر، ولا يراد اليسر إلا عند وجود المشقة، فالقول بأن مطلق المرض

(١) سورة البقرة: آية (١٨٤) .

(٢) منهم: ابن سيرين ، وعطاء . انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٢ / ٢٧٦) ، .

(٣) جواهر الأفكار (٤٩٢) .

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨ / ٤٦) ، والمجموع: للتووي (٦ / ٢٥٨) ، وتفسير القرطبي (٢ / ٢٧٦).

يبیح الفطر قولٌ غیر مُسَلَّم ، فهناك كثيرٌ من الأمراض والأوجاع لا تُؤثِّر على الصائم كَمَنْ به صداعٌ أو ألمٌ في يده أو رجله أو نحو ذلك ، فَمَنْ كان به شيءٌ من ذلك فلا يجوز له الفطر ، قال ابنُ قُدامة (ت: ٦٢٠هـ): "والمرض المبيح للفطر هو الشديد الذي يزيد بالصوم أو يخشى تباطؤ بُرئه"^(١) .

(١) المُعْني (٣ / ١٥٥) .

١١٨ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ففيه إشعارٌ بأنَّ الصائم يناله من الخير في صحته وجسمه ورزقه حظٌ وافر ، مع عظيم الأجر في الآخرة"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية تنصُّ على الخيرية في الصيام ، وهذه الخيرية ظاهرة في نصِّ الآية يعرفها من يعرف هذا اللسان العربي بمجرد السماع دون تأمل .

وجه الاستنباط:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن في الصيام خيراً ليس للأصحاء المقيمين فقط، بل أيضاً للمرضى والمسافرين ، والذين يستطيعون الصوم بمشقة ككبار السنِّ ومَنْ في حكمهم، فقد ورد لفظ ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية ثلاث مرات ، مما يدلُّ على كثرة ما ينال الصائم من خير كثير، وأجرٍ عظيم ، وثوابٍ جزيل ، فهو يحقِّق لنا وقايةً من العلل الجسمية والنفسية، ويشكل حاجزاً وسترأً لنا من عقاب الله، ويتّضح هذا من مطلق الخيرية دون الحصر في الآية .

تحليل الاستنباط:

وطريق ابن بدران - رحمه الله - في استنباط هذا المعنى هو التأمل في لفظ ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية؛ فقد وردَ ثلاث مرات ، وهذه الخيرية أدركنا آثارها بما سخره الله لنا من العلم الحديث، فقد جاء الإعجاز العلميُّ بإثبات تأثير الصيام في تحسين صحة الصائم ، ومساعدته على مقاومة بعض الأمراض ، فبالإضافة إلى ما وعد الله تعالى به الصائمين من الأجر في الآخرة ، فهو أيضاً التفاتٌ إلى ما في الصيام من الإعجاز العلمي ؛ حيث

(١) سورة البقرة: آية (١٨٤) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٠٠).

يعتبر العلماء اليوم الصوم ظاهرة حيوية فطرية لا تستمر الحياة السوية والصحة الكاملة بدونها ، وقد أَلْفُوا في ذلك الكتب ^(١) ، وأنشئوا المصحّات التي تعالج روادها بالصيام ، وظهرت لهم نتائج باهرة تم فيها علاج أمراضٍ مستعصيةٍ بالصيام ، والعصر الحالي يَعُجُّ بأنواع الموسوعات والكتب والمجلّات التي تدعو إلى العلاج بالصيام وتكشف آثاره الباهرة.

(١) منها: الصيام معجزة علمية: للصّاوي ، ومعجزة الصيام في الطبّ والقرآن: لفائز عبد العزيز ، ومعجزة الصّوم الطيّب: بول. س. بريك ، وروائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم: أمل ياسين .

١١٩ - قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وفي الإتيان بـ "من" الشائعة في العموم ، إشارة إلى إلزام مَنْ رأى الهلال وحده بالصَّوم ، و "مِنْ" واقعةٌ على المكلف الذي يليق به الخطاب ، فلا يدخل في عمومها الصبيُّ والمجنون ؛ لأنهما ليسا أهلاً للخطاب ولا للتكليف"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو إلزام البالغ العاقل بالصَّوم إذا رأى الهلال^(٣) ، والحكم المسكوت عنه هو أنه لا يدخل في عمومها الصبيُّ والمجنون ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيدُه اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

وجه استنباط المعنى ظاهرٌ بيِّن من الآية ، فمن رأى هلال رمضان ، وتفردَّ بالرؤية لزمه أن يصوم وإن زُدَّت شهادته؛ لأنَّ الله تعالى جعل شهود الشَّهر سببًا لوجوب الصوم عليه، وقد حصل شهود الشَّهر في حقِّه ، فكان فيه إلزامٌ لمن رأى الهلال وحده بالصوم ، ويؤكدُ هذا مجيء "مِنْ" المفيدة للعموم ، والمعنى : أن كلَّ فردٍ رأى الهلال، عليه الإمساك، واستثنى ابن بدران الصبيِّ والمجنون ؛ لكونهما ليسا أهلاً للتكليف .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - كان مأخوذٌ من كون الطلب يتحقَّق عند تحقُّق الشرط، وهذا ظاهرٌ ومُتَّحَقٌّ في الآية ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ، فهي

(١) سورة البقرة: آية (١٨٥) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٠٣) .

(٣) المُعْنَى: لابن قُدَّامَة (٣/ ١٦٤) .

جملةً مركبةً من شرطٍ وجزاء ، فالشرط هو شهود الشهر ، والجزاء هو الأمر بالصوم ، وما لم يوجد الشرط بتمامه لا يترتب عليه الجزاء ، أما إن وُجِدَ الشرط وهو شهود الشهر فإنه يترتب عليه الجزاء وهو الصوم ، فكلُّ من رأى الشهر فإنه يترتب عليه صيامه ، وعلى هذا التأويل يستقيم معنى الآية ، فمنَّ شهد هلال رمضان فقد تحقَّق الشرط ، فيترتَّب عليه الجزاء، وهو الأمر بصوم الشهر .

١٢٠ - قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ

الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "﴿حَتَّى﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ الآية، لانتهاه الغاية،

فدلّت هذه الآية على أنّ حِلَّ المباشرة والأكل والشرب ينتهي عند طلوع الفجر"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة النص .

التوضيح : فالآية تنصُّ على أن الإفطار ينتهي بطلوع الفجر ، وهذا يُفهم من

سياق الآيات دون تأمل .

وجه الاستنباط:

أباح تعالى الأكل والشرب في الليل إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل ، وعبر

عن ذلك بتبَيُّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وهذا التبين والتوضيح هو بداية

الصيام والإمساك ، وقد جيء في الغاية بـ"حَتَّى" تحديداً لنهاية وقت الإفطار .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران هنا مأخوذ من (حَتَّى) الدالة على انتهاء الغاية الزمانية ، فهي تشير

إلى أن مُنتهى الأكل والشرب وجميع المفطرات في الشريعة هو بطلوع الفجر ، وهي بمعنى

(إلى) ، وتفيد انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية . وهذا دليلٌ على أن نهاية الفطر تكون

بطلوع الفجر ؛ لما أفاده حرف (حَتَّى) من انتهاء الغاية الزمانية بطلوع الفجر ، قال ابن

قُدّامة (ت: ٦٢٠هـ): "وله الأكل حتى يتيقن طلوع الفجر ، نصّ عليه أحمد ، وهذا

قول ابن عباس وعطاء والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي"^(٣) .

(١) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

(٢) جواهر الأفكار (٥١٨) .

(٣) المغني (٣/١٤٧) .

١٢١ - قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ

الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "ويدلُّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ أن ابتداء الإمساك يكون من التبيُّن، فَمَنْ شكَّ فيه وفعل شيئاً من المفطرات، ثم انكشف له أنَّ الفجر كان طالعاً وصامه أنه لا قضاء عليه؛ لأنه غيَّاهُ بتبيُّنِ الفجر للصائم لا بالطلُّوع"^(٢).

نوع الدلالة: دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة).

التوضيح: جيء في الغاية بـ(حَتَّى) تحديداً لنهاية وقت الإفطار بصريح المنطوق، وقد علم منه لا محالة أنه ابتداء زمن الصوم، إذ ليس في زمان رمضان إلا صوم وفطر وانتهاء أحدهما مبدأ الآخر.

وجه الاستنباط:

في الآية تحديداً واضحاً قاطعاً لزمن الإفطار، والتمتع المباح، وهو ما ينطبق عليه مسمى الليل، حيث حدَّدهُ الله تعالى بحروف الغاية، وهي: (حَتَّىٰ وَإِلَى)، فجُعِلت الغاية في الآية التبيُّن، فكان الإنسان مرخصاً له في الأكل والشرب إلى أن يتبيَّن الفجر وينكشف له.

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا الأخذ بقاعدة الاستصحاب^(٣)، فمادام الإنسان مستصحباً الأصل، وحاول التبيُّن، فلم يتبين له، فأكل وشرب، ثم بان له أنه أكل

(١) سورة البقرة: آية (١٨٧).

(٢) جواهر الأفكار (٥٢٠).

(٣) الاستصحاب في اللغة: طلب الضميمة، وأصله من مادة (صَحَبَ) يدلُّ على مقارنة شيءٍ ومقارنته، وكلُّ شيءٍ لازم شيئاً فقد استصحبه، ومن هنا قيل: استصحبْتُ الحال إذا تمسكت بما كان ثابتاً. انظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ٣٣٥)، وكشف الأسرار: لعلاء الدين (٣/ ٣٧٧)، والمصباح المنير: للفيومي (١/ ٣٣٣).
أما في اصطلاح الأصوليين فله عدة تعاريف متقاربة المعنى، منها: تعريف علاء الدين البخاري: "هو الحكم بثبوت أمرٍ في الزمان الثاني بناءً على أنه كان ثابتاً في الزمان الأول". كشف الأسرار: لعلاء الدين البخاري (٣/ ٣٧٧).

بعد الفجر ، فليس عليه حرجٌ في ذلك، ولا يلزمه قضاء، وذلك لاستصحاب حكم الليل وعدم تيقن طلوع الفجر الذي هو نهايته وغايته ، فاستصحاب بقاء الليل هو الأصل، فيلزم البناء على الأصل، يعني أنّ الأصل الثابت يجب استصحابه إلا بدليل يرفعه ، فمن شكَّ في دخول الفجر جاز له استصحاب بقاء الليل واستمراره ، وبالتالي يجوز له الاستمرار بالأكل والشرب وغيرهما من المفطرات .

١٢٢ - قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ

الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "و قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ ، بيانٌ لغاية الصوم، وإشارةٌ إلى أنه لا صوم في الليل ، كما أنه لا فِطْرُ بالنهار ، ومنه يؤخذ أنَّ المُواصِلَ مُجَوِّعٌ نفسه في غير طاعة ربِّه"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فمنطوق الآية دالٌّ على وجوب استمرار الصيام من طلوع الفجر إلى الليل ، فاستنبط من ذلك ابن بَدْران أنَّ الليل ليس محلاً للصيام ، فيبطل الوصال ، لأنَّ الشرع أخرج زمان الليل من أن يكون وقتاً لِرُكْنِ الصوم ، وهذا من مفهوم المخالفة المغاير والمخالف للمنطوق كما هو واضح .

وجه الاستنباط:

الآية صريحةٌ في حدِّ وقت الصيام وأنه إلى الليل ، ويُعْلَمُ منه أن الوصال^(٣) لا يُشْرَعُ؛ لأنَّ الشرع أخرج زمان الليل من أن يكون وقتاً لركن الصوم وهو الإمساك ، فيؤخذ من وقت الصيام وجوب الإفطار في وقته وعدم الوصال، وأنَّ الصائم يعتبر مُفْطِراً عند دخول الليل حال غروب الشمس ولو لم يأكل شيئاً، وأنَّ الوصال لا يصحُّ لانتهاء وقت الصيام.

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بَدْران - رحمه الله - مأخوذٌ من حرف الجرِّ "إلى" الدالُّ على انتهاء الغاية^(٤)،

(١) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٢١) .

(٣) هو متابعة الصوم دون الإفطار بالليل . انظر: مشارق الأنوار: للقاضي عِيَّاض (٢/ ٢٨٨) ، وقواعد الفقه:

لمحمد عَمِيم (٣٥٥) ، وعلم المقاصد: للخادِمِي (١٢٥) .

(٤) حرف جرٌّ ، يفيد انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية . معجم اللغة العربية (١/ ١١٥) .

والذي يشير إلى أن مُنتهى الصوم في الشريعة هو الليل، وما زاد عليه فليس داخلاً فيه.
 كما أنَّ مفهوم الآية دلَّ على إبطال الوصال^(١)؛ لأن منطوقها دلَّ على وجوب
 استمرار الصيام من طلوع الفجر إلى الليل، ومفهومها يدلُّ على أنَّ الليل لا يجوز صيامه،
 فيبطل الوصال، كما لو قال: لا تصوموا الليل.

(١) قال ﷺ: «لا تُواصلوا» قالوا: إنك تُواصل، قال: «لست كأحدٍ منكم؛ إني أُطعم، وأُسقى، أو إني أبيت أُطعم وأُسقى» صحيح البخاري (٣/ ٣٧)، كتاب الصوم، باب الوصال، حديث رقم (١٩٦١)، وصحيح مسلم (٢/ ٧٧٤)، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال، حديث رقم (١١٠٢). والنهي عن الوصال في الحديث محمولٌ على الكراهة عند الجمهور، وفي المذهب الشافعيّ يحمل النهي عنه على التحريم في الأصحّ، قال ابنُ قدامة: "وهو مكروهٌ في قول أكثر أهل العلم" المغني (٣/ ١٧٥)، وقد صرح النَوَوِيُّ بأنَّ الوجه الأصحّ في المذهب الشافعيّ أنَّ النهي عن الوصال نهيٌ تحريميٌّ، ثم ذكر مذاهب العلماء في الوصال فقال: "ذكرنا أنَّ مذهبنا أنه منهيٌّ عنه، وبه قال الجمهور" المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٥٨).

١٢٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "والآية لا تدلُّ إلا على النهي عن المباشرة ، وهي من باب المفاعلة ، فيكون النهي عن الجماع ، وعمّا هو سبيل له ، وأما المباشرة التي لا تلذُّذ بها فالظاهر أنّها غير داخلية في هذه الآية"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم المخالفة) .

التوضيح : فالحكم المنطوق هو النهي عن المباشرة حال الاعتكاف ، والحكم المسكوت عنه هو أنه لا يدخل فيها المباشرة التي لا تلذُّذ بها ، وهذا المفهوم مغايرٌ ومخالفٌ لما يفيد اللفظ بمنطوقه .

وجه الاستنباط:

لما كان الصيام والحجُّ وغيرهما من العبادات قد نُهي فيها عن مباشرة النساء كان الاعتكاف واحداً من العبادات التي يدخل فيها هذا الحكم، فقد نَهَى -جلَّ وعلا- عن مباشرة النساء في حال الاعتكاف في المسجد، والاعتكاف معناه ترك أمورٍ كثيرةٍ ومنها مباشرة النساء، وأما غير ذلك مما لا يكون سبيلاً إليه فليس داخلياً فيه؛ لكونه أقلَّ منه رُتبةً.

تحليل الاستنباط:

طريق ابنِ بَدْران هنا الأخذ بقاعدة: "ما أدّى إلى محرّم فهو مُحَرَّم"^(٣)، فإذا كان المقصد محرماً كانت كلُّ وسيلةٍ تُفضي إلى هذا المقصد المحرم محرمةً، والمباشرة وكلُّ ما هو سبيلٌ إليها يُبطل الاعتكاف ، أما المباشرة من غير شهوةٍ فليس فيها ما يُفضي إلى إبطال الاعتكاف؛ فهي خاليةٌ من التلذُّذ والاستمتاع؛ لذلك فهي غير داخلية في هذا النهي^(٤) .

(١) سورة البقرة: آية (١٨٧) .

(٢) جواهر الأفكار (٥٢٢) .

(٣) انظر هذه القاعدة في: من أصول الفقه: لركزيّا غلام (١٦٢) .

(٤) انظر: المُعني: لابن قُدّامة (١٩٨ / ٣) ، وفتح الباري: لابن حجر العسقلاني (٢٧٢ / ٤) .

١٢٤ - قوله سبحانه و تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ

الْخِنْزِيرِ ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: " وقوله: ﴿ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ﴾ أراد الخنزير بجميع أجزائه، لكنَّه خصَّ اللحم لأنه المقصود بالأكل"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة المفهوم (مفهوم الموافقة) .

التوضيح : حيث عُلمَ من تحريم أكل لحم الخنزير - وهو في محل النطق - تحريم أكل بقية أجزاء الخنزير؛ لأنَّ علة التحريم هي النجاسة في الخنزير بجميع أجزائه - وهو المسكوت عنه - وهو هنا داخلٌ ومساوٍ في الحكم مع المنطوق .

وجه الاستنباط:

ذكر - جلَّ وعلا- لحم الخنزير دون بقية الأجزاء ، والمقصود به جميع أجزائه ، وهذا من قبيل المجاز المرسل عند البلاغيين وعلاقته الجزئية^(٣) ، وذلك حيث أطلق الجزء وهو لحم الخنزير وأراد الكل وهو جميع أجزاء الخنزير ، إذا تبين أن ذكر الجزء كان لسبب أوجب ذلك ، مثل كونه المقصود الأكبر ونحو ذلك ، وهذا مما يقع في كلام رسول الله ﷺ وكلام سائر الناس ، فإذا نُهيَ عن جزءٍ من الشيء فهو نهْيٌ عنه كله ، وإذا أُمرَ بشيءٍ كان أمراً بجميعة ، وهي من القواعد المعروفة والمنتشرة في كلام الناس ، ولهذا فهم العرب من تخصيص جزءٍ شمول جميع الأجزاء؛ لأنه أسلوب بلاغي متعارف عليه عندهم كما تقدم .

(١) سورة البقرة: آية (١٧٣) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٥٨) .

(٣) ينظر: جواهر البلاغة : للهاشمي (٢٥٣) .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - هنا مأخوذ من قاعدة: " تحريم جزء من الشيء تحريم لجميع أجزائه" ^(١) ، فنصّ في هذه الآيات على تحريم لحم الخنزير ، واللحم وإن كان مَحْضُوصاً بالذكر فإن المراد جميع أجزاء الخنزير ، وإنما خصّ اللحم بالذكر لأنه أعظم مَنفَعَةً وهو ما يُبتَغى منه ، وتأكيداً لحكم تحريمه ، وحظراً لسائر أجزائه ، فدلّ على أنّ المراد بذلك جميع أجزائه، وإن كان النصُّ خاصاً بلحمه . قال ابن تيمية (ت: ٧٢٦هـ): "تحريم الشيء مطلقاً يقتضي تحريم كلّ جزء منه ، كما أنّ تحريم الخنزير والميتة والدم اقتضى ذلك" ^(٢) .

(١) انظر هذه القاعدة في: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٢١ / ٨٥) ، ومن أصول الفقه: لركبياً غلام (١٦٢) ، ومعالم أصول الفقه: لمحمد الجيزاني (٣٠٤) .
 (٢) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٢١ / ٨٥) .

١٢٥ - قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾^(١) .

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران: "وقوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾ إشارةٌ إلى الجاذبيَّة لأَنَّها لا تُرى، فالأفلاك كُلُّها المستقرُّ منها والمتحرِّكُ إنما حصلَّ وظيفته بالجاذبيَّة المخلوقة لله تعالى"^(٢) .

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فالآية تُشير إلى وجود عَمَدٍ غير مرئيَّة ، وذلك يتمُّ بفعلِ الجاذبيَّة ، وهذا المعنى ليس مقصوداً باللفظ في الأصل، وإنما قُصد تبعاً ، يعني صار المدلول عليه من خارج اللفظ تابعٌ للملفوظ به ، ومدلول الإشارة هنا لم يُسقِ الكلام من أجله .

وجه الاستنباط:

هنا يظهر لنا سرُّ التعبير القرآنيِّ في هذه الآية ؛ حيث إنَّ الآية تُشيرُ إلى وجود عَمَدٍ غير مرئيَّة ، وهو ما يتمُّ بفعلِ الجاذبيَّة ، فكلمة (ترونها) جاءت - والله أعلم - لهذا الغرض؛ لتلفت نظر الإنسان إلى وجود شيءٍ غير مرئيٍّ ، سيدركه الإنسان يوماً ما بعقله وإن لم يره بعينه ، ألا و هو قانون الجاذبية ، والإنسان في العصر الحاضر يشاهد ما يفسَّر به هذه الآية، فالكشوف العلمية تُثبِتُ أنَّ الأجرام السماوية قائمةٌ دون عَمَدٍ في الفضاء وإنما وَفَّقَ قانون الجاذبية ، وهي التي تساعد كلَّ هذه الأجرام على البقاء في أماكنها المحدَّدة لها ، فلا تسقط ، ولا يصطدم بعضها ببعضها الآخر .

تحليل الاستنباط:

طريق ابنِ بَدْران - رحمه الله- في استخراج هذا المعنى مأخوذٌ من ماهيَّة الجاذبية ، فهي تتَّصفُ بأنَّها لا تُرى، وقد رَبَطَ الجاذبية للأفلاك بقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾، فورد في الآية أنَّها لا تُرى بكلمة (ترونها) ، ولولا وُزود هذا الوصف لما عُلمَ أنَّ المقصود بها الجاذبيَّة؛ لأنَّها إحدى صفاتها التي لا توجد في غيرها .

(١) سورة الرعد: آية (٢).

(٢) جواهر الأفكار (٢١٩).

١٢٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابن بدران: "وَدَعَى بعض المتأخرين منهم أنه اكتشف كوكباً ثامناً للسّيّارات ، وسماه (نُبْتُون) باسم مكتشفه ، والذي يلوح لي أنّ هذا الكوكب هو الذي يعبر عنه الأقدمون بفلكِ الثّوابت ، وهو كثير الدُّكر في كتب الهيئة ، وقد بقي عليهم فلكٌ آخر لم يكتشفوه ، وهو فلك الأفلاك ، والفلك الأعظم والأطلس ، وقالوا: إنه محيطٌ بجميع الأجسام، وليس وراءه شيءٌ لا خلاء ولا ماء، ولقد سبق القرآن الكريم إلى ذكر هذين الكوكبين، فقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢) ، يُشير إلى الثامن، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣) ، يشير إلى التاسع"^(٤).

نوع الدلالة : دلالة الإشارة .

التوضيح : فيلزم من ذكر خلق السماوات ذكر ما فيها من أفلاك ونجوم ونحوها ، وهذه الدلالة من الدلالات الدقيقة غير المقصودة قصداً أولاً من النص بل هي تابعة له .

وجه الاستنباط:

ذكر ابن بدران أن الكرسيّ والعرش فلكتين من الأفلاك السماوية بعد أن ذُكر في الآية خلق السّمّوات ، والسّمّوات تشمل ما فيها من أجرامٍ ونجومٍ وأفلاكٍ ونحوها ، فعُلم وجه الاستنباط من هنا، حيث إنّ ذكر الأفلاك مناسبٌ عند ورود السّمّوات؛ لاشتمالها عليها .

تحليل الاستنباط:

(١) سورة البقرة: آية (١٦٤).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٣) سورة طه: آية (٥) .

(٤) جواهر الأفكار (٤٢٢).

طريق ابن بَدْران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى كان بتأويل الحقائق الدينية بما يتَّفِقُ مع الآراء الفلسفيَّة، أو إخضاع تلك الحقائق لهذه الآراء، وهذا الطريق من طرق الفلاسفة في الجمع بين الفلسفة والشريعة ، وهذا أدَّى إلى خَلْقِ بَلْبَلَةٍ وفوضى فِكْرِيَّةٍ ، فهؤلاء الفلاسفة يَحْرَفُونَ النصوص عن معناها الحقيقيِّ إلى معنى مجازي، لا يدلُّ عليه اللفظ بحالٍ من الأحوال، قام به نفرٌ من فلاسفة المسلمين^(١) ؛ للتوفيق بين الفلسفة والنصوص الشرعية ، فَيُسَمُّونَ العرش: الأطلَس ، ويقولون هو الفلك التاسع، ويُسمُّون الكرسيَّ بفلك الثَّوَابِت، ويقولون: هو الفلك الثامن ، والنصوص تُبْطَلُ هذا التأويل ، فهذا لم يقل به أحدٌ من سلف الأمة، مع إقرار ابن بَدْران - رحمه الله - بأنَّ هذا على مذهب المتأخريِّين الحكماء ، وهم الفلاسفة^(٢)، وهذا يدلُّ - بلا شكَّ - على تأثر ابن بدران بكلامهم ، ويؤكِّد بقاء أثر قراءته السابقة في الفلسفة وتأثيرها على تفسيره .

والعرش في النصوص له صفاتٌ غير صِفَةِ الفَلَكِيَّةِ ، فوصِفَ بأنَّ له قوائم ، وأنَّ الملائكة تحمله، فدلَّ على أنه ليس بفلك ، فالعرش هذا الذي ذُكِرَ في النصوص لا يوافق هذا المبدأ، كما أنه قولٌ مخالفٌ لما دلَّت عليه الأحاديث والآثار، ومخالفٌ لما عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة ومخالفٌ للغة العربية ، وهو أيضاً تكذيبٌ بالكرسيِّ والعرش . قال ابن تيميَّة (ت: ٧٢٨هـ): "ومعلومٌ أن مقالات هؤلاء أبعد المقالات عن الشرع؛ فإنهم يُسَفِّسُونَ في العقليات ، ويُفَرِّمُونَ في السَّمْعِيَّات، فَيَحْرَفُونَ الكلم عن مواضعه تحريفاً أخطر من التحريف الذي عيَّب به اليهود والنصارى، وقد عُلم بالاضطرار أنَّ ما يفسِّرون به كلام الله تعالى ورسوله، بل غالب تفاسيرهم منافيةٌ لما أراده الله تعالى"^(٣) ، وقد تمَّ مناقشة هذا القول ، وذكُر ما ورد من نصوصٍ وأدلةٍ تثبت بطلانه وخطأه في الفصل الخامس من القسم الأول^(٤) ، فليراجع .

(١) قال بهذا القول بعض الفلاسفة في علم الهيئة كابن سينا وغيره . انظر: العرش: للذهبي (١/ ٣٥٠) .

(٢) جواهر الأفكار (٤٢٢).

(٣) بغية المُرْتَادِ (١٨٣ - ١٨٤) بتصرف .

(٤) انظر الرسالة (١٨٧) وما بعدها .

١٢٧ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ

إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾^(١).

الاستنباط:

قال ابنُ بَدْران : "نقول: إِنَّ السَّمَاوَاتِ عِبَارَةٌ عَنِ السِّيَارَاتِ السَّبْعِ، وَلَكِنْ انْتِقَاضَ الْحَصْرِ لَيْسَ بِإِلْزَامٍ لَنَا؛ لِأَنَّ الْعِدَدَ لَا مَفْهُومَ لَهُ، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ لَهُ مَفْهُومًا، وَلَكِنَّ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذِكْرِ السَّبْعِ، بَلْ زَادَ عَلَيْهَا اثْنَيْنِ، وَهِيَ الْكَرْسِيُّ وَالْعَرْشُ، وَهِيَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا لَفْظُ الْفَلَكَ، فَإِذَا انضَمَّ إِلَى السَّبْعَةِ صَارَتْ تِسْعَةً، وَهِيَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَكْتَشِفُوا الثَّامِنَ مِنْ بَعْدِ الْوُفِّ مِنَ السَّنِينِ، وَنَحْنُ نَدْعُهُمْ حَتَّى يَكْتَشِفُوا التَّاسِعَ بَعْدَ دَهْرٍ وَهَنَّاكَ يُدْعُونَ لَنَا"^(٢).

نوع الدلالة : دلالة الاقتران .

التوضيح : فاستنبط ابنُ بَدْران - رحمه الله- بأنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعِ وَزَادَ عَلَيْهَا كَوْكَبَيْنِ وَهِيَ الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ فَأَصْبَحَتْ تِسْعَةَ أَفْلَاقٍ ، فَفَرَنَ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ بِالسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ؛ حَيْثُ جَعَلَهُمَا جَمِيعًا عِبَارَةً عَنِ أَفْلَاقِ تِسْعَةٍ .

وجه الاستنباط:

وجه الاستنباط بيِّنٌ وظاهرٌ ، حَيْثُ جَعَلَ ابْنُ بَدْران - رحمه الله- السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ الْوَارِدَ ذِكْرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ هِيَ الْكَوَاكِبِ السَّبْعِ عِنْدَ أَهْلِ الْهَيْئَةِ ، وَزَادَ عَلَيْهَا كَوْكَبَيْنِ أَوْ فَلَكَيْنِ هُمَا الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ ، حَيْثُ لَا مَفْهُومَ لِلْعِدَدِ الْمَحْصُورِ عِنْدَهُ فِي الْآيَةِ هَذِهِ ؛ إِذْ إِنَّ تَخْصِيصَ الْعِدَدِ بِالذِّكْرِ لَا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الزَّائِدِ ، وَهَذَا مِمَّا تَأَثَّرَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْفَلَسْفَةِ الَّتِي غَاصَ فِي بَحْرِهَا وَرَجَعَ عَنْهَا فِيمَا بَعْدَ ، وَلَكِنْ لَمْ تَزَلْ هُنَاكَ بَقَايَا لَهَا فِي بَعْضِ تَفْسِيرَاتِهِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي اسْتِنْبَاطِهِ هَذَا .

(١) سورة البقرة: آية (٢٩) .

(٢) جواهر الأفكار (١٥٢) .

تحليل الاستنباط:

طريق ابن بدران - رحمه الله - في استخراج هذا المعنى كان بتأويل الحقائق الدينية بما يتفق مع الآراء الفلسفية، أو إخضاع تلك الحقائق لهذه الآراء، وهذا الطريق من طرق الفلاسفة في الجمع بين الفلسفة والشريعة ، وهذا الرأي الذي يقول بأن السماوات السبع هي ذاتها الكواكب السَّبع ، وأن تخصيص العدد بالسَّبع لا يعني نفي الزائد ، فزادوا فلكين هما الكرسيُّ والعرش^(١) ، هذا مما قاله أهل الفلْسفة ، وتأثَّر به المفسِّرون ، فأول من قال به وذهب إليه الرَّازي (ت: ٦٠٦ هـ)^(٢) ، وتبعه في هذا الرأي بعض المفسِّرين^(٣) ، وهذا لا دليل عليه ، ولا قيمة له في باب التفسير، فهي ليست من العلم ولا من التفسير في شيءٍ ، بل هي رجمٌ بالغيب ، وادِّعاءٌ لا يقوم على دليل ، ولا يستند إلى بُرهان .

وقد ردَّ الشُّوكانيُّ (ت: ١٢٥٥ هـ) عليهم بقوله: " وفي هذا إشارةٌ إلى ما ذكره الحكماء من الزيادة على السَّبع ، ونحن نقول: إنه لم يأتنا عن الله ولا عن رسوله إلا السَّبع فنقتصر على ذلك، ولا نعمل بالزيادة إلا إذا جاءت من طريق الشرع ، ولم يأت شيءٌ من ذلك"^(٤) .

(١) انظر هذا الرأي مفصلاً في كتاب: الأثر الفلْسفيُّ في التفسير: (٣٦٦ وما بعده) .

(٢) مفاتيح الغيب: للرازي (٢ / ٣٨١) ، الأثر الفلْسفيُّ في التفسير: (٣٦٦) .

(٣) غرائب القرآن: للنيسابوري (١ / ٢١٢) ، وأنوار التنزيل: للبيضاوي (١ / ٦٦) ، وروح المعاني: للألوسي (١ /

٢١٩) ، والتحرير والتنوير: لابن عاشور (١ / ٣٨٦) .

(٤) فتح القدير (١ / ٧٣) .

الخاتمة

الحمد لله على إتمام النعمة، واكتمال فصول هذا البحث، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه ، هذا ، ولا أدعي الكمال فيما كتبت ، فالكمال لله وحده ، وإنما هو جهد مُقِلٌّ ، جهد من هو عرضةٌ للسهو والخطأ والنسيان .

ولا شك أيّ لو أعدت النظر في هذا البحث لوجدت فيه ما يحتاج إلى تعديل، من: تبديل، أو تقديم أو تأخير ، وهذا من طبيعة البشر ، وما أجمل ما قاله الأصفهانيُّ: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه ، إلا قال في غده : لو عُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُسْتَحْسَن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر" (١) .

وقد روى المُزَيَّبِيُّ - رحمه الله - تلميذ الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال: "قرأت كتاب الرسالة على الشافعيِّ ثمانين مرة، فما من مرةٍ إلا وكنا نقف على خطأ ، فقال الشافعي: هيه، أبي الله أن يكون كتابٌ صحيحٌ غير كتابه" (٢) .

فإذا كانت هذه حال هؤلاء الأئمة الأجلاء، فما بالك بمبتدئةٍ مثلي؟ فهذا جَهْدِي وعلى الله التُّكْلَان ، والضعف من سمة البشر، وحسبي أني اجتهدت وقدمت ما بؤسعي، فإن أحسنت فمن الله وحده ، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان ، وأسْتَغْفِرُ الله من كل تجاوزٍ للحدود، أو قولٍ بغير علم، أو تغييرٍ أو تبديلٍ أو تحريفٍ أو سهوٍ أو خطأ .

وأخيراً ، فهذا آخرُ هذا البحث وخاتمته، والتي أعرضُ فيها أبرزَ النتائج، وأهمَّ التوصيات، موضحةً فيها جُمْلَةً من القضايا التي تبيّنت وتأكّدت لي من خلال معايشة هذا البحث من خلال النقاط التالية:

- ١ . أنه مع مرور الزمن ، وتراكم العلوم، وتكاثر البحوث نشأت علومٌ كاملةٌ تحدمُ كتاب الله، منها علم استنباط الأحكام ، واستخراج الفوائد واللطائف من النصِّ القرآني .
- ٢ . إن من أعظم العلوم التي عُنيَ بها المسلمون ، واشتغل بها المفسِّرون خاصةً في هذه

(١) المدخل لدراسة الفقه: لمحمد موسى (٦) .

(٢) كشف الأسرار: للبُخاري (٤ / ١) .

- الكتب بعد علم التفسير "علم الاستنباط من القرآن"، واستخراج الفوائد واللطائف .
٣. أن الاجتهاد في نيل العلم المُستنبط نوعٌ من الجهاد في سبيل الله، وقد اجتهد الصحابة (رضي الله عنهم) في نيل ذلك ، وأصاب كلُّ منهم ما قُسم له ، فمستقلٌّ ومستكبرٌ .
٤. لا يكاد يوجد كتابٌ من كتب التفسير - قديماً وحديثاً - إلا وهو متضمّنٌ لعددٍ من الاستنباطات، بل أُفردت كتبٌ بالبحث في علم الاستنباط، ومن أشهرها: تفسير جواهر الأفكار لابن بدران، والذي نحن بصدد الدراسة لمنهج الاستنباط فيه .
٥. ابن بدران دُومِيّ دِمَشْقِيّ، مَن طلب العلم في بلدته دُومَة ، ثم رحل إلى دِمَشْق، فاستمر في طلبه للعلم هناك قُرَابَة ستّ سنوات، ثم عاد لدُومَة ، فحصلت له فتنةٌ هناك فهاجر منها إلى دِمَشْق، وبقي فيها قُرَابَة نصف قرنٍ ، إلى أن وافته المنية هناك .
٦. تنقل ابن بدران بين المذاهب ، فدرس الفلسفة وتأثر بها ، حتى استقرّ على عقيدة أهل السنة والجماعة والمذهب الحنبلي ، رغبةً في الاجتهاد ، ونفوراً من التقليد الأعمى؛ ولأجل ذلك توجّهت عنايته لخدمة هذا المذهب والتأليف فيه، والدّبّ عنه .
٧. كان ابن بدران -رحمه الله- أديباً شاعراً، ونحويّاً محققاً ، وعالمّاً وفقهياً أصولياً، ومُفتياً ومُحدّثاً ومؤرّخاً؛ لأنه كان مهاجراً ومتنقلاً لطلب العلم بين بلدانٍ شتى؛ لذلك كان له شيوخٌ وطلابٌ من بلدانٍ مختلفة منها: دُومَة ودِمَشْق والجزائر والمغرب وتونس .
٨. ترك العلامة ابن بدران إنتاجاً علمياً واسعاً في موضوعاتٍ شتى ، بلغ (٤٦) مؤلفاً، دلّت على جلالته قدره ، وسعة اطلاّعه ، ولأجل هذه المؤلفات ذاع صيته وانتشر في الآفاق اسمه ، ولم يُكْمَل - رحمه الله - بعض هذه المؤلفات ؛ لإصابته بداء الفالج .
٩. تفسيره: جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار لم يُكْمَله - رحمه الله - ، فهو يشمل الفاتحة والبقرة حتى آية: (١٨٩) .
١٠. تفسير جواهر الأفكار ومعادن الأسرار سلّط فيه ابن بدران الضوء على اللطائف والحكم والاستنباطات التي يغوص فيها المُفسّر؛ ليستخرجها من كلام الله .
١١. تميّز تفسير ابن بدران بأنه يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، وتوسّطه بين الطول والاختصار، وإطالة النَّفس في بعض المسائل وقصره في بعضها، كما أنه

يُرَكِّزُ على آيات الأحكام ، ولم يُكثِر من نقل التفسيرات العلميَّة ، ولكنه أكثر النقل من الكتب السابقة .

١٢ . تميَّز تفسير ابنِ بَدْران - رحمه الله - أيضاً بتنوُّع المصادر؛ حيث اشتملت على كتب التفسير وعلوم القرآن ، والسنة النبوية وعلومها ، والعقيدة ، والفقه وأصوله ، واللغة العربية وعلومها ، وقد زادت مصادره على مائةٍ وثلاثين مصدراً .

١٣ . كثرة الاستنباطات واللطائف في تفسيره ، مما يدلُّ على تبحُّره في علم التفسير ، كما أنه انفراد ببعض اللطائف والاستنباطات التي اقتنصها من سياق الآيات .

١٤ . ذكر ابنُ بَدْران - رحمه الله - شيئاً من الاستنباطات العقديَّة التي كان لها حيزٌ لا بأس به من استنباطاته القرآنية ، والتي تبين سلامة مُعتقده - في الجملة - .

١٥ . ذكر ابنُ بَدْران - رحمه الله - أهمية اللغة العربية وعلومها في تفسير كتاب الله ، ويمكن معرفة مدى عنايته بالعربية واعتداده بها من خلال استنباطاته اللغوية والنحوية .

١٦ . أكثر الفقيه المجتهد ابنُ بَدْران - رحمه الله - من استخراج الأحكام واللطائف الأصولية والاستنباطات الفقهية ، مما يدلُّ على إمامته في الفقه وأصوله .

١٧ . عُيِّن ابنُ بَدْران - رحمه الله - بالتربية الإسلامية عنايةً الغةً من خلال الاستنباطات السلوكيَّة المتناثرة في تفسيره ، لاسيما أنه كان متألماً من عصره ، كثير التشكِّي من واقع الناس وسلوكيَّاتهم .

١٨ . ابنُ بَدْران ذو ذخيرة علمية عظيمة، مكنته من استخراج جواهر واستنباطاتٍ كثيرة، مقارنةً بكتب التفاسير الكاملة التي تقلُّ فيها الاستنباطات إذا ما قُورنت بالحجم الهائل منها في هذا التفسير، مما يدلُّ على شخصيةٍ عظيمةٍ تميل إلى أعمال الفكر وقَدَحِ الدَّهن .

١٩ . واجه ابنُ بَدْران أموراً أثَّرت في استنباطاته وآرائه، منها: تأثره بالفلسفة، ومخالفته للنصوص وماتفق عليه الجمهور، والتأويل الخاطيء لبعض النصوص .

٢٠ . تميَّز ابنُ بَدْران - رحمه الله - في تناول هذا النوع الدقيق من البيان ؛ لِيُبْرز حرصه

- على تَوْفِيَةِ الآياتِ حَقَّهَا من المعاني ، واستيعاب كلِّ حَقِّ أشار إليه لفظ الآية .
- ٢١ . ابنُ بَدْرانِ عَالِمٌ مَوْسُوعِيٌّ مُتَمَكِّنٌ من كثير من العُلومِ ، وله إضافاتٌ جديدةٌ في الاستنباطِ ، فهو مُفَسِّرٌ له اسْتِفْلايَتَهُ وشخصيته ورؤيته التي يُوظَّفُ النصوصَ لخدمتها
- ٢٢ . التزم ابنُ بَدْرانِ - رحمه الله - بذكر الاستنباطات في كلِّ آيةٍ يقوم بتفسيرها ، و هي شاملةٌ لكلِّ ما يمكن أن يُسْتَنْبَطَ من الآية .
- ٢٣ . استنباطات ابنِ بَدْرانِ ليست ذات مَمَطٍ واحدٍ من جهة الطُّول والقصر ، وليست مقتصرةً على المعاني الدقيقة ؛ بل يذكر كلَّ ما يَحْضُرُهُ حال تفسير الآية من فوائدها ولو كانت ظاهرةً جداً ، و زُيْمًا يُرْتَّبُ على الفائدة المستنبطة من الآية فائدةً أخرى .
- وأخيراً: فقد كشف هذا البحث عن الجانب الاستنباطيِّ في شخصيَّة الشيخ عبد القادر بنِ بَدْرانِ - رحمه الله - ، وألقى الضوء على جهوده في مجال التفسير، وحاول رسم صورةٍ لمنهجه في الاستنباط من آيات الذكر الحكيم .
- وفيما مضى من أيام البحث التي عشتها مع الإمام عبد القادر بنِ بَدْرانِ الدَّمَشْقِيّ في كتابه جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار ، استرعى انتباهي بعض المواضيع التي تستحقُّ الإشارة إليها؛ ليستفيد الباحثون من الوقوف عليها والتحقق فيها ، فأقترح جملةً من التوصيات لطلاب العلم والباحثين ليُكْمِلُوا ما بدأته عن هذا الشيخ الجليل ، وهي كالتالي:
- ٢٤ . تحقيق تفسير ابنِ بَدْرانِ ، والذي أنا بصدد دراسة منهج الاستنباط فيه، وهو تفسير جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار تحقيقاً علمياً رصيناً، حيث إنَّه مطبوع طبعة تجارية ، ولم يَحَقَّقْ بعد تحقيقاً علمياً .
- ٢٥ . البحث عن بقية الكتاب في المخطوطات الدَّمَشْقِيَّة ، وفي مكنتات تلاميذه ؛ إذ لا يوجد حتى الآن ما يجعلنا نجزم بأنه توقَّف عند هذا الحدِّ في تفسيره .
- ٢٦ . أنه لم تقم أيُّ دراسةٍ حول هذا التفسير ، ولعل دراستي هذه أول دراسةٍ علمية لهذا الكتاب ، فأقترح دراسة منهجه التفسيري ، وجمع ترجيحاته في تفسيره ، وجمع المسائل الأصوليَّة والفقهية ، ودراسة الاتجاه العقديِّ في تفسيره ، وغيرها .

٢٧. ابن بدران - رحمه الله - موسوعي المعرفة ، تعددت مَوْرَدُه المعرفية تبعاً لاطلاعه على علوم مختلفة، وبرأيي أن جمع موارِدِه في تفسيره تستحق أن تكون بحثاً مُستَقَّلاً.
٢٨. ابن بدران كثيراً ما يُنقح ويتعقب، ويُصحح ويُكمل، ويستدرك على كبار العلماء، ومثل هذه الاستدراكات تستحق الوقوف عليها، ودراستها دراسة تحليلية .
٢٩. كثيراً ما يُقرّر مسائل تتعلق بأصول الفقه ، ويردّد عبارات الفقهاء في استدلالاتهم الأصولية ، ومثل هذه الآراء تستحق أن تُجمع في بحث مستقل .
٣٠. ترجمة علمية وافية وجامعة للشيخ ابن بدران - رحمه الله - .
٣١. تحقيق كتب ابن بدران التي ما تزال مخطوطةً ، ولم تمتد إليها أيدي الباحثين بالكشف عنها وتحقيقها ، والتي أشرت إليها عند ذكر مؤلفاته - رحمه الله - ، وقد رمزت لها بالحرف (خ) عند إيرادها .
٣٢. لأهل التخصصات العلمية أوصي بجمع تفسيراته حول الكون والطبيعة والإعجاز العلمي ، ودراستها دراسة علمية محققة .
٣٣. دراسة علم الاستنباط دراسة عميقة تُبَيِّن طُرُقَه ودلالاته ، وتشرح كل جوانبه شرحاً وافياً؛ لعدم قيام أساس هذا العلم إلا في ما كتبه الوهبي في رسالته، ولا زالت جوانبه تحتاج إلى بحثٍ وتحريـر .
٣٤. أوصي المؤسسات التعليمية المهمة بعلوم القرآن بإدخال علم الاستنباط ضمن مناهجها التي تُدرّس للطلاب ، بما يتناسب مع أعمارهم ومستوياتهم الفكرية ، والاعتماد على تفسير ابن بدران - رحمه الله - خاصة؛ لما فيه من استنباطاتٍ كثيرةً وجديدة .

هذه أبرز النتائج والتوصيات، وبالله تعالى التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الفهارس العامة

- ❖ فهرس الآيات القرآنية .
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- ❖ فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ❖ فهرس البلدان والأماكن .
- ❖ فهرس المصادر المراجع .
- ❖ فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
الفاحة	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾	٢	١١٥ - ٥٨ - ٥٧ ٢١٣ - ١٧٧ - ١٦٥ ٢١٥
الفاحة	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾	٥	١٦٥ - ١١٥ - ٥٧ ٢١٩ - ٢١٧ - ١٧٠ ٢٢٠
البقرة	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾	٢	٢٢١
البقرة	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾	٣	١٣٦ - ١٣٥ - ١٢٠ ٢٢٤ - ٢٢٤ - ٢٢٣
البقرة	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَيَأْتُونَ الْخُرُوفَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾	٤	٢٢٦ - ٢٤ - ١١٦ ٢٢٨
البقرة	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴿٥﴾﴾	٥	٢٣٠
البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴿٦﴾﴾	٦	٢٢٣ - ١٤٧ - ٦٤ ٢٣٤
البقرة	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٩﴾﴾	٩	٧٩
البقرة	﴿صُمُّ بَكْرٌ عُمَىٰ فَهْمٌ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٧٥
البقرة	﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٢٣٦ - ١١٩ - ٦٨ ٢٣٩ - ٢٣٨
البقرة	﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٢٣٩

٢٤٠ - ١٦٦ - ١١٦ ٢٤٢	٢١	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾	البقرة
١٥٩ - ١١٧ - ٥٨ ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ ٢٤٤ - ٢٤٨	٢٢	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾	البقرة
٢٥٠ - ٢٠٦ - ١٨٢ ٢٥٦ - ٢٥٤ - ٢٥٢	٢٤	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	البقرة
٢٥٨ - ١٤٨	٢٥	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	البقرة
٢٦١ - ٢٦٠	٢٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	البقرة
٨١ - ٨٠	٢٧	﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾	البقرة
٦٥	٢٨	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾	البقرة
١٤٣ - ١٢٩ - ١٢٧ ٢٦٢ - ١٩٤ - ١٤٨ ٤٤٣ - ٢٦٦ - ٢٦٤	٢٩	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾	البقرة
٢٦٧ - ١٩٨ - ١٣٩ ٢٧٠	٣٠	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	البقرة
١٧	٣٢	﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾	البقرة
٢٧٤ - ٢٧٢ - ١٤٩	٣٤	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾	البقرة
١٨١ - ١٧٠ - ١٥٦ ٢٧٨ - ٢٧٦	٣٥	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	البقرة

٧٨	٣٦	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	البقرة
٢٨٢ - ٢٨٠	٣٨	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾	البقرة
٢٨٣ - ١٧٨	٤١	﴿وَأٰمَنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾	البقرة
٢٣٣	٤٥	﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا﴾	البقرة
٢٨٥ - ١٥٦	٥٤	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ ظَالِمًا لِّنَفْسِي أَنفَسِكُمْ بِآتِخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾	البقرة
٢٨٧	٥٥	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾	البقرة
٢٩١ - ٢٨٩	٦٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾	البقرة
٢٩٣	٦٦	﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾	البقرة
-٢٩٤ - ١٥٩ - ١٥٠ ٢٩٦	٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	البقرة
٣٠٠ - ٢٩٨ - ١٣٦	٧٥	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾	البقرة
٣٠٤ - ٣٠٢ - ١٥١	٧٦	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾	البقرة
-١٨١ - ١٥٢ - ١٢٥ -٣٠٩ - ٣٠٧ - ٣٠٦ ٣١١	٧٨	﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾	البقرة
-٣١٢ - ١٣٧ - ٦٢ ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٤	٧٩	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	البقرة
٣١٩ - ١٧٤	٨٠	﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا﴾	البقرة

		مَعْدُودَةً ﴿	
٣٢١ - ١٣٨	٨١	﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ۗ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾	البقرة
-١٢٩ - ١٢٥ - ٦٣ -٣٢٣ - ١٧٥ - ١٣١ -٣٢٧ - ٣٢٥ - ٣٢٤ ٣٢٩	٨٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	البقرة
-١٧٦ - ١٥٧ - ٧٨ ٣٣٣ - ٣٣١	٨٤	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ۗ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾	البقرة
-٣٣٥ - ١٧١ - ١٢٢ ٣٣٦	٨٩	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾	البقرة
٣٣٨	٩١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۗ﴾	البقرة
٣٤٠	٩٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾	البقرة
٣٤١ - ١٥٧	٩٥	﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾	البقرة
٣٤٢	٩٦	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ﴾	البقرة
٣٤٦	١٠٠	﴿أَوْ كَلَّمَا عَلَيْهِمْ وَأَعْتَدُوا لَهُمْ آيَاتٍ فَفَرَقُوا بِهَا فَأَمْرًا فَسُيِّرُوا فَكْفَرُوا﴾	البقرة
٣٤٥ - ٣٤٣ - ١٧١	١٠١	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	البقرة
-٣٤٩ - ٣٤٧ - ١٧٤ ٣٥٣ - ٣٥١	١٠٢	﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَنَّ الشَّيْطَانُ كَفَرًا﴾	البقرة
٣٥٤ - ١٣٠	١٠٥	﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾	البقرة

٨٠	١٠٦	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾	البقرة
٣٥٦ - ١٢٦	١٠٧	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	البقرة
٣٦٣ - ٣٥٨ - ٣٦١	١٠٨	﴿ أَمْرٌ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾	البقرة
٣٦٥	١٠٩	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾	البقرة
٣٦٨ - ٣٦٦ - ١٥١	١١٤	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾	البقرة
٣٧٠	١٢٠	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	البقرة
٣٤٦	١٢١	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾	البقرة
٣٧٢	١٢٧	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾	البقرة
٣٧٣ - ١٦٠	١٢٩	﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾	البقرة
٣٧٤ - ١٧٢	١٣٣	﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ ﴾	البقرة
٣٧٨ - ٣٧٦	١٣٥	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾	البقرة
٣٧٨ - ٣٧٦ - ٦٦	١٣٦	﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾	البقرة
٣٨٢ - ٣٨٠ - ٦٣ - ٦٧ - ١١٩	١٤١	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾	البقرة
٧٦	١٤٢	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلْتَهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾	البقرة

٣٨٤ - ١٧٨ - ١٢٦	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾	البقرة
- ٣٨٧ - ٣٨٦ - ١٤٧ ٣٩٠ - ٣٨٩	١٤٤	﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾	البقرة
٣٩٤ - ٣٩٣	١٤٥	﴿ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾	البقرة
- ١٤٠ - ١٢٢ - ٥٩ - ٢٠٥ - ٢٠٣ - ٢٠١ - ٣٩٩ - ٣٩٨ - ٣٩٦ - ٤٠٦ - ٤٠٤ - ٤٠٢ ٤١١ - ٤٠٨	١٥٨	﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرُورَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾	البقرة
٤١٣ - ١٦١	١٥٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾	البقرة
- ٤١٥ - ١٨٧ - ١٤٢ ٤٤١	١٦٤	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾	البقرة
٤٣٨ - ١٢٤	١٧٣	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾	البقرة
- ٤١٧ - ١٨١ - ١٢٣ - ٤٢١ - ٤٢٠ - ٤١٩ ٤٢٢	١٧٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾	البقرة
٤٢٤	١٨٢	﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾	البقرة
٤٢٦	١٨٤	﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾	البقرة
٤٣٠ - ١٧٧ - ١٣٥	١٨٥	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى	البقرة

		لِلنَّاسِ وَيَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٧﴾	
١٨٧	٦٠ - ٦١ - ١٢٣ - ١٦٦ - ١٧٧ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٥ - ٤٣٧	﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ﴾	البقرة
٢٥٥	١٤٢ - ١٨٧ - ٤٤١	﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	البقرة
١٥٩	١٣٢ - ١٧٥ - ٣٢٥	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	آل عمران
١٨٧	١٦١ - ٤١٣	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾	آل عمران
١٩٩	٢٢٧	﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾	آل عمران
٤٦	٢٢٩	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾	النساء
٤٨	١٣٨ - ٣٢١ - ٤٢٣	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	النساء
٨٢	١٣٧	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	النساء
٨٣	٢ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٣ - ٩٩	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾	النساء
١٥٣	٣٦٢	﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾	النساء
١٥٤	٢٩٠	﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ﴾	النساء
١٦٥	٢٣٥	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	النساء
١٩	٢٣٥	﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرُكُمْ بِهِ ۗ وَمَنْ يَلْعَلْ﴾	الأنعام

٢٤٩	٩٩	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	الأنعام
٢٨٧	١٠٣	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾	الأنعام
٣٣٢	٣٢	﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾	المائدة
٢٩٤ - ١٦٠ - ١٥٠	١٠١	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوَأُكُمْ﴾	المائدة
٤ - ٣	٤٣	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾	الأعراف
٢٤٩	٥٧	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾	الأعراف
٢٥٧	٣٥	﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾	التوبة
١٨	١٢٤	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾	التوبة
١٦٠	٢٨	﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	التوبة
٣١٨	٥٩	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ رِزْقٍ﴾	يونس
٣٠٧	٦٦	﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾	يونس
٦	٨٨	﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	هود
٤٤٠ - ١٦٦ - ١٥٨	٢	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	الرعد
٣١٥	٩	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر
٢٦٩ - ١٩٨	٢٩	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	الحجر

٣٩٢	١٦	﴿وَعَلَّمْتَ وَيَا نَجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾	النحل
٤١١ - ١٣٥	٤٤	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾	النحل
٣٢٥ - ١٧٥	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾	النحل
١٤٤	٤٤	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾	الإسراء
٢٥١	٨٨	﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾	الإسراء
٤٤١ - ١٨٧ - ١٤٢	٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾	طه
٣٢٥ - ١٧٥ - ١٣٢	٤٤	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا﴾	طه
١٩٥	٣٣	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾	الأنبياء
٢٥٧	٩٨	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾	الأنبياء
٣٢٥ - ١٧٥	٩٦	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	المؤمنين
٢٤٩	٤٣	﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾	النور
١٠٥	٣٣	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾	الفرقان
١٨	٦	﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾	النمل
١٩٢	٢٣	﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	النمل
-١٥٩ - ١١٧ - ٥٨	٢٥	﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	لقمان
٢٤٦	٣٨	لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾	الزمر
١٩٥ - ١٤٤	٦	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾	الصفات
١١٤	٦٥	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْنِ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾	الزمر

١٩٠	٧٥	﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾	الزمر
١٤٦	٣	﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	فصلت
٢٤٣	٥٣	﴿ سَرُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾	فصلت
٤٢٢	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	الحجرات
١٩٥	٧	﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾	الذاريات
٢٤٣	٢١	﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	الذاريات
١٤٦	١٧	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾	القمر
٢٢	٤	﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾	الجمعة
٢٢٩	٥	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾	الجمعة
٣٧١ - ٣٣٩	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾	الطلاق
٢٣٩	١٢	﴿ وَرَأَى اللَّهُ قَدَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا ﴾	الطلاق
١٤٤	١٥	﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾	نوح
١٤٤	٢	﴿ وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْتَثَرَتْ ﴾	الانفطار

فهرس الأحاديث النبوية و الآثار

رقم الصفحة	نوعه	طرف الحديث أو الأثر
٢١	أثر	قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): "والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَةَ ما عندنا إلا ما في القرآن ..".
٢١	حديث	دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس (رضي الله عنه): "اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل".
٢١	أثر	قال عمر (رضي الله عنه) في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾: "فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر".
٢١٩ - ١١٥	حديث	قال (صلى الله عليه وسلم) - لما سئل عن الإحسان - : "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" رواه البخاري
٣٢٢ - ١٣٨	حديث	أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بايع الأنصار على أمور، ثم قال في آخر كلامه : "ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله ، إن شاء عدَّ به ، وإن شاء غفر له"
٢٠٢ - ١٤١	أثر	عن ابن أبي جريح، عن أبيه قال: أخبرني من رأى عثمان بن عفان يقوم في فرض في أسفل الصفا ولا يظهر عليه ، فلم ينكر ذلك أحد من الصحابة
١٨٨	أثر	قال ابن عباس (رضي الله عنه): "الكُرْسِيُّ موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى".
١٩١	حديث	قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : "لا تُخَيِّرُوا بين الأنبياء؛ فإن

		الناس يُصَعِّقُونَ يوم القيامة، فأكون أول ... " .
١٩٩	حديث	قال (ﷺ): "لما صَوَّرَ اللهُ آدمَ في الجنة تركه ماشاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيفُ به ينظر ما هو ... " .
١٩٩	حديث	ال (ﷺ) : "يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزَلَّفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة
٣٩٧ - ٢٠٤	أثر	روي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "ما أتمَّ اللهُ حجَّ امرئٍ ولا عُمُرَتَهُ ما لم يطف بين الصفا والمروة" .
٢٠٥	أثر	عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، قال: قلت لعائشة: ما أرى عليَّ جُنَاحاً ألا أتطوف بين الصفا والمروة ... " .
٢٠٧	أثر	قال عبدُ اللهِ بن مسعود (رضي الله عنه) : "إن الحجارة التي سمَّى اللهُ في القرآن - وقودها الناس والحجارة - حجارةً من كبريت ... " .
١٢٩	حديث	قال (ﷺ): "قاتل الله اليهود، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فباعوها وأكلوا أثمانها" .
٢٣٥	حديث	قال النبي (ﷺ): «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» .
٢٥٤	أثر	عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ (رضي الله عنه) قال: "إن الحجارة التي سمَّى اللهُ في القرآن وقودها الناس والحجارة

٢٦٠	أثر	عن ابنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه) وابنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) فيما رَوِيَاهُ: "أنه لما ضَرَبَ اللهُ هذين المثلين للمنافقين، قال المنافقون: اللهُ أعلى وأجلُّ من أن يَضْرِبَ هذه الأمثال ...".
٢٩٥	حديث	قال (صلى الله عليه وسلم): "ذروني ما تركتم ، فإنما هلك الذين قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم"
٣٦٧	حديث	قال (صلى الله عليه وسلم): "ألا لا يحجَّنَ بعد العام مشرك ، ولا يطُوفَنَّ بالبيت عُريَانُ، ومَنْ كان له أَجَلٌ فأجله إلى مُدَّتِهِ"
٤٠٠	أثر	عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): "أنه رأى في يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خاتماً من ورقٍ يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورقٍ ولَبِسُوهَا".
٤٠٩	أثر	عن جابر (رضي الله عنه): "فبدأ بالصفاء، فرقى عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة"
٤٢٣	حديث	قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "إنك امرؤٌ فيك جاهليَّة"
٤٢٥	حديث	قال النبي (صلى الله عليه وسلم): " لا ضَرَرٌ ولا ضِرَارٌ"

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	اسم العلم
١٨٩	ابن أبي زَمِين
٢٥١	ابن أبي الإصْبَع
٢٨٦	ابن الأثير
١٠١	النَّووي
١٠٦	ابن الأعرابي
٢٨٤	ابن الفراء
٢٢	ابن نَيْمِيَّة
١٠٧	ابن جُزَيِّ الكَلبي
٢٢	ابن حَزْم
٤٠	ابن دُحَيَّان
١٠٤	ابن دُرَيْد
٢٣	ابن عَاشُور
١٠٨	ابن عَرَفَةَ المَالِكِي
١٨	ابن قَيْم الجُوزِيَّة
٧٣	ابن كثير
٣٨٨	ابن مُفْلِح
١٠٥	ابن مَنْظُور
٢١٤	أبو العتاهية
١٠١	أبو بكر الجصاص
٤٠٩	أبو حفص بن الوكيل
٦٢	أبو حَيَّان
١٢٨	ابن خلدون

٧٣	الطبري
٣٠٥	التَّسْفِي
٤٣	أحمد بن حَسَن الشَّطِّي
٤٠	أذهم الجُنْدِي
٢٤٥	ابن سَيِّدَة
٢٥٥	الأشقر
٢٥٣	الألوسِي
٣٤٨	الإيجي
٢٠	البَيْضَاوِي
٣٧	تَقِيَّ الدِّين الحِصْنِي
١٠٢	الجرجاني
٢٦٣	الجُوَيْنِي
٢٨١	الحَطِيب الشَّرِينِي
٣٤٣	الحَلِيل الفَرَاهِيدِي
٧٥	الرَّازِي
٦٥	دَارُوِين
١٠٠	الرَّيْدِي
٩٩	الرَّجَّاج
١٠٩	الرُّزْقَانِي
١٠٧	الرَّزْكَشِي
٢٠	الرَّخْشَرِي
٧٢	رُهِير الشَّوَيْش
١٠٢	السَّرْحَسِي
٢٧٥	السَّعْدِي

٤٣	سَلِيم بن ياسين العَطَّار الشَّافِعِي
١٠٢	السَّمْعَانِي
٢٤	السُّهَيْلِي
٢٧٢	سَيَّوِيَه
١٠٨	السُّيُوطِي
٣١٨	الشَّاطِطِي
٢٥	الشَّافِعِي
١٠٣	الشُّوْكَانِي
٣٤	صالح بن أحمد طه الدُّومِي
٣٦٠	الطُّوفِي
٤٦	عبد الحكيم بن دَامَنَلَا محمد الصادق العُثماني
٤٧	عبد الحليم بن علي بن سَمَايَةَ المَعْرِي الجَزَائِرِي
٤٠	عبد الرَّزَّاق البَيْطَار
٢٩ إلى ٥٤	عبد القادر بن بَدْرَان
٣٢	عدنان بن محمد عَدَس
٣٧٧	عزُّ الدين بن عبد السلام
٣٥٧	العسكري
٤٣	علاء الدين بن محمد أمين عابدين الحَنْفِي
٣٧	علي الطَّنَّطَاوِي
٤٣	عُمَر بن طه العَطَّار الشَّافِعِي الصُّوفِي
٣٤	فخري محمود البارودي
٤١	القَاسِمِي
١٨٩	القَاضِي أبو محمد
١٩	القُرْطُبِي

١٠٨	الكافيجي
١٠١	المأوردي
٢٧٣	المبرّد
٣٩	محبّ الدين الخطيب
٤٧	محمد أحمد دهمان
٣٦	محمد العجمي
١١٤	محمد المبارك
٣٣	محمد بدر الدين الحسيني
٤٤	محمد بن بدر الدين الحسيني الدمشقي
٣٣	محمد بن عثمان الخطيب
٤٤	محمد بن محمد الأنباري
٤٦	محمد بن محمود البزم
٤٣	محمد بن مصطفى الطنطاوي الأزهرّي
٤٣	محمد بن ياسين العطار
٤١	محمد بهجة البيطار
٤٦	محمد سليم الجندي
٤٦	محمد صالح العقاد الشافعي
٣٤	محمود البارودي
٤٢	مصطفى بن عبد الرحيم بن بدّان
١٩٦	المقريري
١٠٠	المُتَّجِبُ الهَمَدَانِي
٤٦	منيف بن راشد اليوسف
٢٧١	وليّ الدين الملوّي
١٠٣	علاء الدين البخاري

١٠١	المَاوَزْدِي
٢٥٥	ابن رَجَب
١١١	الشَّنْقِيطِي

فهرس البلدان و الأماكن

رقم الصفحة	اسم البلد أو المكان
٣٢ - ٣٤ - ٤٢ - ٤٥	دُومَة
٣٢ - ٣٤ - ٤٥ - ٥٢ - ٥٤	دمشق
٣٢	دار الحديث الأشرَفِيَّة
٣٣ - ٥٢	الشام
٣٥	مدرسة عبدالله باشا العَظْم
٣٤	جامع دُومَة
٣٥	الجزائر
٣٥	تونس
٣٥	إيطاليا
٣٥	فرنسا
٥٤	مستشفى العُربَاء
٥٢	سورية
٥٤	مقبرة الباب الصغير
٥٦	اليونان
١٤٠ - ٢٠٠	الهند
١٤٠ - ٢٠٠	جِدَّة
١٤٠ - ١٤٨ - ٢٠٠	جنة الخلد
٣٦٧ - ٣٦٩ - ٣٨٧	المسجد الحرام
١٩٨ - ٣٦١ - ٣٨٦	المدينة

فهرس المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم - جلّ مُنزله وعلا -
 ثانياً : الكتب والرسائل الجامعية :
- ١- الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي ت: ٧٨٥هـ) : لتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٦ هـ .
 - ٢- الإبتاع: لمحمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: محمد عطا الله حنيف - عاصم بن عبد الله القريوتي ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
 - ٣- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد -فتحاح- ابن سودة (ت: ١٤٠٠هـ) ، تحقيق: محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ ، ١٤١٧ هـ.
 - ٤- الإبتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤ هـ .
 - ٥- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمرائي في جزيرة العرب وغيرها: لمحمد حامد الفقى ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، ط ١ ، ١٣٥٤ هـ .
 - ٦- أحكام القرآن للشافعي: لأبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ.
 - ٧- أحكام القرآن: لأبي بكر الرّازي الجصاص (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
 - ٨- الإحكام في أصول الأحكام: لأبن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، قدم له: إحسان عباس ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
 - ٩- الإحكام في أصول الأحكام: لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.
 - ١٠- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .

- ١١- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عمر بن محمود ، دار الراية ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٢- أدب الطلب ومنتهى الأدب: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي ، دار ابن حزم ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٣- أدب القاضي: لأبي الحسن علي بن محمد لماوردي (ت: ٤٥٠هـ) ، تحقيق: محيي هلال السرحان ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩١ هـ .
- ١٤- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ، تحقيق: أحمد عزو عناية، قدم له: خليل الميس - وولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، دمشق، ط ١، ١٤١٩ هـ .
- ١٥- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد: لمحمد بن إسماعيل الحسيني الأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: صلاح الدين مقبول، الدار السلفية، الكويت، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٦- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٧- أسباب نزول القرآن: لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٨- أسد الغابة: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .
- ١٩- الأسماء والصفات: لأبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله الحاشدي، قدم له: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادبي، جدة، ط ١، ١٤١٣ هـ .
- ٢٠- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة: لأبن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ .
- ٢١- الأشباه والنظائر: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .

- ٢٢- الأشباه والنظائر: لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
- ٢٣- أصل الأنواع: تشارلس داروين ، ترجمة: مجدي محمود المليجي ، تقديم: سمير حنا صادق ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
- ٢٤- الأصل المعروف بالمبسوط: لمحمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت: ١٨٩هـ) ، تحقيق: أبو الوفا الأفعاني ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي .
- ٢٥- أصول السرخسي: لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٢٦- أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة: لأبن أبي زَمِين (ت: ٣٩٩هـ) ، تحقيق وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٢٧- أصول الفقه الذي لا يَسْعُ الفقيه جهله: لعياض بن نامي بن عوض السلمي ، دار التدمرية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .
- ٢٨- أصول في التفسير: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢٩- الأصول في النحو: لمحمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ) ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت .
- ٣٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥ هـ .
- ٣١- الاعتقاد: لأبو الحسين ابن أبي يعلى (ت : ٥٢٦هـ) ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار أطلس الخضراء ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
- ٣٢- إعراب القرآن الكريم: لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ، دار المنير ودار الفارابي ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .

- ٣٣- إعراب القرآن وبيانه : لأحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص، دار اليمامة ودار ابن كثير- بيروت، ط٤ ، ١٤١٥ هـ .
- ٣٤- إعراب القرآن: لأبي جعفر النَّحَّاس (ت: ٣٣٨هـ) ، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٢١هـ.
- ٣٥- أعلام الأدب والفن: لأدهم آل جندي ، مطبعة مجلة صوت سورية ، دمشق ، ط١ ، ١٣٧٣هـ .
- ٣٦- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية: لزكي محمد مجاهد (ت: ١٤٠١هـ)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٤٩م .
- ٣٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .
- ٣٨- الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م .
- ٣٩- أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: لمحمد جميل الشطي الحنبلي (ت: ١٣٠٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩١هـ .
- ٤٠- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- ٤١- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (ت: ١٠٣٣هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
- ٤٢- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت .
- ٤٣- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه: لمحمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي (ت: ٨٧١هـ) ، تحقيق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٣ ، ١٩٩٩م .

- ٤٤ - الأنساب: لعبد الكريم بن محمد السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٨٢ هـ.
- ٤٥ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبد الله بن عمر الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٤٦ - أوراق ومذكرات فخري البارودي: لفخري البارودي (ت: ١٣٨٥هـ) ، إعداد وتحقيق: دعد الحكيم ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٤١٩ هـ .
- ٤٧ - إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار: لصالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العُمري المعروف بالقلّاني (ت: ١٢١٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٤٨ - البارودي حياته وشعره: لنفوسة زكريا سعيد ، قدم له وأعدده للنشر: محمد مصطفى هداره ، مطابع جريدة السفير ، القاهرة ، ١٤١٢ هـ .
- ٤٩ - البارودي رائد الشعر الحديث: لشوقي ضيف (ت: ١٤٢٥هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٥٠ - بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) .
- ٥١ - البحر المحيط في أصول الفقه: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ، دار الكتبي ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٥٢ - البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ٥٣ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، ١٤٢٥ هـ .
- ٥٤ - البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ.
- ٥٥ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٥٦ - بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- ٥٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- ٥٨- البدرانية شرح المنظومة الفارضية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لعبد القادر بن بدران (ت: ١٣٤٦هـ)، عني بتصحيحه والإشراف عليه: محمد بن عبد العزيز بن مانع، وطبع على نفقة: عبد الله بن عبد العزيز القرعاوي، مطبعة البلاد السعودية.
- ٥٩- البرهان في أصول الفقه: لعبد الملك الجويني إمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٦٠- البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن: لابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- ٦١- البرهان في علوم القرآن: للزرکشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ.
- ٦٢- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: لابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ١٤١٥ هـ.
- ٦٣- البلاغة العربية: لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ٦٤- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير: لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوقي الصاوي (ت: ١٢٤١هـ)، دار المعارف.
- ٦٥- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، دار سعد الدين، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٦٦- بنو سعد بن بكر بن هوازن فروعهم وديارهم وشيء من أخبارهم وبيان نسب عتيبة في بني سعد: لراشد بن حمدان الأحيوي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- ٦٧- البيان في مذهب الإمام الشافعي: لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت: ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، ط ١، ١٤٢١ هـ.

- ٦٨- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة: لابن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- ٦٩- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ٧٠- تاريخ بغداد وذيوله: لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٧١- تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- ٧٢- تاريخ دومة: لمعروف زريق، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٧٣- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: لمحمد مطيع الحافظ، ونزار أباطة الحافظ، تقديم: شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٧٤- تاريخ معرة النعمان: المؤلف: محمد سليم الجندي، تحقيق: عمر رضا كحالة، وزارة الثقافة السورية، ط ٢، ١٩٩٤م.
- ٧٥- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة: لطاهر بن محمد الأسفرايني، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ٧٦- التبيان في إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٧٧- التبيان في أقسام القرآن: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٧٨- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلبي: لعثمان بن علي بن محجن البارعي (ت: ٧٤٣هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس الشُّلبي (ت: ١٠٢١هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية- القاهرة، ط ١، ١٣١٣هـ.

- ٧٩- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي (ت: ٨٨٥هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح ، مكتبة الرشد - السعودية، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
- ٨٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: للطاهر بن عاشور(ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤هـ.
- ٨١- تحريم النظر في كتب الكلام: لأبن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب، السعودية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٨٢- التحف في مآذيب السلف: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: سيد عاصم علي، دار الصحابة للتراث، طنطا ، ١٤٠٩ هـ .
- ٨٣- تذكرة الحفاظ: لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
- ٨٤- تسلية اللبيب عن ذكرى الحبيب: لعبد القادر بن بدران الدمشقي (ت: ١٣٤٦هـ) ، تحقيق: نور الدين طالب ، دار النوادر- دمشق ، ط ١، ١٤٢٨هـ .
- ٨٥- التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد ابن جزى الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٨٦- تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية: لمحمد بن سعد الشويعر ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ .
- ٨٧- التَّصَوُّف .. المنشأ والمصادر: لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت: ١٤٠٧هـ) ، إدارة ترجمان السنة، لاهور ، باكستان ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٨٨- التطبيق النحوي: لعبد الراجحي ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .
- ٨٩- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .
- ٩٠- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبو السعود العمادي (ت: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- ٩١- تفسير الإمام ابن عرفة: لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط ١، ١٩٨٦م.
- ٩٢- تفسير الشعراوي الخواطر: لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم .
- ٩٣- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ٩٤- تفسير الفاتحة والبقرة: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ) ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
- ٩٥- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، دار ابن حزم - بيروت ، ١٤١٦هـ.
- ٩٦- تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ .
- ٩٧- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٩٨- تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: لعلي بن سليمان العبيد ، مكتبة التوبة - الرياض ، ط ٢ ، ١٤٣٠ هـ .
- ٩٩- تفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني (ت: ٤٨٩هـ) ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض ، ط ١، ١٤١٨ هـ .
- ١٠٠- التفسير اللغوي: لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ.
- ١٠١- التفسير المظهري: للمظهري محمد ثناء الله ، تحقيق: غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، باكستان ، ١٤١٢ هـ .

- ١٠٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٠٣- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٠٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمحمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧ .
- ١٠٥- تفسير عبد الرزاق: لابن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية ، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٠٦- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - مصر ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٠٧- التقرير والتحبير: لأبي عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت (ت: ٨٧٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٠٨- تكملة معجم المؤلفين، وفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥هـ): لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ، دار ابن حزم- بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٠٩- التمهيد - شرح مختصر الأصول من علم الأصول: لمحمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف الميناوي ، المكتبة الشاملة، مصر ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ .
- ١١٠- تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- ١١١- تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند، ط ١ ، ١٣٢٦ هـ .

- ١١٢- تهذيب الصحاح: لمحمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وأحمد عبد الغفور عطار، عني بنشره: محمد سرور الصَّبَّان، دار المعارف - مصر .
- ١١٣- تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م .
- ١١٤- تهذيب تاريخ دمشق: لابن عساكر، لعبد القادر بن بدران الدمشقي (ت: ١٣٤٦هـ)، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ .
- ١١٥- التوراة السامرية "النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية مع مقدمة تحليلية ودراسة مقارنة بين التوراة السامرية والعبرانية"، ترجمة الكاهن: أبو الحسن اسحق السوري، عرف بها: أحمد حجازي السقا، دار الأنصار مصر، ط ١، ١٣٩٨هـ .
- ١١٦- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٩٩٣م .
- ١١٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: لحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٢٨هـ .
- ١١٨- التوقيف على مهمات التعاريف: لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب - القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ .
- ١١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ .
- ١٢٠- تيسير علم أصول الفقه: لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزلي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ .
- ١٢١- التيسير في قواعد علم التفسير: لمحيي الدين محمد بن سليمان الكافيحي (ت: ٨٧٩هـ)، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، مكتبة القدسي - القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ .
- ١٢٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، دار المعارف - القاهرة .

- ١٢٣- جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٢٤- جامع الرسائل: لابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت : ٧٢٨هـ) ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٢٥- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ .
- ١٢٦- الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح: لعبد الكريم بن علي بن محمد النملة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٢٧- الجدول في إعراب القرآن الكريم: لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ) ، دار الرشيد- دمشق ، مؤسسة الإيمان، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٢٨- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: لنعمان بن محمود أبو البركات الألوسي (ت: ١٣١٧هـ) ، قدم له: علي السيد صبح المدني ، مطبعة المدني ، ١٤٠١ هـ .
- ١٢٩- جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي: لطاهر سليمان حمودة ، المكتب الاسلامي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
- ١٣٠- جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ١٣١- جمهرة أنساب العرب: لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) ، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٣٢- الجنى الداني في حروف المعاني: لحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) ، تحقيق: فخر الدين قباوة- محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- ١٣٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية الحراني الحنبلي (ت: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد ، دار العاصمة- المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ .

- ١٣٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) ، تحقيق: محمد علي معوض- وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٣٥- الجواهر المضوية في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت: ٧٧٥هـ) ، مير محمد كتب خانه - كراتشي .
- ١٣٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، مطبعة المدني - القاهرة .
- ١٣٧- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: ١٢٣٠هـ) ، دار الفكر ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- ١٣٨- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني: لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) ، تحقيق: علي محمد معوض - وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٣٩- الحديث في علوم القرآن والحديث: لحسن محمد أيوب (ت: ١٤٢٩هـ) ، دار السلام ، الإسكندرية ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ .
- ١٤٠- الحسنة والسيئة: لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ١٤١- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لعبد الرزاق بن حسن البيطار (ت: ١٣٣٥هـ) ، حققه حفيده محمد بهجة البيطار، دار صادر- بيروت، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- ١٤٢- حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: محمد حسين هيكل (ت: ١٣٧٦هـ) .
- ١٤٣- خطط الشام: محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كُرد علي (المتوفى: ١٣٧٢هـ) ، مكتبة النوري، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٤٤- دار الحديث الأشرفية بدمشق دراسة تاريخية توثيقية: لمحمد مطيع الحافظ، تقديم: محمد بدر الدين الحسيني ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١٤٥- دارون ونظرية التطور: شمس الدين آق بلوت ، ترجمه من التركية: اورخان محمد علي ، دار الصحوة - القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٨٠ م .

- ١٤٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط ، دار القلم- دمشق .
- ١٤٧- الدر المنثور: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٤٨- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، ط٢، ١٤١١هـ.
- ١٤٩- دراسات أصولية في القرآن الكريم: لمحمد إبراهيم الحفناوي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٥٠- دراسات في علوم القرآن الكريم: لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، ط١٢ ، ١٤٢٤ هـ .
- ١٥١- دراسات في علوم القرآن: لمحمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ) ، دار المنار ، ط٢ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٥٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية: علماء نجد الأعلام ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٦ ، ١٤١٧ هـ .
- ١٥٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، مراقبة : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٥٤- دلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليين: لأبي عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي، راجعه وقدم له: أبو حفص سامي بن العربي الأثري، ووحيد بن عبد السلام بالي، دار النشر والتوزيع الإسلامية ، ط١ ، ١٤٣٢ هـ .
- ١٥٥- ديوان أبي العتاهية: لأبي العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي ، أبو إسحاق (ت: ٢١١ هـ) .
- ١٥٦- ذكريات علي الطنطاوي: لعلي الطنطاوي، دار المنارة- جدة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ.

- ١٥٧- ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لأحمد العلاونة ، دار المنارة - جدة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٥٨- ذيل طبقات الحنابلة: لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد السلامي (ت: ٧٩٥ هـ) ، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان- الرياض، ط ١، ١٤٢٥ هـ .
- ١٥٩- رد المختار على الدر المختار: لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢ هـ) ، دار الفكر، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٦٠- الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال: لتقي الدين أبو العباس بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨ هـ)، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية- القاهرة، ١٤٠٣ هـ .
- ١٦١- رسائل ابن حزم الأندلسي: لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط ١، ١٩٨٠ هـ .
- ١٦٢- روائع الإعجاز في الوضوء والصلاة والصوم: أمل ياسين ، مكتبة وهبة ، ط ١ .
- ١٦٣- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي): لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي (ت: ٧٩٥ هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٦٤- روح البيان: لإسماعيل حقي بن مصطفى الخلوئي ، أبو الفداء (ت: ١١٢٧ هـ) ، دار الفكر - بيروت .
- ١٦٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٦٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ) ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٦٧- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد: لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠ هـ)، مؤسسة الريان، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ .

- ١٦٨- زهير الشاويش ترجمة ذاتية موجزة: صدر عن المكتب الإسلامي- بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- ١٦٩- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق- القاهرة، ١٢٨٥ هـ .
- ١٧٠- سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، جمعها وخرجها وذكر بعض فوائدها: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، راجعه وقدم له: عبد الله بن صالح العبيلان ، دار الفاروق ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ١٧١- سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة - اليوم الآخر - الجنة والنار : لعمر بن سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط ٧ ، ١٤١٤ هـ .
- ١٧٢- سلسلة محاسن التأويل: لأبي هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .
- ١٧٣- السنة : لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٩٠هـ) ، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم- الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ١٧٤- سنن ابن ماجه: لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي .
- ١٧٥- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ .
- ١٧٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري(ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث- القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط ٢٠ ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٧٧- شرح السير الكبير: لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ) ، الشركة الشرقية للإعلانات ، بدون طبعة ، ١٩٧١ م .
- ١٧٨- شرح العقيدة الطحاوية: لعبد الرحمن بن ناصر بن براك ، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس ، دار التدمرية ، ط ٢ ، ١٤٢٩ هـ .

- ١٧٩- شرح العقيدة الطحاوية: لمحمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز (ت: ٥٧٩٢هـ) ، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني ، دار السلام ، التوزيع والترجمة عن: مطبوعة المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ .
- ١٨٠- شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: لخالد بن عبد الله بن محمد المصلح، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
- ١٨١- شرح القواعد الفقهية: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا (ت: ١٣٥٧هـ) ، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا ، دار القلم - دمشق ، سوريا ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ .
- ١٨٢- شرح الكافية الشافية: لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجبائي (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ط ١ .
- ١٨٣- الشرح الكبير على متن المقنع: لعبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢هـ) ، دار الكتاب العربي، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا .
- ١٨٤- شرح الكوكب المنير: لأبي البقاء محمد بن أحمد الفتوحى المعروف بابن النجار (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط ٢ ، ١٤١٨هـ .
- ١٨٥- شرح تنقيح الفصول: لأبي العباس أحمد بن إدريس المالكي القراني (ت: ٦٨٤هـ) ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ .
- ١٨٦- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لشمس الدين محمد بن عبد المنعم الجوجري (ت: ٨٨٩هـ)، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي ، رسالة ماجستير، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .
- ١٨٧- شرح مختصر الروضة: لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري(ت: ٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ١٨٨- شعراء من دومة: لمعروف زريق ، دار المعرفة ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- ١٨٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: للنشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ) ، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني -

- د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٩٠- الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: لمحمد مهدي الإستانبولي (ت: ١٤٢٠هـ) ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٩١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٩٢- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٩٣- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٩٤- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، الدرر السنية - دار الهجرة ، ط ٣ ، ١٤٢٦ هـ .
- ١٩٥- صفحات من حياتي: لعمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ .
- ١٩٦- الصيام معجزة علمية: لعبد الجواد الصاوي ، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة . مكة المكرمة .
- ١٩٧- ضياء السالك إلى أوضح المسالك: محمد عبد العزيز النجار ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .

- ١٩٨- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٣هـ .
- ١٩٩- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ) ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .
- ٢٠٠- طبقات المفسرين للداوودي: لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ٢٠١- طبقات المفسرين: لأحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق ١١هـ) ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، ط١ ، ١٤١٧هـ .
- ٢٠٢- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ) ، المكتبة العنصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
- ٢٠٣- العدة في أصول الفقه: للقاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: ٤٥٨هـ) ، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المبارك، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية ، بدون ناشر ، ط٢ ، ١٤١٠هـ .
- ٢٠٤- العرش وما زوي فيه : لأبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ

- ٢٠٥- العرش: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ .
- ٢٠٦- عصمة الأنبياء: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي (ت: ٦٠٦هـ) ، مطبعة الشهيد ، منشورات الكتبي النجفي ، ١٤٠٦هـ .
- ٢٠٧- العقود الياقوتية في جيد الاسئلة الكويتية: لعبد القادر بن بدران الدمشقي (ت: ١٣٤٦هـ)، تحقيق عبد الستار أبو غدة، مكتبة السداوي- القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ .
- ٢٠٨- علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره: لمحمد بن ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .
- ٢٠٩- علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته وآثاره: لمحمد بن ناصر العجمي ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ١٤١٥هـ .
- ٢١٠- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: لعبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية ، باكستان ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ .
- ٢١١- علم المقاصد الشرعية: لنور الدين بن مختار الخادمي ، مكتبة العبيكان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
- ٢١٢- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها" لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
- ٢١٣- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .
- ٢١٤- عمدة الفقه: لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد عزوز ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٥هـ .

- ٢١٥- العهد القديم والجديد، طبعة مجمع الكنائس الشرقية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م.
- ٢١٦- العين: للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) ، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.
- ٢١٧- غاية الأمان في الرد على النبهاني: لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (ت: ١٣٤٢هـ) ، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢١٨- غاية الوصول في شرح لب الأصول: لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ) ، دار الكتب العربية الكبرى، مصر (أصحابها: مصطفى البابي الحلبي وأخويه) .
- ٢١٩- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ٢٢٠- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: لمحمد بن عؤزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (ت : ٣٣٠هـ) ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران ، دار قتيبة ، سوريا ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ٢٢١- غريب القرآن وتفسيره: لعبد الله بن يحيى المبارك اليزيدي (ت: ٢٣٧هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد سليم الحاج ، عالم الكتب، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٢٢- غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) ، تحقيق: أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ هـ .
- ٢٢٣- غوطة دمشق: لمحمد كرد علي (ت: ١٣٧٢هـ) ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢٢٤- غياث الأمم في التياث الظلم: عبد الملك بن عبد الله الجويني، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) ، تحقيق: عبد العظيم الديب ، مكتبة إمام الحرمين ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ .

- ٢٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز ، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩ .
- ٢٢٦- فتح البيان في مقاصد القرآن: لمحمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- ٢٢٧- فتح القدير: لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت: ٨٦١هـ) ، دار الفكر ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- ٢٢٨- فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٢٩- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي: لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) ، تحقيق: علي حسين علي ، مكتبة السنة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٢٣٠- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي: لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) ، تحقيق: علي حسين علي ، مكتبة السنة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٢٣١- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبي القلاوي الشنقيطي) ، مؤلف الشرح: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ، مكتبة الأسد، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ .
- ٢٣٢- الفرائض وشرح آيات الوصية: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ) ، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٢٣٣- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق): لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقراي (ت: ٦٨٤هـ) ، عالم الكتب ، بدون طبعة وبدون تاريخ .

- ٢٣٤- الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر .
- ٢٣٥- الفريد في إعراب القرآن المجيد" للمنتجب حسين بن أبي العز الهمداني (ت: ٦٤٣هـ) ، تحقيق: الفاضل محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان ، المدينة المنورة ط١ ، ١٤٢٧هـ .
- ٢٣٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت: ٤٥٦هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- ٢٣٧- الفصول في الأصول: لأحمد بن علي أبو بكر الرّازي الجصاص الحنفي (ت: ٦٠٦هـ) ، وزارة الأوقاف الكويتية ، ط٢ ، ١٤١٤هـ .
- ٢٣٨- فقه السنة: لسيد سابق (ت: ١٤٢٠هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٣٩٧هـ .
- ٢٣٩- الفقيه و المتفقه: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط٢ ، ١٤٢١هـ .
- ٢٤٠- فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤م .
- ٢٤١- فيض التقدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٦هـ .
- ٢٤٢- القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦هـ .

- ٢٤٣- قاموس المذاهب والأديان: لحسين علي حمد، دار الجليل بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٢٤٤- قواطع الأدلة في الأصول: لمنصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٢٤٥- قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية: جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية.
- ٢٤٦- قواعد الفقه: لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ٢٤٧- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: لمحمد مصطفى الزحيلي. عميد كلية الشريعة - جامعة الشارقة، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ٢٤٨- القواعد النورانية الفقهية: لابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: د أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٤٩- القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد: لمحمد بن عبد العظيم المكي الرومي الموروي الحنفي الملقب بابن مُلّا قُرُوخ (ت: ١٠٦١هـ)، تحقيق: جاسم مهلهل الياسين، عدنان سالم الرومي، دار الدعوة، الكويت، ط ١، ١٩٨٨.
- ٢٥٠- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، دار القلم، الكويت، ط ١، ١٣٩٦هـ.
- ٢٥١- الكافي في فقه الإمام أحمد: لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٢٥٢- كتاب الأفعال: لعلي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (ت: ٥١٥هـ)، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ.

- ٢٥٣- كتاب التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،
تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٥٤- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: لأبو بكر محمد بن إسحاق بن
خزيمة النيسابوري (ت: ٣١١هـ) ، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، مكتبة
الرشد ، السعودية ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤١٤ هـ
- ٢٥٥- كتاب العين: للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) ،
تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
- ٢٥٦- كتاب سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) ، تحقيق:
عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٢٥٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،
الزحشيري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٢٥٨- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين
البخاري الحنفي (ت: ٧٣٠هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- ٢٥٩- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين
البخاري الحنفي (ت: ٧٣٠هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- ٢٦٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو
إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق:
الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢٦١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأيوب بن موسى الحسيني
القرمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) ، تحقيق: عدنان درويش -
محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون سنة نشر .
- ٢٦٢- الكواكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن اليوسف صدر سورية: لعبد القادر بن
بدران (ت: ١٣٤٦هـ) ، مطبعة الفيحاء ، دمشق ، ١٣٣٩ هـ .

- ٢٦٣- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: لنجم الدين محمد الغزي (ت: ١٠٦١هـ)،
تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ٢٦٤- لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر
الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) ، تحقيق: تصحيح محمد علي
شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٢٦٥- لباب النقول في أسباب النزول: لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، ضبطه
وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
- ٢٦٦- اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) ، تحقيق:
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ٢٦٧- لسان العرب: لمحمد بن مكرم ، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ) ، دار
صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٦٨- اللغة: لجوزيف فندريس Joseph Vendryes (ت: ١٣٨٠هـ) ، تعريب:
عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م .
- ٢٦٩- الله يتجلى في عصر العلم: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية
لطبيعيات الأرض ، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما ، ترجمة: الدكتور
الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الفندي،
دار القلم، بيروت - لبنان .
- ٢٧٠- مباحث في إعجاز القرآن: لمصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، ط ٣ ،
١٤٢٦ هـ .
- ٢٧١- مباحث في علوم القرآن: لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ) ، مكتبة
المعارف للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ .
- ٢٧٢- المبدع في شرح المقنع: لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو
إسحاق، برهان الدين (ت: ٨٨٤هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨ هـ .

- ٢٧٣- المبسوط: لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ) ،
دار المعرفة ، بيروت ، بدون طبعة ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٧٤- متن القصيدة النونية (الكافية الشافية): لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، مكتبة
ابن تيمية، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ .
- ٢٧٥- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ) ، تحقيق:
محمد فواد سزكين ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
- ٢٧٦- المجتبى من مشكل إعراب القرآن: لأحمد بن محمد الخراط، أبو بلال ، مجمع
الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ .
- ٢٧٧- مجلة الآثار: لعيسى معلوف (ت: ١٣٧٦هـ) ، أصدرت عام: ١٣٢٩هـ.
- ٢٧٨- مجلة الفتح المصرية لمحّب الدين الخطيب ، صدر أول عدد منها في ٢٩ / ذي
القعدة / ١٣٤٤ هـ .
- ٢٧٩- مجلة فاينانسيال تايم دي، مايو (٢٠١٠)
- ٢٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠هـ)،
تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٨١- مجمل اللغة لابن فارس: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي ، أبو الحسين
(ت: ٣٩٥هـ) ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٢٨٢- مجموع الفتاوى: لابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد
بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة
العربية السعودية ، ١٤١٦ هـ .
- ٢٨٣- المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي): لأبي زكريا محيي الدين يحيى
بن شرف النّوّوي (ت: ٦٧٦هـ) ، دار الفكر .
- ٢٨٤- مجموعة الرسائل والمسائل: لتقي الدين أبو العباس بن تيمية الحراني (ت :
٧٢٨هـ) ، علق عليه : السيد محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربي .

٢٨٥- محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .

٢٨٦- محب الدين الخطيب: لممدوح فخري ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد الثالث ، السنة الثانية، محرم ، ١٣٩٠ هـ .

٢٨٧- المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد السيد الشريف الشيخ محمد بدر الدين الحسيني المتوفى ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م كما عرفته" لمحمد صالح الفرفور ، دار الإمام أبي حنيفة ، ١٤٠٦ هـ .

٢٨٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .

٢٨٩- المحصول في أصول الفقه: للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) ، تحقيق: حسين علي اليدري - سعيد فودة ، دار البيارق ، عمان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .

٢٩٠- المحكم والمحيط الأعظم: لأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .

٢٩١- محمد المبارك العالم والمفكر والداعية: حسني أدهم جرار، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ هـ .

٢٩٢- محمود سامي البارودي شاعر النهضة: لعلي الحديدي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .

٢٩٣- مختار الصحاح: لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرّازي (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، صيدا ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ .

- ٢٩٤- مختصر التحرير (شرح الكوكب المنير) : لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي (ت: ٩٧٢هـ) ، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، مكتبة العبيكان ، ط ٢ ، ١٤١٨هـ .
- ٢٩٥- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله ، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكرم بن رضوان البعلبي شمس الدين، ابن الموصلبي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم ، دار الحديث، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
- ٢٩٦- مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي " لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ .
- ٢٩٧- مختصر طبقات الحنابلة: لمحمد جميل بن عمر بن شطي ، دراسة: فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
- ٢٩٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ .
- ٢٩٩- مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران: لعادل بن علي بن أحمد الشدّي ، مدار الوطن للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .
- ٣٠٠- المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة: محمد محمود محمد طه عثمان الفراء ، دار المريخ ، ط ٤ .
- ٣٠١- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (ت: ١٣٤٦هـ) ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ .
- ٣٠٢- مذكرة في أصول الفقه: لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ط ٥ ، ٢٠٠١م .

- ٣٠٣- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ) ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ .
- ٣٠٤- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ .
- ٣٠٥- المستصفي: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .
- ٣٠٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ .
- ٣٠٧- المسودة في أصول الفقه: آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وأضاف إليها الأب : عبد الحليم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)] ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي .
- ٣٠٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار: لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ٣٠٩- مشاهير علماء نجد وغيرهم: لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ، ط١ ، ١٣٩٢ هـ .
- ٣١٠- مصطلحات في كتب العقائد: لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد ، درا بن خزيمه ، ط١ .

- ٣١١- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ) ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
- ٣١٢- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: لمحمد بن حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي ، ط ٥ ، ١٤٢٧ هـ .
- ٣١٣- معالم الاستنباط في علم التفسير: لنايف بن سعيد الزهراني ، العدد الرابع من مجلة معهد الإمام الشاطبي ، ١٤٢٨ هـ .
- ٣١٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٣١٥- معالم وأعلام في بلاد العرب: لأحمد قدامة (ت: ٦٢٠هـ) ، مطبعة الأديب ، دمشق ، ١٣٨٥ هـ .
- ٣١٦- معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
- ٣١٧- معاني القرآن: لأبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ) ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٩ هـ .
- ٣١٨- معجزة الصوم الطب: بول. س. بريك ، تحقيق: سليمان الظاهر ، الناشر: خاص - سليمان الظاهر ، ط ١ .
- ٣١٩- معجزة الصيام في الطب والقرآن: لفايز عبد العزيز ، مؤسسة راشد للإنتاج الإعلامي والتوزيع . الرياض .
- ٣٢٠- المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: أحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا ، ٢٠٠٣ .
- ٣٢١- مُعجمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: لعادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ .

- ٣٢٢- معجم أعلام شعراء المدح النبوي: لمحمد أحمد درنيقة ، تقديم: ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٣٢٣- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٣٢٤- معجم الادباء الاسلاميين المعاصرين: لأحمد الجذع ، دار الضياء ، الأردن ، ١٤٢٠ هـ .
- ٣٢٥- معجم البلدان: لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ) ، دار صادر، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .
- ٣٢٦- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .
- ٣٢٧- معجم الفروق اللغوية: لأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) ، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٢٨- معجم الفروق اللغوية: للحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٢٩- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .
- ٣٣٠- معجم المطبوعات العربية والمعربة: ليوسف بن إيلان بن موسى سركيس (ت: ١٣٥١هـ) ، مطبعة سركيس ، مصر ، ١٣٤٦ هـ .
- ٣٣١- معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين: لعبد القادر عياش (ت: ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

- ٣٣٢- معجم المؤلفين: لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨ هـ) ، مكتبة المثنى ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٣٣٣- المعجم الوسيط: لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار)، مكتبة الشروق الدولية - مصر، ط٤، ١٤٢٥ هـ.
- ٣٣٤- معجم ديوان الأدب: لإسحاق بن إبراهيم الفارابي، (ت: ٣٥٠ هـ) ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ .
- ٣٣٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٣٦- معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة: لأحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، ط١ ، ١٣٨٠ هـ .
- ٣٣٧- معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٣٣٨- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي (ت: ٣٩٥ هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ .
- ٣٣٩- المغرب في ترتيب المعرب: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي الخوارزمي المَطَرَزِيّ (ت: ٦١٠ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- ٣٤٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ) ، تحقيق: د. مازن المبارك - محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥ هـ .
- ٣٤١- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .

- ٣٤٢- المغني لابن قدامة: لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ، الشهرير
بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٨٨هـ.
- ٣٤٣- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن
الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدين الرّازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ، دار
إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٣٤٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)،
دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٤٥- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار
الشامية ، دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٤٦- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: لمساعد بن سليمان بن
ناصر الطيّار ، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ .
- ٣٤٧- مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة: لعلي بن نايف الشحود، ط ١ ، ١٤٣٣هـ.
- ٣٤٨- المقتضب: محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد
الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٣٤٩- المقدمات في الجغرافيا الطبيعية: لعبد العزيز طريح شرف، مركز الإسكندرية.
- ٣٥٠- مقدمة ابن خلدون: للعلامة ولي الدين عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون (ت:
٨٠٨هـ) ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش ، دار
يعرب - دمشق ، ١٤٢٥ هـ .
- ٣٥١- الملخص الفقهي: لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار العاصمة - الرياض،
١٤٢٣ هـ .
- ٣٥٢- الملل والنحل: لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)،
مؤسسة الحلبي .

- ٣٥٣- من أصول الفقه على منهج أهل الحديث: زكريا بن غلام قادر الباكستاني ، دار الخراز ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
- ٣٥٤- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: لعبد القادر بن بدران الدمشقي (ت: ١٣٤٦هـ) ، تقديم بهجة البيطار ، وإشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٣٥٥- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: لمحمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة ، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ٣٥٦- مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٣ .
- ٣٥٧- منتخبات تواريخ دمشق: لتقي الدين الحصني (ت: ٨٢٩هـ) ، تحقيق: كمال صليبي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ .
- ٣٥٨- المنثور في القواعد الفقهية: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، وزارة الأوقاف الكويتية ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٣٥٩- المنثور في القواعد الفقهية: لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ، وزارة الأوقاف الكويتية ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٣٦٠- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٣٦١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِي (ت: ٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ .
- ٣٦٢- منهج ابن بدران في تفسيره: لعادل بن علي بن أحمد الشدّي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .

٣٦٣- منهج الاستنباط من القرآن الكريم" لفهد بن مبارك الوهبي ، تقديم: محمد بن عبد الرحمن الشايع ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ .

٣٦٤- الْمُهَدَّبُ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ (تحريرٌ لمسائله ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيةً): لعبد الكريم بن علي النملة ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .

٣٦٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .

٣٦٦- الموافقات في أصول الشريعة: لأبي اسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ) ، بقلم: الشيخ عبد الله دراز ، عني بضبطه وتفصيله ووضع تراجمه: عبد الله دراز ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٣٦٧- المواقف : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة ، دار الجليل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ .

٣٦٨- المواهب الربانية في الأجوبة عن الأسئلة القازانية: لعبد القادر بن أحمد بن بدران الدمشقي ، حققه وعلق عليه محمد صباح منصور ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .

٣٦٩- الموجز في قواعد اللغة العربية: لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت : ١٤١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤ هـ .

٣٧٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٤ ، ١٤٢٠ هـ .

٣٧١- موسوعة حلب المقارنة: لمحمد خير الدين الأسدي (ت: ١٣٩٠هـ) ، تحقيق: الأديب محمد كمال ، حلب ، ٢٠٠٩ م .

- ٣٧٢- ميزان العمل: لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف، مصر ، ط ١ ، ١٩٦٤ هـ .
- ٣٧٣- النبذة الكافية في أحكام أصول الدين (النبد في أصول الفقه): لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٣٧٤- النبوات: لأحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٣٧٥- نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة: لعبد القادر بن بدران الدمشقي ، دار الحديث - بيروت ، مكتبة الهدى- رأس الخيمة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٧٦- نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي: تشارلس داروين ، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
- ٣٧٧- نظرية النسخ في الشرائع السماوية: لشعبان محمد إسماعيل ، دار السلام ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- ٣٧٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة
- ٣٧٩- نفحات من علوم القرآن: لمحمد أحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ) ، دار السلام - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ .
- ٣٨٠- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ .
- ٣٨١- نَيْلُ الْمَأْرِبِ بِشَرْحِ دَلِيلِ الطَّالِبِ: لعبد القادر بن عمر بن عبد القادر ابن عمر بن أبي تغلب التغلبي الشَّيبَانِي (ت: ١١٣٥هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر - رحمه الله - ، مكتبة الفلاح، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .

- ٣٨٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هندراوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر .
- ٣٨٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣ ، ١٩٩٩ م .
- ٣٨٤- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- ٣٨٥- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: لمحمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان ، ط٤ ، ١٤١٦ هـ .
- ٣٨٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٣٨٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط٠ ، ١٩٠٠ .
- ٣٨٨- الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف: لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني ، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار طيبة، الرياض ، ط١ .
- ٣٨٩- الولاء والبراء في الإسلام: لأبي عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري ، دار الدعوة الإسلامية ، ط١ ، ١٤٣٣ هـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	Abstract
٦	شكرو عرفان
٧	المقدمة
١٨	التمهيد
٢٧	القسم الأول : الدراسة النظرية
٢٨	❖ الفصل الأول: التعريف بابن بدران وكتابه جواهر الأفكار
٢٩	▪ المبحث الأول : ترجمة الإمام ابن بدران
٣٠	- توطئة بين يدي ترجمته
٣١	- اسمه ونسبه
٣٢	- مولده ونشأته
٣٦	- عقيدته ومذهبه
٤٠	- طلبه للعلم وأشهر شيوخه
٤٥	- أشهر تلاميذه
٤٨	- مؤلفاته
٥٤	- وفاته
٥٥	▪ المبحث الثاني: العوامل المؤثرة عليه في الاستنباط
٥٦	- عقيدته وتأثيرها عليه في الاستنباط
٦٠	- مذهبه الفقهي والأصولي وتأثيره عليه في الاستنباط
٦٥	- عصره وتنزيله الآيات على الواقع
٦٧	- اللغة العربية وعلومها وتأثيرها عليه في الاستنباط
٦٩	▪ المبحث الثالث: التعريف بكتاب جواهر الأفكار لابن بدران
٧٠	- توطئة بين يدي الكتاب

- ٧١ - نسبة كتاب جواهر الأفكار للإمام ابن بدران
- ٧٢ - نُسخ كتاب جواهر الأفكار
- ٧٣ - منهج الإمام ابن بدران في كتابه جواهر الأفكار
- ٨٣ - مصادره في كتابه جواهر الأفكار
- ٩٨ ❖ **الفصل الثاني: مفهوم الاستنباط من القرآن الكريم**
- ٩٩ ■ **المبحث الأول: تعريف الاستنباط في اللغة والاصطلاح**
- ٩٩ - تعريف الاستنباط في اللغة
- ١٠١ - تعريف الاستنباط في الاصطلاح
- ١٠٥ ■ **المبحث الثاني: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح**
- ١٠٥ - تعريف التفسير في اللغة
- ١٠٦ - تعريف التفسير في الاصطلاح
- ١١٠ ■ **المبحث الثالث: الفرق بين الاستنباط والتفسير**
- ١١٢ ❖ **الفصل الثالث: أقسام الاستنباط عند ابن بدران**
- ١١٣ ■ **المبحث الأول: أقسامه باعتبار موضوعه**
- ١١٤ - الاستنباطات العقديّة
- ١١٨ - الاستنباطات اللغوية والنحوية
- ١٢١ - الاستنباطات الفقهية والأصولية
- ١٢٨ - الاستنباطات الاجتماعية والعمرانية
- ١٣٣ ■ **المبحث الثاني: أقسامه باعتبار صحته وبطلانه**
- ١٣٥ - الاستنباط الصحيح
- ١٣٩ - الاستنباط الباطل
- ١٤٥ ■ **المبحث الثالث: أقسامه باعتبار ظهور النص وخفائه**
- ١٤٧ - الاستنباط من النصوص الظاهرة المعنى
- ١٥٠ - الاستنباط من النصوص غير الظاهرة المعنى
- ١٥٤ ■ **المبحث الرابع: أقسامه باعتبار الأفراد والتركيب في النص**
- ١٥٦ - الاستنباط من النص الواحد (الأفراد)
- ١٥٩ - الاستنباط بالربط بين نصين أو أكثر (التركيب)

- ❖ **الفصل الرابع: طرق الاستنباط من القرآن عند ابن بدران** ١٦٢
- مدخل ١٦٣
 - المبحث الأول: دلالة الإشارة ١٦٤
 - المبحث الثاني: دلالة النَّص ١٦٨
 - المبحث الثالث: دلالة المفهوم ١٧٣
 - المبحث الرابع: دلالة الاقتران ١٨٠
- ❖ **الفصل الخامس: أسباب الخطأ في الاستنباط عند ابن بدران** ١٨٤
- تمهيد ١٨٥
 - تأثره بالفلسفة وعلم الكلام ١٨٦
 - مخالفة النصوص وما اتفق عليه الجمهور ١٩٨
 - التأويل المخطئ للنص ٢٠٦
- القسم الثاني: الدراسة التطبيقية** ٢٠٨
- عرض نماذج لمواضع الاستنباط عند الإمام ابن بدران في تفسيره** ٢٠٩
- ❖ **تمهيد** ٢١٠
- ملامح منهج ابن بدران ٢١٠
 - شروط المستنبط ٢١١
 - شروط وضوابط الاستنباط الصحيح ٢١٢
- ❖ **سورة الفاتحة** ٢١٣
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الآية: ٢] ٢١٣
 - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الآية: ٥] ٢١٥
- ❖ **سورة البقرة** ٢١٩
- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [الآية: ٢] ٢٢١
 - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴿٣﴾﴾ [الآية: ٣] ٢٢٣
 - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿٤﴾﴾ [الآية: ٤] ٢٢٦
 - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴿٥﴾﴾ [الآية: ٥] ٢٣٠
 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [الآية: ٦] ٢٣٣
 - ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴿١٩﴾﴾ [الآية: ١٩] ٢٣٦

- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الآية: ٢١] ٢٤٠
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [الآية: ٢٢] ٢٤٤
- ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [الآية: ٢٤] ٢٥٠
- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [الآية: ٢٥] .. ٢٥٨
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [الآية: ٢٦] . ٢٦٠
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية: ٢٩] ٢٦٢
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الآية: ٣٠] ٢٦٧
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [الآية: ٣٤] ... ٢٧٢
- ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [الآية: ٣٥] ... ٢٧٦
- ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [الآية: ٣٨] ٢٨٠
- ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: ٤١] ٢٨٣
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: ٥٤] ٢٨٥
- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [الآية: ٥٥] ٢٨٧
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [الآية: ٦٣] ٢٨٩
- ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [الآية: ٦٦] ٢٩٣
- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ [الآية: ٧٤] ... ٢٩٤
- ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [الآية: ٧٥] ٢٩٨
- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية: ٧٦] ٣٠٢
- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ﴾ [الآية: ٧٨] .. ٣٠٦
- ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: ٧٩] ٣١٢
- ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [الآية: ٨٠] ... ٣١٩
- ﴿بَلَىٰ مِنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [الآية: ٨١] ٣٢١
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية: ٨٣] ٣٢٣
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [الآية: ٨٤] ٣٣١
- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾ [الآية: ٨٩] ٣٣٥
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ [الآية: ٩١] ٣٣٨
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [الآية: ٩٣] ٣٤٠

- ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: ٩٥] ٣٤١
- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ [الآية: ٩٦] ٣٤٢
- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [الآية: ١٠١] ٣٤٣
- ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [الآية: ١٠٢] ٣٤٧
- ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: ١٠٥] ٣٥٤
- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: ١٠٧] .. ٣٥٦
- ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: ١٠٨] ٣٥٨
- ﴿وَدَكَّ شَرٌّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ [الآية: ١٠٩] ٣٦٥
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [الآية: ١١٤] .. ٣٦٦
- ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [الآية: ١٢٠] .. ٣٧٠
- ﴿وَإِذِ رَفَعَ آبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [الآية: ١٢٧] ٣٧٢
- ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [الآية: ١٢٩] ٣٧٣
- ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ [الآية: ١٣٣] ٣٧٤
- ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ آبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: ١٣٦] .. ٣٧٦
- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: ١٤١] ٣٨٠
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الآية: ١٤٣] ٣٨٤
- ﴿قَدَرْنَا تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [الآية: ١٤٤] ٣٨٦
- ﴿وَلِينَ اتَّيَّتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ [الآية: ١٤٥] ٣٩٣
- ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الآية: ١٥٨] ٣٩٦
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [الآية: ١٥٩] ٤١٣
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية: ١٦٤] ٤١٥
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ [الآية: ١٧٣] ٤٣٨
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [الآية: ١٧٨] ٤١٧
- ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٢] ٤٢٤
- ﴿أَيُّهَا مَعْدُونَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ [الآية: ١٨٤] ٤٢٦
- ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [الآية: ١٨٥] ٤٣٠
- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [الآية: ١٨٧] ٤٣٢

٤٤٥	❖ الخاتمة
٤٤٥	▪ أبرز النتائج
٤٤٨	▪ التوصيات
٤٥٠	❖ الفهارس العامة
٤٥١	▪ فهرس الآيات القرآنية
٤٦١	▪ فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٤٦٤	▪ فهرس الأعلام المترجم لهم
٤٦٨	▪ فهرس البلدان والأماكن
٤٦٩	▪ فهرس المصادر والمراجع
٥٠٧	▪ فهرس الموضوعات